الأسرة والحياة العائلية

دكتورة
سناء الخولى

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الأزاريطة - ت ٤٨٧٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي - ت ٥٩٢٣١٤٦

الأسـرة
والحياة العائلية

الأسرة والحياة العائلية

دكتورة
سناء الخولي

٢٠٠٢

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الازاريطة - ت ٤٨٣٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي ت ٥٩٧٣١٤٦

دار المعرفة الجامعية

للطبع والنشر والتوزيع

---

* الإدارة : ٤٠ شارع سوتير
الأزاريطة - الاسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

* الفرع : ٣٨٧ شارع قنال السويس
الشاطبى - الاسكندرية
ت : ٥٩٧٣١٤٦

اهداء

الى علاء وعُلا

المقـــدمة

إن أهمية الزواج مثله مثل الأسرة في حياة الإنسان والمجتمع أمر ظل يلقى تأييداً وتأكيداً طوال التاريخ وحتى اليوم ، وكانت العلاقة بين الرجل والمرأة وما تزال موضوعاً يجذب اهتمام المفكرين والفلاسفة والأدباء ورجال السياسة والعلماء ، فعبروا عن انطباعاتهم وتصوراتهم كل بطريقته ، إلا أن الزواج كموضوع للبحث المتخصص إنحصر في نطاق علم الاجتماع منذ بدايته ، وظل ينمو ويتطور حتى أصبح مركز اهتمامات عديدة على المستوى النظري والتطبيقي وأثرته أبحاث عديدة بيولوجية واقتصادية وتاريخية .

إن الاهتمام الشديد الذي نلاحظه عند علماء الاجتماع في الغرب والشرق على السواء بالزواج ، وربما يكون مرجعه إلى التغيرات الواضحة التي طرأت على طبيعته وأهدافه ، والى المشاكل والأزمات والتحديات التي يواجهها ، نتيجة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية التي تتعاظم عاماً بعد آخر . وربما يعود هذا الاهتمام كذلك الى أن كثيراً من خبراتنا وعواطفنا ومشاكلنا تمتد جذورها في الحياة الأسرية التي نشارك فيها جميعها بشكل أو بآخر . وقد أدرك الكثيرون ممن يعملون في حقل العلم أو السياسة او التخطيط ، أو من يتصدون لتشخيص مشاكل المجتمع وبناء برامج التغير أو الاصلاح ، إن الانطلاق من تفهم قضايا الزواج المعاصر وأزمة الأسرة ومعاناتها في هذا العصر أمر لا مفر منه ، وخاصة اذا كانت الأسرة ستظل

صاحبة الدور الحيوي في تشكيل الشخصية وفي بناء قيم واتجاهات الانسان المعاصر .

وربما كان تخلف الاهتمام بأبحاث الزواج والأسرة في مجتمعنا يرجع إلى أن سرعة التغير لم تظهر نتائجها بصورة واضحة إلا منذ وقت قريب ، والى الثبات النسبي في أنماط الأسرة التقليدية التي ميزت الحياة العائلية لفترة طويلة من الزمان ، ومع ذلك هناك دراسات علمية قد أجريت في ميدان الأسرة على المستوى الأكاديمي ، ودراسات أخرى تتم تدريجياً بقصد إبراز بعض الجوانب التطبيقية . من خلال هيئات ومؤسسات متنوعة الأهداف ، إلا أنني وجدت أن الوقت أصبح مناسباً لأقدم مؤلفاً يتميز بالشمول عن الأسرة والزواج يعالج أهم القضايا والموضوعات التي تهم الدارس والمثقف المصري ، وينطوي على أهم المعلومات والتحليلات التي أخذت طابعاً مقارناً مع الاشارة المتكررة الى الأسرة المصرية كلما كان ذلك مناسباً .

ومع أنني أعلم أن هناك كمّاً هائلاً من الموضوعات التي تعالجها الآن المؤلفات التي تستوعب جميع جوانب الأسرة والزواج في كثير من بلاد العالم وخاصة من خلال منظورات متعددة الاتجاهات الاجتماعية او الاقتصادية أو السياسية أو النفسية ، إلا أن الأمر يتطلب نوعاً من الاختيار الذي قد ينجح في إلقاء الضوء على الموضوعات الرئيسية ذات الأهمية الحيوية أو قد يقصر دون قصد في الوصول الى هذا الهدف لكنني أعتقد مع ذلك ، أن هذا المؤلف يحرص على ما يلي :

١ ـ التوصل ـ نسبيا ـ الى تغطية شاملة وموضوعية للمفهومات والأفكار الأساسية عن الزواج والأسرة ، مع تدعيمها بالبيانات العلمية والواقعية المستمدة من دراسات تجريبية أجريت على جماعات أسرية حقيقية في مجتمعات مختلفة ، ولهذا سوف يجد كثير من القراء في هذا المؤلف صورة أقرب ما تكون إلى حياتهم الأسرية الفعلية ، في الوقت الذي تطرح أمامهم الوسائل المناسبة ، لتمكينهم من الاشتراك في عملية مستمرة لملاحظة وفهم وتحليل علاقات الزواج والأسرة وتنظيماتها المختلفة سواء في المجتمع المصري أو في المجتمعات الأخرى .

٢ ـ حفز اهتمام القارىء حتى على مستوى غير المتخصصين ، إلا أن هذا لم يكن

على حساب الدقة ، فقد حرصت أن أعرض بصدق وموضوعية . عمليات السلوك الزواجي والأسري وتنظيماته بطريقة مفهومة ومشوقة . ولهذا أرجو أن يتمكن القارىء بعد أن يفرغ من القراءة ، أن يربط قيمه الشخصية والعائلية بأساليب الحياة المختلفة وأنماطها في مجتمعه الخاص وأن يقارن كل ذلك بما يحدث في المجتمعات الأخرى ، أو بمعنى آخر يستطيع القارىء أن يرى بوضوح مكانه ومكان أسرته في المجتمع الذي ينتمي اليه او في مجتمعات العالم .

٣ ـ تحري الموضوعية والبعد عن الأحكام الشخصية والاستعانة بنتائج دراسة نماذج عديدة من الأسر ، يمكن أن تسمح تنوعاتها في التوصل إلى نتائج أقرب ما تكون إلى الواقع المعاش .

إن هذا الكتاب يعتبر امتدادا لكتابي عن « الأسرة والحياة العائلية » إلا أنني اتخذت الزواج هنا منطلقا لتحليل العلاقات الأسرية ، لأنني أعتقد أن الزواج وما يكتنفه من عوامل وظروف تؤدي الى تنفيذ « قرار الزواج » هو المدخل الذي لا مفر منه لفهم دينامية ومستقبل العلاقات الأسرية بل وتنظيم الأسرة ككل .

وأخيراً فإنني أرجو أن يسهم هذا المؤلف على المستوى النظري والتطبيقي في إثراء الجهود التي تبذل من أجل فهم علمي أكثر عمقاً وتكاملاً للأسرة المصرية ، التي تعتبر وعاءا ونقطة بدء في نفس الوقت لإعادة بناء الإنسان المصري . كما لا يفوتني أن أشكر أصحاب وعمال دار بور سعيد للطباعة وكذلك السيد صابر محمد عبد الكريم صاحب دار المعرفة الجامعية لما بذلوه من جهد متواصل لإخراج هذا المؤلف ونشره .

سناء الخولي

الفصل الأول

الذكر والأنثى : ماهما ولماذا !

يعتبر تقسيم الكائنات الحية ، بما فيها الانسان . الى طائفتين (لذكر والأنثى) واحد من الحقائق الأساسية للحياة . إلا أن المخلوقات الانسانية تتميز دون غيرها بمقدرتها على الافادة من الاختلاف بين الجنسين واستخدامه ليصبح وسيلة من الوسائل الناجحة للتغلب على مشاعر الوحدة ، وتكوين علاقات ثابتة ذات معنى بين الأفراد ، ومع ذلك فقد يؤدي هذا الاختلاف بين الجنسين إلى توسيع الهوة بين الذات وبين الآخرين . ويظهر ذلك ، وبخاصة ، عندما ينظر الرجل الى المرأة على أنها لا تساويه أو تماثله في التركيب والعواطف والمشاعر . إن الاختلاف الجنسي واقع طبيعي وحتمي ، ومن ثم لا بد أن يواجهه كل إنسان ، ولا بد أن يقبله وينمو من خلاله بالانتماء والتكيف وأداء الأدوار . ولهذا فإن الجنس الآخر يشكل باسهاماته وأدواره وتوقعاته جانبا مهما من البيئة التي من خلالها تنمو الشخصية الانسانية . ويعني ذلك بوضوح ان الذكر والأنثى (الرجل والمرأة) لا بد أن يضعا في حسابهما بطريقة أو بأخرى وجودالجنس الآخر من أجل بناء الحياة واستمرار النوع الإنساني وتحقيق الشكل الأفضل للوجود الاجتماعي .

اتجاهات ومواقف متباينة :

تتضمن الاتجاهات Attitudes، كما هو معروف حلقة واسعة من الاختلافات ، تمتد بين الاتجاهات التقليدية الجامدة التي تقاوم التغير والاتجاهات الثقافية المرنة التي

تتصف بالتحول المستمر استجابة للظروف المتغيرة ، والاتجاهات التي تعكس رد فعل الشخص نحو تصنيفه الجنسي ونحو تجربته الخاصة في الحياة الاجتماعية وكذلك تصنيفه للآخرين وتوقعات الدور بالنسبة له ولهم الخ . . ومن هنا يرى الكثيرون أن الاختلافات الظاهرة بين الجنسين هي اختلافات ثقافية دعمتها تجربة إنسانية طويلة ، وهي لذلك يمكن أن تتغير ، وهذا القول فيه شيء من الحقيقة دون شك ، إلا أنه يترك دون جواب السؤال المتعلق بمدى فعالية الاختلافات الجنسية الفطرية . وفي هذا الصدد يرى هؤلاء ان خصائص الجنسين يمكن أن تتغير كذلك وخاصة اذا كان الأمر متعلقاً بالسلوك والأدوار والمراكز والعلاقات الشخصية والجنسية المتبادلة ، أي كل ما يتعلق بالأسس التي يقوم عليها « الزواج » . إن التغير مطلوب بغير شك ولكن من الأفضل أن يحدث ذلك من خلال منظور وفهم واضحين .

وهناك اتجاه آخر ومألوف يرى مؤيدوه أن الجنسين دائماً في حالة صراع وأنهما سيظلان كذلك في المستقبل ويرون أن هذا الصراع يأخذ دائماً شكل الاستغلال . فكل جنس يفترض أنه بطريقة أو بأخرى وفي كل الأوقات يكون ضحية Victim للآخر . ويمكن لأي إنسان أن يلاحظ من واقع تجربته أن هذا الموقف الدفاعي متضمن بشكل عام في اتجاه كل جنس نحو الآخر . وقد قام عالم النفس الفرد ادلر Alfred Adler منذ عدة سنوات بابتكار مصطلح الاعتراض على الذكورة أو رفضها Masculine Protest مشيراً به إلى النساء المستاءات من أنوثتهن واللائي يرغبن لو يصبحن ذكوراً . وهو يرى أن بعض هؤلاء النساء يكافحن كي يصبحن ذكوراً ، وبعضهن يحاولن التغلب على نقطة الضعف هذه بالتفوق على الرجال بطريقة أو بأخرى . وبعضهن الآخر يحط من قدر الرجال ، في الوقت الذي تلجأ فيه أخريات الى إثارة عواطف ومشاعر الرجال من أجل إذلالهم فقط ولا يقمن أي علاقة عاطفية حقيقية وثابتة مع أي رجل .

ويلاحظ أن هناك نسبة عالية من الإناث غير راضيات بدرجات متفاوتة عن أنوثتهن أكثر بكثير من الرجال غير الراضين عن ذكورتهم . فنادراً ما يتساءل الرجال عن مدى رغبتهم في أن يكونوا ذكوراً ، بينما يعتبر نفس السؤال هاماً جداً بالنسبة

للنساء حيث تعتقد الكثيرات أنهن لو أصبحن رجالا فإن هذا يعني اختفاء جميع المشاكل .

ولا يستطيع أكثر المتحمسين للمساواة بين الجنسين إنكار وجود بعض الاختلافات بينهما ، وينشأ الاختلاف في الرأي حول نوعية هذه الاختلافات ، وأسبابها ، ومدى قابليتها للتغير ، وما يمكن عمله حيالها ، ولعل أكثر الاتجاهات حيادية وإيجابية هو ما يرى أن :

١ ـ بعض الاختلافات بين الجنسين فطرية وبعضها مكتسب .
٢ ـ الاختلافات التي بالامكان تغييرها الى الأفضل فإنها تتغير بالفعل ، بينما تبقى الاختلافات الأخرى غير مفهومة وغير متفق عليها .

٣ ـ التغير الاجتماعي بطيء في أغلب الأحوال وخاصة في مجال تضييق نطاق هذه الاختلافات .

ومن خلال الاتجاهات السابقة نرى ان الشخص الشاب (ذكرا وأنثى) المتطلع الى الزواج لا بد له أن يوافق على الاختلافات القائمة بين الجنسين ويكيف نفسه تبعا لها بدلا من ان يطالب او يتوقع التغير المطلوب في وقت مبكر بعيد الاحتمال . فالاشباع في الحياة يمكن الوصول اليه بالفهم والتوافق الذكي . والتوافق يتضمن العمل من أجل التغير الممكن مستقبلا ، ولكن بطريقة تسمح بالحياة المشبعة المرضية في الحاضر ، اي العمل للتقدم نحو مستقبل أفضل ولكن في نفس الوقت لا بد من الرضى بالأمر لواقع والظروف المتاحة ومحاولة التكيف والتلازم معها ، حتى يمكن للحياة أن تستمر ، وإلا فإن التمرد المبكر سوف يوقع صاحبه في متاعب ومشاكل مستمرة مع نفسه ومع الآخرين .

بعض الفروق بين الجنسين :

لن نتمكن بالطبع من تقديم قائمة كاملة شاملة للاختلافات او الفروق بين الجنسين ، لأن أي قائمة في المرحلة الحالية من المعرفة ما زالت أمراً مستحيلاً نظراً لوجود أشياء عديدة ما زالت غامضة كما توجد أيضاً موضوعات كثيرة ليست موضع اتفاق بين الباحثين ، في الوقت الذي تكشف نتائج دراستها عن تناقضات بارزة ،

ومع ذلك نستطيع هنا أن نشير الى اكثر الفروق شيوعاً وأكثرها أهمية .

إن أهم هذه الفروق وضوحاً هو ما يتصل بالحجم Size، فعند ملاحظة أي جماعة نجد ان الرجال أضخم من النساء وهذه ليست ملاحظة عامة فقط أو حقيقة إحصائية بل هي أيضا ظاهرة مألوفة ، فمن المتوقع ان يكون الرجال أضخم وأعرض من النساء ، ولكن هذا لا يعني أن كل الرجال أضخم وأكبر حجماً من كل النساء ، بل أنه في أي جماعة يكون الرجال بوجه عام أضخم من النساء فيها حيث انه في بعض الأحيان توجد نساء أضخم من الرجال وأطول منهم وأثقل وزناً . ومع ذلك فالحجم كفرق واضح بين الرجال والنساء لا يضع حداً فاصلاً بينهما ، إلا في حالة ارتباطه بسمات وخصائص أخرى .

وإذا نظرنا للهيكل العظمي لكل من الرجل والمرأة ، نجد أن الهيكل العظمي للرجل ليس أضخم من المرأة فقط ولكنه أثقل وزناً أيضاً ، وفي نفس الوقت ، تختلف النسب القائمة بين مكونات أجزاء جسمه بالمقارنة بجسم المرأة ، فالمنطقة التي توجد فيها العضلات عند الرجل تكون أكثر خشونة.ولهذا السبب يكون في مقدورها التكيف مع عضلات أضخم . وحوض polvis المرأة أوسع من حوض الرجل كما أن ساقيها يأخذان شكل V بينما يكون ساقا الرجل متوازيان تقريباً ، كما أن اتساع الحوض عند المرأة وشكل ساقيها يجعلها اكثر استعدادا للحمل اكثر مما لو كان هيكلها العظمي مشابهاً للرجل .

ومن ناحية أخرى نجد أن الرجال أكثر ولعا بالقتال والخصام من النساء ، وهم ليسوا أكثر ميلاً للقتال فقط بل هم أكثر ميلا للاستمتاع به . وهم يعبرون عن روح المشاكسة هذه في ممارسة أنواع الرياضة العنيفة وفي العمل والحرب وبطرق عديدة أخرى . ويقال أن النساء أكثر تكيفاً من الرجال مع المواقف الجديدة ، كما أنهن أقل ميلاً للمشاركة في الأعمال الإجرامية أو تشكيل العصابات . وعموما ينظر الرجال الى النساء على أنهن « تافهات » وتنظر النساء الى الرجال على أنهم « مغرورون » . وربما يكون للرجال والنساء نفس الدرجة من الغرور إلا أنهم يختلفون في طريقة إظهارها . فالرجال يميلون الى رفع اصواتهم عالياً والضرب على صدورهم عندما

يتكلمون ويمشون في خيلاء وتعال . بينما تكون النساء أقل صخباً في إظهار غرورهن واحترامهن الزائد لذواتهن . فهن عادة أكثر خبثاً ومكراً وأكثر مخادعة في أساليب وصولهن الى أهدافهن ، إلا أن هذه الأساليب قد تكون مفروضة عليهن وكنوع من المقاومة خلال قرون طويلة من التبعية للرجال ، الذين كانت لهم خلال التاريخ القوة الغالبة والتي كانت وما تزال الطريقة الفعالة عندهم للوصول الى غاياتهم .

وفي حالة التودد والمغازلة يميل الرجال الى القيام بدور المطارد بينما تميل النساء الى القيام بدور المطاردات ، فالنساء يستجبن بإيجابية لمطاردة أو ملاحقة الرجل ، بينما يستجيب الرجال بسلبية لمطاردة النساء . بل ان الرجل قد يصاب بالذعر والخوف إذا طاردته امرأة ويشعر تجاهها بالشك والريبة ويصفها بالتهور أو بسوء الخلق ، ومن المحتمل ان يكون هذا الفرق نتيجة للعوامل البيولوجية والثقافية معاً .

ولكن هناك مؤشرات عديدة تؤكد ان المرأة في الوقت الحالي فقدت الى حد كبير تحفظها التقليدي وأصبحت أكثر صراحة وعدوانية في موقفها من الرجال . وبالرغم من هذا التغير الواضح في عدوانية الأنثى تجاه الذكر ، فإن الثقافة ما تزال ثابتة لم تتغير من وجهة نظر الفروق بين الذكر والأنثى وخاصة من ناحية الاختيار ، فنحن نعلم أن اختيار الذكر لشريكته مسألة تقليدية تقوم على الاختيار المباشر والايجابي من ناحيته ، بينما يقوم اختيار الأنثى على الموافقة والاختيار غير الظاهر . فليس لها نفس الحرية التي له في أن تقرر من تختار ، فهي تنتظر حتى يقوم هو بالتمهيد ، وفي هذه المرحلة تحاول هي شد انتباهه ، وأن تكون جذابة بالنسبة له . وهذا الموقف المتمايز يقوم على الفرض التقليدي بأن الذكر هو الذي يسأل الأنثى أن تتزوجه ، والعكس أصبح شائعاً الى حد ما في بعض المجتمعات في الوقت الحالي فقط ، ولكنه لم يحظ بالموافقة عليه عالمياً بعد .

وعادة ما يقال أن النساء أكثر عاطفية بينما الرجال أكثر موضوعية ومنطقية ، إذ يعتمد الرجال على التفكير في مواجهة المشاكل ولكن النساء يعتمدن على الحواس . وهذا الرأي مردود عليه ، فإذا استعرضنا بعض الانجازات العقلية للمرأة المعاصرة في مقابل بعض الأخطاء الفادحة وأساليب التعبير المتخلفة للرجل المعاصر فإن هذا

يؤدي الى الشك في وجود اختلاف في السلوك العاطفي والعقلي بين الجنسين. فالفرق بين الجنسين ليس في ان الرجال يتعقلون أو يفكرون Reason أي يعتمدون على التفكير ، وأن النساء يشعرن Feel أي يعتمدن على الشعور والعواطف ، وإنما يرجع أساساً الى نمط إظهار العواطف الذي يتميز به كل منهما الى جانب درجة الحرية في التعبير عن الرأي المتاحة لكل منهما عبر التاريخ . فمن المألوف عند بلوغ سن المراهقة وتجاوزها أن تصبح « الأنوثة » صفة ينبغي على الفتيات أن يتحلين بها ، بغض النظر عن النجاح الذي حققته في التعليم، فإذا حاولت الفتاة مثلا ان تنمي في نفسها صفات أخرى مثل الاستقلال او المنافسة نظر اليها المجتمع نظرته الى الخطر الذي يتهدد العلاقات الطبيعية بين الجنسين ، وبالتالي يتم قمعها[1]. ولا تتوقف عملية صب الفتاة في القالب الاجتماعي عند هذا الحد ، فبعد إرغامها على الكف عن منافسة الرجال في المجال العقلي من أجل ان تصبح اكثر جاذبية وأكثر أنوثة ، فإن المجتمع يقدم لها البديل ، وهو أن تتسامى تطلعاتها ومطامحها وتتجه الى الأمومة وحب زوجها . وهكذا تتركز جميع رغباتها ومطامحها في إنجاح حياتها الزوجية ، وفي منجزات زوجها ، وفي رعاية أطفالها ، وهذا يفسر الى حد ما ، ما سجله « تيرمان » من أن تكريس النساء لطاقتهن في الأعمال المنزلية يحرم الفنون والعلوم من جانب كبير من العبقرية الانسانية[2]. ومع ذلك فبعض النساء ممن يتمتعن بمواهب عالية او متوسطة لا يتقاعسن بالضرورة عن مزاولة النشاط الخلاق ، ولكنهن يواجهن صراعاً في أنفسهن بين مزاولة المهنة والاشباع الذي يولده إتقانها والابداع فيها وبين الحاجة الاجتماعية والنفسية للتكيف مع القالب الأنثوي التقليدي .

إن حاجة المرأة لتأكيد شخصيتها من خلال الرجل ، تجعلها تعمل على إخضاع روحها العدوانية وتوجيهها نحو بنات جنسها ، والروح العدوانية عند المرأة تختلف عن الروح العدوانية عند الرجل والتي تتجه كما سبق أن أشرنا نحو نشاطه المهني ذلك لأن عدوانية المرأة مقنعة غير مكشوفة ، وتتخذ أشكال الغدر والخيانة والغيرة وانعدام

---

(1) Bardwick, J. Douvon, E in: V, Gornick and B. Moran (eds,), Woman in seviel Society. N. Y, New American Library, 1972.

(2) Terman. L, Papers on eugenics, No 4 1947 p, 3

الثقة التي تزحف وتدب في علاقتها النسائية وتسبب لها كثيراً من القلق والتوتر ، واذا عثرت المرأة على الرجل المثالي الذي يمكن من خلاله ان تكتسب لنفسها قيمة أكبر ، فإن جميع النساء الأخريات يصبحن في هذه الحالة أعداء لها ، لأنها اذا فقدت رجلها لواحدة منهن ، فقدت كل ذاتها .

أما أكثر الفروق وضوحاً بين الجنسين فيتمثل في أن الرجال يتمتعون بحرية أكبر من النساء ، وهذا حقيقي إلى حد كبير ، فالرجال لهم حرية واسعة في ممارسة الأنشطة المختلفة ، كما انهم أقل تعرضا للنقد والتوجيه . وهم يتحركون بحرية أكبر كما انهم في بعض الأحيان أكثر حرية في تحديد سلوكهم الخاص . ومع ذلك ، فالرجال في بعض الأحيان يكونون أقل حرية من النساء كما تقول « باردويك Bardwick[1] » حيث تكون هناك بعض مستويات للرجولة يلتزم بها الرجال ومثال ذلك ان النساء أكثر حرية في التعبير عن عواطفهن وأحاسيسهن مثل الخوف ، والشفقة والحزن ، والعواطف نحو أشخاص من نفس الجنس . والرجال قد يشعرون بالرغبة في الصراخ ولكنهم لا يفعلون لأن من يفعل ذلك من الرجال يعتبر جباناً او مخنثاً Sissy ومن الممكن أن يصعق الرجل خوفاً ولكنه يجب ان يتماسك وألا يظهر هذا الخوف على ملامحه حتى لا يوضع في قائمة الجبناء . ولعل ذلك يرجع الى ان الرجال يخضعون لبعض المبادىء التقليدية التي تحتم عليهم الالتزام بمبادىء الفروسية والتي تقود سلوكهم في اتجاه معين ، وتبعا لهذه المبادىء يكون لزاماً على الرجل أن ينحني للمرأة ويجاملها ويحميها ويساعدها ، بينما لا توجد مثل هذه المبادىء او القوانين التقليدية بالنسبة للمرأة .

وهناك ناحية أخرى تنتقص من حرية الرجال وتتمثل في أنهم ليست لهم حرية لاختيار في أن يصبحوا المعيلين لأسرهم ، بينما يكون في إمكان المرأة ان تعمل أو لا عمل بعد الزواج تبعا لاختيارها ورغبتها وفي بعض الأحيان يكون هذا الاختيار مفروضاً عليها ولكن ليس بنفس الدرجة التي يفرض بها على الرجل . فأعمال الرجال ترضي ميولهم وتحقق ذواتهم ولكنها من ناحية اخرى تكون نتيجة للضغوط

(1) Bardwick, Judith M, «Psychology of woman», Harper and Row, publishers, N, Y. 1971.

التي يفرضها نمط الثقافة التقليدي عليهم . فالرجل يجب ان يعمل حتى يثبت انه رجل حقيقي Real man . أما المرأة فيمكنها ان تكون امرأة حقيقية Real Woman دون أن تكسب قرشاً واحداً .

ومن الأفكار الشائعة ايضا عن الفروق بين الجنسين ، أن النساء يستطعن التنبؤ بسلوك الرجال بينما لا يستطيع الرجال ذلك بالنسبة للنساء . إلا أن هذا لا يعني أن سلوك الرجال لا يحير أو يربك النساء على الاطلاق فطرق الرجال في الحياة بصفة عامة تفرض عليهم توقعاً معيناً يمكن التنبؤ به ، ومع أن النساء يتعرضن لنفس الضغط الاجتماعي الذي يمكن التنبؤ به إلا أن عدم إمكانية التنبؤ بردود أفعالهن تعتبر من امتيازاتهن ومن قبيل الأشياء التي تحيطهنّ بالسرية والغموض . فالرجل العادي يمكن ان يلوح بيديه ويقول « إنها مجرد إمرأة She's Only a Woman» ولكنه لا يعرف ماذا يمكن ان تفعل المرأة إزاء هذاالقول ، وهو بالطبع لا يستطيع لأنه لم يبذل أي جهد لمحاولة فهمها . ويمكن ان نستنتج من قول الرجل « أنها مجرد إمرأة » انه يعتقد أنها الى حد ما أدنى منزلة منه وأنها لا تستحق أن يبذل أي جهد لفهمها وربما أنها لا تستحق الفهم . أما المرأة فقد أجبرت خلال قرون طويلة من الخضوع والتبعية على فهم وإجابة طلبات الرجال ولكنها اذا لم تستطع السيطرة على الرجال بأساليب مباشرة مثل تلك التي يمارسها الرجال على النساء ، فهي قادرة على ممارسة تأثير له قيمته ، وغالباً دون ان يشعر الرجال بذلك . لأنها تعلمت ان تفهم الرجال ، على الأقل من بعض النواحي ، بالتالي تستطيع الى درجة معينة التنبؤ بسلوكهم ، ومن ثم فإنها تدبر التكتيك والتنظيم الملائم لمواجهة وردع هذا السلوك ولكن بأساليب النساء الخاصة . ومما لا شك فيه أن أي جماعة مقهورة سوف تتخذ لنفسها صوراً معينة للمقاومة تكون واعية بها بدرجة او بأخرى ، وتتدرج من التكتيك البسيط الذي يمتد عبر الأجيال الى الهجوم المضاد . وقد أطلق البعض على هذه الصور من المقاومة التي اتخذتها المرأة « الاستراتيجيات النسائية ». وقد كانت اول استراتيجية للمرأة هي محاولة التوافق دون مقاومة مع النمط « الأنثوي » المفروض عليها . كأن تهدىء من روع الشك في نفوس الأزواج ، وتعمل على طمأنينتهم ، وأن تحاول ان تعيش بقدر الامكان من المزايا القليلة المتاحة . وهكذا كانت الزوجة تنضوي في

كنف الأسرة ، وتحاول انتهاز الفرصة المواتية لممارسة السلطة ، وتستفيد بأكبر قدر ممكن من معرفتها بالعلاقات البشرية وتستخدم أنوثتها خير استخدام لتطويع مولاها وسيدها وإشباع طموحها من خلاله .أما الاستراتيجية المقابلة فهي التوحد قدر المستطاع مع الرجل . وهذه إحدى ستراتيجيات الحركة النسائية التقليدية التي تستهدف إثبات أن المرأة قادرة على كل أعمال الرجل بمثل كفاءته سواء بسواء .

لكن هناك فرقا حيوياً وهاماً يفرق بين النساء والرجال ، وهوالدافع الجنسي Sex Drive.ويمكن القول بأن الدافع الجنسي عند الرجل يكون أكثر الحاحاً عنه في المرأة . ويمكن للدافع الجنسي عند المرأة أن يكون قوياً مثل الرجل عند ما تكون الظروف مناسبة .إلا أن الدافع الجنسي عندها لا تكون له الأولوية كما هي الحال عند الرجل . فالرجال أكثر رضوخاً للدافع الجنسي ، ولهذا فإن الاهتمام بالجنس ظاهر على الدوام تقريباً[1]. أما اهتمام المرأة بالجنس فهو أقل إلحاحاً ، كما انه قد يكون دورياً الى حد ما ، ومعنى ذلك ان النساء أكثر مقدرة على كبح وكبت دوافعهن الجنسية . وعموماً ، تستطيع النساء أن يعشن حياتهن كلها دون ممارسة الجنس أكثر مما يستطيع الرجال . وجدير بالذكر أن الرجال يفرقون بين الجنس والحب بينما تربط النساء بينهما[2] ويعتبر هذا واحداً من أهم الفروق بين الجنسين وهذا يعني أن الرجال والنساء ينظرون الى السلوك الجنسي من وجهات نظر مختلفة واتجاهات متباينة تماما .

هذا وتبدأ عند البلوغ Puberty الأعضاء التناسلية في العمل عند المراهقين بطريقة تشبه البالغين ، وخلال هذه الفترة تحدث أيضاً تغيرات ثانوية فصوت الولد يتغير ، ويكبر حجم عضلاته ، ويتسع صدره ويظهر الشعر في أجزاء متفرقة من جسمه ، اما الفتاة فإن ثدييها ينموان ، وتصبح زوايا جسمها أكثر استدارة نتيجة لترسب الدهون وينمو الشعر أيضاً في مناطق معينة من الجسم ، ويتسع حوضها .

إن الطفل بالاضافة الى التوافق مع التغيرات العضوية التي تحدث في سن البلوغ ، يجب ان يتوافق مع التغيرات العاطفية ويتعلم ان يتعايش مع الاتجاهات

---

(1) Bardwick , Ibid .

(2) Bardwick , judith M , «Psychology of Women», Harpet and Row, publishers New-York, 1971

الجديدة والتجارب الجديدة التي تنمو معه . ومن الجدير بالذكر أن البنات يبلغن « قبل الأولاد » وفي فترات معينة من العمر تكون البنات أنضج وأطول من الأولاد في نفس العمر . وفي سن البلوغ يواجه الجنسان تشعبا في طريق النمو ، وهذه هي نقطة الافتراق المتسببة عن الاختلافات التي أشرنا اليها في الاتجاه والنظرة الى الجنس . فالتغيرات التي تحدث في تلك الفترة تحدد بصورة قاطعة التمايز بين الجنسين ، مما يؤدي الى زيادة درجة الجاذبية بينهما ، إلا أن هذا التمايز تظهر بوادره قبل البلوغ ليس فقط من خلال التشريح بل أيضاً من خلال الأسماء ونوع الملابس وألوانها ، وجماعات النظراء والمعاملة المتمايزة والتوقعات .

ولكن ما هي الأسباب الأخرى المتعلقة بالدوافع ؟ إن أكثرها يرجع إلى البيئة الاجتماعية . فعملية التكيف الاجتماعي للفرد تتكون من النموذج أو القالب الاجتماعي الذي يقدمه المجتمع ، ويتحتم عليه ان يتبعه او ينصب فيه . والوسطاء في هذه العملية هم الأسرة والمدرسة والمجتمع ككل . وكل طفل سواء كان ولداً أم بنتاً يعتمد بصورة طبيعية على الكبار البالغين ليوفروا له احتياجاته المادية ورفاهيته الجسمانية والنفسية . وبينما يتقبل المجتمع تبعية الأنثى للكبار واعتمادها عليهم كظاهرة طبيعية ، نجد ميلاً الى النظر الى تبعية الذكر واعتماده على الكبار كدليل على الضعف والخنث .ولهذا يشجع الصبي باستمرار على التخلّي عن ذلك حتى تكون له « شخصية » وهكذا يتلقن الصبي « رجولته » منذ البداية ، أما البنت فتتلقن « أنوثتها » أيضا عندما تبلغ سن المراهقة . وجوهر أنوثتها يتجلى في تبعيتها للغير باعتبارها من الصفات الطبيعية لها . والنتيجة التي تترتب على ذلك ان الفتاة تبدأ حياتها متخلفة عن الولد بكثير في تنمية استقلالها والعثور على « شخصيتها » وإذا حاولت ان تفعل ذلك قبل الأوان فسوف يكبح جماحها بدون شك[1] .

وعموما يمكن تصنيف الرجال والنساء من حيث نظرتها الى النواحي الجنسية كما يلي :

---

(1) Bardwick , Ibid .

الذكر	الأنثى
١ - يهتم اهتماما شديداً بالجنس .	١ - أقل اهتماما بالجنس ، ولكن ليس الى درجة الصفر .
٢ - يتناقش كثيراً حول الأنشطة الجنسية ، وأقل مناقشة في الأنشطة الرومانتيكية .	٢ - أقل مناقشة في الأنشطة الجنسية ، وأكثر في الأنشطة الرومانتيكية .
٣ - الحساسية الجنسية والاستجابة لها تلقائية .	٣ - الحساسية الجنسية والاستجابة لها أقل تلقائية .
٤ - الاستمتاع بالتجربة الجنسية :	٤ - الاستمتاع بالتجربة الجنسية :
أ - دائم	أ - أقل دواما .
ب - يبدأ عادة في سن مبكرة .	ب - في بعض الحالات تبدأ متأخرة .
جـ - يستمر خلال الجزء الأكبر من العمر .	جـ - غالبا ما تستمر خلال فترة قصيرة من العمر .
د - عمليا يكون لجميع الذكور تجربة في وقت ما .	د - بعض الإناث لا يكون لهن تجربة جنسية خلال حياتهن كلها .
٥ - ممارسة العادة السرية عالية ، وخاصة في سن الشباب .	٥ - ممارسة العادة السرية في بعض الأحيان بين حوالي الثلثين وغالباً ما تستمر خلال فترة قصيرة من العمر .
٦ - تجربة العلاقات الجنسية قبل الزواج .	٦ - تجربة العلاقات الجنسية قبل الزواج .
أ - معظم الذكور لهم علاقات جنسية قبل الزواج .	أ - قلة من الإناث لهن علاقات جنسية قبل الزواج .
ب - غالباً ما تكون هذه العلاقات ممتعة .	ب - غالباً ما تكون العلاقات غير ممتعة ، ومخيبة للأمل ، ومؤلمة .
جـ - معظم الرجال لهم خبرة فيها .	جـ - قلة من النساء لهن خبرة بها .
٧ - أكثر اهتماما بالأحاسيس اللمسية .	٧ - أقل اهتماماً بالأحاسيس اللمسية .
أ - يستجيب في الحال للمس الجنس الآخر .	أ - بطيئة الاستجابة للمس الجنس الآخر .
ب - يسعى للمس الجنس الآخر ويهتم باكتشاف جسم الأنثى .	ب - تسعى أحياناً للمس الجنس الآخر ،

	ليس لديها اهتمام في العادة باكتشاف جسم الذكر .
٨ ـ أكثر اهتماما بالتجربة البصرية	٨ ـ اهتمامها ضئيل بالتجربة البصرية وغالباً لا تهتم بها على الاطلاق .
أ ـ يميل الى رؤية جسم المرأة .	أ ـ قليلا ما تهتم أو لا تهتم على الاطلاق برؤية جسم الذكر .
ب ـ يميل الى رؤية صور لجسم المرأة .	ب ـ قليلا ما تهتم او لا تهتم على الاطلاق برؤية صور لجسم الذكر .
٩ ـ يربى الذكر على عدم الحياء .	٩ ـ تربى الانثى على الحياء .
١٠ ـ يفرق بسهولة كبيرة بين الجنس والحب .	١٠ ـ أكثر ميلا لربط الجنس بالحب[١] .

وكنتيجة لهذه الاختلافات الحادة بين الجنسين ، والتي تعتبر في جزء منها نتيجة للتغيرات التي بدأت وتأكدت خلال البلوغ وفي جزء آخر نتيجة للظروف والضغوط المجتمعية يواجه العروسان في وقت الزفاف باختلافات حادة في تجاربهما، وفي وجهة نظرهما للناحية الجنسية في الزواج ، مما يؤدي في بعض الأحيان الى خوف الزوجة من زوجها ونفورها منه كما أن العريس قد يعتقد أن زوجته مصابة بالبرود الجنسي ، ويرجع ذلك الى ان الرجل قد تكون له تجارب جنسية عديدة ومتنوعة قبل الزواج بينما قد تكون العروس دون اية تجارب سابقة على الاطلاق ، بالاضافة الى اختلاف وجهة نظر كل منهما بالنسبة لرؤ ية جسم الآخر عاريا واختلاف درجة الحياء واختلاف قوة الدافع الجنسي ، هذه الاختلافات مجتمعة سواء في التفكير أو التجربة قد تحدث صدمات نفسية شديدة وخاصة بالنسبة للزوجة ، إلا ان هذا يكون عادة في بداية الزواج وسرعان ما يتآلف الزوجان ويعتاد كل منهما على طباع الآخر ويحاول ان يفهمه ويقدر مشاعره .

معدلات المواليد والوفيات

تشير الاحصائيات الى أن نسبة المواليد الأحياء بين الإناث أكثر منها بين الذكور

(1) Kinsey et al ., Sexual Behavior in the Human Male , W . B . Saunders Company , philadelphia , 1948 .

بالاضافة الى أن نسبة أكبر من الذكور تموت أثناء فترة الطفولة[1] كما ان زيادة نسبة الوفيات بين الرجال ظاهرة عالمية أيضا[2] وذلك نظرا لأن الرجال يكونون أكثر عرضة للقيام بالأعمال الخطيرة والمشاركة في الحروب ، كما ان معظم الأمراض الخطيرة كالذبحة الصدرية وأمراض القلب تودي بحياة الذكور أكثر مما تودي بحياة الاناث فضلا عن أن عدد الرجال الذين ينهون حياتهم عن طريق الانتحار تزيد عن نسبة النساء المنتحرات مرتين ونصف مرة[3] والنسبة المتوقعة لزيادة عمر الأنثى عن الذكر تصل الى سبع سنوات[4] وهذه الفروق الواضحة بين الجنسين والقائمة على الاحصاء العلمي المحايد تشكل موقفا مثيرا بالنسبة لادعاء الرجال بأنهم الجنس الأقوى . فإذا كان التساؤل عن القوة العضلية فإن الرجال أقوى دون شك ، ولكن اذا كان الرجال أقوى فإن النساء أكثر تحملا .

وخلاصة القول أنه يمكن الاسترسال في تعديد الفروق بين الرجال والنساء الى ما لا نهاية ، وخاصة ما يتعلق بالفروق في الخصائص الطبيعية والاهتمامات والاتجاهات نحو الأشياء ونحو أنفسهم ونحو كل منهم للآخر ، والتوقعات التي يضعها كل جنس للآخر الخ . . إلا أن هذه الاختلافات متداخلة ومشتابكة ومثال ذلك أن هناك سمات مشتركة تظهر بوضوح عند الرجال أكثر من النساء والعكس صحيح . فبعض الرجال قد يتميزون بخصائص متعلقة بالنساء (العواطف الجياشة والبكاء) وبعض النساء يتميزن بخصائص الرجال (القسوة والشجاعة) وعموماً فكل انسان رجلا كان أو امرأة يحمل بعض خصائص الجنس الآخر[5] والرسم البياني التالي يعقد مقارنة بين خصائص الذكور والاناث ككل حيث يظهر مدى التدخل بين الجنسية ، كما يظهر الرسم البياني الآخر مقارنة بين خصائص ذكر واحد وأنثى واحدة .

---

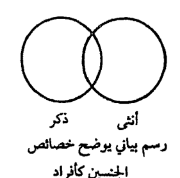
(1) U . S . Department of Health Education and Welfare Aug . 30 , 1972 .

(2) U . S . Department of Health , Education and Welfare September , 1971 .

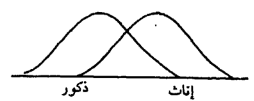
(3) U . S . Bureau , of Census (Statistical Abstract) , 1972 .

(4) U . S .Department of Health , Education and Welfare , July 1972 .

(5) Henry A . Bowman «Marriage for Moderns» McGraw - Hill Inc 1974 p p 24 — 25



رسم بياني يوضح خصائص
الجنسين كأفراد



رسم بياني يوضح التداخل بين خصائص
الإناث والذكور كجماعات

ولعلنا سمعنا أو قرأنا عن بعض الحالات النادرة التي تحول فيها فرد من جنس معين الى جنس آخر عن طريق الجراحة . كما يشعر كثير من الأفراد أنهم سجناء في أجسام يعتقدون أنها ليست لهم . فهم تشريحيا ينتمون الى جنس بينما يشعرون نفسياً أنهم ينتمون الى الجنس الآخر .

وبالاضافة الى الفروق بين الرجال والنساء ككل هناك فروق فردية بغض النظر عن الجنس . فالعادات والذوق والاتجاهات والأفكار ودرجة الطموح تختلف من فرد لآخر بغض النظر عن كونه ذكراً او أنثى وهذا أمر يجب وضعه في الاعتبار .

وعلى الرغم من وجود كل هذه الفروق والإختلافات فلا بد أن نشير الى أنه يوجد أيضاً كثير من أوجه التشابه بينهم حيث لا يوجد فرق بينهم في درجة الذكاء . ونفوسهم حساسة يسعون الى حمايتها بطريقة أو بأخرى . ويرغبون في أن يكونوا محترمين كأشخاص ويستاؤ ن إذا عوملوا على أنهم أشياء . وعند كل منهم الرغبة في تقرير مصيره ، وأن يكون له أهداف تتطلب متابعتها حرية الحكم والاختيار . ويواجه كل منهم ضرورة ملاءمة خواصه الطبيعية من خلال النمط الثقافي القائم والأدوار المقبولة التي تتضمن السلوك المناسب وغير المناسب ، وهم في حاجة ملحة الى تأكيد الذات والقدرة والحرية في التعبير عنها ، والشعور باستحسان وإطراء الآخرين وتبادل الحب والعاطفة الصادقة . ويشعر كل منهم ويسعى الى تحقيق حاجاته الجنسية . وبالرغم من اختلاف العمليات الفسيولوجية عند الرجال والنساء إلا أنها واحدة في الأساس . كما أن عملياتها النفسية متشابهة في الأساس أيضاً ومعنى

ذلك ان معظم الفروق والاختلافات بينهما هي انعكاس للتوقعات الثقافية أكثر منها نتاج للاختلاف في الوظيفة العصبية Noural Function كما أن استجاباتهما العاطفية تظهر عديداً من أوجه الشبه ، إلا أن الإطار الثقافي الذي يعبران من خلاله عن عواطفهما يحول دون ظهور أوجه الشبه هذه .

وفيما عدا الفروق والاختلافات الأساسية المسلم بها فإنه من الضروري أن يلم الزوجان بأوجه التشابه والاختلاف بين الجنسين التي أشرنا إليها آنفا ، لأن كثيراً من المشاكل قد تتسبب عن الفشل في فهمها واستيعابها (مثلا ، عندما لا يفهم الزوج أو يقدر رغبة زوجته في تقرير مصيرها) أو قد تتسبب أيضا عن الفشل في تعريف الفروق (مثلا ، عندما لا تقدر الزوجة اتجاه أو ميل زوجها نحو عمله[1] .

أسباب الاختلاف بين الجنسين

هناك مجموعة من العوامل تعمل معا لتحدث الاختلافات أو الفروق بين الذكور والاناث .

١ - محددات في الخلايا

يبدأ كل مخلوق حياته كخلية وحيدة Single cell وتتكون هذه الخلية نتيجة التحام خليتين أخريين واحدة من الأم وأخرى من الأب . وهذه تحمل في داخلها المحددات (الجينات والكروموسمات Chromosomes and Genes) الوراثية لخصائص الفرد وكذلك محددات نوعه سواء كان ذكراً أم أنثى .

وعندما تنقسم الخلية الأساسية الى اثنتين وهذه الى أربعة وهكذا حتى يكتمل الشخص في صورته النهائية ، فإن محددات الجنس تمر في كل خلية جديدة بنفس التركيب الذي وجدت به في الخلية الأولى . والاستثناء الوحيد لهذا هو خلايا الجنس عند الفرد الجديد ، حيث توجد بها واحدة فقط من محددات الجنس الاثنتين . بمعنى أن الشخص يكون ذكراً أو أنثى بكل ما في الكلمة من معنى . فكل خلايا الجسم تكون ذكراً أو أنثى حسب الحالة .

---

(1) Bowman, Ibid, p 26.

إلا أن هذه الحقيقة العلمية ليست بالأهمية التي تبدو عليها لأول وهلة . حيث يوجد كثير من العوامل تعمل بعد اكتمال نمو الشخص الجديد وكذلك أثناء نموه مما يؤثر في الخصائص التي ولد بها ، فعملياته الفسيولوجية وتجربته في بيئته الاجتماعية تنعكس كل منها على الأخرى[1] .

٢ ـ العمليات الفسيولوجية : الغدد

إن الفروق الجنسية أو الشخصية ترجع في جانب منها الى الطريقة التي يعمل بها الجسم ، والعمليات الفسيولوجية التي تحدث ، والطريقة التي يستجيب بها الفرد للمنبه . ومن العوامل الرئيسية في تحديد هذه العمليات وضع أو تركيب البناء الغدي للانسان . فنحن وما نعمل كما يقال من صنع غددنا Glands.

ومن أهم الغدد التي تلعب دوراً رئيسياً في صنع الانسان تلك التي يطلق عليها مصطلح الغدد الجنسية Sex Glands (الغدد التناسلية Gonads وهي الخصية testicles عند الذكر والمبيض Ovaries عند الأنثى) فالأجنة المبكرة تكون غير متمايزة جنسياً ، وهي تنمي بناءات متشابهة . واتحاد الكروموسمات المنتجة للذكور أو الاناث هي في الواقع الحلقة الأولى في سلسلة رد الفعل .

فإذا كان اتحاد الكروموسمات متجها نحو إنتاج أنثى ، فإن الجنين يكون مبيضين ، ومبيضي الجنين يكونان غير نشيطين ولا يفرزان هرمونات . أما إذا أنتج الاتحاد ذكراً فإن الخصيتين تنموان وتكون الخصية الجنينية نشطة وتفرز هرمون التستوترون Testoterone (هرمون الذكر) وبمعنى آخر ، فإن هيئة الذكر تظهر إذا فرضت العوامل الذكرية نفسها ، وبالتالي ترفض العوامل الأنثوية[2] ولسبب ما قد يحدث أن يكون لشخص ما بناء جسم أنثى بداخل التجويف البطني توجد خصية لا تعمل أو غير فعالة[3] ولكن هذا لا يعني بأن جميع الأجنة تكون في البداية إناثا كما

---

(1) Winokur , George ed: Determinants of Human Sexual Behavior , Charles C Thoumas, PublisherSpringfield 1963 .

(2) Jones , Howard W . , Jr , and William Wallace Scott : Herm aph - roditism , Genital Anoralies and Related Endocrine Isorders , 2 d , The Williams and Wilkins Compay , Baltimors , 971 .

(3) Dewhurst , Christopher and Ronald R . Gordon : The Inter - sexual Disorders » , Bailliere , Tindall and Cassell , London 1969

يؤكد بعض الأفراد .

وعندما تنزع غدد الجنس من الذكر سواء بالصدفة او لأسباب طبية فإن ذلك يتبعه تغيرات عميقة ويسمى الفرد في هذه الحالة « مخصي Eunuech» فإذا حدث للذكر وهو في سن صغيرة أي قبل البلوغ فإن صوته يظل ناعماً ولا يظهر الشعر في جسمه بالصورة الطبيعية وعضلاته تصبح ضعيفة وعادة ما يزيد وزنه . وغالبا ما تفشل عدوانية الذكر الطبيعية في الظهور . أما إذا استؤصلت الغدد في سن متأخرة فإن خصائص الذكورة تتغير الى حد ما . وتظهر خصائص مثل التي أشرنا اليها في السابق . بالاضافة الى تناقص الميل او الاهتمام بالجنس الآخر الى حد كبير بل أنه قد يتلاشى تماما[1]. وبالمثل فإن تغيرات هامة تحدث عندما يستأصل مبيض الأنثى . والخلاصة أن الاختلاف بين الرجل الطبيعي والأنثى الطبيعية يعود في جانب منه الى وجود أو غياب الهرمونات التي تفرزها الغدد الجنسية .

ويجب الحذر من تشبيه المخلوقات الانسانية بالحيوانات الدنيا ، فالانسان على خلافها مكون من جوانب عديدة بيولوجية وفسيولوجية وثقافية فلا يوجد إنسان تربى بعيداً عن تأثير الثقافة ، فنحن نكتسب انسانيتنا من خلال مشاركتنا فيها ، كما أن الانسان لا يستطيع الهرب من طبيعته البيولوجية على الاطلاق .

ووجود الشيء أو غيابه لا يتضمن بالضرورة إما وجود كل شيء أو عدم وجود كل شيء ، فالهرمونات التي تلعب جزءا رئيسيا في تذكير الذكر توجد بكمية ضئيلة في الأنثى . من ناحية أخرى ، فإن الهرمونات التي تلعب دوراً رئيسياً وهاماً في تأنيث الأنثى ، توجد بكمية ضئيلة أيضاً في الذكر وبصورة طبيعية . وخلاصة القول أن الأنوثة او الذكورة هي في جزء منها نتيجة للتوازن الهرموني ويمكن أن تختلف في الدرجة إذا تغير هذا التوازن .

الثقافة والتجربة

ينطبق مفهوم الذكورة والأنوثة أيضا على السلوك المتعلم ، كما أشرنا من قبل

(1) Bernard, Jessie : The Fourth Revolution, in Ruth EAlbrecht and E. Wilbur Bock eds. Eneourter : Love. Mariage. and Family, Holbrook press, Inc, Boston, 1972

وارتباطاً بالمكونات الوراثية (المحددات في الخلايا) والتشريح والفسيولوجيا والهرمونات الموجودة في كل شخص ، تبدأ الحياة تأخذ طريقها في اتجاه سلوك الذكر أو الأنثى . وفيما عدا بعض الاستثناءات ، فإن الاختلافات البيولوجية لا تستطيع في حد ذاتها تحديد أي سلوك فهذه لا يكون بإمكانها سوى تقديم إمكانيات معينة وتفريض حدوداً على عملية التعلم .

إن كل فرد يولد في إطار ثقافي يحدد له منذ مولده طريقة حياته المستقبلة واتجاه نموه ، ويضع تعريفاً لما يتوقع منه ان يفعله ، بناء على انتمائه لجنس معين (ذكر ، أنثى) ، فانتماء الفرد الى جنس معين يعتبر بعدا من أبعاد الشخصيـــة التي توضع في الاعتبار في كل فعل إنساني[1] .

وبناء على هذه الحقيقة المتعلقة بالإطار الثقافي الذي ينمو الفرد من خلاله ، ونظراً لأن الثقافة تختلف من مجتمع لآخر ، وحتى بين الجماعات في المجتمع الواحد فإن الذكور والإناث لا يكون لهم نفس السلوك في العالم كله او خلال الزمن في مجتمع معين . وهكذا تختلف تعريفات الذكورة والأنوثة تبعا لتباين الثقافات او تغيرها . ومثال ذلك ، أن المرأة النحيفة تعتبر أكثر جاذبية وجمالاً من المرأة الممتلئة في بعض المجتمعات ، بينما تعتبر المرأة الممتلئة في مجتمعات أخرى النموذج المطلوب او المفضل للجمال الأنثوي . وعندما تتغير ظروف الحياة في مجتمع ما فإن تغيرات في السلوك لا بد ان تتبعها ، ومثال ذلك أنه خلال الحرب العالمية الثانية كان التوازن بين الجنسين واضحاً للغاية نتيجة لالتحاق الشباب بالخدمة العسكرية مما حتم على النساء الالتحاق بالعمل والقيام بمعظم الأعمال التي كان يقوم بهاالرجال مما أفقدهن كثيراً من مظاهر الأنوثة التقليدية .

ومع ذلك فهناك فروق واضحة في أي ثقافة قائمة حيث توجد طرق عديدة مفهومة ومتوقعة ومتفق عليها مثل نوع الملابس ، وطريقة تصفيف الشعر ، والتزين ، والأسماء ، وكل ما يمكن عن طريقة التفرقة بين الجنسين .

---

(1) Masters , William and Verginia E . Johnson , Human Sexual Inadequacy , Little Brown and Company , Boston , 1970 .

وباختصار ، تشكل التجربة Experience في أي مجتمع أحد العوامل الرئيسية التي تصنع الفرد وتساعد على نمو الفروق والاختلافات بين الجنسين . ولكن التجربة في ثقافة معينة تتضمن أكثر من مجرد التجربة في بيئة محدودة حيث تجعل الفرد مختلفاً بشكل كبير عن الصورة التي كان عليها قبل التجربة وعلى سبيل المثال ، تجربة الحياة في الجبال او في مدينة ، أو في بلد أجنبي . فالتجربة من خلال ثقافة معينة تتضمن تشكيل الفرد من خلال إطار او نظام معين ، وتشكيل العادات والاتجاهات والمعتقدات والقيم والاستجابات الملائمة وأنماط السلوك المقبولة ، وهذه العناصر مجتمعة تحدد بصورة عامة طريقة الفرد في الحياة وهكذا تصبح الثقافة جزءا من الذات أو كما يقال جزءا من شخصية الفرد .

وترتبط بعض التجارب بنوع الفرد او جنسه وبعضها لا يرتبط . فمنذ الطفولة المبكرة يتعرض الأولاد والبنات لعمليات تربوية متباينة . فألعابهما ولعبهما تكون مختلفة وتعكس الى حد كبير أدوارهما المستقبلة . وكذلك القصص التي يقرؤنها او يسمعونها تتسم بطابع الأنوثة او الذكورة . وكل منهما يجد توجيهاً وتشجيعاً للقيام بأعمال معينة ، كما يمنع بشدة من القيام بأعمال أخرى . وكل منهما يواجه بقيود على حريته ولكن بطرق مختلفة ، والفتيات يمنحن حماية أكبر ، ويكبرن على توقع هذه الحماية أما الأولاد فهم أكثر اعتماداً على أنفسهم ، وهذا يعتبر امتيازاً مقصوراً على الذكور.. وخلال نمو الفرد فإنه يستوعب هذه العمليات جميعاً وبصورة طبيعية تلقائية حتى تصبح خلال الوقت جزءا من الذات مثل بقية وجوه الثقافة .

وتظهر الاختلافات في مستويات السلوك في القصص وفي الأغاني الفلكلورية كما يتضح ذلك من أغنية قديمة للأطفال تقول كلماتها : ماذا يفعل الأولاد الصغار ؟ إنهم كسولون ويضربون بعضهم ويشدون ذيول الكلاب . وماذا تفعل البنات ؟ إنهن لطيفات وطيبات وكل ما يفعلنه جميل . وعندما يفخر أب بابنه فإنه يقول « إنه ولد حقيقي He's real boy وهذا القول يتضمن أنه يوجد مستوى للولادية boyness وأن ابنه وصل الى هذا المستوى . وعندما تقول الأم « الأولاد سيظلون أولاداً فإن مـا يتضمن أن كون الشخص ولداً يختلف عن أن يكون بنتا ومصطلحات مثل الغلامية Towboy أو المخنث Sissy تشير الى وجود مستويات معينة للسلوك وأن

الانحراف عن هذه المستويات غير مقبول اجتماعياً فالذكورة والأنوثة إذن هما المحوران الذي ينمو في فلكهما بناء الشخصية.

وعند محاولة تحديد مدى إسهام العوامل المختلفة في النمو الجنسي ونمط السلوك الفردي ، يتبين أنه يمكن تعديد ما يمكن ان نطلق عليه مقولات أو متغيرات الجنس وهي :

١ ـ الجينات والكروموسمات .
٢ ـ وجود وبناء ووظيفة الخصية والمبيض .
٣ ـ كمية ونسبة الهرمونات الذكورية والأنثوية .
٤ ـ البناءات التناسلية الداخلية اي وجود أو غياب الأعضاء الداخلية الأخرى خلاف الخصية والمبيض .
٥ ـ الشكل التناسلي الخارجي اي البناء التشريحي للأعضاء التناسلية الخارجية
٦ ـ التصنيف الجنسي للطفل عند مولده وهل يربى ويعامل كولد أو بنت .
٧ ـ سلوك الفرد الجنسي واتجاهه نحو الفئة التي ينتمي اليها ، والدور المتوقع منه القيام به ، وكل ما يقوله ، وما يفكر فيه أو يفعله في المجتمع ليؤكد مكانته كذكر أو كأنثى . وهذا لا يظهر فجأة وإنما يتم بصورة تدريجية خلال مراحل النمو المختلفة كنتيجة لتجارب الحياة التي يواجهها الفرد سواء كانت مخططة او غير مخططة ويبدو أن السنوات المبكرة في عمر الانسان تعتبر أكثرها اهمية[1] .

إن كل ما أشرنا اليه يعني باختصار أن الفروق أو الاختلافات بين الذكور والإناث تظهر قبل الولادة ، وتتكون الهوية تبعا للنوع في فترة مبكرة جدا من الحياة ، ويرى بعض الباحثين انها تتكون في السنة الثانية أو الثالثة من عمر الانسان . وكما أشرنا من قبل فإن الفرد يولد ذكرا أو انثى لكن يكتسب خصائص الانوثة أو الذكورة فيما بعد ،فدور الجنس Gender Role متعلم ولكن هذا لا يعني ان الدور الانثوي او الذكري يمكن تعلمه ببساطة وبطريقة متساوية من الجنس الآخر . فالطفل يولد ذكرا

(1) Hampson . Joan G : The Case Management of Somatic Sexual Disorders in Children : Psychologic Considerations, in Charles W . Liayd (ed), Human Reproduction and Sexual Behavior lea and and Feliger , Philadelphia , 1964 , Chap . 13 .

أو انثى ومن ثم يتهيأ للاستجابة للتوقعات الثقافية الملائمة[1] فالثقافة تكثف بالفعل الميول القائمة لصور التوجيه الرسمية القائمة في المجتمع .

وهناك وجه آخر للمشكلة تجدر الاشارة اليه ، وهو أن الطفل يواجه في حقيقة الأمر بنمطين أو أكثر أو أقل للحياة (المذكر والمؤنث) ويكون متوقعا ان يتلاءم مع واحد منها . ولكن الذكورة والأنوثة ليست محددة ومميزة بشكل قاطع كما سبق أن أشرنا إذ يوجد تداخل بينهما . ويجد بعض الأفراد صعوبة في ان يعيشوا في المستوى المطلوب لجنسهم ، أكثر مما يجده البعض الآخر . وقد أشار كل من بولك Polk وشتاين Stein إلى أن كثيرا من الضغوط تمارس على الفرد كي يمتثل للنمط الثقافي المثالي حتى في النواحي التي تتنافر او لا تتطابق فيها شخصيته مع التوقعات الاجتماعية . مما يترتب عليه حدوث شيء من الارتباك والفوضى بالنسبة لأداء الدور وتطابقه مع التوقعات الإجتماعية المطلوبة[2] هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه نظرا لأن الاختلافات أو الفروق المعروفة بين الجنسين يمكن ان تتغير ، ونظرا لأن الذكورة والأنوثة متداخلتان إلى حد ما فإن المجتمع يصبح أكثر تسامحا . والدليل على ذلك ان كثير من المجتمعات المعاصرة وخاصة أمريكا وأوروبا تتقبلان برحابة صدر التداخل الواضح في الخصائص وأنماط السلوك التي كانت مرتبطة تقليديا ولأزمان طويلة بجنس معين . ومثال ذلك ، أن المرأة أصبحت رئيسة وقائدة للرجل في كثير من المجالات التي كانت قاصرة على رئاسة وقيادة الرجال من قبل ، كما أصبحت منافسة له في كثير من المهن التي كانت أيضا مقصورة عليهم ، كما زاد عدد الرجال الذين يقومون على رعاية وتربية الأطفال ، وزادت كذلك مشاركتهم لزوجاتهم في رعاية الأطفال وفي معظم الأعمال المنزلية .

ولا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار واحد فقط من هذه الانماط الثلاثة من

(1) Hampson , John L ,«Determinantsof psychosexual Orientation » in Frank A . Beach (ed .) Sex and Behavior , John Wiley and Sons , Inc , N . Y , 1965 , pp . 118 - 132 .

(2) Polk , Barbara Bovee , and Robert B . Stein : Is the Grass Greener on the Other Side in Constantina Safilios - Roths Child (ed) , Toward a Sociology of Women , xeros College Publishing . Waltham . Mass , 1972

العوامل (الخصائص الوراثية أو العمليات الفسيولوجية أو التجربة) كافية في حد ذاتها لتحديد الفروق الجنسية أو الفردية . فهي جمعيا ترتبط ببعضها في تداخل وتشابك وتصنع الفرد .

الرجال والنساء وقضية المساواة

كثيرا ما تتردد على اسماعنا أسئلة مثل : هل يتساوى الرجال مع النساء ؟ وإذا كانت الاجابة بالنفي ظهر سؤال آخر : إذن فمن منهما ادنى منزلة ؟ ومن منهما أعلى منزلة ؟ لا يمكن الادلاء بإجابة قاطعة بالنسبة للسؤال الأول لأننا يجب ان نحدد اولا المقصود بالتساوي ومن أي ناحية ؟ فنحن أمام شخصين (الرجل والمرأة) لا يمكن ان يكونا متساويين . لأن التساوي يجب ان يحدث تبعا لمقاييس معينة ، وهكذا فإن الاجابة على هذاالسؤال تعتمد في جانب منها على دلالةكلمة«مساويEqual» فالرجل والمرأة متساويان مثلا في عدد ايديهما وأرجلهما ، الا أنهما لا يتساويان في القوة العضلية ، وهما متساويان في درجة الذكاء ولكنهم لا يتساويان في حجم المخ . إذن نحن نعني بالمساواة مدى ما لديهما من مساواة في حق تقرير المصيرSelf Determination ويجيب البعض على السؤال بالايجاب بينما يجيب البعض الآخر عليه بالنفي.فهل ادوار الزوج والزوجة متساوية من حيث الأهمية ؟ انها كذلك في واقع الأمر ، ولكن هذا لا يجعلها قابلة للتبادلInterchangeable.اذن عندما يتكلم الرجالأو النساءعن المساواه مع الجنس الآخر فإنهم يعنون « مساواة الفرصة » وليس تماثل او تطابق الدور او المسئولية[1] .

واعتقد أنه من الحماقة أن نتكلم عن أحد الجنسين باعتباره أدنىInferior من الجنس الآخر دون أن يكون لدينا مقياسا معينا ودقيقا لما نعنيه بالأعلى والأدنى ، فإذا كانت الذكوره هي المقياس المفضل المستخدم في القياس ، فإن النساء في هذه الحالة يصبحن في منزلة ادنى ، أما إذا استخدمت الانوثة كمقياس فإن العكس يصبح هو الصحيح ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى انه يوجد ميل تقليدي قوي يؤيد المقياس الذكري ، ولذلك نجد أن نظرة المجتمع في الماضي (وفي الحاضر الى حد كبير) كانت وما زالت تنظر إلى المرأة باعتبارها في منزلة ادنى من منزلة الرجل .

(1) Bowman , op . cit p . 33 .

ولكن هذا رأي مردود عليه لأنه يجب الحكم على كل جنس من خلال اسهاماته الخاصة ووظائفه . وليس من خلال وظائف الجنس الآخر . فلا يمكن ان تعتبر جنسا متفوقا على الجنس الآخر عندما يؤدي وظائفه هو بصورة أفضل مما يستطيع هذا الآخر أن يؤديها . فمثلا إذا قارنا الرجال والنساء الذين يشتركون في مهنة معينة ، فيجب ان يكون لدينا في هذه الحالة مقياسا واضحا للبراعة على أساسه يمكن تحديد أي الجنسين يتفوق على الآخر ، وربما يظهر هذا المقياس أن الجنسين متساويان ، ويقومان بالعمل بنفس الدقة والبراعة والاتقان .

وقد يؤيد البعض رأيهم المضاد للمرأة في أنها أدنى من الرجال بإشارتهم إلى أن عدد الرجال العباقرة خلال التاريخ كان أكثر من النساء بكثير ، ولكن يمكن الرد على ذلك بأن النساء عندما كن يقمن « بدورهن التقليدي » لم تسنح لهن الفرصة لاظهار العبقرية التي أظهرها الرجال في مجال العلم والاختراعات والفن[1] وإذا كان الأمر كذلك فيمكن عكس التعريف بأن نقول أن الرجال ادنى من النساء لأنهم كانوا خلال التاريخ أدنى من المرأة في الأعمال المنزلية .

الجنسان متكاملان

يكون القفل مع المفتاح وحدة وظيفة متكاملة ، وهما معا يستطيعان اتمام عمل معين لا يستطيع أحدهما القيام به بمفرده . وهذا العمل لا يمكن ان يقوم به قفلان فقط او مفتاحان أو قفل ومفتاح ليسا متلائمين . وكل منهما له مميزاته الخاصة ، ولكنه لا يبلغ حد الكمال بذاته . لأن دوريهما ليسا متطابقين ولا متداخلين . كما لا يعتبر أحدهما أعلى أو أدنى من الآخر . وكلاهما ضروري وله أهميته ، فهما إذن متساويان في الأهمية ، وكل منهما يمكن الحكم عليه من خلال وظيفته الخاصة ، ومن خلال إسهام كل منهما في تكامل الآخر .

وبتطبيق هذا المثال على الرجال والنساء حيث يتبين أنهم مجتمعون يشكلون وحدة وظيفية Functionig Unit فهما متكاملان أو بقول آخر يكمل كل منهم الآخر . أي أنهم يتبادلون الاعتماد بعضهم على بعض في هذا الكل الوظيفي . إلا أن هذه التكاملية

(1) Sherman , Julia A : On The psychology of Women , Charles C . Thomas , Publisher , Sping— field , Ill 1971 .

ليست كاملة مائة في المائة ولا تنطبق على جميع السمات والوظائف والدوافع والأهداف ، فمثلا عندما يشترك أو يرتبط الرجال والنساء في نفس المهنة أو يؤدون وظائف عامة غير مخصصة فإن هذه العلاقة التكاملية يمكن ان تنهار . وقولنا بأن الجنسين متكاملان لا نعني به مجرد الأشياء الثانوية مثل الحاجة إلى الطعام وما شابه ذلك ، ولكن نعني به التكامل من عدة وجوه هامة وحيوية .

« فالتكاملية » هنا تعني أكثر من مجرد الاختلافات أو الفروق الكمية ، فهي تعني الاكتمال ، وارتباط الاختلافات ببعضها مما يؤدي إلى خلق وجود جديد New entilyوليس مجرد عملية إضافة ، ومثال ذلك أن مكسب الزوجة أو ربحها يمكن اعتباره إضافة لدخل زوجها ، ولكن إذا كان هو فقط الذي يعمل وهي ربة بيت فهما في هذه الحالة يكمل كل منها الآخر . وتمثل علاقتهما ارتباطا لاختلافات الدور المؤدية لتكوين وحدة وظيفية .

ويمكن الإشارة إلى مظهر آخر للتكاملية وهو التزامن والتبادلية .فالعلاقة التكاملية لا تنشأ آليا حيث أن مقوماتها ترتكز في جزء منها على مقومات أو خواص طبيعية وفي جزء آخر على خصائص مكتسبة من الثقافة . ولا يمكن أن تنشأ أي علاقة إلا إذا كان للأفراد من الجنسين الرغبة الصادقة في قبول اختلافاتهما والاستفادة منها . وهذا الاهتمام المتبادل يمكن تطويعه عن طريق النمط الثقافي الذي يعيشان فيه .فالتكاملية ليست موضوعا للملاحظة فقط أو التسليم ولكنها يمكن ان تخلق أيضاً .

والعلاقة التكاملية تبادلية بمعنى آخر أيضاً فهي تتضمن الاهتمام المتبادل من جانب شخصين يستفيدان « في نفس الوقت » من اختلافاتهما . والمعيشة معا في علاقة تكاملية تعني التعاون ، إلا أنه في حالات عديدة عندما تدخل المرأة عالم العمل أو المهن فانها تتعلم كيف تتنافس مع الرجال ، ولكنها إذا تزوجت وأصبحت ربة بيت فإنها لا تحتاج الى التنافس بل الى التعاون . فهي وزوجها يكونان في حاجة إلى إقامة علاقة تكاملية وليس علاقة تنافسية . ورغم أن بعض النساء يتركن العمل عند الزواج إلا أنهن يحملن معهن الاتجاه التنافسي الذي تعلمنه في العمل واللائي كن في حاجة إليه في مهنهن . والمرأة العاملة المتزوجة التي لا تستطيع خلق روح التعاون في المنزل ، وكذلك الزوج الذي يدخل

المنافسة في علاقته بزوجته ، أمثال هؤلاء الأشخاص يحولون دون نمو العلاقة التكاملية في الزواج .

إن الحديث عن الجنسية من زاوية التكامل لا يعني أنه لا بد لأحدهما أن يكون تابعاً للآخر ، أو أنهما مختلفان تماما في جميع السمات والخصائص ، أو أن أحدهما يعدل أو يصحح النقص في شخصية الآخر ، أو أن الزوجة لا بد أن توجه كل طاقتها نحو تأييد النجاح المهني لزوجها . بل أنه يتضمن تسليما أو اعترافا بالإختلاف بين الرجال والنساء ومحاولة استخدام واستغلال هذه الفروق وهذه الإختلافات من أجل تعزيز الغايات والأهداف العامة للأسرة بوجه خاص وللمجتمع ككل بوجه عام .

الفصل الثاني

معنى الزواج والأسرة

مقدمة :

يبدو واضحا من نظرة سريعة عبر التاريخ ، ان الأسرة جماعة اجتماعية اساسية ودائمة ، ونظام اجتماعي رئيسي ، وليست الأسرة أساس وجود المجتمع فحسب بل هي مصدر الأخلاق والدعامة الإولى لضبط السلوك ، والإطار الذي يتلقى فيه الانسان أول دروس الحياة الاجتماعية ، وربما كان ذلك هو مجمل منظور علم الإجتماع إلى الاسرة باعتبارها نظاما اجتماعيا ، ومع ذلك فإن رواده لم يهتموا كثيراً بالوحدات الإجتماعية الصغيرة كالأسرة في تحليلهم للمجتمع ، ولذلك لم تنتعش دراسات الاسرة إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على يد علماء الانثروبوجيا وعلماء الآثار الذين اهتموا بدراسة الاسرة في الثقافات البدائية وفي الحضارات القديمة . ومنذ ذلك الوقت بدأت دراسات الاسرة تحتل مكانة هامة في العلوم الاجتماعية .وقد أثار مؤلف ادوارد وسترمارك Edward Westermark عن « تاريخ الزواج الانساني The History of Human Mariage إهتماما كبيراً كمدخل لدراسة الاسرة[1] .

وتواجه دراسات الاسرة مجموعة من الصعوبات ، أولها يكمن في أنفسنا ، فكل

---

(1) James B . Mokee ,«Introductionto Sociology » Holt , Rinehart and Winston Inc N . Y . , 1969 , pp . 352 - 353 .

فرد عضو في أسرة ، وعضويته هذه تجعله يعتقد أن دراسة الاسرة امر سهل وبسيط ، ومن المحتمل ايضاً ان يتصور أن أي نسق أسري آخر لا يتفق وأسرته لا بد وان يكون غريبا وشاذاً ، ومن الملاحظ أن هناك ميلا عاما إلى مناقشة ما يجب ان يكون وليس ما هو قائم بالفعل ، ولهذا فإن ما قد يبدو للكثيرين من ان لديهم من وضوح الرؤية بالنسبة لعلاقاتهم الاسرية يمكن أن يحملهم على الاعتقاد بأنه ليس هناك ما يدعو الى البحث في هذ الموضوع لأنه يدور حول اشياء نعرفها ونعيشها ، ولكن لو تتبعنا الواقع في أبعاده المتعددة لوجدنا أن كثيراً من المعتقدات المتصلة بالأسرة ليس لها أساس ، وحينئذ تصبح « المسألة الأسرية » ، بحاجة الى دراسة عميقة حتى يمكن فهمها بصورة أفضل[1] . وفي نفس الوقت يتعين ان نختبر كثيراً من ملاحظاتنا الفردية المتراكمة عن الخبرات الأسرية في النمط الذي ننتمي إليه لندرك كيف نتشابه أو نختلف مع المجتمعات الأخرى ، بل ربما أيضا مع أنماط أسرية أخرى قائمة في مجتمعنا.ويؤيد ذلك أن الدراسات المتنوعة في ميدان الأسرة أظهرت اختلافات هامة في أنماطها في المجتمع الواحد . فأسر الطبقة العليا تختلف عن طبقة العمال من حيث التكوين البنائي ، والايديولوجية وفرص الحياة والأدوار الزوجية ، وفي أسلوب الحياة . وهذا فضلا عن الاختلافات الثقافية الواسعة النطاق إذا أدخلنا عددا من المجتمعات في الاعتبار . وربما كان ذلك هو الذي أدى بكثير من المهتمين بعلم الاجتماع الأسري إلى القول بأن تعدد أنماط الأسرة في المجتمع يعتبر من أبرز ملامح المجتمعات المعاصرة .

مشكلة تعريف الاسرة

لا يوجد مجتمع قائم بالفعل ولا يشتمل على بناءات اسرية على أية صورة من الصور ، إلا أنه من الصعوبة بمكان أن نقدم تعريفا شاملا لها وذلك نظراً لتعدد انماطها ، فمعظم الزيجات التي نطلق عليها مصطلح الأسرة قد لا ينطبق عليها المعنى التقليدي الذي نطلقه على الأسرة خاصة إذا عرف ان ملايين الزيجات كالتي تحدث في الكاريبي أو امريكا اللاتينية تتم دون أن تصاحبها الاجراءات الرسمية والقانونية

---

(1) William Goode, The Family, New Jersey 1964 pp. 3 - 4.

والشعائر الدينية . ومن المعروف في معظم المجتمعات تقريبا أن الزوجين يعيشان معا ، ولكن في المجتمعات التعددية يبيت الزوج مع واحدة من زوجاته كل ليلة ، كما أن معظم الناس يقبلون على الزواج وفي اذهانهم افكار راسخة عن ضرورة استمراره ، ومع ذلك ترتفع معدلات الطلاق في مجتمعات عديدة .

وهكذا إذا قررنا أن نسمي كل هذه الزيجات اسرا ، فإنه لن يوجد حينئذ تعريف رسمي يمكن ان يغطي كل حالة ملموسة ولكن على الرغم من كل هذه الاختلافات تبقى حقيقة هامة ، وهي أن جميع الناس في المجتمعات في الماضي والحاضر ، ولدوا وتربوا في « أسرة » تتكون كل منها في مجموعها من ثلاثة اعضاء على الاقل ينتميان الى جيلين فقط (جيل الآباء وجيل الابناء) وهي تشتمل على شخصين بالغين وهما الذكر والأنثى اللذين يعرفان بأنهما الأبوان البيولوجيان للأطفال ، إلا أنهما يقومان في العادة بالالتزمات الاقتصادية تجاه الوحدة الأسرية . وتحدد معظم القواعد والمعايير الاسرية ، وكذلك الضغوط الاجتماعية التي تفرض لطاعة هذه القواعد والمعايير ، للابناء والازواج والاباء طريقة سلوكهم وتعاملهم وشعورهم في هذا النوع من الوحدة الاجتماعية . وبناء على ذلك تخلق جميع المجتمعات نوعيات معينة من القواعد والضغوط الاجتماعية تجعل من الصعب على الافراد ان يعيشوا حياة مريحة خارج نطاق الاسرة . وبالرغم من أنه أصبح من السهل في الوقت الحاضر ان يعيش الناس بمفردهم بعيدا عن الاسرة ، إلا ان معظم الأفراد البالغين يعودون إلى اسرهم في نهاية اليوم ، كما أنه من النادر ان نجد افرادا يقررون ببساطة اهمال فكرة الزواج كلية . وبالرغم من أن النساء والشابات في عصرنا الحالي متأثرات إلى حد كبير بحركة تحرير المرأة واستقلالها ومساواتها بالرجل فإن أقل من ١٪ منهن فقط يؤكدن أنهن لن يصبحن امهات[(١)] ، مع ما يتبع الامومة من ارتباط والتزام .

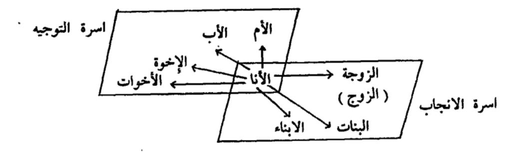
وجدير بالذكر أنه لتعدد أشكال الاسرة نتيجة للظروف التاريخية التي مرت بها فإنه من الملائم ان يضاف إلى كلمة « أسرة » صفة تحدد شكلها فيطلق مصطلح « الأسرة الممتدة » على الجماعة التي تتكون من عدد من الأسر المرتبطة التي تقيم في مسكن واحد وهي لا تختلف كثيراً عن « الأسرة المركبة » أو « الأسرة المتصلة » .

(1) William Goode«principles of Sociology » McGraw - Hill , Inc 1977, pp 368—369.

ونظراً لأن اللغة العربية أغنى من اللغات الأخرى في مصطلحات القرابة فإنها تستخدم كلمة « أسرة » Family لتشير بها إلى الجماعة المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون معا في مسكن واحد ، في نفس الوقت الذي تطلق فيه مصطلح العائلة ليشير إلى« الأسرة الممتدة » Extended Family المكونه من الزوج والزوجة وأولادهما الذكور والأناث غير المتزوجين والأولاد وزوجاتهم وأبنائهم وغيرهم من الأقارب كالعم والعمة والإبنة الأرملة الخ . . . وهؤلاء جميعا يقيمون في نفس المسكن ويشاركون في حياة اقتصادية واجتماعية واحدة تحت رئاسة الأب الأكبر أو رئيس العائلة[٢] .

وقد تأثرت الاسرة بصوة عامة بالتغيرات التاريخية والإجتماعية والاقتصادية والعمرانية التي مرت على المجتمعات في مختلف انحاء العالم فتغير بناؤ ها او انكمشت وظائفها ، إلا أن الاسرة بمعناها الضيق والمحدد . والتي اصطلح على تسميتها « الاسرة النواة » Nuclear Family ظلت مركز التناسل ومصدر الرعاية الاولية المباشرة ، ومع كل النتائج التي طرحها التغير وخاصة في مجال الإتجاه نحو الفردية أو العزلة القرابية إلا انه في كثير من أنحاء العالم حتى في أكثر اجزائه الصناعية ، تقدما ، لا زال الفرد يمر خلال حياته بنمطين مختلفين من الاسرة النواة . فهو يولد في اسرة مكونة

(١) أسرة التوجيه وأسرة الانجاب



(١) محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ، دار المعارف ، ص ١٠ ـ ١٢

منه ومن إخوته (إخوة ـ أخوات) ومن والديه تسمى « اسرة التوجيه » Family of Orientation. وعندما يتزوج الفرد ويترك اسرته يخلق لنفسه « أسرة نواة » أخرى تتكون منه ومن زوجته وأطفاله تسمى حينئذ « اسرة الانجاب » Family of Procreation.

وبالرغم من صغر حجم الاسرة فهي أقوى نظم المجتمع . فهي النظام الذي عن طريقه نكتسب إنسانيتنا ، كما أنه لا يوجد طريقة اخرى لصياغة بنى الانسان سوى تربيتهم في أسرة . ومن هنا فكل شخص ينتمي بشكل ما لاسرة واحدة على الاقل ، ولذلك تعد الاسرة المهد الحقيقي للطبيعة الإنسانية ، فضلا عن أن تجربة الحياة خلالها ضرورية لتحويل المولود الى مخلوق « إنساني » يعيش في إنسجام مع الآخرين .

وتشمل كلمة اسرة حلقة واسعة من الملامح المميزة والصفات ، ولفهم الاسرة بصورة متكاملة لا بد أن نلجأ الى دراسة علم المورثات وعلم الاجنة والتشريح ، وعلم وظائف الاعضاء ، وكذلك القانون والاقتصاد والسياسية ، ذلك ان كلا من هذه العلوم تلقى ضوءاً على طبيعة الاسرة وطابعها المميز ، ولكن دارس الاسرة لا يمكن عمليا ان يهتم بعمق كاهتمام المتخصصين بانعكاس هذه الدراسات المتداخلة على البحث الأسرى ، ولهذا يركز على الاسرة باعتبارها نظاما اجتماعيا Social Institution[1] ولاينسى في نفس الوقت تأثير الجوانب البيولوجية والاجتماعية العامة فيه .

ولكن الذي يهمنا هنا في الدرجة الأولى ، وخاصة من وجهة النظر التي تؤكد أن الأسرة « نظام اجتماعي » أن جميع المجتمعات بها مجموعة نظم رئيسية هي : النظام الأسري ، والنظام الاقتصادي ، والنظام التربوي والنظام الديني ، والنظام السياسي . وفهم هذه النظم الرئيسية ككل يؤدي الى فهم المجتمع نظراً لما بينها من علاقات وتأثيرات متبادلة ، والقاعدة هنا أن أي نظام اجتماعي لا يمكن فهمه إلا في

---

(1) Leslie . B . Gerald ,« The Family in Social Gontext » . N ew York , 1967 , pp , 3 - 4

ضوء علاقاته مع النظم الاجتماعية الأخرى[1] . وربما كان ذلك هو الذي يجعلنا نهتم فوق اهتمامنا بدراسة تأثر الأسرة بالظروف المجتمعية والعوامل البيولوجية ، بدور نظم المجتمع الأخرى في تأثيرها وتأثرها بالنظام الأسري .

ويوجد نظام الأسرة حتى في المجتمعات البدائية ، بل في أقلها بساطة ومدنية ، وهذا ما يجعل الأسرة تختلف عن كثير من النظم الاجتماعية الأخرى ، وحينما نجد الأسرة بشكلها الذي أشرنا اليه ، نجد نوعاً من تقسيم العمل ، فالزوج مثلا يعمل صياداً والزوجة تعد الطعام وباقي الأعضاء يقومون بجمع الخضر والجذور البرية ، أما كيف كان شكل الأسرة قبل ذلك فهذا أمر يخضع للتخمين .

ولا يوحي تاريخ الأسرة العريض بأنه اجتاز تطورات كبيرة كتلك التي نلمسها في تاريخ الحضارة المادية ، والذي تطورت فيه من الحضارات الحجرية الى النظم الهندسية المعقدة المعاصرة ، وكذلك تطور الحكومة من القيادات الفردية البسيطة إلى الدول القومية المتسعة ، أما الأسرة فهي قديماً وحديثاً محدودة الحجم والوظائف ، إلا أن هذا لا يعني أنها نظام ثابت ، فقد تغيرت كثيراً خلال الحضارات المختلفة .

الأسرة إذن موجودة عبر التاريخ ولكن في أشكال مختلفة وهي أيضا ضرورة عالمية لأنها تقوم بإنجاز عدد من الوظائف الأساسية للمحافظة على استمرار الحياة الاجتماعية وقد اتفق علماء الاجتماع على عالمية هذه الوظائف ، كما أكدوا على أهمية عامل آخر وهو أن كل مجتمع إنساني ينظم ويضبط بطريقة نظامية العلاقات بين الجنسين من خلال تنظيم الزواج بهدف الانجاب ، حتى أن المجتمعات التي تسمى بدائية primitive، تحدد العلاقات بين الجنسين ، وهذا يكذب الرأي القائل بأن المجتمعات المتحضرة فقط هي التي تنظم العلاقات بين الجنسين .

ويرى دارسو علم الاجتماع أن الأسرة أحد مقومات الوجود الاجتماعي في المجتمع الانساني ، وهي لذلك تعتبر نظاما عالمياً . أما ما هو غير عالمي فيها فهو

---

(1) Ibid pp 5 - 6 .

شكلها الموجود في مجتمع أو آخر ، ومن مظاهر عالميتها أن كل مجتمع يجيز التزاوج بين الذكر والأنثى مما يعطي الشرعية لميلاذ الطفل ، ويتم هذا بطريقة معينة (تختلف من مجتمع لآخر) يحصل من خلالها الطفل على مركز معين وحقوق معينة ، كما تقع مسئولية رعايته على كاهل اشخاص معينين عليهم أن ينهضوا بها .

معنى الزواج والأسرة

يبدو للوهلة الأولى أنه يوجد ارتباط كبير بين مصطلحي الزواج والاسرة ، حتى أن هناك ميلا إلى استخدامهما في نفس الوقت ليشير إلى نفس الشيء ولكنهما في الحقيقة ليسا شيئا واحدا ، فالزواج عبارة عن تزاوج منظم بين الرجال والنساء على حين يجمع معنى الأسرة بين الزواج والانجاب ، وتشير الاسرة كذلك إلى مجموعة من المكانات والادوار المكتسبة عن طريق الزواج والانجاب . وهكذا نجد أنه من المألوف اعتبار الزواج شرطا اوليا لقيام الأسرة واعتباره نتاجا للتفاعل الزواجي .

وليس الزواج والتزاوج شيئا واحدا ، فالأول مفهوم سوسيولوجي ، أما الثاني فهو مفهوم بيولوجي . فظاهرة التزاوج معرفة عند أنواع أخرى من الحيوانات ، بينما الزواج مقصور على البشر فقط ، ومن ناحية أخرى يمكن أن يكون التزاوج على المستوى البشري ، لا شخصيا ، وجزافيا ، ومؤقتا . اما الزواج فهو نظام اجتماعي يتصف بقدر من الاستمرار والامتثال للمعايير الاجتماعية . وهو الوسيلة التي يعمد اليها المجتمع لتنظيم المسائل الجنسية وتحديد مسئولة صور التزاوج الجنسي بين البالغين . ومن الجدير بالملاحظة في هذا الصدد ، أن جميع المجتمعات (سواء في الماضي أو الحاضر) تفرض الزواج على غالبية افرادها . فالزواج إذن نظام عام ، حتى لو كان المجتمع يبيح في كثير من الاحيان علاقات جنسية خارج نطاقه ، كما ان الزواج هو النظام الاوفر جزاء بالنسبة لمعظم الرجال والنساء خلال الجانب الاكبر من حياتهم .

وهناك معايير اجتماعية أخرى مختلفة تفسر معنى الزواج نشير هنا إلى بعضها : المعيار الاجتماعي التقليدي[1] ، وهو ينظر الى الزواج كظاهرة مقدسة Sacred

---

(1) Ishleman , Op . Cit , pp 134 - 136 .

أو نظام إلهي مقدس خلقه الله وأكدته الشرائع السماوية والكتب Phenomenon المقدسة كأساس للحياة الانسانية . وهذا يعني أن الإنسان ورغباته الشخصية وتطلعاته تكون في المكانة التالية من حيث الأهمية بعد تحقيق متطلبات الأسرة . وتنفيذ الأوامر الإلهية . أما المعيار التقليدي الآخر فهو أوسع نطاقا بشكل واضح لأنه يؤكد ان معنى الزواج والأسرة يتركز أساسا حول الالتزامات الاجتماعية . وهو في هذا يتفق مع المعيار السابق إلا أنه يختلف معه في نقطة معينة ، فبينما يركز المعيار الأول السلطة في يد « الله » فان المعيار الثاني يركزها في يد « الرجل » ، والقيمة الأولى في معنى الزواج هي المحافظة على الاحترام الاجتماعي ، والامتثال لرغبات الأقارب والمجتمع المحلي ، والاحتفاظ « بصورة لائقة » في المجتمع . ومن خلال هذا المعنى للزواج تكون لآراء الناس أهمية كبرى . ولهاذا يصبح الطلاق ، أو الحمل قبل الزواج وكل مظهر إنحرافي آخر مرفوض تماما لأن « المجتمع » : الاصدقاء ، المجتمع المحلي ، الجماعة القرابية وغيرهم) يدينون كل ذلك قولا وفعلا .

ولكن احدث معاني الزواج تتجه اتجاها آخر حين تؤكد ان الأسر والعلاقة الزواجية ما وجدت إلا من أجل الفرد Individul. فالأمر إذن لا يتعلق بالله ولا بالمجتمع ، وإنما « بالأنا » والزواج عملية تتعلق بالانسان وحده . فإذا اراد الفرد أن يتزوج من خارج عقيدته الدينية أو طبقته الاجتماعية أو مستواه التعليمي فهذا شأنه . وبهذا المعنى تكون السلطة في يد الانسان وحده ، فكل فرد مسئول عن نجاحه أو فشله دون النظر إلى بناء المجتمع المحلي أو ظروف المجتمع الذي يعيش فيه ، وهذه الفكرة المتطرفة لمعنى الزواج ، يؤكدها أو يدعمها النسق التربوي الذي يجعل كل شيء ممكنا إذا اراد الفرد ، ويقلل إلى مدى بعيد من تأثير العوامل الخارجية .

والوحدات الاساسية للنسق الزواجي أو الأسري ليست الاشخاص ولكنها المكانات ذات العلاقات المتبادلة (الاوضاع) وتوقعاتها المصاحبة . وتتضمن هذه المكانات في نسق الأسرة ، العلاقات المتبادلة بين الاب والابن ، الزوج والزوجة ، الجد والحفيد ، الاب والام ، الاخ والاخت الخ . . ويتركز اهتمام علماء الاجتماع على المعايير والادوار والتوقعات والقيم التي تصاحب هذه الاوضاع . فالذكور

المتزوجون يشغلون مكانة « الزوج » وهم يتفاعلون مع الإناث اللائي شغلن مكانة « الزوجة » وهذه المكانات المترابطة تشتمل على « النسق الزواجي » ولهذا النسق مجموعة خاصة من المعايير والتوقعات التي تصف السلوك المناسب بالنسبة للأفراد الذين يتفاعل ويتعامل معهم .

إذن فكرة النسق تقوم على تجريدات معينة ، أما الجماعات الأسرية والزوجية فهي عكس ذلك حيث انها تتضمن اشخاصا ، وهؤلاء الأشخاص هم حقائق ملموسة وليست مجردة . وهم موجودون بالفعل ويتفاعل كل منهم مع الآخر استنادا إلى مكاناتهم المحددة . والجماعة الأسرية تتكون من الزوجين واطفالها بالاضافة إلى عدد من الاقارب يشملهم محيط الاسرة الممتدة . وتتميز الجماعة الأسرية أو الزواجية بعنوانها الخاص ، وعدد أفرادها ، ومقدار دخلها الخ . . وتتميز الجماعة الزواجية كذلك بأنها مؤقتة ، تنحل عندما يتفرق اعضاؤ ها.وهنا تظهر أهمية علم الاجتماع الأسري في اختبار طبيعة الجماعات الزواجية والاسرية التي تفرض النظام بين الجماعات التي تشملها .

وجدير بالاشارة هنا أن معظم الكتابات عن الأسرة تتبع أسلوب « النموذج المثالي » Ideal Type . والنموذج المثالي هو بناء فرضي يقوم على الخصائص المجردة Pure . فمثلا : الأبوية ـ الأمومة . والأسرة النواة ـ والأسرة الممتدة ، والجماعات الأولية ـ والجماعات الثانوية . المجتمع الريفي ـ والمجتمع الحضري كلها أمثلة للنماذج المثالية . وبناء النموذج المثالي يؤدي وظائف عديدة . فهو يقدم حالة محدودة يمكن عن طريقها مقارنة أي ظاهرة بأخرى ، كما يساعد على تحليل وقياس الحقيقة الاجتماعية . كما يسهل عملية التصنيف والمقارنة . وهو يساعد دارسي المجتمع على تقديم مقارنات صادقة وحقيقية بين المجتمعات والنظم والأسر عبر الزمان والمكان . وهو يساعدنا في علم الاجتماع في الحصول على أداة منهجية تساعدنا في دراسة موضوعات عديدة تتصل بالأسرة مثل الطبقات العليا والدنيا او الاختيار الحر والاختيار المرتب في الزواج .

التفاعل البيولوجي والثقافي في الأسرة

إن محاولة الرجوع إلى الماضي البعيد لمعرفة الأوضاع التي كانت عليها الأسرة في

البداية لن توصلنا إلى نتائج مؤكدة لأن الدراسات الأركيولوجية (الأثرية القديمة) لم تتوصل إلا إلى نتائج مادية بحتة مثل بناء أو تركيب عظام جسم الإنسان القديم وحجم مخه ، أما النواحي الإنسانية مثل أساليب ممارسة الحب ، أو علاقات الآباء بالأبناء وعلاقات الأزواج بالزوجات فقد ظلت غامضة إلى حد كبير . وعموما نحن لا نحتاج إلى مثل هذه الدراسات المتعمقة في الماضي لكي نعرف مكانة الأسرة واهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع ، ذلك لأنها وبإجماع الآراء هي النظام الاجتماعي الوحيدالذي يأخذ على عاتقه مسئولية تحويل « الحيوان الإنساني » الصغير إلى مخلوق آدمي . وبدون وجود الأسرة يمكن أن ينتهي الميراث البيولوجي للانسان بوصفه نوعا بيولوجيا ، إلى كارثة .

ومن الجدير بالذكر أن الطفل الآدمي لا يكون أضعف الحيوانات ـ كما يتردد أحيانا ـ عند مولده ، إذ يوجد عديد من الحيوانات الأخرى تكون أقل نضجا من الناحية البيولوجية في هذه المرحلة ، كما أنه ليس حقيقياً أيضاً أن جميع الحيوانات الأخرى تتصرف بالغريزة ويمكنها ان تنمو بصورة طبيعية دون أية تجارب اجتماعية ، ومثال ذلك أن القرد الذي يتربى في عزلة عن بقية القرود يكون غير كفؤ من الناحية الجنسية والوالدية أو ممارسة أي مهارات اجتماعية عادية مع أقرانه . وكذلك لا تستجيب الطيور الجارحة لأصوات الطيور التي تربت في عزلة المعامل . ومع ذلك ، فالطفل الآدمي يكون عاجزاً عن القيام بأي نشاط لمدة أطول من الحيوانات الأخرى . فالحيوانات العشبية مثلا كالماعز تحتاج إلى لبن أمهاتها ولكنها مع ذلك تستطيع الرعي Graza بعد فترة قصيرة جداً من مولدها . وآكلات اللحوم مثل الذئاب والأسود تعتمد في طفولتها المبكرة على الكبار حتى تتعلم الصيد ولكنها في عامها الثاني فقط تستطيع الاعتماد على نفسها كلياً في البقاء . أما الإنسان فإنه ينضج ببطء شديد ويحتاج إلى سنوات طويلة من التفاعل الاجتماعي ليصبح إنسانا بالغا .

ويعني ذلك أنه على الرغم من أهمية النواحي البيولوجية فإن الإنسان لا يكون إنسانا إلا بانتمائه إلى أسرة ترعاه وتربيه ، وهكذا يتبين أن أنماط الأسرة والميراث

---

(1) Goode , op cit . pp 370 - 371 .

البيولوجي مرتبطان بشدة ، ويتفاعل النوعان من العوامل احيانا ليؤيد كل منهما الآخر ولكنهما أحيانا يتصارعان . ومثال ذلك إذا أراد أعضاء الأسرة نقل ثقافة المجتمع إلى الطفل فإن هذين النوعين من العوامل يتبادلان الدعم والتساند . ولكن إذا كانت الثقافة تشتمل على عديد من القواعد التي تنتهك وتعتدي على الدوافع البيولوجية فإن العاملين المشار إليهما يتحولان إلى صراع .

وتستخدم كل المجتمعات ايضاً أو تسخر الدوافع البيولوجية بطرق عديدة تتناسب مع ظروفها واحتياجاتها . فالدافع الجنسي يستخدم من أجل دفع الناس إلى الزواج والإنجاب . وكذلك تستخدم الدوافع البسيطة مثل الجوع . فمنذ درس الطفولة المبكرة يرتبط تناول الغذاء بمعانقة الأم والالتصاق بها إلا أن هذه التجربة تؤدي فيما بعد إلى تجربة أكثر عمومية وهي ان تناول الطعام يكون أكثر امتاعا عندما يتناول مع الآخرين اي يكون اجتماعيا . والمنزل بالنسبة لمعظم الأطفال ليس مجرد التواجد في مكان ما ولكن المنزل هو الآباء والطعام والأمن بغض النظر عن نوعيته او مكانه . والواقع أنه في معظم الحضارات المعروفة ترتبط معظم الحاجات الفيزيقية ابتداء من العناق إلى الحماية بشدة بالحياة الأسرية .

إن هذا النمط المعقد من الروابط الوثيقة بين العوامل البيولوجية والثقافية الاجتماعية يسهل للأسرة كثيرا من الوظائف الأخرى التي تدخل في نطاق اختصاصها . فإذا كان المنزل هو المكان الذي يعد فيه الطعام ويرضي الحاجات البيولوجية والاجتماعية . فهو أيضا المكان الذي يلتقي فيه أفراد الاسرة بعضهم ببعض ، ومن خلاله تتم عملية التنشئة الاجتماعية بصورة سهلة وطبيعية . إلى جانب القيام بالوظيفة الاقتصادية من حيث توزيع دخل الأسرة بصورة مناسبة وعادلة على أفرادها . ونظرا لقيود المكان والزمان فإنه يكون من الاصل ربط جميع هذه الوظائف معا وجعلها في نطاق الأسرة ، أكثر من توزيعها خلال المجتمع بأكمله أو إعطائها لهيئات مستقلة[1] .

---

(1) Ibid . p . 371 .

الاسس البيولوجية للاسرة

مهما كان تأثير النواحي الاجتماعية على الاسرة فهي قبل كل شيء وحدة بيولوجية . وبناء على هذا الفرض فإن كثيراً من المحللين المعاصرين ما زالوا يفترضون أن الانماط البيولوجية تحدد كثيراً من أنماط سلوك الاسرة . وهذا يبدو واضحاً إلى حد كبير لأن كثيرا من الاحداث البيولوجية الهامة تحدث في هذا التنظيم الإجتماعي (الاسرة) : مثل الإشباع الجنسي ، والتغذية ، ورعاية الصغار ، والإنجاب .

ومع ذلك ، فالإدعاء بأن البيولوجيا تحدد البناء الإجتماعي لم يؤيد بعد باختبارات مؤكدة . فمن الصعب أن نعين أي خصائص هامة للأسرة الإنسانية يمكن تحديدها بوضوح عن طريق العوامل البيولوجية . فإذا كان واضحا أن الحيوان الإنساني يختلف بصورة اساسية عن بقية الحيوانات ، فإن اشكال الاسرة الإنسانية يجب ان تكون مختلفة أيضا .

والدليل على ذلك الإختلاف أنه إذا ولد صغار الإنسان في بطون كبيرة مثل معظم الحيوانات الاخرى ويكون عددهم من خمسة إلى عشرة في كل ولادة ، فإن رعايتهم سوف تخلق مشاكل تختلف تماما عن تلك التي تنشأ بقدوم طفل واحد . وكذلك إذا وجد اربعة أو خمسة أجناس وليس جنسين فقط فإن مشاكل الزواج ستكون صعبة للغاية . خاصة إذا كان من الضروري ان تشارك هذه الاجناس مجتمعة في إنجاب طفل واحد ، فمن الواضح ان شكل الاسرة سيكون مختلفا تماما ويمكن أيضا أن نتأمل ماذا يمكن أن يحدث لو أن الذكور كانت لهم وظيفة إنجاب الاطفال فلا شك ان تطور الاسرة الإنسانية كان سيتخذ مسارا آخر .

إن تخمينات أخرى في هذا المجال سوف تقودنا إلى حقيقة هامة وهي أن أنماط الأسرة لا يمكن ان تتغير بطريقة عشوائية دون النظر الى تركيب الإنسان البيولوجي الفريد الذي لا يمكن ان يكون هو العامل الأهم في تحديد سلوكه الإجتماعي ، إلا أنه مع ذلك يطرح مجموعة معينة من الإمكانيات والمشاكل . ولعل ذلك هو الذي جعل محاولة تحليل العلاقة القائمة بين العوامل البيولوجية والاجتماعية مشحونة ومملوءة

بالصعوبات . وقد بينت الدراسات الحديثة لسلوك الحيوانات في الغابة وسلوكها في المعامل ، أن سلوك الكائن البالغ حتى في الحيوانات الدنيا أكثر تأثرا بالعوامل الاجتماعية اكثر مما كان يعتقد في الماضي[1].وفي نفس الوقت يوضح البيولوجيون بصورة تفصيلية التغيرات الفسيولوجية التي تحدث استجابات اجتماعية متباينة . وإذا حاولنا معرفة المزيد فسيكون ذلك صعبا للغاية لان تحليلنا سوف يصطدم بالعائق الاساسي الذي سبقت الإشارة اليه ، حيث لا يمكننا ان نعرف ماهية المخلوقات أو الكائنات الإنسانية البيولوجية Natural biological human beings وإذا حاولنا تربية مخلوق آدمي في عزلة كي نحول دون تأثير العوامل الإجتماعية عليه ، فإن هذا الشخص لن يكون طبيعياً . وإذا حاولنا دراسة أو اختبار شخص في أي سن معينة فإن استجاباته سوف تكون قد تشكلت إلى حد كبير بالتأثيرات الاجتماعية التي تؤثر في الإنسان منذ لحظة ولادته . وهكذا نتبين مدى الصعوبة في فصل هذين النوعين من العوامل .

وعموما ، فإننا نستطيع أن نؤكد على ثلاثة عوامل بيولوجية هامة تؤثر في الأسرة إلى درجة معينة :ـ

١ ـ النضج المتأخر للكائن الآدمي .

٢ ـغياب أو عدم وجود الغرائز لكي تساعده او تقوده إلى حل المشاكل البيئية .

٣ ـ العقل المركب الذي يخلق حلقة واسعة من الحلول للمشاكل ، وهذه الميزة تمكنه من خلق اشكال ثقافية واجتماعية عديدة يمكنها أو لا يمكنها أن تنسجم مع الاحتياجات البيولوجية .

وللانسان دافع جنسي مثل بقية الحيوانات إلا أنه متأثر الى حد كبير بالنواحي الاجتماعية أكثر من أي حيوان آخر . حيث يعتمد على التعليم الى حد ما . ويضاف إلى ذلك أن هذا الدافع عند الانسان يكتسب معنى اجتماعيا اكثر تعقيدا من دلالته البيولوجية : فهو يتشكل ويوجه ويقيد في جميع المجتمعات . كما أن الدافع الجنسي عند الانسان دائم نسبيا على عكس ما هو قائم عند الحيوانات الأخرى . لكن الناس

---

(1) Ibid . p 372 .

في جميع المجتمعات يواجهون بحلقة واسعة من التحريمات بالنسبة لمن يمكن ان يكون الشريك الجنسي ، وأي المواقف يسمح لهم فيها بممارسة الجنس ، وأنواع الاستجابة التي يحتمل أن تثيرهم وهكذا . وهذا فضلا عن أنه لا يوجد أي دليل بيولوجي على وجود ما يسمى بالدافع الأبوي Parental Drive أو الدافع الأموي Maternal Drive الأمر الذي يؤكد أن هذين النمطين من السلوك مكتسبان اجتماعياً .

إن هناك ظاهرة واضحة تبدو فيها التأثيرات البيولوجية على الأسرة ، وتتمثل في حيض الأنثى وولادة الأطفال وإفراز اللبن لرضاعتهم ، إلا ان هذه التأثيرات لم تدفع المجتمعات إلى إبقاء النساء في المنزل او تحميلهن وحدهن مسئولية الأطفال ، كما ان الحيض لا يعوق المرأة عن العمل في معظم المجتمعات والنساء أيضا لسن دائما في حالة حمل ، كما أنه يكون باستطاعتهن القيام بمعظم الوظائف الإنتاجية حتى وهن حوامل . وعموما إذا أثيرت هذه النقطة ضد النساء كأن يقال أنهن لم يستطعن (قديما) القيام بعملية الصيد بفعالية كما كان يفعل الرجال فإنه يمكن الرد بإنهن يستطعن القيام بدور رئيس الأسرة أثناء فترة الحمل ، إلا أن هذا الدور لم يجرب حتى الآن[1] .

وهناك وجهة نظر أخرى ترى أن النضج الجسدي المتأخر للذكور يؤدي الى زواج الإناث مبكرا عنهم ، ومع ذلك فلم يظهر حتى الآن دليل مؤكد على ان البنات يفرزن البويضة مبكرا عن إفراز الأولاد للحيوانات المنويّة . وبالتأكيد فإن الذكور لا يصابون بأذى يذكر إذا تزوجوا في سن مبكرة بالمقارنة بالأذى الذي يلحق بالإناث . فلا شك أن الفتاة في سن الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة لا تكون على استعداد لإنجاب الاطفال بالمعنى البيولوجي كما هو الشأن عند الولد في نفس السن . وهذا ربما يقودنا إلى القول بأن التحديدات أو التعريفات الاجتماعية للاعمال المناسبة للذكر هي التي تجعله غير كفؤ للزواج في سن مبكرة لأنه في هذه السن لا يستطيع تحمل وظائف الذكر البالغ بينما تستطيع الفتاة تحمل وظائف الأنثى التقليدية مثل حمل الأطفال ورعاية المنزل .

---

(1) Goode , Ibid . pp 372 - 373

ومعنى ذلك أنه لا توجد أية عوامل بيولوجية تكون مسئولة عن خلق أي نسق أسري على الاطلاق . إلا أن الدافع الجنسي للبالغين في حالة عدم استخدام اية وسيلة من وسائل منع الحمل ، يعمل على ضمان حدوث الحمل وبالتالي الإنجاب . وكذلك لا يوجد أي دليل قاطع على أن الكائنات الإنسانية تدفعهم العوامل البيولوجية للعناية بصغارهم ، إلا أن التأثير البيولوجي المؤكد الذي يسهم في خلق نمط ما لنسق الأسرة يكون واضحا إذا غابت أو تضاءلت قوى بيولوجية معينة وهي القوى التي تعمل لضمان استمرارية الأنواع . لكن الانسان يعتمد في استمرار بقائه على علاقات الدور التي تفرضها الثقافة . لأن هدف التنشئة الاجتماعية ونتيجتها خلق وتنمية الرغبة في الناس أن يصبحوا آباء ، وأن يبثوا في أطفالهم بالتالي الرغبة في أن يصبحوا آباء عندما يكبرون وهكذا . وتعبر هذه الرابطة عن الالتحام بين الميراث الثقافي والاجتماعي والبيولوجي الذي يتخلل ثلاثة أجيال ، وهو الأمر الذي يتيح للجيل البالغ أن يعلم الجيل الذي يليه الرغبة في تنشئة الجيل الثالث . . . الخ .

وبناء على ذلك يتضح أن أهم ما يميز الأسرة أنها تضع المسئولية على الذكر البالغ والانثى البالغة ، لأن الطفل الصغير يولد عاجزا تماما ويحتاج لفترة طويلة من الرعاية تصل إلى سنوات يتلقى خلالها التدريب أو التمرين الضروري الذي يتلاءم مع ثقافته ، ولهذا تكون الرابطة العاطفية بين الأم والطفل وثيقة وعميقة نظرا لفترة الرضاعة الطويلة نسبيا والعناية المركزة التي تقدمها له مما يسهل إلى حد كبير من عملية التنشئة الاجتماعية وهذا بالإضافة إلى أن نضج الكبار وخبرتهم وتوافر معلوماتهم يضفي القوة على هذه التنشئة الاجتماعية[1] .

وأخيراً يبقى عامل أساسي ، وهو أن جميع المجتمعات تنمي كثيراً من القواعد التي تمنح الجزاءات الايجابية للآباء الذين يمتثلون لها وتعاقب الذين ينحرفون عنها . ولا يوجد أي مجتمع يترك استمراره ودوامه للصدفة . فمسئولية الإنجاب والتنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي ليست من اختصاص الأشخاص البالغين بصفة عامة ، ولكنها من اختصاص الآباء والأمهات أساسا ، وتكون عملية التنشئة

(1) Goode , Ibid . pp . 373 - 374 .

الاجتماعية مدعمة بالجزاءات والعقوبات حثا على الالتزام بالمعايير الأبوية ، ولذلك فإن إنجاز هذه المسئوليات بصورة مرضية يضمن استمرار المجتمع وبقاءه .

ومن الجدير بالذكر أن العلاقات المتبادلة بين العوامل البيولوجية والثقافية جعلت قاعدة الشرعية Nule of Legitimacy هامة جدا في المجتمعات الإنسانية[1]. وتبعاً لهذه القاعدة فإن الاطفال يجب ان يكونوا ذرية الاباء الذين تزوجوا تبعا لعادات جماعتهم أو مجتمعهم . وتنظم معظم الاديان السماوية العلاقات الشرعية بين الازواج والزوجات وكذلك بين الآباء والأبناء . وعادة ما يعاقب القانون الاشخاص الذين يقتصر دورهم على الابوة البيولوجية دون أن يتعهدوا رسميا بتحمل المسئوليات الاسرية بالنسبة لاطفالهم. ولكن هناك كثيراً من الإجراءات تساعد على عدم الخروج على الشرعية ، مثل حرص الاباء على تزويج أبنائهم وتدخلهم في الإختيار الزواجي ، وتعمل بعض المجتمعات على تأكيد هذه الشرعية ودعمها عن طريق المراقبة الدائمة للأبناء ، أو العمل على زواجهم في سن مبكرة .

أشكال الزواج

هناك شبه إجماع بين الدارسين في علم الإجتماع والانثروبولوجيا على أن تاريخ الزواج الإنساني قد طرح اشكالا أساسية هي (الوحدانية ـ تعدد الزوجات ـ تعدد الازواج ـ الزواج الجماعي) وسوف نشير في إيجاز إلى كل منها .

١ ـ وحدانية الزواج Monogamy

تعتبر وحدانية الزواج من الاشكال المفضلة في كثير من المجتمعات . ومعناه زواج رجل واحد من امرأة واحدة ، وهذا الشكل منتشر على أوسع نطاق عالميا ، بل إن هناك مجتمعات ترفض كل أشكال الزواج عدا الوحدانية ، إلا أن هذا لا يعني أن الزواج لا بد وأن يحدث مرة واحدة طوال العمر فقط ، بل يمكن السماح بالزواج مرة أخرى في حالة الطلاق أو وفاة أحد الزوجين .

---

(1) Bronislaw Malinouski«Parenthood, the Pasis of Social Structure » in V . F . Calverton and Samuel D . Schanal Hausen (eds) , The New Generation , N . Y . Macaulay , 1930 . pp . 137 - 138 .

تعدد الزواج Polygamy

وهو الشكل الذي يعتبر عكس وحدانية الزواج وهناك أنواع عديدة منه مثل الزواج من داخل القبيلة أو البدنة أو العشيرة ويسمى « الزواج الداخلي» Endogamy وهو على خلاف « الزواج الخارجي» Exogamy الذي لا يجوز حدوثه بين أعضاء البدنة أو القبيلة أو العشيرة لانتمائهم إلى « طوطم » واحد فيعتبرون إخوة « ويحرم » زواجهم ، وبالتالي لا بد أن يكون الزواج خارجيا . أما الزواج التعددي فيشير إلى الزواج بكثيرين ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أنواع : زواج رجل واحد من عدة نساء ويسمى بتعدد الزوجات Polygamy، وزواج إمرأة واحدة من عدة رجال ويسمى « تعدد الأزواج » Polyandry،وزواج عدة نساء من عدة رجال ويسمى « الزواج الجماعي » Group Mariage.

وقد تبين من عينة عالمية أخذها ميردوك Murdock[1] من ٥٥٤ مجتمعا ان تعدد الزوجات يلقى قبولا وتأثيرا ثقافيا في ٤١٥ مجتمعا أي بنسبة (٧٧٪) بينما لم يجد زواج إمرأة واحدة من عدة رجال قبولا سوى في ٤ مجتمعات أي بنسبة أقل من (١٪) وجدير بالذكر انه في أي دراسة عن تعدد الزوجات يجب التفرقة بوضوح بين الأيديولوجية وبين ما يحدث بالفعل . فبالرغم من ان الشريعة الاسلامية تسمح بتعدد الزوجات إلا أن الشكل السائد للزواج في المجتمع المصري هو الوحدانية ، وذلك لتدخل عوامل عديدة اقتصادية وثقافية واجتماعية تحول دون الزواج بأكثر من واحدة أو تجعله أمراً غير مرغوب فيه على الأقل .

تعدد الزوجات

هو أكثر الأشكال التي أشرنا إليها ، وخاصة في المجتمعات البدائية أو النامية ، .ويدل في ناحية منه على المكانة العالية والتميز والثراء . أما لماذا يتخذ الرجل أكثر من زوجة ، فهناك ظروف ودوافع عديدة تؤدي إلى ذلك ، فإلى جانب إظهار المكانة العالية والهيبة ، توجد في بعض الحالات الحاجة أو الرغبة في الإنجاب وخاصة إنجاب الذكور . هذا وعادة ما يراعى في الأسرة التي تتعدد فيها الزوجات عدة

(1) George Murdock World Ethnographic Sample », American Anthropologist, 59 (August, 1957) ,p . 686.

اعتبارات مثل :

١ ـ أن يكون للزوجات حقوقا متساوية .

٢ ـ ان تقيم كل زوجة في مكان مستقل .

٣ ـ ان يكون للزوجة الأكبر سنا (أول زوجة في العادة) مميزات ونفوذ معروف .

تعدد الازواج

وهو شكل نادر الحدوث ، ومحدود الانتشار للغاية ، ويكون الأزواج في معظم الحالات من الأشقاء ، فهم أخوة في البدنة ، وينتمون إلى نفس الجيل ، ويقلل هذا الوضع إلى حد كبير من درجة الغيرة بين هؤلاء الأزواج . ومن المعروف في قبائل مثل « لتودا » Toda في الهند أنه عندما تتزوج إمرأة من رجل فإنها تصبح زوجة لإخوته في نفس الوقت ، ويرجع نظام تعدد الأزواج في الواقع إلى ظروف الفقر الشديد مما يجعل من الصعب على كل أخ أن يتزوج من إمرأة بمفرده وبالتالي يشترك الإخوة في الزواج من إمرأة واحدة . وفي المجتمعات التي تأخذ بنظام تعدد الأزواج تنتشر ممارسة قتل الأطفال من الاناث حتى لا يزيد عدد النساء عن النسبة المطلوبة .

الزواج الجماعي

من المعتقد أن هذا الشكل من الزواج كان سائدا في المجتمعات البدائية في العصور القديمة ، إلا أن هذا الرأي لم يتأكد بصورة علمية دقيقة حتى الآن . وهو يعني زواج عدد محدد من الذكور من عدد مساو لهم من الاناث . إلا أن هذا الشكل من الزواج نادر الحدوث في الوقت الحالي إلا في حالات فردية تعتبر شاذة الى حد كبير ، وقد قام لاري Larry وكونستنتين Constantine بدراسة عن الزواج الجماعي في امريكا ، حيث ركزا على عشر زيجات معظمها لا يقل عن أربعة أشخاص وقد تبين من نتائج الدراسة أن آلية معيشة هذه الزيجات معقدة للغاية من حيث المسائل المالية والقرارات والطعام والانجاب والصراعات الشخصية[1] .

---

(1) larry L. and Joan M . Constantine«The Group Marriage » in Michaele Gordon , the Nuclear Family in Crisis . The Search for an Alte , Native , N Y Harper and Row , 1972 pp 204 - 222 .

قواعد السكن

كل انساق الأسرالتي اشرناااليها لها قواعد خاصة للسكن Rules of Residence ومن المعروف ان الأزواج والزوجات يأتون من اسر توجيه مختلفة ، ولهذا فإنه عند الزواج لا بد لأحدهما أن ينتقل . وأكثر الأنماط شيوعا هو انتقال العروس للمعيشة مع اسرة العريس ، وهذا النموذج المثالي يطلق عليه « المسكن الأبوي » Patrilocal.

والنمط الثاني للسكن أقل انتشارا وهو المسكن الأموي Matrilocal ويعني انتقال العريس للمعيشة مع اسرة العروس . وخاصة في حالة ملكية المرأة للأرض وسيطرتها على الأسرة . ويرتبط بهذا النمط من السكن أن يكون أخو الزوجة هو المسيطر وله الكلمة العليا .

وهناك نمطان آخران هما المسكن المزدوج Bilocal والمسكن المستقل Neolocal حيث يسمح في النمط الأول للزوجين بالمعيشة قريبا من والدي كل من الزوج والزوجة . أما نمط المسكن المستقل فيؤدي الى استقلال الزوجين في السكن بعيدا عن اسرتي التوجيه . وقد اصبح هذا النمط من السكن شائعا في المجتمع المصري سواء في الريف أو الحضر .

وفي بعض الحالات يسكن أحد الأقارب أو بعضهم مع الأسرة . وهم في معظم الحالات يكونون من أقارب الزوج لأن الابن ما زال مسئولا عن والديه في حالة كبرهما وخاصة مسئوليته عن إعالة والدته في حالة موت الأب . وعموما فإن انتشار هذا الشكل من السكن يشيع في المناطق الحضرية ويرجع إلى ظروف ضيق المساكن والمرتبات المحدودة ثم اختلاف المستوى الثقافي بين الابناء والاباء . ومما هو جدير بالذكر أنه في السنوات الأخيرة ونظرا للأزمة الشديدة في المساكن الموجودة حاليا في المجتمع المصري بدأت الغودة إلى نظام السكن مع أسرة الزوج أو الزوجة لاتساع مسكن ايهما ، وبالرغم من عدم اقتناع الشباب أو الآباء بهذه الطريقة إلا أن الواقع يفرض عليهما قبول الاوضاع الراهنة . اما في المناطق الريفية فيرجع انتشار نمط السكن المستقل إلى تفتت الملكية الزراعية إلى حد كبير بحيث أصبح كل ريفي لا يكون في إمكانه سوى إعالة زوجته وأطفاله وبذلك يميل إلى الاستقلال في السكن .

وظائف الأسرة

هناك كثير من المجتمعات قائمة بالفعل دون أن يكون لها نسق رسمي للسوق او نسق قانوني او سياسي محدد ، إلا أنه لا يوجد أي مجتمع في العالم ليس له بناءات اسرية محددة رسميا . ففي كل مجتمعات العالم تتحدد المكانة أو الوضع الاجتماعي للأطفال عن طريق انتمائهم إلى اسر معينة ، حيث يربون وينشئون ويخضعون للضبط الاجتماعي .

ويرى كثير من المفكرين والفلاسفة الخياليين أن وظائف الأسرة يمكن أن تتحول إلى هيئات أخرى ، إذ يرى هؤلاء أن الشباب يجب ان يتدربوا وفقا لمهاراتهم ومقدراتهم الشخصية وليس وفقا لانتماءاتهم العائلية . كما يجب ألا يسمح للذكور أو الإناث بتكوين اسر مستقلة وإنما يجب ان يعيشوا في مجتمع كميوني أو شيوعي ، ولا يقوم الآباء بتربية اطفالهم وإنما يتلقون هذه التربية عن طريق جهات متخصصة في المجتمع .

وقد حاولت بعض المجتمعات تطبيق هذه التصورات الخيالية بالفعل مثل (الكميونات الصينية Chinese Commune والكيبوتز الأسرائيلي Israeli Kibbatz والكلخوزالروسيRyssiunKolkhoz) وذلك عن طريق نقل وظائف الأسرة التقليدية (التغذية والرعاية والتنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي) الى جماعات متخصصة غيرها إلا أنه يمكن القول أنه : ١) لا يوجد أي مجتمع فصلت فيه هذه الوظائف احدها عن الآخر بصورة طبيعية خلال النمو التاريخي ؛ ٢) إذا انفصلت هذه الوظائف فقد يكون الأمر راجعا الى تخطيط معين أو نتيجة لحماس ايديولوجي ؛ ٣) لا بد ان يبتعد أفراد المجتمع بالتدريج عن النموذج الجديد وان يعودوا للنسق التقليدي الذي تعتبر فيه وظائف الأسرة المشار اليها مسئولية متكاملة تنهض بها ككل .

ونستطيع ان نقدم مثالا حيا على ذلك بالتجربة الروسية في هذاالمجال .فقد قامت ثورة ١٩١٧ في ظل مناخ فكري حمل اتجاهات مضادة لأنماط العلاقات الاسرية القائمة أدى إلى وجود مبررات قوية لتغييرها ، فالأسرة كانت في رأي قادة الثورة ،

وراء دافع الملكية الخاصة ، ولهذا تعرضت الأسرة الروسية بنمطها الممتد لمحنة فريدة في نوعها في تاريخ الثقا ـ ن البشرية الحديثة نتيجة للتقلبات التي حدثت خلال التجارب الثورية وخاصـ ـ دما شرع في إعادة تنظيمها لتتوافق مع المجتمع الذي يتغير بناؤ ه ووظائفه بسر ـ ه[1] .ولكن نظرا لمقاومة الفلاحين وخاصة في مجال حرمانهم من أهم وظائف الأسر ، فقد توقفت الحكومة عن السير في هذا الطريق الى نهاية المطاف ، وبدأت تقدم للمزارعين المسكن الخاص وتمليكهم حديقة البيت وحظيرته وإتاحة الفرصة امام الأسرة لتأدية وظائفها مع الإبقاء على مصادر الانتاج والأنشطة في المزارع الجماعية . وبذلك يتحقق التوازن بين الوظائف الخاصة للأسرة وبين الملكية الجماعية .

ومع ذلك يوجه النقد الآن للأسرة الحضرية المعاصرة لفقدها كثيرا من وظائفها التقليدية التي كانت تقوم بها في الماضي ، وبتتبع التاريخ المكتوب نجد ان الأسرة في العصور السابقة كانت هي النظام الاجتماعي الرئيسي . وقد صاحب التغيرات التي تعرضت لها المجتمعات مثل : زيادة التخصص وتعقد المجتمع الحديث ، تغيرات في الوظائف التي كانت الأسرة تقوم بها من قبل ، الأمر الذي ادى إلى انتقال عدد كبير منها إلى مؤسسات أو تنظيمات خارج نطاق الأسرة .

وقد أكد وليم اجبرن William Ogburn ان مأساة الاسرة الحديثة تكمن في فقدانها لاغلب الوظائف التي كانت تقوم بها وهي :

١ ـ الوظيفة الاقتصادية : حيث كانت الاسرة في الماضي وحدة اقتصادية مكتفية ذاتيا لانها تقوم باستهلاك ما تنتجه ، وبالتالي لم تكن هناك حاجة للبنوك أو المصانع أو المتاجر .

٢ ـ وظيفة منح المكانة : كان أعضاء الاسرة يستمدون مكانتهم الاجتماعية من مكانة أسرهم في الوقت الذي كان اسم الاسرة يحظى بأهمية وقيمة كبرى .

٣ ـ الوظيفة التعليمية : كانت الأسرة تقوم بتعليم افرادها ولا يعني ذلك تعليم

(1) Philip E . Mosley,„The Ryssian Family : Old and New in Ruth Anshen (ed .) . The Family : Its Functions and Destiny ‟ Harper Brothers , N Y 1959 , pp . 110 - 111

القراءة والكتابة وإنما يعني الحرفة أو الصنعة ، او الزراعة ، والتربية البدنية ، ولاشئون المنزلية الخ . . .

٤ ـ وظيفة الحماية : كانت الأسرة أيضاً مسئولة عن حماية أعضائها . فالأب لا يمنح لأسرته الحماية الجسمانيةفقط وإنما يمنحهم ايضاًالحماية الاقتصادية والنفسية وكذلك يفعل الأبناء لآبائهم عندما يتقدم بهم السن .

٥ ـ الوظيفة الدينية : مثل صلاة الشكر عند تناول الطعام ، وصلوات الأسرة الجماعية ، وقراءة الكتب المقدسة ، وممارسة الطقوس الدينية .

٦ ـ الوظائف الترفيهية : كانت الوظيفة الترفيهية محصورة ايضاً في الأسرة او بين عدة أسر وليس في مراكز خارجية مثل المدرسة ، أو المجتمع المحلي ، أو وسائل الترفيه المختلفة[1] .

ونتيجة لفقدان الأسرة لهذه الوظائف فإن أجبرن يرى انها أصبحت مفككة والدليل على ذلك هو زيادة عدد الأسر المنهارة بسبب الطلاق . وقد تعرضت آراء اجبرن لكثير من النقد حيث يرى بعض علماء الإجتماع أنه من الخطأ التأكيد على المحتوى التقليدي والشكل المعين للوظائف بدلا من النظر اليها باعتبارها وظائف تقلص اداؤ ها بالنسبة للأسرة ، وليس هناك شك في أن الأسرة فقدت بالفعل بعض وظائفها التقليدية ، إلا أن هذا الفقدان ينطوي على تغير في الشكل والمضمون . ومثال ذلك أن الأسرة في المجتمعات الصناعية المتقدمة لم تعد وحدة اقتصادية منتجة في المحل الأول ، ولكنها أصبحت وحدة اقتصادية مستهلكة . فهل استهلاك الوحدة الأسرية أقل أهمية كوظيفة اقتصادية في المجتمع الحديث عما كان عليه في الماضي كوحدة منتجة ؟ وإلى أي مدى يستطيع الاقتصاد الحالي ان يستمر إذا لم يعتمد على الأسرة من حيث هي كذلك في « استهلاك » الملابس والمنازل والعربات ، المنتجات الغذائية ، والأثاث الخ . . .

ويمكن تقديم الدليل بنفس الطريقة على أن الوظائف الأخرى التي تدعي نظرية

---

(1) William Ogburn ,«Technology and the Changing Family » Houghton Mifflin . Boston . 1955 .

اجبرن أن الأسرة فقدتها مثل التعليم . الدين . الحماية وإذا كانت الاسرة قد فقدت بالفعل هذه الوظائف المشار اليها فلماذا إذن نجد أن الابناء يعتنقون المعتقدات الدينية والسياسية ، وكذلك المعتقدات الطبقية المشابهة أو المتماثلة مع تلك التي يعتنقها اباؤهم ؟ ولماذا نرجع أكثر الإنحرافات وإرتكاب الجرائم إلى الأسرة وليس إلى دور العبادة . كذلك إذا كانت الاسرة قد فقدت بالفعل وظيفتها التعليمية فلماذا نعتبرها بوجه عام والوالدين بوجه خاص ، المفتاح الذي يحدد مدى تقدم الطفل في المدرسة ؟

إلا أن النظرية البنائية الوظيفية التي قدمها بارسونز Parsons لم تفسر التغيرات الحديثة في انماط الأسرة على انها انهيار أو تفكك ، بل على العكس من ذلك تماما نجد أن بارسونز كان واضحاً عندما أكد أن « عملية التمايز » تؤدي إلى تزايد المؤسسات والهيئات والوحدات التي تقوم بوظائف محددة ، ومعنى هذا أن الوظائف التي كانت تقوم بها في الماضي وحدة واحدة (الأسرة) أصبحت تضطلع بها وحدات عديدة متخصصة ، بينما تقتصر الوحدة الاصلية على وظائف محدودة .ويشير بارسونز إلى أن التغيرات التي تحدث في الأسرة تنطوي على مكاسب كما تنطوي على خسائر ، والوحدة التي تفقد بعض أو كل وظائفها ، وتصبح أكثر حرية في تبني وظائف أخرى : « عندما تكون وظيفتان مستغرقتان في نفس البناء ثم يحدث ان يقوم بأدائها بناءان مختلفان ، فإنهما تؤديان بدقة وعناية أكثر وبدرجة أكبر من الحرية . وإذن فتحرر الأسرة من الأعمال العديدة التي كانت تقوم بها في الماضي يجعلها قادرة على أداء الاعمال المتبقية لها بطريقة أكثر نجاحا ، كما تصبح في مركز يسمح لها بتلبية الاحتياجات العاطفية والشخصية لكل من البالغين والأطفال» . ويؤكد بارسونز ان الاسرة أصبحت أكثر تخصصاً عما كانت عليه من قبل ولكن هذا لا يعني أنها أصبحت أقل أهمية لان المجتمع أصبح يعتمد عليها أكثر في أداء عديد من وظائفه المختلفة[١] .

هذا ويبرز وليام جود Goode أهمية الوظائف الوسيطة للأسرة ، وجدير بالذكر

(1) T Parsons and Bales... The Family Socialization and Interaction Process » The Free Press 1955 . pp 10 - 11

هنا أن فكرة الاسرة كوسيط (صاقل - مؤثر - قامع) بين الفرد والمجتمع الكبير قد ظهرت ضمنياً في كتب الاسرة منذ مدة طويلة إلا أن جود هو أول من وضح الأهمية الاستراتيجية للاسرة وخاصة من خلال وظيفتها الوسيطة(١) .

ويتحدث هوبارت Hobart عن فقدان الاسرة الامريكية لوظائفها ويركز على توفير الصحبة والأمن العاطفي باعتبارهما الوظائف الاساسية والعامل الأهم وراء قيام اسرة اليوم(٢) .

وفي دراسة أجريت على عينة من الاسر المصرية(٣) لمعرفة الوظائف التي تقوم بها الاسرة في الوقت الحاضر تبين الآتي :

١ - إن وظائف الاسرة المصرية لم تتغير كثيراً. فما زالت نسبة لا بأس بها تحتفظ بوظائف كانت تميز الاسرة الممتدة التقليدية . وربما يرجع ذلك إلى التأثر النسبي (لفئات العينة) بالتغير واستجاباتها المتفاوتة له ، تلك الاستجابات التي تعكس المستوى الإجتماعي والثقافي والمهني .

٢ - تتحول الاسرة المصرية تحت تأثير الحياة الحضرية بالتدريج من وحدة منتجة إلى وحدة مستهلكة ، كما ان إسهام الاسرة ككل في الانشطة الاقتصادية المتنوعة في المجتمع قد زاد من حيث معدله بالمقارنة بالاسرة التقليدية القديمة نظراً لإشتراك واحد أو أكثر من أعضائها وبطرق مختلفة في أنشطة النظام الكلي للمجتمع .

٣ - لا يظهر بصورة واضحة ان الأسرة المصرية كالاسرة في المجتمعات الغربية مثلا تعتمد اعتماداً يكاد يكون مطلقاً على السوق الخارجية في كل مطالبها المادية على وجه الخصوص ، فلا زالت نسبة كبيرة من الاسر تصنع كثيراً من حاجاتها وخاصة في الغذاء والملبس داخل نطاق المنزل .

---

(1) Goode , The Family , op cit . p . 2 .

(2) Charles Hobart , «Commitment, Value Conflict and the Future of the American Family » , Marriage and Family Living , 25 (November , 1963) pp . 405 - 412 .

(٣) سناء الخولي ، التغير الاجتماعي والتكنولوجي وأثره على الأسرة المصرية بنائياً ووظيفياً (رسالة دكتوراه ،يناير ١٩٧٣ .

٤ ـ أصبحت الاسرة المصرية تشارك في الوظيفة التعليمية عن طريق المتابعة والاشراف المنظم في كثير من الاحوال على تقدم ابنائها المدرسي وانجازهم لواجباتهم المدرسية .

٥ ـ تتغير اساليب التنشئة الإجتماعية إلا ان عملياتها المختلفة لا تزال أهم وظائف الاسرة جميعاً ، وليس هناك شك ان طرق التربية والتنشئة الإجتماعية تتغير من فئة إلى أخرى حيث تعكس خبرة الوالدين ومستواهما الإقتصادي والثقافي والإجتماعي والمهني ، ويرتبط ذلك بأسلوب معاملة الابناء ، والنظرة إلى السن ، والجنس وابداء الرأي ، وحرية المناقشة ، وتكامل الشخصية ، تلك المسائل التي تبين تفاوت مواقف أسر الطبقات المختلفة بشأنها .

إن هذا التغير في وظائف الأسرة المصرية التي حددنا أهم ملامحه لا يعني أنه قد حدثت تغيرات عميقة يمكن أن تؤيد رأي سوروكن في أن الأسرة سوف تتحول فقط الى مكان لممارسة العلاقات الجنسية[1]، فكل فقدان لبعض الوظائف استجابة للتغيرات الجارية يدعم من وحدة الأسرة وتكاملها ويزيد من قدرتها على مواجهة متطلبات التنشئة الاجتماعية وتنمية شخصية الأطفال وإعدادهم لمواجهة حياة أفضل مما واجهه الآباء . وبمعنى آخر لم تتحول الأسرة المصرية في مسيرة التقدم إلى وحدة بيولوجية بل على العكس تؤكد صفتها الانسانية والاجتماعية باستمرار .

وعموما تحدد المراجع العلمية وظائف الأسرة المعاصرة فيما يلي :

١ ـ انجاب الصغار .
٢ ـ المحافظة الجسدية لأعضاء الأسرة .
٣ ـ منح المكانة الإجتماعية للاطفال والبالغين .
٤ ـ التنشئة الإجتماعية .
٥ ـ الضبط الإجتماعي .

هذا بالاضافة إلى وظيفة جديدة لم يهتم بها التحليل السوسيولوجي من قبل وهي

---

(1) Pitrim Sorokin ,«Social. and Cultural Dynamics », 4 Vols. New York ,American Book Company . 1937 .

«الوظيفة العاطفية Affectional Function» ونعني بها التفاعل العميق بين الزوجين وبين الآباء والابناء في منزل مستقل مما يخلق وحدة أولية صغيرة تكون المصدر الرئيسي للاشباع العاطفي لجميع اعضاء الأسرة وقد أصبحت هذه الوظيفة من الملامح المميزة للاسرة الحضرية الحديثة . بعكس الحال في الأسرة الممتدة في المجتمعات الزراعية ، حيث يتم التفاعل الأولي بين خلقة كبيرة من الأقارب الذين يعيشون متجاورين .

وقد ترتب على هذه الوظيفة الجديدة أن أصبحت الأسرة النواة تحمل عبئا ثقيلا ، لأنها اصبحت المصدر الوحيد الذي يستمد منه الأفراد الحب والعاطفة ولهذا لا يريد الأفراد البالغين الزواج فقط وإنما يريدون الزواج السريع(١) .

---

(1) James B. Mckec. op. cit. pp. 362 - 363.

الفصل الثالث

القرابة والجماعات الأولية والثانوية

الجماعات الأولية والثانوية

عرَّف تشارلز هورتون كولي Charles-Horton Cooley الجماعة الأولية بقوله : «أعني بالجماعات الأولية تلك التي تتميز بعلاقات المواجهة والتعاون اليومية ، وهي أولية بمعادن عديدة فهي ذات اهمية جوهرية في تشكيل الطبيعة الاجتماعية ووجودها يتوقف على الارتباط النفسي الحميم ، فضلا على انها تعمل على استدماج الأفراد بشكل محدد ، بحيث تنصهر حياة الفرد في حياة المجموع ، وربما تكون أبسط طريقة لوصف هذا التكامل والتوحد ، هو أننا عندما نتكلم عن جماعتنا الأولية نقول « نحن » وهذا التعبير يتضمن نوعا من العاطفة القوية المتبادلة تجعل من كلمة « نحن » تعبيرا طبيعياً». [1] ونظرا لصغر حجم الأسرة وارتفاع درجة المودة بين أعضائها فإنها تعتبر جماعة اولية Primary Group. وجدير بالذكر أن علاقات الجماعة الأولية تصل إلى ما تتميز به من خصائص لا توجد في أي جماعة اخرى إلا بسبب صغر الحجم والاحتكام والاتصال المباشر الشديد الدائم والمتكرر ، إلا أن الأسرة على خلاف معظم الجماعات الأولية تتميز بطبيعة خاصة يشعر بها الفرد والمجتمع

---

(١) يرجع استخدام مفهوم الجماعة الأولية الى كولى وقد طور الفكرة بناء على ملاحظته لسلوك أطفاله في المواقف الأسرية المختلفة ، Charles Horton Cooley , «Social Organization » N . Y . Charles Scribner's Sons , 1929 , pp . 23 - 24 .

على السواء لأن بناءها له شرعية وقانونية يقرهما الدين والمجتمع .

وترجع أهمية الجماعة الأسرية والزواجية الى استيعابها وأدائها لوظائفها كجماعة أولية ويظهر ذلك بوضوح فيما يلي :

١ ـ ان الجماعة الاولية هي الوسيلة الوحيدة المعروفة للتنشئة الاجتماعية بالنسبة لمعظم الأفراد وذلك من اجل اكتساب او استدماج المعتقدات والاتجاهات .

٢ ـ إن الاسرة كجماعة اولية هي المحور الأساسي لتحقيق الارضاء والإشباع الشخصي ، فهي التي (أكثر من أي مصدر آخر) تمنح كلا منا الرفقة والأمان والعاطفة والسعادة،ومعظمنا يشعر بالحنين إلى الأسرة Home Sickness عندما يبتعد عن منزله لأول مرة .

٣ ـ إن الأسرة كجماعة اولية تصلح أيضا كأداة رئيسية للضبط الاجتماعي ، فهي من بين مصادره العديدة ذات مقدرة فائقة على معاقبة الانحراف ومكافحة الامتثال . كما ان معظمنا يستعين بأعضاء جماعته الأولية للحصول على احتياجاته النفسية ولتحقيق تجارب اجتماعية ذات معنى .

وعلى ذلك فإن الجماعة الأولية تمنح الطفل المولود حديثا ـ بفضل صغر حجمها. وعلاقات المواجهة المباشرة التي تتميز بها أهمية كبرى بحيث يصبح محبوبا ومرغوبا ، ومن خلالها ايضا ينمو الحب والتعاطف ، وتتكون العواطف الأخلاقية التي يتصف بها فيما بعد الانسان الناضج . هذاوترجع اهمية الجماعة الأولية في عملية التنشئة الاجتماعية إلى انها مسئولة عن إبراز الطبيعة الإنسانية الى الوجود . ونعني بالطبيعة الإنسانية هنا تلك العواطف والأحاسيس والدوافع التي تفرق الإنسان عن الحيوان والتي تميز عالميا النوع الإنساني ، وليس بعيدا عن الصواب أن نقول ان الجماعة الأولية (الأسرة) هي مهد الأخلاقيات والمثل الإنسانية العليا .

ويقع في الطرف المقابل للجماعة الأولية ما يسمى « الجماعة الثانوية » Secondary Group وهي التي على تنوعها تشمل كثيرا من انتماءاتنا إن لم يكن معظمها. في المدرسة ، وفي العمل ، والمجتمع المحلي ، إلا انها لا تتميز بالطبيعة الشخصية

الحميمة البعيدة عن التكلف التي تتميز بها الجماعات الأولية . فالجماعات الثانوية عموما موجهة أساسا لتحقيق هدف أو أغراض معينة . ويلاحظ انه في المجتمعات التي تطغى فيها علاقات الجماعة الثانوية ، تظهر أهمية الأسرة ، التي تمنحنا العلاقات الأولية اللازمة لصحتنا وسعادتنا ، حيث لا يمكن للوجود الاجتماعي الصحي ان يستمر في غياب علاقات الجماعة الأولية ، وترجع معظم حالات الانتحار الى العزلة الاجتماعية وانهيار العلاقات الأولية وغياب الروابط الأسرية الحميمة وتتضح هذه النتيجة من ملاحظة الأطفال او حتى البالغين الذين ليس لهم اسر أو أصدقاء مقربين . وعلى الرغم من فقدان الأسرة لكثير من وظائفها التقليدية إلا أن أهميتها بالنسبة لاستقرار الفرد والمجتمع ما زالت قائمة تكشف عن أهميتها القصوى باستمرار .

الأسر النواة والزوجية والممتدة

يستخدم مصطلح الأسرة النواه Nuclear Family وكذلك مصطلح الأسرة الزوجية Conjugal Family للإشارة الى الأسرة المكونة من الزوج والزوجة وأطفالهما المباشرين . والفرق الوحيد بينهما أن الأسرة النواه يمكن أن يقيم مع أفرادها أحد الأقارب مثل الأخت أو الأخ أو أحد الوالدين؛ أما الأسرة الزوجية فهي قاصرة على الزوجين وأطفالهما فقط .

والأسرة النواه أو الزوجية تعرف كوحدة ، تبدأ بمراسم الزواج وتستمر خلال الحياة ، وتكون العلاقات الجنسية قاصرة على الزوجين ، ويتركز الاعتماد الاقتصادي داخل الأسرة النواه وليس على أي من الأقارب . فهي من الناحية الاقتصادية تعتمد على دخل الزوج من عمله وربما أيضاً على مرتب الزوجة . كما تظهر بوضوح دلائل المحبة والعواطف الصادقة الخالصة بين الآباء والأبناء وبين الإخوة . ولهذا فالأسرة النواه في كل مجتمع ، تلعب دوراً هاماً وأساسياً .

أما «الأسرة الممتدة» Extended Family فهي تتكون من تجمعات للأسر النواه ويطلق عليها احيانا اسم «الأسرة الدموية» Consanguine Family او «الأسرة المتصلة» Joint Family. وجدير بالذكر ان شكل الأسرة الممتدة هو الذي كان شائعاً في الماضي

في معظم المجتمعات ، إلا أنه نتيجة لتحول كثير من المجتمعات من الزراعة إلى الصناعة انهارت روابط الأسرة الممتدة وتناقصت اهميتها .

التصنيع والحضرية وبناء الأسرة

تعتبر العلاقاة المتبادلة بين بناء الأسرة ، والحضرية ، والتحديث من أكثر العلاقات التي اثارت مناقشات نظرية معقدة في كتابات علم الاجتماع المعاصرة في الأسرة . فقد أكد « وليام جود» William Goodeفي كتابه «الثورة العالمية وأنماط الأسرة» World Revolution and Family Patterns ان دول العالم التي اصبحت صناعية ومتحضرة تتحول انساقها الأسرية في اتجاه نسق الأسرة الزوجية ، وهو يرى ان السبب في ذلك هو ملائمة شكل الأسرة الزوجية للمجتمع الصناعي الحديث ، ويقول : « بينما يتغلغل النسق الاقتصادي ويمتد من خلال التصنيع ، تتغير انماط الأسرة ، وتضعف روابط القرابة الممتدة ، وتتحلل انماط البيئة ، وتتجه نحو بعض أشكال النسق الزوجي الذي يبدأ في الظهور ، وهذه هي الأسرة النواه التي تصبح وحدة قرابية مستقلة »[1] .

وهناك عوامل عديدة صاحبت التصنيع تتجه الى تحريك بناء الأسرة نحو شكل النسق الزوجي ، فالأعمال في النسق الحديث في الصناعة تعتمد على الإنجاز اكثر من اعتمادها على « النسب » وهذا يعني أن الإنسان سوف ينجح أو يفشل تبعاً لكيفية ادائه لعمله ، وبالتالي يميل الأفراد إلى التحرر من الروابط القرابية (التي لم يعد لها قيمة أو فائدة) لكي يصبحوا اكثر حرية من التنقل المكاني والاجتماعي دون ان تقف هذه الروابط عائقاً في طريق تقدمهم ونجاحهم .

وقد قدم وليام جود في مؤلفه الذي سبقت الإشارة إليه تحليلا للتداخل المتبادل بين القوى الاجتماعية المختلفة التي تصنع التغير الاسري ، إذ يرى ان « متطلبات التصنيع » التي تعتبر العامل المشترك في انماط التغير التي تحدث الآن في معظم انحاء العالم ، لا تحدث دون بعض الارتقاء في المستوى التكنولوجي للمجتمع ، كما أن النسق الصناعي الحديث لا يمكن ان ينشأ ويستمر دون أن تصاحبه الحضرية

---

(1) William Goode«WorldRevolution and Family Patterns » , Glencoe , The Free Press , 1963 , p . 6

والبيروقراطية .

وأول صفة إجتماعية للعمل الصناعي هي ان الفرد يكون له عمل على اساس مقدرته في انجاز متطلباته . كما ان العمل يتطلب منه سلوكا مناسبا لطريقة ادائه وبالتالي فإن المجتمع الصناعي يتطلب طبقة مفتوحة ، أما علاقات القرابة الخاصة بالأسرة النواه من حيث التحرك الطبقي فإنها تكون أكثر تعقيداً . ذلك أنه بتجرد الفرد من شبكة العلاقات القرابية تكون إمكانياته المتاحة اكبر من التدرج إلى أعلى في مجال العمل ، وهذا يعني الا يدين لأقاربه بالكثير ، كما أنه يكون حراً في تغيير اسلوب حياته ، وطريقة ملبسه ، وكلامه حتى يتلاءم مع وضعه في الطبقة الجديدة دون أن يكون عرضة لانتقادات اقاربه وتدخلاتهم .

وفي النظام الصناعي الحديث تسيطر الطبقتان الوسطى والعليا على الصناعة وتوجهان مستقبلها ، إلا ان العلاقات القرابية عندها تكون أقل اتفاقا مع النمط المثالي للأسرة الزوجية بالمقارنة بسلوك الأسرة في الطبقات الدنيا . فالطبقات العليا تعترف بالقرابة الواسعة ، ويكون في مقدرتها السيطرة على العواطف قبل الزواج ، وفي الاختيار الزواجي بالنسبة للشباب ومن المحتمل أيضاً ان يتبادل من ينتمون إليها المساعدات المادية .

أما من ينتمون إلى الطبقات الدنيا فيرى « جود » أنهم أقل ترابطاً مع أقاربهم حينما يستطيعون التحرك إلى أعلى ، كما أنهم يتلقون مساعدات أقل من أقاربهم . وباختصار ، فإن اسرة الطبقات الدنيا هي القادرة على أن تكون « زوجية » وأن تحترم متطلبات النظام الصناعي . وهذا يعني انه عندما يبدأ التصنيع في الظهور في مجتمع ما فإن اسرة الطبقة الدنيا هي التي لن تخسر شيئاً بالاندماج في هذا النظام ، كما أن أنماط أسرة هذه الطبقة هي أول ما يتغير في المجتمع[1] .

ونظرا لأن النسق التكنولوجي يشكل عبئاً نفسياً على الفرد نتيجة لمتطلباته المتنظمة المتتالية ، ويكون الفرد تحت وطأة هذه الضغوط مدفوعا لأداء العمل بصورة تفوق طاقته فإننا نجد أن الأسرة الزوجية تتكامل مع مثل هذا النسق وذلك بتأكيدها

(1) Goode , op . Cit , pp . 12 - 14 .

على الناحية العاطفية ، وخاصة خلال علاقة الزوج والزوجة .

ومن ناحية أخرى فإن نسق الأسرة لا يمكنه البقاء كبدنه ، لأنه لا يستطيع تركيز ممتلكات الأسرة أو أموالها في يد أحد الأبناء الذي تؤول إليه الملكية ، أو حتى في أيدي جنس معين ، لأن تبديد الميراث يؤدي إلى انهيار النسق الطبقي . ويحدد النسق الزوجي ايضاً متطلبات المركز عند الفرد بصورة أقل إحكاما بالمقارنة بنسق الأسرة الممتدة ، الذي يكون فيه الالتزام . والقيادة ، والانتاج محدد بوضع الأسرة ومكانتها .

ويؤكد جود في دراسة عن الملاءمة بين الأسرة الزوجية والتصنيع على ثلاث نقاط :

١ - إن أسرة الطبقة الدنيا هي أكثر الطبقات الاجتماعية تلاؤما مع النسق الصناعي ، وأنها أول ما يميل إلى التغير في المجتمع بعكس الطبقات العليا والوسطى التي تتغير أنماطها الأسرية ببطء شديد ، وقد يصدق هذا الرأي على المجتمع الغربي أما اذا نظرنا إلى المجتمع المصري فإننان نجد أن أكثر طبقات المجتمع تلاؤ ما مع نمط الأسرة الزوجية هي الطبقة المتوسطة لأن كل من الطبقات العليا والطبقات الدنيا تتمسك بأنماطها الأسرية التقليدية ، والدليل على ذلك ان علاقة الأفراد في الشبكة القرابية في أسرة الطبقة الدنيا ما زالت قوية وأن أعضاءها يتعاونون في شتى المجالات مثل المعاونة المالية في حالة البطالة أو المرض وتبادل الزيارات ، كما ان الزوجة العاملة في هذه الطبقة تستعين بأمها أو حماتها أو أقاربها أو إحدى جاراتها لرعاية اطفالها أثناء تغيبها في العمل . هذا ويلاحظ أن المساواة النسبية بين أفراد الأسرة الموجود في اسرة الطبقة الوسطى لا وجود لها في أسرة الطبقة الدنيا ، فما زال الزوج هو الرئيس وهو المسيطر على زوجته وأولاده[1] .

٢ - إن الأسرة الزوجية هي أكثر الأشكال ملائمة للنسق الصناعي الحديث لأنها تتيح حرية التنقل المكاني والاجتماعي بسهولة إلى جانب منح الارضاء العاطفي والأمان للفرد ، كما ان العلاقات العاطفية بين افرادها تكون وثيقة ومكثفة ، ونحن نتفق مع جود في هذه النقطة إلا أن هذا لا يعني أن الأسرة الزوجية تنفصل تماما عن

(١) سناء الخولي ، المرجع السابق ص ١٠٥ .

شبكة العلاقات القرابية ، فهي ما زالت قائمة وإن تغير شكلها ومضمونها عما كان عليه في الماضي .

٣ ـ إن الأسرة الزوجية تتميز بالمساواة بين الجنسين ، وتحديد التزامات الدور بالنسبة للفرد لا يكون قاطعاً كما هو الشأن في الأسرة الممتدة ، إلا أن العبء الأكبر ما زال يقع على الزوجة والأم ، فهي بدافع الحاجة الاقتصادية تضطر الى الالتحاق بعمل في الخارج الى جانب إلتزاماتها نحو أسرتها وخاصة أطفالها ، وبالرغم من ظهور العديد من الأدوات المنزلية الحديثة ، إلا أن هذه الأدوات لم تقلل من الجهد الذي تبذله الزوجة .

هذا وتحول الظروف الاقتصادية المنهارة في كثير من المجتمعات النامية دون استمرار أشكال الأسر الممتدة التي تقوم اساسا على الملكية المشتركة . فهل الأسرة الزوجية الحالية « منعزلة » حقاً كما يقول تالكوت بارسونز في دراسته للأسرة الأمريكية .

يرى بارسونز ان نسق الأسرة الامريكية نسق مفتوح يقوم فقط على العلاقة الزوجية ، والأسرة النواه منعزلة عن الجماعات القرابية الواسعة . أي أن العزلة كائنة في بناء الأسرة . فليس هناك بدنة او عشيرة أو أي جماعة قرابية اخرى يرتبط بها الفرد أو ينتمي إليها ، كما أن اعضاء الأسرة لا يرتبطون معا بعلاقات متعددة وإنما يغلب عليهم طابع العلاقات الثنائية . والشكل التالي يوضح هذه الفكرة[1] .

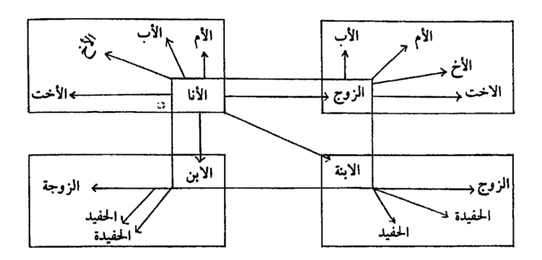
ويلاحظ من هذا الشكل ان الأنا عضو مشترك في كل من الأسرتين ، اسرة التوجيه واسرة الانجاب ، والزوج (الزوجة) يشترك في نفس اسرة الانجاب مع الأنا ولكن لا يشترك معه في أسرة التوجيه . وهكذا بالنسبة لكل فرد من أفراد الأسرة الآخرين . فعند الزواج ينتقل كل فرد من وحدته القرابية (اسرة التوجيه) ويكون اسرة جديدة[٢] . ويؤكد بارسونز ان الانفتاح وتعدد الاتجاهات متضمن في طبيعة

---

(1) Talcott Porsons . , « The Social Structure of The Family » in Ruth N . Anshen (ed ,) , The Family : Its Function and Destiny , Harper and Brothers , N . Y , 1959 .

(2) T . Parsons , « The Kinship System of the Contemporary United States » , American Anthropologists 1943 , p 24

(خمسة اشكال متداخلة من الأسرة النواه)



النسق القرابي ، فكل جيل يختار ازواجه من الخارج دون أي اعتبار لروابط القرابة مع الجيل السابق . اي ان كل اسرة نواه هي نتاج اندماج خطين اسريين مختلفين ، ومن المحتمل ان تندمج مع خطوط اسرية مختلفة تماما في أي جيل تال . وتوجد قواعد صارمة تحد من أي تحيز نحو أي من أسرتي الزوج او الزوجة ، حيث يتعين ان يكون هناك اهتمام متساو بكلا الجانبين . ومثال ذلك : إذا تناول الزوجان عشاءهما مع أسرة الزوج فمن الواجب ان يقضيا عطلة نهاية الأسبوع مع اسرة الزوجة وهكذا .

ويصف بارسونز الزواج بأنه حجر الأساس في النسق القرابي للأسرة (الأمريكية) وعندما يتم الزواج يفترق الزوجان عن أسرتي التوجيه ، أما الأبناء فإنهم يمنحون ولاءهم لأبويهم وأخوتهم ، الذين يضمهم جميعا مسكن واحد خاص بهم دون غيرهم . ونتيجة لهذه « العزلة » البنائية والمكانية للوحدة الأسرية لا يتاح للوالدين ان يكون لهما دور هام في عملية اختيارات ابنائهما عند الزواج ، بعكس الحال في المجتمعات ذات الأنساق الأسرية الواسعة حيث يشترك الآباء في عملية الاختيار ، لأن الزوج أو الزوجة الجديدة سيصبحان شركاء في المسكن وفي الوحدة القرابية . ويترتب على ذلك ان يقوم الزواج في الأسرة النواه على اساس الحب

الرومانتيكي المتبادل بين الفتى والفتاة ، أما في الجماعات القرابية الواسعة فإنها لا تشجع مثل هذا الحب لأن استمرار العاطفة العميقة بين الزوجين قد يهدد ولاءهما لوالديهما وللجماعة[1] .

إلا أن فكرة العزلة التي أكدها بارسونز قد قوبلت باعتراضات كثيرة . فقد أثبتت الابحاث العديدة أن علاقات الأسرة بالأقارب وخاصة المباشرين منهم كالوالدين والإخوة ما زالت قائمة ووثيقة ، فبالرغم من انتقال الفرد من « أسرة التوجيه » إلى « أسرة الإنجاب » فإن العلاقات البنائية والوظيفية بين هاتين الأسرتين تصبح هامة للغاية . فعلاقة الفرد بأسرته لا تنقطع بمجرد زواجه بل يحاول دائما أن يقيم علاقة وطيدة قوية وثابتة مدعمة بالالتزامات والمستويات المادية والمعنوية .

القرابة والجماعات الأولية الأخرى

ليست الأسرة هي الجماعة الأولية الوحيدة التي تمارس تأثيراتها على الفرد فإلى جانبها تقوم جماعات النظراء Peer Groups التي تكمل أو تتم عمل الأسرة مثل جماعات الأقارب أو الجيران أو زملاء العمل . وفي هذه الحالة تحل سلطة الجماعة (غير الشخصية) محل السلطة الشخصية للوالدين في التفاعل داخل الجماعة .

ومن الملاحظ أن علم الاجتماع لم يقدم حتى الآن تحليلا نظرياً متكاملا لتنوع بناء الجماعة الأولية ووظيفتها المتميزة في المجتمع المعاصر . ونود أن نؤكد أنه تحت تأثير المجتمع الصناعي الحديث فإن بناءات الجماعة الأولية تجعل هناك ميلا إلى افتراض التنوع في الأشكال البنائية . وأكثر من ذلك فإن هذه البناءات المختلفة تؤدي في الواقع أنماطا مختلفة من الأعمال بطريقة أكثر فاعلية[2] .

وسوف نركز هنا على استعراض ثلاثة انماط من الجماعات الأولية وهي الروابط القرابية Kinships Ties والجيران Neighbors والأصدقاء Friends. وسوف نستخدم في هذا الصدد بعض مصطلحات « كولى » (المواجهة ، الدوام ، العواطف) . وجدير

(1) Parsons , «The Social Structure of the Family » Op , Cit pp . 252-253.

(2) E. Litwak and I Szelenyi, Primary Groups Structures and their Functions Kin, Neighbos and Friends», American Sociological Review Vol. 34, 1969, pp. 465-81.

بالذكر هنا أنه منذ أواخر الاربعينيات ايد كثير من علماء الاجتماع وجهة النظر القائلة بأنه لا توجد حاجة ملحة لدراسة الجماعات الاولية في المجتمع الصناعي الحديث حيث أنها انتهت من الوجود (تونيز Tonnies في ١٩٤٠ ، ويرث Wirth، سيمل Simmel ١٩٥٧) ، وقد كان الاساس النظري لهذا الاتجاه يقوم على أن التنظيمات البيروقراطية الصناعية أكثر فعالية من الجماعات الأولية في تحقيق معظم الأهداف . كما أنها تتطلب ظروفا اجتماعية تتعارض مع هذه الجماعات ، وذلك مثل حاجة اعضاء الجماعة الأولية إلى الارتباط في التنقلات المكانية والمهنية المختلفة . وفي اواخر الاربعينيات ذاعت فكرة بارسونز القائلة بأن « الأسرة النواه المنعزلة » على العكس من الجماعة الأولية تستطيع مواجهة ظروف المجتمع الحضري وتتفادى مشاكل التنقل .

وقد ظهرت في الخمسينيات سلسلة من الدراسات تؤكد ان العلاقات القرابية يمكنها ان تستمر في المجتمع الحضري الحديث ، وخلافا لما كان بارسونز يؤ يده أكدت هذه الدراسات أن الجماعات الاولية يمكن ان تبقى متماسكة فيما عدا امكانية التنقل كوحدة[1] .

وقد تبين من مناقشة الحجج النظرية التي قدمها بارسونز وغيره من علماء الاجتماع ان الموافقة على صدق هذا الرأي دون دليل تجريبي يسهم في أخطاء كثيرة تتصل بشبكة العلاقات القرابية وأنماط المساعدة بين الأسر . وقد ظهرت دراسات عديدة تؤكد ان قرابة الأسرة الممتدة تواصل أنشطتها المتنوعة . والأنشطة الرئيسية التي تربط شبكة العلاقات القرابية هي تبادل المساعدة والانشطة الاجتماعية . وفيما يلي نماذج للمساعدات والتعاون المتبادل بين الآباء وأسر ابنائهم المتزوجين .

١ - إتخذت انماط المساعدة أشكالا عديدة مثل تبادل الخدمات ، الهبات ، والمساعدات المالية .

---

(1) Sussman , M . B . , and Burchinal , L . « Kin Family Network : Unheralded Structure in Cureut Conceptualizations of Family Functioning » John Edwards (ed) The Family and change . Alfred A . Knoph , Publisher , N . Y , 1969 .

وايضا : Litwak . E , Occupational Mobility and Extended Family Cohesion , American Sociological Review Vol . 25 , 1960 , pp . 9 - 21

٢ ـ هناك نوعان من صور المساعدة ينتشر بين أسر الطبقات المتوسطة والدنيا يكون أكثر تكاملا مع صور العلاقات الأسرية

٣ ـ ان يتفرع تبادل العون في اتجاهات متعددة ، كأن يكون من الآباء للابناء أو العكس ، أو إلى ابناء العم أو إلى أقارب أبعد من ذلك ، إلا أن المساعدة المالية في أغلب الأحوال تكون من الآباء للأبناء .

٤ ـ إن تلقّي العون المادي يكون بوجه عام خلال السنوات الأولى في الحياة الزوجية وخاصة في بدء الزواج وعند ولادة الأطفال وفي الأعياد المختلفة .

هذا بالاضافة إلى أن الأنشطة الاجتماعية تعتبر وظائف رئيسية لشبكة العلاقات القرابية وأشكالها الرئيسية هي . تبادل الزيارات العائلية ، الاشتراك في أنشطة ترفيهية ، حيث تبين أنه لصعوبة قيام علاقات أولية مرضية خارج الأسرة في المجتمعات الصناعية الحضرية الحديثة فإن هذا يجعل للأقارب أهمية كبيرة بالنسبة للفرد[1] ، كما تعتبر زيارة الأقارب نشاطاً رئيسياً في المنازل الحضرية حيث تفوق الزيارات الأخرى للأصدقاء والجيران وزملاء العمل .

وهناك خدمات أخرى تقدم بانتظام خلال السنة وفي المناسبات وهي وظائف إضافية لشبكة العلاقات الأسرية يمكن تلخيصها فيما يلي

١ ـ التسوق ، والمرافقة ، والعناية بالأطفال ، وتقديم النصح والمشورة ، تعتبر كلها أنماطاً من الأنشطة اليومية التي يؤديها أعضاء الجماعة القرابية .

٢ ـ تقديم خدمات للمسنين من أفراد الأسرة ، مثل العناية الطبية ، ومنحهم المأوى ، ومرافقتهم ، وشراء حاجياتهم ، وأداء الأعمال المنزلية لهم ، ومشاركتهم أوقات الفراغ . وهذه الاعمال يقوم بها عادة صغار السن والأقارب الآخرين في الأسرة ، بالإضافة إلى أن هذه الأفعال النابعة من الشعور العاطفي والمسئولية تجاه الأقارب تؤدى بدون أي قانون اجباري

William H Key Rural Urban Differences and the Family - Sociological Quarterly 2 (January, 1961) pp. 46 - 56

٣ ـ في حالة تنقل الأسرة أو الأفراد من مكان إلى آخر فإنهم في العادة يتلقون المساعدة من أسر أقاربهم الذين سبقوهم إلى هذا المكان ، مثل البحث عن مسكن أو عمل ، وتزويدهم بالنصائح والارشادات في حالة انتقالهم من المناطق الريفية لأول مرة حتى يتعودوا على أنماط المعيشة الحضرية .

٤ ـ هذا إلى جانب الخدمات التي تؤدى في المناسبات كالأفراح ، وخلال الأزمات التي تمر بها الأسرة مثل الموت ، والحوادث والمشاكل العائلية .

ومن هذا نستنتج أن جماعات الأقارب وكذلك جماعات الأصدقاء وجماعات الجيرة يمكن ان تحتفظ بحيويتها في المجتمع المعاصر . والتساؤ ل الذي يطرح نفسه هنا ، أنه إذا أمكن لهذه الأنماط المختلفة للجماعات الأولية أن تحتفظ بحيويتها فهل تحتفظ بنائياً بشكلها السابق ، وهل تستطيع أن تعالج نفس النمط من المشاكل .

التنقل القرابي المتمايز :

إذا استعرضنا مجتمعات ما قبل التصنيع التي تقوم على التماسك القرابي ، فإنه يتبين وجود ثلاثة عوامل تحول دون التنقل الاجتماعي المتمايز .

أ ـ تحكم القرابة في النسق المهني .
ب ـ كل حزكة قرابية يجب ان تشمل البناء القرابي كله .
جـ ـ تركز نسق السلطة بقوة في البناء القرابي .

ولكن هذه العوامل الثلاثة انهارت جميعاً (تقريباً) نتيجة النمو التكنولوجي الحديث ، الذي يقلل إلى حد كبير من سيطرة النسق القرابي على البناء المهني . وقد أدت الضغوط التكنولوجية المترتبة على هذا النمو أن الأب والإبن يمكن ان يعملا في عملين مختلفين (كان الإبن في الماضي يعمل في نفس مهنة والده) وهذا يرجع إلى ان الإبن (حالياً) قد لا يفضل عمل أبيه . ومع ذلك فعندما لا يحتاج العمل إلى مهارة معينة أو تدريب خاص فإنه من السهل ان يحدث تبادل وبالتالي فإن جماعات قرابية واسعة يمكن ان تتحرك معا (الباعة الجائلون الذين يأتون بأقاربهم من الوجه القبلي في مصر) إلا أنه نتيجة للتخصص الذي أحدثته التكنولوجيا فإن أعضاء الجماعة القرابية

الذين يتحركون معاً يمكن ان يواجهوا الصعوبات في الحصول على عمل في نفس المكان .

ومن هذا يتبين أن الأنساق القرابية يمكن ان تستمر وتحتفظ بحيويتها فيما عدا علاقات المواجهة اليومية . إلا ان وسائل الاتصال الحديثة مثل التليفون والسيارة والطائرة قضت على هذا العائق وسهلت عملية الاتصال بين الأقارب . وقد أكد بعض الباحثين ان التباعد بين الأقارب يمكن ان ينشأ ، وذلك لأن النجاح الاقتصادي المتمايز يؤدي إلى الانتماء الى بيئة ثقافية مختلفة ، ومع ذلك فأن أي اختلافات تحدث في المضمون يكون المجتمع سبباً فيها عن طريق العوامل أو العناصر العامة مثل وسائل الاتصال بالجماهير والتعليم العام الخ . . . يمكن ان تؤدي إلى المشاركة في أسس ثقافية ولغوية عامة يشارك فيها الجميع بدرجات متفاوتة .

إذن يمكن ان توجد البناءات القرابية وتستمر فيما عدا علاقات المواجهة اليومية ، وهذا لا يعني ان البناءات ما زالت كما كانت عليه في البناءات القرابية التقليدية .

بناءِ جماعات القرابة ووظائفها

إن القيمة الحقيقية للأقارب والجيران والأصدقاء تكمن في مقدرتهم على أن يكونوا مصادر مكملة للأسرة النواه المنعزلة . وفي إمكانهم ان يقوموا بهذا الدور لأنهم بنائياً ينتمون شكلا إلى الجماعة الأولية التقليدية الأمر الذي يجعلهم يقللون إلى الحد الأدنى من مشاكل الاتصال .

وإذا اختبرنا البناء القرابي (العلاقات بين الأسر النواه) فسوف نجد أنه من الضروري ان نركز على معانيه التقليدية التاريخية ، أي فكرة ان اتصال الناس بعضهم ببعض يكون عن طريق الأسس البيولوجية الدائمة والأسس القانونية (مثل علاقات الأم والإبن) .

ومع هذا فان النسق القرابي يواجه بضغوط متزايدة بسبب التنقل المستمر والمستقل في المجتمع التكنولوجي . فإذا وضع هذين الاعتبارين في الحسبان (العضوية الدائمة + التنقل المتمايز) فان النسق القرابي لا يمكنه الاستمرار إلا إذا

تغاضى عن متطلبات الجماعة الأولية التقليدية في علاقات المواجهة اليومية الدائمة وقد أصبح هذا ممكناً في المجتمعات الحديثة لأن النمو التكنولوجي يسمح بالتبادل القرابي عبر مساحات كبيرة .

أما وظائف جماعة الأقارب بالنسبة للأسرة فهي عديدة ومتنوعة وقد أشرنا فيما مضى إلى أن البناء القرابي يتميز بدوامه . ولهذا فإن أي بناء يمكن ان يقوم بوظيفته بصورة أفضل إذا اشتمل على روابط طويلة المدى . وربما كان ذلك هو الذي يؤهل القرابة إلى أن تلعب دوراً هاماً في الرعاية الطبية في المدى الطويل ، في الوقت الذي يمكن ان تقوم بنفس الدور في تشكيل مهنة الفرد واتجاهاته .

بناء جماعة الجيران ووظائفها

تتميز جماعة الجيرة Neighborhood بالقرب المكاني للأعضاء، وبالتالي فإن الجيران يتميزون بعلاقات الوجه للوجه FacetoFace. إلا ان التصنيع يتطلب اختصار هذه العلاقات (نتيجة الذهاب إلى العمل والبعد عن المنزل ثم العودة متعبين مما يحول دون كثرة اللقاءات) فإذا ارادت الجيرة ان تستمر في هذه الظروف فلا بد ان تتخلى عن بعض ابعاد الجماعة الأولية القديمة مثل العضوية الدائمة .

ونتيجة لهذا الاتصال المباشر فإن التفاعل يحدث بسرعة بين الجيران وخاصة إذا كانوا متساوين في أشياء أخرى مثل درجة الثقافة والإمكانيات المادية الخ . . وتظهر أهمية الجيران في أنهم يستطيعون تحقيق أشياء دقيقة للغاية لا تستطيع الأسرة تنظيم الحصول عليها في الوقت المناسب مثل الحاجة لاستعارة كوب من السكر اثناء إعداد أحد الوجبات او الحاجة لمن يرعى طفل لفترة وجيزة لإضطرار الأم للخروج لسبب طارىء ، واحياناً في حالات الكوارث .

وهناك ميزة أخرى تشمل جميع الخدمات التي يستفيد منها تكنولوجياً كل الذين يعيشون في نفس المنطقة . فمثلا ، يكون للناس الذين يعيشون في نفس الشارع نفس المشاكل سواء كانت امدادات المياه أو حماية الشرطة او رصف الطريق أو المدارس الخ . . . ويضاف إلى ذلك أن الاتصال المباشر للجيران يمكن ان يعلب دوراً هاماً عندما تكون الملاحظة المستمرة وسيلة من وسائل التعلم ، فمن الممكن ان

يؤثر هذا الاتصال المباشر في طريقة التنشئة الاجتماعية (كيف يمكن ان تكون الزوجة أما صالحة) كما يمكن ان تشجع جماعة النظراء للأطفال الاتجاهات الأنحرافية أو التحصيل المدرسي الضعيف

إذن هناك ثلاث حالات يكون وجود الجيران فيها هاماً وحيوياً وهي : اوقات الطوارىء ، الخدمات التي تقوم على السكن في نفس المنطقة ، والأنشطة التي تتطلب الملاحظة اليومية بقصد التعلم .

بناء جماعة الأصدقاء ووظائفها

تعتبر جماعة الأصدقاء اضعف الجماعات الأولية بنائيا . فليس لها دوام الرابطة القرابية او علاقات المواجهة اليومية التي تميز جماعة الجيران ومع ذلك فإنها تواجه بنفس الضغوط الاجتماعية من حيث التنقل المتمايز . ونقطة الخلاف بين النوعين السابقين من الجماعات وهذه الجماعة ، ان الفرد لا يكون له دخل في اختيار اقاربه او جيرانه . أما في حالة الأصدقاء فإنه يختارهم بنفسه تبعا لمفضلاته وقيمه وآرائه الخاصة . وقد يكون الأصدقاء من الجيران والأقارب في نفس الوقت .

وفي إمكان جماعات الأصدقاء معالجة الأمور التي تتضمن تذبذبا مستمرا بصورة أفضل ، فالإبن الذي يلتحق بالجامعة لأول مرة سوف يواجه بمجموعة من المشاكل الخارجة عن نطاق معرفة واهتمام والديه . مثل الاستعداد للامتحانات ، او التعامل مع الزملاء وهكذا . وحتى إذا كان الأباء قد التحقوا بالجامعة من قبل فإن كثيرا من المعايير قد تغيرت تغيرا جذريا منذ كان الآباء في الكلية . وهنا تظهر أهمية وقيمة جماعة الأصدقاء من حيث الأدلاء بالنصائح والمعاونة والصحبة الخ . . . وعموماً ، فإن الأفراد الذين يرتبطون بأنشطة متبادلة يمكن ان يكون لديهم دافعا قويا للتوافق مع بعضهم .

الأدوار الزوجية وشبكة العلاقات الاجتماعية [1]

هناك اختلاف لا شك فيه في الطريقة التي يؤدي بها كل من الزوجين ادوارهما

---

(1) Elizabeth Bott « Conjugal Roles and Social Networks » In Norman W. Bell and Ezra F Vogel (ed.), A Moderm Introductian to the Family, the Free of Glencoe 1960 p, 248

الزوجية . ففي الأسرة التي يقوم فيها الزوجان بأعمال مستقلة وحيث يوجد تقسيم واضح للعمل في المنزل ، يعطي الزوج زوجته مبلغاً معيناً من المال ولكن الزوجة لا تعرف شيئاً عن مرتب زوجها أو كيفية انفاقه للنقود التي يبقيها لنفسه ، كما يقضي الزوج أوقات الفراغ ، مع اصدقائه ، وتزور هي أقاربها . وقلما يقضيان وقت فراغهما معا ، وهما لا يشعران بأي غضاضة في ذلك بل يعتقدان ان سلوكهما هو السلوك الطبيعي الملائم للدائرة الاجتماعية . وعلى النقيض من هذا النمط هناك الأسرة التي يشترك فيها الزوجان في عديد من الأنشطة ويقضيان معظم وقتهما معا . وهما متساويان من جميع الوجوه ، فجميع القرارات الهامة يتخذانها معاً ، ويساعد أحدهما الآخر حتى في الشئون المنزلية البسيطة بقدر الامكان ، كما انهما يشتركان في نفس الاهتمامات السياسية والموسيقى والأدب وفي اتخاذ الأصدقاء .

والفرق الواضح بين هذين النمطين ، ان الأول يظهر انفصالا واضحاً بين الزوج والزوجة في الأدوار التي تكون علاقاتهما الزوجية بينما يظهر النمط الثاني عكس ذلك . ولكن توجد بين هذين الطرفين النقيضين درجات عديدة من التفاوت ، وبناء على ذلك يمكن تصنيف التنظيم الأسري إلى ثلاثة أنواع : ـ

١ ـ التنظيم المتمم او المكمل ، الذي تكون فيه أنشطة الزوجة والزوج مختلفة ومفترقة ولكنها تتلاءم معا لتكوين كل واحد .

٢ ـ التنظيم المستقل الذي تنفذ فيه انشطة الزوج والزوجة بصورة مستقلة ومتفرقة دون رجوع كل منهما إلى الآخر .

٣ ـ التنظيم المترابط الذي يمارس فيه الزوج والزوجة انشطتهما معا ، وليس هناك تقسيم واضح للعمل بينهما .

وتستخدم عبارة « أنفصال دور العلاقات الزوجية » هنا لتعبر عن العلاقة التي تكون فيها انماط التنظيم المتممة والمستقلة هي السائدة . حيث يوجد تمايز واضح بين الزوجين في الأعمال وفي عدد كبير من الاهتمامات والأنشطة . إلى جانب تقسيم محدد للعمل تبعا للذكورة والأنوثة « ولكل منهما وقت فراغه الخاص» ، فللزوج اصدقائه خارج المنزل وللزوجة صديقاتها .

أما عبارة « **اتصال دور العلاقات الزوجية** » فهي تستخدم لتعبر عن العلاقة التي يكون فيها التنظيم المترابط هو المسيطر . ويفضل فيه الزوج والزوجة القيام بأنشطتهما معاً ، مع حد أدنى من الأعمال المتمايزة ، أو الاختلاف في الاهتمامات ، كما انهما يقضيان معظم أوقات فراغهما معا .

وأخيراً تستخدم عبارة « **درجة انعزال الأدوار الزوجية**» لمقارنة تركيب الأنواع الثلاثة من التنظيمات الأسرية ، ونعني بدرجة الانعزال التوازن النسبي بين الأنشطة المتممة والمستقلة من ناحية وبين الأنشطة المرتبطة من ناحية أخرى[1] .

وقد إتضح من بحث اجرته اليزابيث بوت Elizabeth Bott وجود تغيرات هامة في درجة **الانعزال الزوجي** Conjugal Segregation خلال الحياة الزوجية، فيكون الزوجان في مرحلة ما قبل الإنجاب أكثر ارتباطا في الأنشطة ، وخاصة في الأنشطة الترفيهية خارج المنزل ، ثم تختلف هذه الأنشطة بعد الإنجاب حيث يميلان إلى الاشتراك في أنشطة ترفيهية مختلفة .

ويعود الزوجان في المرحلة الثالثة بعد كبر الأبناء ومغادرتهم للمنزل ، إلى تنظيم أكثر ارتباطا من المرحلة الأولى .

وقد اهتمت اليزابيث بوت بالبيئة الحالية للأسر من حيث علاقاتها الخارجية مع الأصدقاء والجيران والأبناء والنوادي والمحلات واماكن العمل الخ . . . فاتضح أن العلاقات الاجتماعية الخارجية لجميع هذه الأسر تتخذ شكل «الشبكة» Network أكثر من الشكل المميز لجماعة منظمة . وهي التي يشكل الأفراد فيها كلا اجتماعيا كبيرا له أهداف عامة ، وأدوار مستقلة وثقافة فرعية مميزة أما في الشبكة فيكون لبعض الأفراد وليس لجميعهم علاقات اجتماعية كل بالآخر . ومثال ذلك أنه إذا كان للأسرة ك علاقات مع الأصدقاء والجيران والانسباء الذين يمكن ترميزهم بالحروف أ ، ب ، ت ، ث ، حـ ، د الخ فسوف يتبين ان بعض وليس كل هؤلاء الأفراد هم الذين يعرفون بعضهم . أي أنهم لا يشكلون جماعة منظمة بالطريقة التي أشرنا اليها

---

(1) Bott , Ibid pp . 249 - 250

في ب قد يعرف أ ، د ولا يعرف شيئا عن الآخرين ، وث يعرف د ولا يعرف شيئا عن أ ، ب أو حـ .

وتبين كذلك من البحث الذي أجرته بوت ان درجة انعزال الأدوار الزوجية ترجع إلى درجة الارتباط بشبكة العلاقات الكلية للأسرة . فالأسر التي تتميز بدرجة عالية من « الانعزال » في الأدوار الكلية للعلاقات بين الزوجين يكون لديها شبكة محكمة Close-Kint من العلاقات وكثير من الأصدقاء والجيران والأنسباء الذين يعرفون بعضهم . أما الأسر ذات الدور العلاقي المرتبط نسبيا بين الزوجين فإن شبكة علاقاتها تكون ضيقة ، كما أن قليلا من انسبائهم وجيرانهم وأصدقائهم يعرفون بعضهم بعضا[١] .

وهناك درجات عديدة من الاختلاف تقع بين هذين الطرفين ومن الصعب أن نعرف كيفية تأثير العلاقات الاجتماعية للأخرين في علاقات الزوج والزوجة . الا ان ما يحدث قد يكون كما يلي :

عندما تكون شبكة علاقات الفرد محكمة ، فإن أفراد تلك الشبكة يفضلون الاجماع على المعايير والقواعد كما أنهم يمارسون ضغطا غير رسمي على بعضهم البعض للامتثال لتلك القواعد والمعايير . فإذا أقدم شاب وفتاة ينتميان إلى شبكة علاقات محكمة على الزواج ، فإن زواجهما من المحتم ان ينبني على تلك العلاقات الموجودة من قبل ، كما أن الزوجين يستمران في ممارسة انشطة مع أفراد خارج نطاق اسرتهم الجديدة (أسرة الإنجاب) ويجد كل منهما بعض الارضاء العاطفي في تلك العلاقات الخارجية ومن المحتمل ان تؤدي هذه العلاقات إلى انسجام أقل بين الزوجين . وفي مثل هذه الحالة يكون الفصل الواضح للأدوار الزوجية ممكنا لأن كلا منهما يكون في إمكانه تلقي مساعدات خارجية .

اما عندما لا يتفاعل الناس بعضهم مع بعض وتقل اتصالاتهم إلى الحد الأدنى فإن شبكة علاقاتهم الاجتماعية تكون ضعيفة ، ويختلفون في معاييرهم وبالتالي

(1) Bott ; Ibid . p . 251

يصبح الضبط الاجتماعي وتبادل المساعدة أكثر تفككا وأقل دواما . فإذا أقدم شاب وفتاة على الزواج وهما ينتميان إلى شبكة علاقات ضعيفة وجب على كل منهما أن يبحث عن الإرضاء والإشباع العاطفي في الآخر . . ويصبح « التنظيم المترابط » ضروريا جدا لنجاح الأسرة واستمرارها .

ومن المحتمل ان تنمو « شبكة العلاقات الاجتماعية الوثيقة » عندما ينشأ الزوج والزوجة وأصدقاؤهما وجيرانهما وأقاربهما في نفس المنطقة المحلية ويستمرون في المعيشة فيها بعد الزواج . فكثير من الناس يعرفون بعضهم منذ الطفولة . وتميل النساء إلى الارتباط بالنساء والرجال بالرجال . والصداقة التي تقوم بين رجل وأمرأة ليسا من الأقارب تكون موضع ريبة وشك . وفي كثير من الأحيان يقدم الشاب على الزواج من نفس شبكة العلاقات الوثيقة ، وفي هذه الحالة يكون لكل من الزوج والزوجة علاقاته العاطفية الوثيقة مع بعض أفراد شبكة علاقاته . وكل من يرتبط معهم بعلاقات مادية وعاطفية ، وفي هذه الحالة يكون شديد الحساسية لآرائهم وقيمهم ، ولا يرجع ذلك إلى العلاقات الحميمة فقط ، بل أيضا لأن أعضاء شبكة العلاقات يعرف كل منهم الآخر ويشاركه نفس المعايير وبالتالي يستطيعون توقيع الجزاءات على بعضهم البعض .

وطالما بقي الزوجان في نفس المنطقة ، وكذلك أصدقائهم وجيرانهم وأقاربهم فإن شبكة علاقات الزوج والزوجة تظل كما هي دون أي تغيير . فقد يقف الزوج لمحادثة أحد أصدقائه في الطريق ، وخاصة إذا كان يعمل في مكان مختلف . وتصبح الزوجة بعد إنجاب الأطفال أقل اتصالا بصديقاتها وأكثر رؤ ية لوالدتها وأقاربها من السيدات ، واكثر استغراقا في أنشطة مع أقاربها ، كما ان اطفالها يقحمونها في علاقات جديدة وخصوصا مع والدتها التي أصبحت الآن جدة لهؤلاء الأطفال . ويقضي الزوج معظم أوقات فراغه مع أصدقائه ورفقائه أكثر من أقاربه . وتتركز حياته في العمل وبعض اشكال الترفيه بعيدا عن المنزل .

وقد أثبتت البيانات التي جمعتها « بوت » أن شبكة علاقات الزوجة تكون وثيقة

---

(1) Ibid , p . 254

أكثر من شبكة علاقات الزوج مع أصدقائه . ويرجع ذلك جزئيا إلى أن العلاقات مع الأقارب عندها أقوى من ان تتحطم ، خاصة وأنه يتم بين الأقارب مساعدات متبادلة في أوقات ومناسبات متعددة . وفي مقابل ذلك يندر ان يساعد الأصدقاء بعضهم ماديا لأن التزامهم الأول يكون نحو زوجاتهم وأطفالهم ثم والديهم وأخيرا نحو أقاربهم .

وجدير بالذكر ان هناك احتمالا في استمرار العلاقات القديمة بعد الزواج الأمر الذي يجعل في الإمكان إرضاء بعض الاحتياجات الشخصية خارج نطاق الزواج . فالزوجة بوجه خاص تستطيع الحصول على مساعدات في الأعمال المنزلية والعناية بالأطفال . ويصبح التقسيم الدقيق للعمل بين الزوجين ممكنا في تلك الحالة ، ولكن قد تتعارض شبكة العلاقات الوثيقة مع تماسك العلاقة الزوجية ، مثل ان يتعارض ولاء الزوجة لأمها مع علاقتها بزوجها ، أو أن يتعارض ولاء الزوج لأصدقائه مع التزاماته نحو زوجته .

ومن المعروف ان الناس عندما ينتقلون من مكان لآخر تصبح شبكة علاقاتهم ضعيفة . ولهذا إذا تعرض كل من الشاب والفتاة إلى التنقل المكاني قبل الزواج فإن كلا منهم سيجلب معه عند الزواج شبكة علاقات ضعيفة. فكثير من أصدقاء الزوج سوف لا يعرف بعضهم بعضا ، وكذلك صديقات الزوجة . وبمعنى آخر ، تصبح علاقاتهم الخارجية غير دائمة نسبيا سواء في الزمان أو المكان .

إن استمرار الزواج يعتمد في المحل الأول على علاقة كل من الزوجين أحدهما بالآخر أكثر من العلاقات الخارجية ولكي يتمكنا من مواجهة العالم الخارجي فإن على كل منهما أن يقترب من الآخر وذلك بالتأكيد على الاهتمامات المشتركة ، والتنظيم المترابط والمساواة . كما يكون من الضروري ان يساعد كل منهما الآخر بقدر استطاعته ، خاصة إذا لم يوجد أي مصدر آخر لتلقي مساعدات من الخارج سواء كانت مادية أو عاطفية[1].

---

(1) Ibid . pp 254-256

الأسرة المصرية وعلاقاتها الخارجية

لقد أكد «بارسونز» وكل الذين يستخدمون المنظور البنائي الوظيفي في دراستهم «عزلة الأسرة النواة» كما سبق أن أشرنا ، تلك العزلة التي تتيح لها حرية التنقل المكاني والوظيفي وإذا تجاوزنا عن النقد المتزايد الذي يوجه إلى النظرية البنائية الوظيفية فإن استخدامها أمبريقيا في أبحاث الأسرة وخاصة المجتمع الأمريكي وبعض المجتمعات الغربية التي وصلت الى أعلى المستويات في مجال التصنيع والتنكنولوجيا والحضرية جعلها تنتهي الى نتائج لا تتطابق مع النتائج التي أمكن التوصل اليها عند دراسة الأسرة المصرية[1] ولا يقود ذلك إلى الاختلافات المجتمعية بين هذه المجتمعات والمجتمع المصري فحسب ، بل إنه يعود الى المبالغة في تصوير عزلة الأسرة النواة على المستوى النظري والتجريبي ، حقيقة لقد أصبحت شبكة العلاقات القرابية أضيق مما كانت عليه في المجتمعات التقليدية ، إلا أنها ما زالت قوية ووثيقة بغض النظر عن الإختلاف في الدرجة الذي تكشفت عنه مقارنة فئات الأسرة المختلفة ، ذلك الاختلاف الذي يعكس في واقع الأمر مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمهنية . إن اتجاه التغير في المجتمع المصري قد حول الأسرة الى نمط الاسرة نواة ولكنه لم يحولها إلى نمط العزلة . فلا زالت الأسرة المصرية على علاقة بالنسق القرابي ، ولا يوجد دليل حتى مع ازدياد التغيير وبلوغه اعماقا بعيدة ان تفقد هذه العلاقة كلية وتصبح « نواة منعزلة » تماما . وإذا كان مثل هذا الدليل لا يمكن إثباته تجريبيا في المستوى الحالي من التغير ، إلا أن تتبع اتجاه التغير في الأسرة المصرية يمكن ان ينبىء بتغيرها في المستقبل ، وهذا ما يمكن أجماله في النقاط التالية :

أ ـ لم تفقد الأسرة النواة علاقاتها بأسرتي التوجيه لكل من الزوج والزوجة ، ويتوقف نوع هذه العلاقات ومداها على عدة عوامل منها مكان الإقامة والمستوى الثقافي وقد كان يظن ان إرتفاع المستوى التعليمي واشتغال المرأة واستقلالها الاقتصادي وعكوفها على تنمية حياتها الخاصة يمكن ان يقلل الى الحد الأدنى من صلاتها بالنسق القرابي ، إلا ان العكس هو الذي يحدث الآن . حقيقة ان نوع هذه

---

(١) سناء الخولي . المرجع السابق ص ١٥٧ ـ ١٥٩ .

الصلات يختلف عما كان عليه الأمر في الأسرة الممتدة التقليدية ، إلا أن بقاء الصلات ولو كانت ذات طابع مختلف يعكس على التغير العام في المجتمع ، دليل على عدم عزلة الأسرة المصرية النواة حتى في مستوياتها الثقافية العليا .

ب ـ تتحول صلات وعلاقات الأسرة النواة بالنسق القرابي الى نوع من المشاركة الاجتماعية . وقد كان المتوقع حسب نتائج الدراسات الغربية ان تتحول هذه المشاركة الى نطاقات خارج النطاق القرابي ، إلا أن الاصرار على إبقاء جانب كبير من الزيارات والاتصالات الاجتماعية في الدائرة القرابية دليل حاسم على عدم عزلة الأسرة النواة في المجتمع المصري .

جـ ـ هناك اقتناع نظري وعملي بالعون المتبادل حسب الظروف بين الأسرة النواة والأقارب . وهذا يعكس الرواسب القوية لطابع الأسرة الممتددة التقليدية القديمة ، كما يعكس في نفس الوقت الجذور العميقة لنسق القيم في مجتمعنا الذي يقوم في جانب منه على معاونة المحتاج وخصوصا إذا كان من الأقارب « وخفض جناح الذل من الرحمة للوالدين » في وقت يحتاجان فيه الى ذلك ، حقاً قد تنشأ المشاكل بين الزوجين نتيجة لمعنى العون وقيمته ومداه مما يسبب توترات وتصدعات في بعض الأحيان ، إلا أنه غالبا ما تحسم هذه المسائل بالاتفاق على حد أدنى مشترك تسانده قيم المجتمع وضوابطه المختلفة .

د ـ وبالرغم من هذا فهناك ظروف عديدة قد تفرض « العزلة غير الطوعية » على الأسرة وخاصة في مستوياتها العليا (المناطق الحضرية) مثل اختلاف مكان الإقامة عن اسرتي التوجيه او النسق القرابي الكبير أو وجود مشاكل ناجمة عن خلافات قديمة أو الانشغال الزائد في أعمال تفرضها تطلعات الأسرة الى مستوى معيشي أفضل . ولكن نسبة الأسر التي فرضت عليها العزلة قليلة ومحدودة للغاية بالنسبة لبقية الأسر في المجتمع .

هـ ـ إن التغيرات التي تعرض لها المجتمع المصري نتيجة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية حول في مسيرته نمط الأسرة التقليدية الى نمط الأسرة النواة إلا أنه لم يحولها الى العزلة ، فلم تسجل علاقات الأسرة المصرية بالخارج وخاصة بالنسق

القرابي أي تغير أساسي ، كما لم يظهر حتى الآن أي مؤشر عن تغيرها إلى الانعزال في المستقبل ، حقيقة إن مدى علاقاتها يضيق ، الا ان نوعا من هذه العلاقات ودرجة ثانية منها تصر الأسرة المصرية بالرأي والفعل على الاحتفاظ بها .

الفصل الرابع

الزواج والمناخ الاجتماعي

مقدمة

تتحدد علاقات التنظيم الاجتماعي (والأسرة كنوع معين منه) على أساس مجموعة من المتغيرات يجب ان تؤخذ في الاعتبار عند الدراسة ، ومن أجل فهم أفضل تقسم هذه العلاقات إلى قسمين : علاقات داخلية ،وعلاقات خارجية .وقد ثبت ان المعرفة من الداخل لا تكفي ، لأن استبعاد التأثيرات الخارجية يؤدي إلى فصم الوحدة التنظيمية عن الإطار الكبير الذي تنتمي اليه والذي لا يمكن فهمها الا من خلاله ، كما ان قصر الدراسة على الخارج يؤدي إلى إهمال الميكانيزمات الداخلية التي تؤدي إلى عدم فهم طبيعة التفاعل وما يترتب عليه من سلوك ، أو اتجاهات ، كذلك فإن عدم الارتباط عند البحث الامبيريقي وعند التحليل بين العوامل الداخلية والعوامل الخارجية يؤدي إلى عدم إدراك طبيعة المعوقات أو المشاكل أو التوترات او التصدعات التي قد تصيب الوحدة التنظيمية . ولهذا فإن إدراك طبيعة العلاقات الداخلية في الاسرة يتوقف على مجموعة من المتغيرات أهمها الحجم ونوع الأهداف وشكل العضوية وتقسيم الأدوار ، وتوقعاتها ، وطبيعة مركز القوة ، وإمكانيات الأداء والإنجاز ، وعلاقات الأزواج بالزوجات والآباء بالأبناء ، ولا يمكن فهم هذه العلاقات الداخلية بصورة متكاملة الا من خلال الاطار الأوسع الذي تنتمي اليه الاسرة ، والذي تكون معه مجموعة من العلاقات تتأثر بها أو تؤثر فيها ،

ويدخل في ذلك نوع البيئة الاجتماعية والنقافة والمهنة والمستوى الاقتصادي والثقافة العامة بما تحتويه من قيم ومعايير ، والتعليم النظامي ، وغير ذلك من المتغيرات ذات الأهمية المباشرة بالنسبة للأسرة .

وقد ظهر من التحليل المقارن للدراسات التي أجريت في هذا المجال ان الأسرة في مختلف المجتمعات تتأثر داخليا من الناحية البنائية بالتغيرات الاجتماعية ، ويبدو هذا واضحا في تحول الأسرة التدريجي الى نمط الأسرة النواه مما أدى إلى تعديلات واضحة في أبعادها البنائية الداخلية ، حيث أصبحت العلاقات بين اعضائها أكثر كثافة بالمقارنة بالعلاقات التي كانت تميز الأسرة الممتدة التقليدية ، ولهذا تطرح موضوعات تشغل بال الأسرة الآن بصورة واضحة مثل المساواة والحرية والديمقراطية والمشاركة في السلطة والمسئولية .

الا أن الأسر بفئاتها المختلفة لا تتأثر بنفس الدرجة بالتغير الاجتماعي في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، حيث ظهر ان التأثر بهذه التغيرات مسأله درجة في المحل الأول أو بمعنى آخر لا تحدث التغيرات تأثيرات متشابهة على أنماط الأسر المختلفة ، لأن إمكانية الاستجابة للتغير ترتهن بمجموعة من المتغيرات لا تحدث تأثيراتها الا إذا توافرت ظروف معينة ليست متاحة بالفعل لكل أسرة ، ولهذا فإن الحديث عن التغير الاقتصادي والتغير الاجتماعي والتغير التكنولوجي من حيث أن كلا منها أو جميعها له تأثير مباشر على تغير الأسرة ليس حتميا .

وتعتبر المهنة المحك الأساسي في تصنيف الأسر إذ يمكن من خلالها التعرف على أبعاد التغير وتأثيره ، نظرا لأن المهنة (مهنة الزوج) لا تزال مؤثرا له أهميته وخطورته في تحديد المستوى الاقتصادي ، والمستوى التعليمي ، ونوع المشاركة الاجتماعية للأسرة . كما أنها لا تزال مؤشرا على نوع البيئة الاجتماعية والثقافية وربما مكان السكن أيضا . تلك المسائل ذات الأهمية البالغة التي تحدد نوعية الأسرة ومدى تقبلها للتغير والتجديدات وأساليب التنشئة الإجتماعية التي تأخذ بها أطفالها وهكذا نرى أن هذه المسائل لا يمكن اغفالها او استبعادها في فهم بناء الأسرة .

الزواج في الماضي والحاضر

سبق أن أشرنا إلى أن الرجال والنساء يكمل كل منهما الآخر ، إلا أن هذه التكاملية ليست واضحة ومحددة تماما نظرا لتباين الخصائص ونوعية العلاقات التي يكونونها.ولكن الطبيعة التكاملية للجنسين تظهر بوضوح في نواح معينة مثل أنماط السلوك العاطفي والجنسي والانجابي وهي الانماط التي تعتبر عالمية ودائمة . وبقول اخر يمكن اعتبار الطبيعة التكاملية للجنسين اكثر مرونة وأكثر قابلية للاستجابة للمؤثرات الثقافية . ومن هنا يمكن ان تكون موضوعا للتغير ، ويبدو هذا واضحا في التغيرات التي تعرضت لها أدوار الجنسين في الوقت الحاضر نتيجة للتغيرات المجتمعية والمهنية والتعليمية والتي أثرت بالتالي في الزواج وفي حياة الأسرة وهكذا يتفق علماء الاجتماع على أن أدوار الجنسين المتوقعة والواقعية ترتبط إلى حد كبير بالطبقة الاجتماعية والاقتصادية والمستوى التعليمي

وقد كانت الأسرة في الماضي وإلى وقت قريب وفي كثير من المجتمعات المعاصرة تعتمد كلية على الرجل « الزوج والأب » من حيث الإعالة ، ويعتمد على المرأة « الزوجة والأم » في القيام بالأعمال المنزلية وإنجاب الأطفال ورعايتهم .ونتيجة لهذا التقسيم الواضح في العمل كان الرجل هو رئيس الأسرة وله السلطة على كل من زوجته وأطفاله . وكانت هذه السلطة مؤيدة ومدعمة بالعرف وإلى حد ما بالقانون ويعني هذا أن العمل كان مقسما بصورة واضحة بين الجنسين في كل من عالم المنزل وعالم العمل خارج المنزل ، وكان من السهل أيضا ان نتكلم عن « عمل الرجال » و« عمل النساء »

ولقد كانت هناك قيود كثيرة تفرض على الزواج ، حتى لم يكن يسمح للجنسين بالالتقاء الحر بأي صورة من الصور ، وإذا اتيح ذلك تمهيدا للزواج فإنما يتم في حضور بعض الأقارب أو أحدهم على الأقل لتحقيق القدر الملائم اجتماعياً في المراقبة على السلوك ، بل وعلى مضمون الحديث الذي يدور بينهما ، وهكذا لم تكن تتاح للفتى او الفتاة أي فرصة للتعرف الطبيعي على خصائص الأخر وطبائعه وميوله نظرا لما يطغى على هذه المواقف من تصنع وافتعال وارتباك وهذا لا يعني ان مشاعر الحب بين الجنسين لم تكن موجودة في الماضي ولكن الظروف الاجتماعيه الصارمة كانت

تقف دائما في سبيلها . ولذلك كان الكثيرون يعتقدون في إمكانية نجاح الزواج ودوامه في غياب الحب . ولهذا السبب ، وفضلا عن مقاومة المجتمع لفكرة الطلاق وتقسيم العمل الذي يجعل الزوجة تعتمد على زوجها من الناحية الاقتصادية فإن معدل الطلاق في الماضي كان منخفضا للغاية بمقارنته بالمعدلات الحالية ، ومن ناحية أخرى كان الزواج واجبا اجتماعيا مقدسا لا بد أن يعمل الزوجان على نجاحه واستمراره ، لأن الزواج كنظام أهم من الأشخاص المكونين له ، أما الآن فإن الزواج يعتبر أقل أهمية من الأشخاص المكونين له وبالتالي فإنه ينحل إذا لم يحقق التوقعات الشخصية .

ونظرا لأن المجتمعات المحلية في الماضي كانت صغيرة الى حد ما وكان الرحيل خارجها أو الاتصال بالمجتمعات الأخرى بطيئا وصعبا فإن ضغط الجماعة الأولية كان له وزن وتأثير كبيرين . ويضاف إلى ذلك أن الجماعات كانت تعيش معا ، وتعمل معا ، وتتاجر أحدها مع الأخرى ، ويمارس اعضاؤها الطقوس الدينية معا ، ويلهون معا،ويتبادلون المساعدة في مجتمع المواجهة اليومية Face to Face Society .وأيا كان نوع الظروف والعلاقات داخل نطاق الزواج فإنه كان مقيدا إلى حد كبير ، بالقوى التي تضغط عليه من الخارج .

وبالقاء نظرة على وضع الأسرة في الوقت الحالي نجد ان العامل الاقتصادي ما زال من أهم العوامل ، كما أن العوامل الرئيسية الأخرى في حياة الأسرة ما زالت قائمة مثل تقسيم العمل تبعا للجنس ، والإعالة والحماية وتبادل العون ، وانجاب الأطفال وتربيتهم ، والقيام بالأنشطة الانتاجية ، وتعليم الأطفال ، بالإضافة إلى ممارسة الأنشطة والطقوس الدينية ، كل هذا يحدث من خلال الأسرة وداخلها ، ولكن الجديد في الأمر هو ان الصورة تغيرت بحيث انتقل كثير من هذه الأنشطة (إلى درجة معينة على الأقل) إلى هيئات أخرى خارجية غير عائلية ، وهذا انتزع بعض ما كان يتمتع به الزواج من تأييد اجتماعي من قبل ، ليس بمعنى تناقص الموافقة الإجتماعية على الزواج ولكن بمعنى تناقص القوى الخارجية الاجتماعية والنظامية التي تعمل على المحافظة على فعالية الزواج البنائية . فقد أصبح الاهتمام في الوقت الحالي يتركز على محاولة معرفة نوعية مشاعر الأفراد من الجنسين نحو

بعضهم ، وأي نوع من العلاقات يكون بإمكانهم إقامتها . وباختصار اصبح هناك تأكيد أقل على المظاهر النظامية التقليدية وأكثر على المظاهر الشخصية للزواج والحياة الأسرية . ويمكن التأكد من حدوث هذه التغيرات بطرق عديدة ، ومع ذلك فإنه يلاحظ انه لا توجد أي فترة في التاريخ أو عند أي شعب من الشعوب نجح فيها الزواج القائم على العاطفة فقط . فهناك دائما درجة ما من التعاون تنبثق من خلال تقسيم العمل بين الجنسين تعمل على المحافظة على طريقة الحياة وأسلوبها .

ومن الجدير بالذكر ان الشباب أصبح لهم درجة من الحرية أكبر بكثير من تلك التي كانت لهم في الماضي فهم يشعرون الآن بحرية اكثر في التحدث عن موضوعات تتعلق بالجنس والانجاب والعلاقة الزوجية بالمقارنة ببعض الأشخاص المتزوجين فعلا في الماضي ، حيث كان هؤلاء يتحاشون التحدث في مثل هذه الموضوعات حتى بعد أن ينجبوا أطفالا .

أما بالنسبة للشروع في الزواج فقد اصبح « الحب » هو العنصر الرئيسي المسيطر في الوقت الحالي،«فالزواج بسبب الحب Marrying for love»يتضمن تأكيدا أوليا على العاطفة ، وعلى كيفية شعور فردين كل منهما تجاه الآخر وعلى مدى رضائه الشخصي . وهكذا تظهر مقاييس جديدة يقاس على أساسها مدى النجاح أو الفشل في الزواج . وتصاحب هذه الاتجاهات الجديدة مشاكل جديدة أيضا ، لأن الأفراد حينما لا يجدون في الزواج الارضاء والإشباع الذي كانوا يتوقعونه ، فإنهم يشعرون بالرغبة في الفرار والتخلص من هذا الارتباط وتساعد التغيرات الاجتماعية الأخرى على تسهيل هذه العملية . هذا إلى جانب تأثير جانبي آخر يمكن ان ينتج بسبب الزواج من أجل الحب فقط بغض النظر على أية عوامل أخرى وهو زيادة درجة عدم الاستقرار الزواجي وبالتالي ارتفاع معدلات الطلاق .

وعموما فإن معظم الزيجات في الوقت الراهن تتم عن طريق الاختيار الحر الا ان مفهوم هذا الاختيار يختلف باختلاف الطبقة والمجتمع الذي ينتمي اليه الزوجين ، فهو يعني بالنسبة للفئات الحضرية تبادل الحب قبل الزواج والتعارف الشخصي الوثيق بين الفتى والفتاة وهنا يظهر أثر المناخ الاجتماعي في تيسير مثل هذه العلاقة ،

ذلك أن اتاحة الفرصة امام الفتاة لتلقي العلم مثل الفتى ووجودها الى جانبه في ميادين العلم والعمل خلق ظروفا متعددة للتفاهم والحب قبل الزواج . لكن مفهوم الاختيار الحر لا يحمل نفس المضمون بالنسبة لكل فئات الأسر في المجتمع . فإذا كان يعني الاختيار الفردي نتيجة للتفاعل ونتيجة لمفضلات معينة وقيم خاصة عند الفئات الحضرية ، فإنه يعني عدم وجود عنصر القسر والاكراه عند الفئات الريفية ، حيث لا زالت هناك رواسب عديدة ثقافية واجتماعية متخلفة من الاسرة الممتدة التقليدية تحكم عملية الاختيار وأسلوب إتمام الزواج والعلاقات التي تسبقه ، الا ان هناك اتجاها يتزايد ظهوره في إعطاء حرية اكبر نسبيا في لقاء الخطيبين ، ولعل تأثير وسائل الاعلام في هذا الصدد أمر جدير بالتسجيل .

وعلى عكس الزواج في الماضي ، فقد تغيرت مفاهيم الدور بالنسبة للجنسين وكذلك الأدوار المتوقعة لكل من الزوج والزوجة في معظم المجتمعات المتقدمة وإلى حد ما في المجتمعات النامية وخاصة في الفئات المثقفة منها . ومعنى هذا ان كل جنس أصبح يتوقع منه ان يقوم بعدد كبير من الأدوار ، إلى جانب إجادة نوعيات واسعة من الأشياء .

دور الزوج

يسير كثير من المجتمعات في الوقت الحاضر نحو نمط للمساواة في حياة الأسرة[1] . إلا أن كل الجماعات لا تتحرك نحو هذه الغاية بنفس المعدل فهناك اختلافات بين القطاعات المختلفة للمجتمع ، وحتى في نفس الجماعة لا تكون الأسر متماثلة بالضرورة . والنتيجة هي أنه بينما يتبنى كثير من الرجال الدور الجديد للزوج والأب فإن رجالا آخرين يحتفظون بأدوار الرجال التقليدية . ومن ثم فإن التعميمات التي سوف نستعرضها الآن ليست مطبقة عالميا ، ولكنها موجودة حاليا وخاصة في المجتمعات المتقدمة ويتزايد ظهورها وانتشارها في المجتمعات الأخرى بمرور الوقت .

فعلى الرغم من التغيرات الإجتماعية العديدة ما زال متوقعا من الذكر أن يكون

(1) Goode, William J. « World Revolution and Family Patterns », The FreePress, New - York 1963

العائل الاول لأسرته . وكثيرا ما نرى الزوجات يطلبن الطلاق من منطلق ان الأزواج عاجزون عن إعالتهن . ومع ذلك ، فليس من الضروري ان يكون الزوج هو العائل الوحيد ،وذلك نظرا لأن عددا متزايدا من الأسر أصبح الزوجان فيها يتقاسمان هذا الدور .

وتبعا للتعريف الرسمي ، فإن الزوج ـ الأب يعتبر رئيس الاسرة إلا أن المناخ الإجتماعي المتغير أثر في نوعية العلاقات الداخلية في الاسرة من حيث علاقة الزوج بالزوجة والآباء بالابناء ، وإذا كان الرجل ما زال رئيس الأسرة فإن هذه الرئاسة لم تعد بنفس التسلط والعنف الذي كان عليه في الاسرة الممتدة التقليدية ، لاسباب عدة بعضها اجتماعي (مثل ارتفاع مستوى التعليم) وبعضها تسبب عن التصنيع والتكنولوجيا (مثل ابتعاد مكان العمل عن المنزل ، وفتح أبواب العمل أمام المرأة ، وتطلعها إلى دور أكثر فعالية في أسرتها[1] .

والملاحظة الجديرة بالاهتمام أن الرئاسة في الاسرة تختلف باختلاف الطبقة التي تنتمي اليها ، وهذه النتيجة تبرز أن الاختلاف الثقافي واختلاف الطبقة الاجتماعية التي تنتمي اليها الاسرة يغير إلى حد كبير النظرة إلى موضوع رئاسة الاسرة . فغالبية الأزواج في الفئات الحضرية المثقفة يؤكدون مشاركة زوجاتهم لهم في رئاسة الأسرة (حتى وإن كانت الزوجة غير عاملة) وهذا يرجع الى ارتفاع مستواهم الثقافي وتغير نظرتهم إلى الحياة . وبالاضافة إلى أن نسبة عالية من الزوجات في هذه الفئة يعملن ويشاركن مشاركة إيجابية في نفقات المنزل ويتحملن مسئولية اسرهن إلى جانب ازواجهن ، أما الزوجات في الفئات الفقيرة فإنهن في أغلب الأحيان يعتمدن على أزواجهن من الناحية المادية ، بالاضافة إلى أن التقاليد المتوارثة والمتعارف عليها في هذه الفئات تجعل من رئاسة الرجل المطلقة للاسرة شيئا منطقيا ومقبولا [2] .

ومع ذلك فما زال للرجل الحق القانوني في تحديد مكان إقامة اسرته ، إلى درجة يمكن معها ان يطلق زوجته إذا هي رفضت الاقامة في المسكن الذي يختاره او الذي

---

(١) سناء الخولي (الأسرة في عالم متغير) الهيئة العامة للكتاب . بيروت ١٩٧٤ . ص ١٥١

(٢) نفس المرجع . ص ١٥٢

تقتضيه ظروف عمله بغض النظر عن ظروف عمل الزوجة . وبالرغم من الاتجاه الواضح نحو مشاركة الزوجين في اتخاذ القرارات المتعلقة بالاسرة وفي بعض الاحيان إشتراك الابناء ايضا في هذه القرارات خاصة تلك التي تتعلق بهم فما زال كثير من الذكور يعتقدون بان الزوج له حق طبيعي او موروث يتيح له التعبير عن رأي الاسرة . ويعبرون عن ذلك بقولهم « إذا اختلف الزوجان في أمر من الامور فإن رأي الزوج هو الجدير بالاخذ به لأنه الذكر وله الكلمة الاخيرة والحق في اتخاذ القرار » ؟ ومثل هذا الموقف يعكس الإتجاهات التقليدية بصورة واضحة ، إلا أن هذه السطوة الذكورية لا تجد قبولا عند كثير من الزوجات في الوقت الحاضر .

ومن المناسب هنا أن نلاحظ إن هناك فرقا بين اتخاذ القرار في مظهره الخارجي ، وعملية اتخاذ القرار التي قد تخضع لمشاورات ومناقشات واختلافات . فالاسرة ليست جماعة (تنظيم) بيروقراطية تتسلسل فيها الرئاسات وتتركز سلطة اتخاذ القرارات في أيدي صفوة معينة ، كما أن عملية اتخاذ القرارات لا تخضع لنفس الاسلوب الذي تخضع له في هذه التنظيمات ، بل إن مسائل الاسرة من المرونة وفي بعض الاحيان من عدم التحديد الدقيق ما تخضع معه للاراء المتناقضة والحوار الذي قد يستمر وقتا طويلا ، ولكن هناك في الاسرة مسائل تحتاج إلى قرار حاسم وخاصة في المسائل المتعلقة بزواج احد الابناء والادخار والاستدانة والسفر والتعليم والرعاية الصحية في حالة المرض ، وغالبا ما يظهر الرجل في بعض الامور كأنه صاحب القرار ومنفذه على الرغم من أن القرار ذاته تعرض لمناقشات عديدة داخل الأسرة قبل إن يتبلور في صورته النهائية[1] .

وبالنسبة لدور الرجل كأب فإنه لم يعد في الوقت الحاضر مجرد أب بيولوجي وعائل لاطفاله وفارض للنظام والانضباط عليهم ، فكثير من الاباء اليوم يشاركون اطفالهم حياتهم ، ويحاولون فهم مشاعرهم والتعاطف معها ، كما يعلبون دوراً هاما في تربيتهم ورعايتهم ، وفي بعض الاحيان يلتحق بعضهم بالدراسة ليعدوا أنفسهم لكي يكونوا آباء صالحين ، أو يقرأون كتبا في علم نفس الطفل تساعدهم على فهم

---

(١) سناء الخولي . نفس المرجع ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣

تصرفات أطفالهم ، وهؤلاء الآباء لا يخجلون إذا رآهم احد يعتنون باطفالهم او ينزعون ملابسهم بأنفسهم وإذا كبر الابناء فإن الآباء يقدمون لهم المساعدات المالية والإجتماعية حتى بعد زواجهم إذا أمكنهم ذلك .

وهناك شعور متزايد في الوقت الحاضر بأن المنزل لم يعد مجرد مأوى للرجل او مكان لراحته بل أصبح مكانا للحياة المشتركة ، فالتحديد القاطع لتقسيم العمل تبعا للجنس في الاسرة انهار الى حد كبير ، ولم يعد من الممكن ان نتكلم عن « عمل الرجال »و«عمل النساء» كما كان يحدث في الماضي . إلا أن هذا الاتجاه لا ينطبق على كل الأزواج ، فما زال الكثيرون منهم يقاومون فكرة المشاركة في الاعمال المنزلية وخاصة تلك التي تقلل من رجولتهم أو مكانتهم في الأسرة كما يعتقدون . ومن الملاحظ ان كثيرا من الزوجات يرفضن قيام ازواجهن بأي شيء في الأعمال المنزلية لعدة أسباب ، منها توافر وقت الفراغ بالنسبة لهن . أو امكانية الاستعانة بالخدم ، أو استعمال الأدوات المنزلية الحديثة التي توفر الجهد ، أو الاستعانة بالاطفال عندما يصلون الى سن تسمح لهم بالمساعدة ، ويرجع رفض البعض منهن لمساعدة الرجال إلى ان بعض الرجال عندما يتعلمون كيفية القيام بالأعمال المنزلية يبدأون في التدخل في كل صغيرة وكبيرة مما يضايق الزوجات .

وهناك مجموعة أخرى من العوامل تحدد مدى امكانية مشاركة الزوج في الأعمال المنزلية مثل الوقت المتاح له والأعمال التي يمكن ان يقوم بها بعد اوقات العمل الرسمية ، وأيهما يقوم بالعمل بصورة أفضل ، ومهارات واهتمامات كل منهما ، واتجاه كل منهما نحو دوره الخاص ودور الأخر ، ونوع الزواج الذي يتوقعه كل منهما ، وكيف يقدر كل منهما وقت الفراغ الذي يقضيه مع الآخر . فالمتوقع من زوج اليوم ان يكون رفيقا لزوجته ، يشاركها وقت الفراغ والانشطة الإجتماعية والترفيهية . ونظرا للمعرفة الحالية التي تتيح للرجل التعرف على طبيعة المرأة العاطفية والجنسية فإنه يتوقع من زوج اليوم أيضاً أن يكون شريكا لزوجته في الحب والجنس معا بصورة تختلف عن الماضي ، فكثير من الأزواج اليوم لا يجدون المتعة في تحقيق الإشباع الجنسي بالنسبة لهم فقط بل يحرصون على إرضاء زوجاتهم

والمؤشر الأخير لنجاح الرجل أو فشله كزوج يكون عن طريق شخص واحد هو زوجته ، وهذا يقوم أولا (ولكن ليس بصورة نهائية) على أي نوع من الأشخاص يكون الزوج وما هو شعور زوجته نحوه . وهذا التقييم للزوج ينبعث من فروض ثقافية خالصة مثل مدى تماثله للمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع ونجاحه النسبي في التوافق مع المقياس الذي يعكس المظاهر النظامية للزواج . فالرجل يمكنه ان يصبح محل إعجاب زوجته وأبنائه وأصدقائه إذا أتيحت له مجموعة من الخصائص مثل : أن تكون له مكانة رفيعة في عمله ، وان يمد أسرته بكل ما تحتاج إليه ، وان يتحلى بأخلاق حميدة ، وأن يكون أبا طيباً حنوناً . ولكن إذا لم تستطع الزوجة الاستمرار في حب زوجها ولم يستطيعا الحياة معاً في سعادة فإنه يقال في هذه الحالة أنه فشل كزوج والعكس صحيح أيضا .

وهكذا يمكن تعريف الدور المتوقع للزوج او الزوجة من طريق المجتمع على اتساعه ، ومن ناحية أخرى عن طريق أذواق الزوجين واتجاهاتهما وامانيهما وتوقعاتهما وافتراضاتهما وميل كل منها نحو الآخر .

دور الزوجة

إن اختيار المرأة لدورها في الحياة أصبح معقداً إلى حد كبير ، وذلك لتعرضها لضغوط قوى عديدة . فهي من ناحية تخضع لضغط التقاليد والطبيعة البيولوجية التي تدفعها في اتجاه الأعمال المنزلية والأمومة . ومن ناحية أخرى الفرص التي أصبحت متاحة أمامها في عالم الوظيفة والعمل والأجر . ويواجه اختيار المرأة بالعقبات نتيجة لأربعة عوامل : الزواج ، والأعمال المنزلية ، وإنجاب الأطفال وتربيتهم ، والوظيفة . ويمكن النظر إلى هذه العوامل منفصلة ، فالمرأة يمكن ان تتزوج دون أن تقوم بالأعمال المنزلية . كما أن ظهور وسائل منع الحمل العديدة يتيح لها ان تتزوج ولا تنجب إلا إذا أرادت . كما يمكنها ان يكون لها منزل دون ان تتزوج ، وكذلك الوظيفة يمكن ان ترتبط ببقية العوامل بطرق عديدة . والعامل الوحيد الذي لا يلقى قبولا اجتماعياً هو أن تكون المرأة أما دون ان تتزوج . وكنتيجة لإمكان انفصال هذه العوامل المشار إليها ، أصبحت المرأة المعاصرة تواجه عدداً أكبر من المتغيرات بالمقارنة بتلك التي كانت تواجهها المرأة في الماضي ، وبالتالي أصبح اختيارها للأدوار

التي تقوم بها أكثر تعقيداً . ويرى البعض أن الإختيار في الوقت الحالي أسهل نتيجة لوجود عدة متغيرات يمكن الإختيار منها والمفاضلة بينها تبعا لظروف كل امرأة بعكس الحال في الماضي عند ما كانت النساء جميعاً أمام اختيار واحد ليس له بديل . فقد كان الزواج والأعمال المنزلية والإنجاب مرتبطين كمجموعة متجانسة وليس امام المرأة سوى متغيرين (الزواج أو البقاء بدون زواج) ومعظم النساء كن يخترن الزواج . كما ان نسبة ضئيلة جدا من النساء كانت لهن وظائف يحصلن منها على أجر .

وإلى جانب وظيفة الزوجة الإقتصادية (العمل) يكون لها دور آخر اقتصادي واجتماعي باعتبارها شريكة لزوجها في (عمله) وما يعود عليه منه من أجر أو مكانة اجتماعية . والدليل على ذلك اختلاف الأدوار بالنسبة لزوجة الفلاح إذا قورنت بزوجة البحار ، وزوجة رجل الدين إذا قورنت بزوجة رجل الأعمال ، وزوجة الكاتب إذا قورنت بزوجة الطبيب وهكذا . . .

ويلاحظ ان الزوجة في الماضي كانت قادرة على إنتاج العديد من السلع التي تستخدمها الأسرة ، وقد تحول هذا الدور الإنتاجي في الوقت الحالي إلى دور استهلاكي ، ولذلك يتوقع منها ان تجيد فن الشراء . إلا أن التحول في هذا الدور ليس نهائياً ولا يشمل جميع النساء ، فما زالت الكثيرات منهن يصنعن الملابس والحلوى والخبز ويزرعن الخضروات ويقمن بحفظ الأطعمة ولكن لا يتم هذا إلا حين تتوفر الظروف لذلك . هذا بالإضافة إلى أن الإتجاه التقليدي نحو تفضيل الأطعمة المصنوعة في المنزل ما زال يسيطر على المناخ الثقافي الى حد كبير .

وخلاصة القول ان دور الزوجة المعاصرة مختلط إلى حد ما ، فقد أصبحت مستقلة إلى حد كبير من حيث التوجيه والمراقبة وأصبح لها حرية أكبر في الإختيار مع التقدير الكامل لرأيها واختياره ومع ذلك فما زالت تحظى بعناية ورعاية يساندهما القانون والرأي العام . ففي بعض الأحيان يكون لها حقوق على زوجها كأن تطلب الطلاق منه لأنه لا ينفق عليها أو تجعله مسئولا عن ديونها ، او يكون لها الحق في أن تحصل منه على نفقة . . الخ .

وأخيراً وكما سبق أن أشرنا فإن دور الزوجة يستند أساسا إلى تعريف الزوج له

وتقديره لمدى نجاحها أو فشلها في إنجازه والقيام بمتطلباته . وهي تواجه في أدائها لدورها بالمقاييس الثقافية في المجتمع وبالمعايير المتعلقة « بالزوجة الصالحة » ولكن إذا خابت أمال زوجها فيها ولم يستطع الاستمرار في حبها ولم يتمكنا من المعيشة معا في تفاهم وسعادة فإنها تكون في هذه الحالة فاشلة كزوجة .

مشاكل المرأة العاملة المتزوجة

من الملاحظ ان المرأة كانت تعمل ولا تزال في الريف وهي تعمل الآن في المجتمعات الحضرية والصناعية لتسهم في الانعاش الاقتصادي للاسرة ، مع الإختلاف الواضح في طبيعة العمل وأسلوب أدائه . فالمرأة إذن تعمل دائما ، ولكن عملها يختلف باختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية المحيطة بها . والسؤال الذي يطرح دائما هو : ما هي آثار عمل المرأة المتزوجة على تغير الأسرة ؟ وهل يؤدي عمل الزوجة إلى انحراف الأطفال ؟ او تزايد المشاكل الشخصية ؟ وكيف تكون العلاقة الداخلية بين أفراد الأسرة التي تكون الزوجة فيها عاملة ؟

وباستعراض المراحل المختلفة لحياة المرأة الأسرية وتأثيرها على حياتها الوظيفية ، نجد أنها في المرحلة الأولى ، عندما تكون غير متزوجة ، يصبح في استطاعتها العمل مثل الرجل تماما وبنفس الكفاءة . لكن المرأة تواجه دائما صعوبة في كيفية التوفيق بين عملها وبين واجباتها المنزلية ، وهي في هذه الحالة يجب ان تختار بين :

أ ـ محاولة جعل متطلبات الحياة الوظيفية تتلاءم مع المراحل المختلفة لحياتها الأسرية .

ب ـ محاولة جعل متطلبات حياتها الأسرية تتلاءم مع حياتها الوظيفية .

ويلاحظ أنه في المرحلة الأولى لا تكون للمرأة (غير المتزوجة) مشاكل انثوية خاصة ، ولكن جهدها يقتصر على التكيف مع الحياة الوظيفية ، أما في المرحلة الثانية (زوجان بدون أطفال) فتكون أعباء المرأة العائلية أكثر من الرجل في نفس الظروف . بل ان الزوج قد يكون احيانا معوقا لحياة زوجته الوظيفية إذا : (أ) اراد حياة اجتماعية مليئة بالصداقات مع كثرة الضيافات ، دون ان يشارك في عمل

شيء ، والقاء التبعية كلها على الزوجة ؛ (ب) ان يضع نجاحه في العمل قبل أي شيء آخر وينظر إلى عمل زوجته على أنه مجرد مورد مالي . إلا أن المرحلة الثالثة (زوجان مع أطفال صغار) فهي بلا شك اصعب فترة بالنسبة للمسئوليات الأسرية التي تكون ثقيلة جدا حيث يبدو واضحا صعوبة التوافق مع الحياة الوظيفية[1] .

وقد كان التحاق المرأة بالعمل في الماضي يقابل بالاحتجاج من المجتمع بعكس ما هو حادث في الوقت الحالي ، إذ تشجع كل أسرة بناتها على إتمام تعليمهن والإلتحاق بالعمل ، كما يفضل الشباب المعاصر الزواج من فتاة عاملة . والسؤال ليس ضرورة ومشروعية عمل المرأة المتزوجة ولكنه عن ملاءمة أو استمرار امرأة متزوجة لها مهاراتها الخاصة وشخصيتها ومزاجها واهتماماتها وعلاقاتها بزوجها في العمل في مهنة معينة ، وخاصة إذا كانت الظروف المحيطة بالمرأة المتزوجة تحدد نوع المهنة التي يمكن أن تلتحق بها ، وحين يكون معروفا ما للمهنة من تأثيرات على المرأة وعلى زوجها وعلى أطفالها . إن كل هذا يعتمد على عوامل عديدة مثل الوقت الذي تقضيه في العمل ، ودرجة شعورها بالارهاق والتعب ، ونمط العمل ، ومقدار الدخل الذي تحصل عليه ، وعموما لا يوجد من يستطيع تقييم كل هذه العوامل سوى الزوجين .

أ ـ أطفال المرأة العاملة

إن المشاكل التي تتعرض لها الأم العاملة وأطفالها تعتمد أساسا على نوعية المرأة ذاتها ، ونوع العلاقة التي تقيمها معهم ، ونوع الرعاية التي تقدمها لهم ، ومدى استمتاعها بعملها[2] وفي هذا الصدد يقال إن عمل المرأة يقدم للأطفال فرصة للتعاون والتعلم في المنزل والاعتماد على النفس ، أو تفرض عليهم أعباء ثقيلة لا يتحملها إلا البالغين . وإذا حكمنا على المرأة العاملة والأم بالإدانة كما يفعل الكثيرون فنحن نتهم ظلماً عدداً كبيراً من النساء اللائي لا تقدم لهن الظروف بديلا

(1) Josette de Bellefonds, «Woman and Engineering» in impacts of Science on Society, Vol. XIV (1954) N° 4 Unesco, p. 257.

(2) Nye F. Ivan and Lois W. Hoffman (eds.): «The Mother in America», Rand McNally and Company, Chicago, 1963.

للعمل . والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة كالارامل والمطلقات وهؤلاء اللاتي لا يكسب ازواجهن ما يفي باحتياجات الأسرة والأطفال . لهذا يعتبر التحاق المرأة بالعمل في مثل هذه الحالات وغيرها عملا ممتازا بالنسبة للأسرة إذ تضحي المرأة براحتها في سبيل إستقرار اسرتها . ومن الجدير بالذكر أن وجود الأم في المنزل لا يضمن نجاح علاقتها بزوجها وأطفالها ، وهنا يرى الكثيرون ان الوقت الطويل الذي تقضيه الأم مع أطفالها ليس دليلا على « الأمومة الصالحة » لأنه إذا كانت لدى المرأة رغبة شديدة في الالتحاق بالعمل وتشعر أن اطفالها يعوقونها عن تحقيق ذلك فإن علاقاتها بهم قد تتأثر سلبيا إلى حد كبير[1] .

ب ـ انهيار تقسيم العمل خارج المنزل

لا يمكن النظر إلى انهيار تقسيم العمل خارج المنزل على أنه نتيجة لإلتحاق المرأة المتزوجة بالعمل ولكنه يرجع بوجه عام إلى تدفق النساء الشديد نحو المهن المربحه ، ومعظم هذه المهن كانت من قبل حكرا على الرجال . وقد ساهمت النساء المتزوجات ايضا بوفرة وغزارة في ذلك التدفق . وعموما نستطيع القول أنه حدث تسلل من كلا الجانبين (النساء والرجال) فقد أصبح الرجال في الوقت الحالي يدخلون مهنا كانت في الماضي حكراً على النساء ، كما تقتحم النساء مهناً كانت في الماضي حكرا على الرجال ، لدرجة أنه من الصعب في الوقت الحاضر أن نجد مهنة قاصرة على جنس واحد . ونتيجة لهذا الانهيار في تقسيم العمل بدأ المفهوم التقليدي القديم عن « عمل الرجال » و« عمل النساء » يختفي بالتدريج . إلا أن مشاركة النساء للرجال في نفس المهن يؤدي دون شك إلى زيادة حدة التنافس والصراع بينهما .

حـ ـ انهيار تقسيم العمل في المنزل

إن الخط التقليدي الواضح الذي يميز بين « أعمال الرجال » و« أعمال النساء » في المنزل لم يختلف تماما ، إلا أن هذا التقسيم أصبح أقل وضوحا وتحديدا عما كان عليه في الماضي . وقد نتج هذا الوضع عن مجموعة من العوامل منها إقبال النساء المتزوجات على العمل . والسؤال الذي يمكن ان نطرحه هنا هو إلى أي مدى يمكن

---

(1) Ramsey, Glenn V., Bert Kruger Smith and Bernice Milburn Moore, «Woman View their Working World», the Hogg Foundation for Mental Health, University of Texas. Austin 1963.

أن يشارك الزوج في الأعمال المنزلية ؟ وهنا قد تنشأ المشاكل التي تختلف تبعا لمدى تمسك الزوجين بالمعايير التقليدية لتقسيم العمل . فبعض النساء يلاحظن غير راضيات ، لعدم مساعدة ازواجهن لهن في القيام بالأعمال المنزلية ، بينما ترفض أخريات تماما أي مساعدة من الأزواج حيث تعتقد الكثيرات منهن أن الأزواج الذين يشاركون في تلك الأعمال يصبحون منافسين لزوجاتهم في المجالات التي يتفوقن فيها وبالتالي فإن هذه المساعدات قد تكون مصدرا للشجار والمتاعب وجدير بالذكر أن كثيرا من الأزواج يغضون الطرف عن مظاهر الإهمال والقذارة في منازلهم حتى لا تطالبهم الزوجات بمساعدتهن .

د ـ المكانة النسبية

كانت مكانة النساء في الماضي تقيم على أساس ما تفعله كربة منزل . وبالتالي فلم تكن هناك أية مشكلة عند الحكم على مكانتها . أما اليوم فإن بإمكانها ان تختار بين مكانتها كربة منزل ومكانتها كإمرأة عاملة لها مركزها في عالم العمل . وتفضل بعض النساء الوضع الأول بينما يفضل البعض الآخر الوضع الثاني . وهؤلاء يقعن في نفس الخطأ الذي ينسب في العادة إلى الرجال وهو الاستخفاف بأهمية النساء ,كربات بيوت وإعطاء الأعمال المنزلية مكانة أدنى . وكثير من النساء يقدرن ويفخرن بأدوارهن كربات منازل ، ويستعضن باقتناع عن المكانة التي تأتي من « الخارج » Outside بتلك التي تأتي من « الداخل » Inside . بسماهمتهن الفعالة في سبيل تحقيق رفاهية وراحة اسرهن داخل جدران المنزل الأمر الذي يعتبر هدفا ساميا في حد ذاته ، ويشعرن بالرضى والسعادة عندما تقمن به بجدارة .

وعلى الرغم من جميع ردود الفعل المناهضة والإعتراضات التي تنظر إلى ما يسمى بالأعمال المنزلية Homemaking على أنها مهنة زائفة ، أو أنها شكل من أشكال الاستعباد . فإنها ما زالت المهنة الرئيسية للنساء سواء كن متزوجات أو غير متزوجات ، أمهات أو ليس لهن أطفال ، عاملات أو غير عاملات . ان الأعمال المنزلية مهنة دون شك ولكنها مهنة ذات مظهر كاذب[1] والذين يصرون على أن الفرد

(1) Docter, Midge , « The New Chastity and Other Arguments Against Woman'sLiberation». Coward , MocCan and Geoghegan , Inc . Nw York 1972

له الحق في الأختيار الحر وان يحدد أسلوب حياته كما يريد يفترضون ان حرية الإختيار تعنى اختيار بديل واحد وهو في هذه الحالة « الوظيفة»Employment. ويبدو ان هؤلاء يتناسون ان حرية الاختيار تعنى أيضا اختيار البديل الآخر وهو الأعمال المنزلية . فالمرأة يجب ان تكون حرة تماما في اختيار المكانة التي تريدها دون أن تصبح عرضة للاحكام القاسية او النقد من الآخرين . ولهذا ينبغي ان يقابل اختيارها بكل الاعجاب والتقدير سواء اختارت المنزل فقط أو المهنة والمنزل معا[1] .

هـ ـ نمط حياة الاسرة

نظرا لتعدد أنماط الاسرة في المجتمع فلا يوجد مستوى محدد يمكن على أساسه الحكم على نمط حياة الاسرة بوجه عام . إلا ان الملاحظة الجديرة بالاهتمام في العصر الحديث هي زيادة عدد النساء المتزوجات اللائي يلتحقن بوظائف خارج المنزل . وما يستتبع ذلك من تغيرات لا بد منها في أنماط حياة الاسرة إذ انه عندما تظهر بدائل جديدة في أحد المجالات فإن درجة تفضيل كل أسرة تختلف تبعا لاحتياجاتها واتجاهاتها . فقد يجد البعض في اختيار الجديد فرصا جديدة لانعاش حياتهم مما يساعد على النجاح الزواجي . بينما يرى آخرون ان هذه الفرص الجديدة قد توقعهم في الخطأ وتسهم في فشل زيجاتهم .

وعندما يكون نمط حياة الاسرة مفروضا عليها من المجتمع ، فإن درجة الصراع فيه تكون ضئيلة للغاية . أما عندما يحدد الزوجان نمط الاسرة الذي يرغبانه ، فإن إمكانية ان يفرض احد الزوجين النمط الذي يريده على الآخر تكون قائمة ، وبالتالي تنشأ الفرصة لنشوب الخلاف والصراع بينها .

ومن الخصائص البارزة للمجتمعات المعاصرة الكفاح من أجل التنقل إلى مكانة اجتماعية عالية ورفع المستوى الإقتصادي ، والتحرك من مستوى طبقي أدنى إلى مستوى أعلى وهكذا . . وكفاح الرجل بمفرده قد لا يحقق الهدف المطلوب وهنا تظهر وسيلة جديدة يمكن عن طريقها التنقل إلى أعلى وهي زيادة دخل الاسرة عن طريق

(1) Lopata , Helena Znaniecki , « Occupation : Housewife » , Oxford University Press New York , 1971

و ـ الاتساق

إذا كان عمل المرأة المتزوجة يعتبر عاملا هاما في إحداث تغيرات إجتماعية وعائلية ، فإنه يعتبر أيضا سببا في نشأة مشكلة عدم التمكن من الحصول على درجة مناسبة من التماسك والاتساق في التوقعات والمتطلبات التي يتوخاها كلا الزوجان أحدهما من الآخر فقد يتوقع الزوج من زوجته على سبيل المثال ان ترعاه وترعى الأطفال ، وتدبر شئون المنزل ، وتشاركه العلاقة الجنسية برغبة ، وأن تكون رفيقة رقيقة ومتفهمة ومثيرة في نفس الوقت ؟ وفي المقابل قد تتوقع الزوجة من زوجها ان يعولها ، وأن يترك لها حرية الالتحاق بالعمل ، وان يشاركها في الاعمال المنزلية ، ويشاركها الجنس بنفس الرغبة وأن يكون صديقها ورفيقها ووالدا لأطفالها ، فضلا عن استعداده الدائم للقيام بمتطلبات الحماية الشرعية التقليدية التي تتمتع بها في الوقت الذي تطالب بحقوق جديدة ؟ وهكذا . .

وكثيرا ما تلجأ بعض النساء إلى الالتحاق بأي عمل مناسب تحت ضغط ضرورة اقتصادية ملحة لكي يعلن أنفسهن ، أو أطفالهن ، أو آبائهن ، أو حتى أزواجهن في بعض الأحيان عندما يمرضون أو يعجزون او تكون دخولهم من الضآلة بحيث لا تفي بالتزامات الأسرة . أما باقي النساء وهن اللائي يتمتع ازواجهن بدخول مناسبة فهن « أحرار » في ان يخترن او لا يخترن الالتحاق بالعمل[1] .

مكانة النساء في المجتمع الحديث

ليس من الصعب ان نقول ان مكانة المرأة الاجتماعية قد تغيرت وما زالت تتغير ، إلا أن درجة هذا التغير تختلف من مجتمع إلى آخر ومن طبقة إلى طبقة ، ومن إمرأة إلى أخرى . ولكن الملاحظ أن نسبة النساء العاملات سواء في المجتمعات المتقدمة أو النامية في زيادة مستمرة سواء كن متزوجات أو غير متزوجات . وقد أثر عمل المرأة على وضعها النسبي في المجتمع حيث اعطاها نمطا من الاستقلال والحرية لم تكن تتمتع به من قبل الأمر الذي جعل حقوقها وامتيازاتها تمتد إلى مجالات

(1) Decter op. cit

عديدة ، كالتعليم والأنشطة الرياضية ، ويتزايد حقها في أن تتزوج أو تبقى بدون زواج ، والحصول على الطلاق ، ومنافسة الذكور في أشياء عديدة مثل التدخين وقيادة السيارات . ورغم هذا فما زال الرجال يطالبون بالاسهام في إعالة زوجاتهم والانفاق عليهن حتى بعد الطلاق ولكن ليس إلى نفس المدى الذي كان عليه الوضع في الماضي .

ويلاحظ ان النساء بوجه عام استخدمن هذه الفرص التي اتحيت لهن بذكاء فقد بدأن في التحرر من الأطفال عن طريق التحاقهن بالعمل وارسالهم إلى دور الحضانة والمدارس ، كما تحررن تدريجيا من تربية عدد كبير منهم ، وذلك بأنجاب أقل عدد ممكن . وفي الفترات التي يرغبن فيها وذلك باستخدام اساليب ضبط النسل العديدة التي بدأت تظهر مؤخرا وما زال يظهر الجديد منها كل يوم .

وعلى الرغم من كل هذا فما زال المجتمع يفرض على المرأة العاملة في أحد المهن قيودا تقليدية تعطل قدرتها على الحركة بمرونة ويسر كما تقيد فرصتها المشروعة ، وهي قيود ثقافية تمتد جذورها بعمق منذ تربية الأنثى وهي طفلة وصبية . بالاضافة إلى أن نجاح المرأة في مجال العلوم المختلفة قد يجعلها عرضة للطعن في أنوثتها ، فعادة ما تتهم عالمة الفيزياء مثلا بالجفاء والرجولة ،كما أن النساء لا تقلد بالأوسمة والنياشين لمحافظتهن على عفتهن وشرفهن وسمعتهن بعيدا عن الدنس ولكنهن يعاقبن أشد العقاب إذا تخلين عن كل هذا ، بل إن المرأة لا تتلقى أي مكافأة على خصوبتها وقدرتها على الإنجاب ولكن الويل لها إن لم تنجب[1] ومن هذا يتبين ان الطريق أمام المرأة ما زال طويلا قبل الحصول على المساواة الكاملة مع الرجل ولعل هذا هو الذي أدى إلى قيام ما يسمى بحركة تحرر المرأة .

حركة تحرر المرأة

بدأت المطالبة المبكرة للمساواة في الحقوق بين الجنسين في الظهور منذ حوالي مائتي عام . فمنذ ان صفقت نورا بطلة مسرحية إبسن « بيت الدمية » باب بيتها في أواخر القرن الماضي وانطلقت إلى الحياة الواسعة خارج البيت ترددت أصداء صفقة

(1) Phyllis chester and Emily jane Goodman « Woman Money and power » .

الباب هذه في جميع أنحاء اوربا بل والعالم بأسره . وبدأت حركة تحرر المرأة في الظهور ، وما لبثت المرأة أن نالت كثيرا من الحقوق التي حرمت منها طوال عصور التاريخ ، حيث كانت المرأة جزءاً من نظام البيت ، تتبع زوجها وتكون تحت رعايته وإمرته دون رأي أو حق ، وليس لجنسها ان يتعلم كيف يفكر ويعمل عقله . ونتيجة لهذه الحركة التحررية أصبحت المرأة اليوم تشارك الرجل المدرسة والجامعة والمصنع وكل مجال من مجالات العمل . وانتهت الثورة الأولى بأن نالت المرأة حقوقها المدنية (كلها أو معظمها) وأصبحت كائنا يمثل نصف المجتمع . ولكنها اكتشفت فجأة ومع قدوم السبعينات من هذا القرن أنها ما زالت تابعة للرجل لأنه (وهو الذي يوافق على ما تناله من حق أو حرية) قد وضعها في قالب لا يمكن لها الفكاك منه . فعلى الرغم أن المرأة قد منحت أغلب ما طالبت به من حرية ، إلا أنها اكتشفت ان التحرر الذي نالته ليس سوى تحرر مظهري أما الجوهر فهو أخطر بكثير ولا زال بعيد المنال .

ويرى مؤيدو هذه الحركة التحررية ان المرأة تربت منذ طفولة البشرية على فكرة ثابتة . وهي ان جمالها الجسماني هو كنزها الوحيد وبالتالي بدأ عقلها يتوافق ويتكيف مع الوظيفة المفروض ان يؤديها جسمها . وتحول إلى مجرد إطار ذهني يزين جمال جسدها . وكنتيجة لهذه الصورة التي فرضها الرجل على المرأة أصبح الشغل الشاغل له سواء كان كاتبا أو شاعراً او عالماً أو مفكراً أن يحول اسطورة المرأة الجميله إلى حقيقة يقنع بها المرأة نفسها ، وذلك ليجعلها تعتقد انها موجودة في الحياة كشيء ممتع ليس إلا . وأخذ الرجال يؤكدون هذه الصورة بكل طريقة فينزلون إلى أعماق البحار ويخاطرون بأرواحهم حتى يجلبوا اللالىء والمرجان ليزينوا بها المرأة ، ويصيدون الحيوانات المفترسة ليجعلوا من جلودها زينة لها وهكذا ـ أما في الفن فقد بدأت المرأة تحتل مركز الصدارة منذ عصر النهضة ، فلم يعد جسم الرجل مثالا للجمال الإنساني كما كان الحال في الفن الإغريقي أو الروماني ، وإنما أصبح جسم المرأة هو رمز جمال الجسم البشري ، وكذلك في ميدان الشعر حيث بدأ الشعراء يؤلهونها كمصدر للفتنة والجمال والإلهام فشعرها سلوك من ذهب وجبهتها من العاج وشفتاها من الياقوت وأسنانها من حبات اللؤلؤ وصدرها رخام أملس أي أنها صورة متكاملة للجمال والفتنة تحثها على استغلاله في الحب والجنس ، وهكذا أصبح الحب والجنس هما

الوظيفتين الأساسيتين للمرأة كما يريدهما الرجل ، وأصبحت المرأة ذاتها مقتنعة بأنها لعبة الرجل تعطيه المتعة حين يريد . وجدير بالذكر أن العصر الحديث بإمكانياته الصناعية الهائلة أكد هذا (القالب) الذي وضعت فيه المرأة وأبرزه حتى بعد تم ..رها الظاهري وحصولها على حقوقها المدنية .

إن التناقض الذي وقعت فيه المرأة في عصر ثورتها الأولى يتمثل في أنها رغم حصولها على حقوقها المدنية مثل السفور وحق الإنتخاب وفرصة الالتحاق بالعمل نتيجة للثورة الصناعية ، إلا أن الرجل كرس هذه الثورة بكل إمكانياتها للتأكيد على « قالب » المرأة الجميلة بصورتها التقليدية التي خلقها منذ أقدم العصور . فظهرت الروائح العطرية الفاخرة خصيصا لتزين المرأة وتجعلها أكثر إثارة ، وظهر ما يسمى بعالم « الموضة » بكل ما فيه والذي يرسم المرأة في إطار يرمز للجنس ، وبدأت كثير من النساء يتصورن انهن طالما ظللن صغيرات وجميلات فهناك دائما الفرصة لكي يتسلقن السلم الإجتماعي ، وبناء على هذا التصور أخذن في دراسة ما يظهر في مجلات « الموضة » من آخر صيحات في الجمال والزينة والملابس ومحاولة تقليد « الموديلات » اللاتي تظهر صورهن في هذه المجلات . والمشكلة ان هذه الموديلات هن عبارة عن نساء يمثلن « القالب » الذي وضعت فيه المرأة بكل ما في هذه الكلمة من معنى . فهن نساء كل ما يشغلهن ان يكن مثالا للجمال الانثوي الذي يجذب نظر الرجال كما ـ يجذب نظر المرأة أيضاً فلا وظيفة لهن سوى وجودهن الجميل ، إلا أن تقليد النساء في العصر الحديث « للموديلات » التي تظهر في مجلات الموضة حولهن الى نساء بلا جنس .

وقد ثارت المرأة مؤخراً على هذه الصورة التي رسمها الرجل وذلك من أجل تصحيح الأوضاع المزيفة التي دعمتها المفاهيم الإجتماعية السائدة عن الحب والجنس والأنوثة . وتؤكد الثورة الثانية للنساء على ضرورة إعادة توزيع الطاقة التي استحوذ عليها الرجال ، ومنح المرأة المقدرة على أن تمارس بحرية جميع امكانياتها النفسية والعقلية ، لأنه إذا أمكن القضاء على « قالب المرأة الجميلة الضعيفة » فإن علاقة الرجل بالمرأة ستصبح علاقة الند للند وليس علاقة السيد بالمسود وإذا حررت النساء أنفسهن فسوف يجبرن الرجال على ان يتحرروا من نظرتهم إلى المراة . وعندما

تدرك النساء ان الحضارة المعاصرة ومعارك التنمية لا يمكن ان تصل الى مرحلة النضج الكامل إلا إذا شاركت فيها المرأة بكل امكانياتها ، عندئذ فقط قد يشعرن بالتفاؤ ل بإمكانية التغيير ولا يقاومنه . فمعظم النساء حتى الآن وخاصة في المجتمعات النامية يخشين من أي تغيير يطرأ على مكانة المرأة أو وضعها في المجتمع لأنهن يشعرن بالأمان داخل « القالب » الذي وضعن فيه ، كما يشعرن بان رياح التغيير تتطلب منهن مجهوداً قد لا يقدرن عليه . والمشكلة المطروحة الآن على مستوى العالم لا تتمثل في رسم طريق معين تسلكه المرأة حتى تحرر نفسها ، وإنما الامل الوحيد للثورة الثانية للمرأة ان تكتشف النساء ان لديهن إرادة كإرداة الرجل تماما . فإذا حدث هذا فسوف يمكنهن ان يرسمهن لأنفسهن الخطوة التالية . والخوف من الحرية ومقاومة التغيير هو دائما شعور قوي يجنح بنا إلى الضعف في آخر لحظة ، والمتمسكون بالتقاليد يسمون الحرية أحيانا بالفوضى . إلا ان ثورة النساء لا تهدف إلى أكثر من المطالبة بانتماء إلى قيم تحترم المرأة وإرادتها وقدرتها على المشاركة الفعلية . وأول خطوة في هذا الطريق ، هدم القالب التقليدي للمرأة من أساسه ، أما السبيل إلى ذلك فهو يقع على عاتق كل امرأة كفرد وليس في صورة نظرية أو خطة محددة للتغيير .

علاقة المرأة بالمكانة والرجل والزواج

هناك عدد من الأشياء لا بد ان تضعها المرأة المعاصرة في اعتبارها إذا ارادت التوافق مع ظروف الحياة الجديدة المتغيرة التي تعيشها . وأول هذه الأشياء أن تعد نفسها من خلال الدراسة والتدريب لشغل وظيفة أو مهنة تحصل منها على أجر . لأننا لو تابعنا ظروف المرأة في الماضي نجد أنها كانت تنتقل من منزل والديها إلى منزل زوجها ، وكانت خبرتها في الشئون المنزلية تكتسبها من والدتها مباشرة . أما الآن فهي عادة تعد نفسها للعمل على الأقل لفترة مؤقتة قبل الزواج . وعموما فإن التحاق المرأة بالعمل يتيح لها فرصة مناسبة لملء حياتها إذا لم تتزوج ، كذلك يمكنها ان تكسب عيشها في حالة موت الزوج .

ومن المناسب ان يكون للمرأة معرفة بالحياة والمسائل الاجتماعية ، فهذا يساعدها على زيادة درجة استقلالها وحريتها في الاختيار ويدعم المعنى الجديد للاعتماد على النفس Selfe-Reliance نظراً لأنها أصبحت تشارك بجزء كبير في حياة

مجتمعها . هذا بالاضافة إلى انه من الضروري ان تعرف قدرا ولو مبسطا عن العلم ومجالات المعرفة الأخرى ، وان تتعلم الأساليب الجديدة في الحياة مثل أساليب الاستهلاك وأساليب تطبيقات علم النفس الحديث في تربية الأطفال . وان تتعلم أيضا كيفية التفاعل مع نوعيات عديدة من الناس .فقد أصبحت المرأة بحكم عملها وعلاقاتها المتعددة تلتقي بالكثيرين منهم حيث المشاعر المختلفة والإنتماءات العديدة[1] .

ولا بد للمرأة أيضاً أن تفهم نفسها ، وتقدر إمكانياتها الخاصة ، وتحدد أهدافها حتى لا يملي عليها أحد أسلوب حياتها ، وهي في حاجة إلى أن تتعلم كيفية الاستفادة من الفرص الجديدة التي فتحت أمامها دون ان تغفل في نفس الوقت الفرص غير التنافسية مثل الزواج والشئون المنزلية . ومع ذلك ، فيجب الا تتوقع الحصول على كل شيء في لحظة ، كما يجب ان تدرس بحرص السلوك الاخلاقي الحديث حتى لا تفسد حريتها بالانحراف .

وعلى المرأة أيضاً ان تحاول فهم الرجال بطريقة مختلفة عن الماضي ، لأن وضعها الآن أصبح مختلفا بالنسبة لهم ، فهي اليوم أكثر احتكاكا بهم نظراً لظروف التعليم والعمل والمشاركة الإيجابية في كافة الأنشطة الإنتاجية والإجتماعية ، وبالتالي لم تعد المرأة في حاجة إلى تملق الرجال كي تصل إلى غاياتها لأنها أصبحت زميلة ورفيقة لهم بمعنى جديد .

وإذا تزوجت المرأة لا بد ان تعد نفسها لنمط جديد للعلاقة الزواجية ، مع ما يشمله من اتجاهات جديدة للزوج والزوجة وخاصة موقف كل منهما تجاه الآخر ، وذلك من حيث التوقعات والمتطلبات ، ونظرا لان العلاقة الزواجية في العصر الحديث لم تعد أدوار الزوجين فيها محددة بشكل قاطع كما كان يحدث في الماضي فإن هذا يحتم وجود درجة أكبر من التبصر والتكيف والمرونة إذا ارادت الزوجة نجاح زواجها .

---

(1) Lopata , op . Cit

مكانة الرجال في المجتمع الحديث

بينما يتزايد الاهتمام في السنوات الاخيرة بالتساؤ ل عن مكانة المرأة لم يظهر اهتمام مقابل بالتساؤ ل عن مكانة الرجل ، حيث يرى الكثيرون انه لا توجد أي مشكلة فيها يتعلق بمكانته . ولكن ظهرت وجهات نظر عديدة تؤكد أن الرجل المعاصر أصبح لديه مشاكل عديدة تتعلق بتعريف المركز ، وتحديد الوضع وخاصة عندما تحدث تغيرات اجتماعية تؤدي إلى اضطرابات في الادوار التقليدية وفي التوقعات المتصلة بها ، وهذا يؤدي بالتالي إلى ظهور تعريفات جديدة تتلاءم مع الظروف المتغيرة .

إن الدور الرئيسي للرجل ، حتى في أكثر المجتمعات تقدما ، ما زال يتم خارج نطاق المنزل باعتباره عائلا لاسرته ، أي المسئول عن الانفاق على زوجته وأطفاله ، وتفوق هذه الوظيفة أي وظيفة أخرى مثل دوره كزوج أو كأب[1] وقد تبين من الدراسات العديدة التي أجريت لبحث مكانة الرجال ان الرجولة تكون أساسا ثمرة العمل ، ويدخل في ذلك الأجر الذي يحصل عليه ، والهيبة التي تكون لوظيفته والمكانة التي تمنحها له في مجتمعه المحلي . بالإضافة إلى الاشياء المادية التي يكون في إمكانه شراءها والحياة المناسبة التي يستطيع ان يوفرها لاسرته [2] .

وتختلف النظره إلى الرجل باعتباره عائلا لاسرته باختلاف المستويات الطبقية العديدة في المجتمع . ففي الطبقات الاجتماعية العليا ترتبط هذه النظرة بالأشياء المادية التي يمكنه ان يحصل عليها وكذلك بالهيبة والمكانة Prestige التي تحظى بها مهنته . أما في الطبقات الدنيا فالمطلب الرئيسي هو أن يتمكن الرجل من إعالة أسرته بصورة مناسبة بغض النظر عن طبيعة مهنته . ويرى بعض الدارسين ان مقدار الدخل يرتبط بشدة بمدى عدم الرضى في الزواج أكثر من أي عامل آخر مثل درجة التعليم أو المهنة وقد يرجع ذلك إلى تأثيره الملموس على حياة الزوجين اليومية .

---

(1) Bensons Leonard , « Fatherhood : A Sociological Perspective», Randon House New York , 1968 , p . 271 .

(2) Myron Brenton, « New Ways to Manliness » in Nancy Reeves : Womankind : Beyond the Stereotype , Aldine . Chicago 1971 , pp . 191 - 192 .

وهناك بعد هام تجدر الأشارة اليه يتعلق بالأدوار المهنية والأسرية وهو كيف تتزامن هذه الادوار ، لأن الاوضاع يمكن ان تختلف بشده نظرا للاختلافات العديدة في متطلبات العمل ، مثل عدد ساعات العمل ، وبعد مكان العمل عن المسكن . فبعض المهن تتطلب ساعات عمل غير منتظمة أو نوبات ليلية قد تبعد الرجل عن أسرته عدة أيام ، وكل هذه العوامل تحد من إمكانية مشاركة الرجل في اتخاذ القرارات المتعلقة بأسرته كما تبعده إلى حد ما عن أطفاله .

والملاحظة الجديرة بالاهتمام ان خصائص العمل الذي يقوم به الرجل في البناء المهني يكون لها تأثيرات عميقة على أدواره الزوجية والوالدية . وإذا كان هناك مجال للاختيار فإن الرجل يضع أدواره الأسرية في المقدمة إلا أن مصلحة الأسرة تجعله يضع دوره المهني في المقدمة . وفي بعض الأحيان يكون الرجل غير موفق في عمله فيتعلل بالتزاماته العائلية كمبرر للهرب منه ، على اعتبار أن أسرته في حاجة إليه وهكذا يبرر لنفسه ولزملائه سبب تغيبه أو عدم انضباطه .

ومن المشاكل التي تواجه الرجال اليوم ، ما يتعلق بمفهوم الرجل الحقيقيRealhe Man- ، حيث كان هذا المفهوم في الماضي واضحا وصريحا بما يتضمنه من خصائص الرجولة التقليدية . أما اليوم وفي هذا المجتمع المعاصر الذي يغلب عليه طابع المنافسة والتصنيع والحضرية فقد أصبح مفهوم « الرجل الحقيقي » غامضا إلى حد كبير ، وأصبح على الرجل المعاصر ان يواجه في نفس الوقت متطلبات الرجولة التقليدية والمعاصرة معا . ويشكل الوفاء بهذه المتطلبات مشكلة بالنسبة له ، إذ كيف يستطيع ان يقوم بدورين مختلفين في نفس الوقت ، ومثال ذلك ، كيف يطلب من الرجل ان يكون قويا جريئا مقداما وفي نفس الوقت يطلب منه ان يكون « مهذبا » وباحثا عن السلام . إنه قد يسبق ويفوز في ظل نمط معين ، إلا انه يقاسي ويعاني في ظل نمط آخر ، كما أن عليه أن يشعر بالحزن والألم ولكن ليس ان يولول وأن يصرخ على الاطلاق . وبالرغم من أن المناخ الاجتماعي أصبح يحتم ان يتعاون الرجال مع النساء على قدم المساواة إلا أن التقاليد في نفس الوقت تحتم عليه في أوقات معينة وخاصة أوقات الازمات ان يتحمل وحده المسئولية . وهذا بالاضافة إلى أنه يجب إلا يسمح للمرأة تحت أي ظروف بأن تسيطر أو تتفوق عليه وهكذا . . .

والخلاصة انه لا يمكن أن تحدث تغيرات في عالم الانوثة دون أن تصاحبها تغيرات مماثلة في عالم الرجولة . وعلى كل حال ستطيع أن نقول أن العالمين يمران الآن في مرحلة تحول ، ولم تتبلور حتى الآن نتيجة ما يواجهانه من التغيرات ، كما أنه لا توجد وسيلة تمكننا من معرفة النتيجة النهائية ، الامر الذي ستظل معه المسألة المتعلقة بمكانة الرجال موضوعا حيويا يستدعي المناقشة والاهتمام .

علاقة الرجل بالمكانة والمرأة والزواج

على الرغم من أن المرأة المعاصرة تعمل جاهدة وفي معظم مجتمعات العالم لاستخدام إمكانياتها العقلية بشكل إيجابي وبناء ، وعلى الرغم من تقدمها المستمر في هذا الميدان واقتراب مكانتها الاجتماعية من مستوى الرجال ، فما زال هناك كثير من العوامل العتيقة التي تعمل كي تعوق المرأة الجديدة من الانتقال لمعايشة العصر الحديث ، فالافتراض التقليدي بأن المرأة أدنى من الرجل افتراض عفى عليه الدهر مثل الاعتقاد القديم بوجود الارواح الشريرة . وقد تغير اتجاه الرجل نحو المرأة ، وأختفى إلى حد ما المعنى المتأثر بالتقاليد القديمة ، ومع ذلك ان فما زال الكثيرون يقفون منها موقفا مناهضا ويضعون أمامها العراقيل ، وإذا أراد هؤلاء ان يسايروا منطقهم فعليهم أن يرتدوا الملابس الحزبية القديمة ذات الدروع بطريقة تناسب اتجاهاتهم نحو النساء أو أن يعودوا لركوب الدواب .

والرجال في حاجة إلى التوافق مع الحقيقة الواقعة وهي النمط الجديد للمنافسة بين الجنسين ولا بد لهم الا يتركوا اتجاهات وآراء أسلافهم تقود أفكارهم وبالتالي تحدد أسلوب عملهم . كما يجب ان يضعوا في اعتبارهم باستمرار الطريقة الصحيحة في معاملة النساء. فالرجل الذي يضرب امرأة ينتهك تقاليد الفروسية والرجولة التقليدية ويعتبر جبانا ووغدا . بالإضافة إلى أنه لا يتوقع أن يعد الرجال أنفسهم للزواج بينما هم يفكرون في المرأة كغنيمة أو كفريسة أو كوسيلة للإشباع الجنسي .

ومن الملائم أيضا أن يغير الرجال اتجاهم نحو الاعمال المنزلية ، وذلك بأن ينموا

---

(1) Karen S Renne « Correlates of Dissatisfation in Marriage » Journal of Marriage and the Family Febuary , 1976 , p 61

استعداداتهم من أجل المشاركة الإيجابية فيها . فقد مضى العصر الذي كانت فيه الأعمال المنزلية مسئولية المرأة وحدها ، حيث كان الزوج يأخذ دور الضيف الدائم نظرا لأنه يعتبر رئيس الاسرة الذي يقوم بإعالتها ماديا . وقد أشرت إلى ان الاتجاه اليوم يشير إلى عدم وجود رئيس مطلق للأسرة أو حتى رئيسين (الزوج والزوجة) في نفس الوقت ، ومعنى ذلك (حسب الظروف) ان تصبح الأعمال المنزلية مسئولية مشتركة بينهما . إلا أن هذا لا يعني ان يتقاسماها بطريقة متساوية ، وأنما يعني أن الرجل أصبح له دور جديد يمكن (أو ينبغي) ان يقوم به في المنزل ، وبالتالي لا بد أن يعد نفسه لهذا الدور في وقت مبكر حتى لا يقع في أخطاء فادحة . إن هذه المشاركة قد تعني من ناحية أخرى إتاحة وقت فراغ أطول يمكن أن يتيح للزوجين أفضل تفاعل ممكن .

الفصل الخامس

تفسير التغير الأسري

مقدمة

نهتم هنا بصفة مبدئية بمحاولة معرفة الطرق التي عن طريقها تتحول أنماط الأسرة عن وضعها الذي كانت عليه سابقا . ولهذا لا بد أن نضع في اعتبارنا القوى المؤثرة في النسق القرابي ككل . وقد نستطيع صياغة تفسير ملائم لمكان الأسرة في مجتمع حضري مستقل . وهنا يجب أن نشير إلى أن التغيرات في الأنماط الأسرية ليست بالضرورة من قبيل الحقائق التي توصف بأنها مؤدية للسعادة أو مجلبة للتعاسة . وهناك اتجاه بين دارسي الأسرة إلى النظر إلى أغلب التغيرات التي تحدث نظرة ملؤها الحذر والتخوف حتى أن البعض يغالي في هذا الاتجاه ويزعم ان الأسرة تبدو كأنها تتعرض للفناء كلية . ولهذا يجب أن نقيم تفرقة هنا بين الأسرة وبين أي انساق اسرية محددة ، إن دارس الحكومة مثلا عندما يتتبع التغيرات التي حدثت في أشكال القوة السياسية لا يدعي ان الحكومة في سبيلها إلى الاختفاء . والأنماط الاقتصادية يمكن ان تتغير من خلال عدد من المراحل من أبسط الأشكال إلى اكثرها تعقيدا ، وفي هذا الصدد قد نظهر تخوفنا أو حتى خشيتنا من تدهور الأحوال ولكننا

لا نستطيع حتى في مثل هذا الموقف التأكيد بأن النظم الاقتصادية سوف تختفي .وعلى ذلك فعندما ندرس الأسرة أو الدين فليس هناك مبرر أن نشبه التغير بالتدهور أو بالاختفاء ، وبدلا من ذلك يجب ان نكون معنيين بالشكل دون الوظيفة في مثل هذه الحالات ، ويرى ميلتون استجابة للتغيرات الجارية يدعم من وحدة الأسرة وتكاملها ويزيد من قدرتها على مواجهة متطلبات التنشئة الاجتماعية وتنمية شخصية الأطفال واعدادهم لمواجهة حياة أفضل مما واجهه الآباء . وبمعنى اخر لم تتحول الأسرة المصرية في مسيرة التقدم إلى وحدة بيولوجية بل على العكس تؤكد صفتها الإنسانية والاجتماعية .

وعموما ، تنحصر وظائف الأسرة الاجتماعية في الوقت الحالي في الانجاب : والإعالة ، والتنشئة الاجتماعية ، ومنح المكانة ، بالاضافة إلى وظيفة جديدة لم يهتم بها التحليل السوسيولوجي من قبل وهي « الوظيفة العاطفية Affectional Function » ونعني بها التفاعل العميق بين الزوجين وبين الآباء والأبناء في منزل مستقل مما يخلق وحدة أولية صغيرة تكون المصدر الرئيسي للإشباع العاطفي لجميع اعضاء الأسرة . وقد أصبحت هذه الوظيفة من الملامح المميزة للأسرة الحضرية الحديثة . بعكس الحال في الأسرة الممتدة في المجتمعات الزراعية ، حيث يتم التفاعل الأولي بين حلقة كبيرة من الأقارب الذين يعيشون متجاورين .

وقد ترتّب على هذه الوظيفة الجديدة أن أصبحت الأسرة النواة تحمل عبئاً ثقيلا ، لأنها أصبحت المصدر الوحيد الذي يستمد منه الأفراد الحب والعاطفة . ولهذا لا يريد الأفراد البالغين الزواج فقط ، إنما يريدون الزواج السعيد[1] .

لقد أسهم دارسو الأسرة في هذا التشويش لأنهم سمحوا لقيمهم الخاصة ان تتدخل في تفسيراتهم كما أنهم في الوقت نفسه لم يفعلوا إلا قليلا لجذب الانتباه الى

---

(1) James B . Mckee . op . cit , pp . 362 - 363

الدراسات الأسرية التي يمكن ان تكون ذات قيمة علميه واضحة من خلال استخدامها لنظريات متسقة ، وأطر تصورية منطقية ، هذا وقد أشرت فيما سبق الى نمو الدراسات الأسرية التي تنتمي الى اتجاهات نظرية واضحة في السنين الأخيرة ولكنه من الخطأ ان نفكر أن هذا النمو مقطوع الصلة بأوجه النشاط العديدة التي تقوم بها المؤسسات والمنظمات التي تعنى بالخدمات الأسرية ، ومن الجدير بالذكر ان نشير هنا الى المعرفة العلمية الدقيقة وخاصة تلك التي تتعلق بالأساليب التي يؤثر من خلالها النسق الأسري او يتأثر بالمجتمع الذي هو جزء منه ، يعاون الى حد كبير للغاية في إنجاح المحاولات التي يقوم بها العاملون في ميدان ضبط وتنظيم العلاقات الأسرية وخاصة عندما يكون من بين أهدافهم التخطيط لآماد طويلة . إن معرفة الثقافة والثقافة الفرعية وتحديدات الدور وصراعاته ، وكذلك معرفة التنشئة الاجتماعية والقوى التي يمكن ان تعوقها أمور ذات قيمة كبيرة لمن يعملون في حقل التوجيه الأسري او الإرشاد الزواجي وما الى ذلك . ومثال ذلك أن الدراسات المقارنة الحديثة تبرهن على أن إسهام المرأة في تكاليف المعيشة يتزايد تدريجيا ، الأمر الذي أدى الى إلقاء مزيد من الضوء على الجوانب الاقتصادية فيما يلحق الزواج والأسرة من تغير ، وخاصة فيما يتعلق بالهدايا والمهور وتأثيث المنزل ، ومدى مشاركة الزوجين أو أسرتيهما فيه .

وربما تكون هذه الحقيقة بعيدة عن أي مشكلة تواجه من يعملون في حقل الاستشارات الزواجية ،ولكن من ذا الذي يشك ان التغير المثير الذي حدث في مركز المرأة وفي اقتصاديات الأسرة خلال الخمس وعشرين سنة الماضية قد أدى الى ظهور قوى جديدة ذات أهمية بالغة في استقرار الأسرة وثباتها .

تأثير النظم الاجتماعية

إن القضية المحورية في نظرية الأسرة المعاصرة لا يمكن ان توصف بالجدة أو الاثارة ، وذلك لأن الأسرة لا يمكن فهمها على أنها ظاهرة منعزلة ، إذ لا بد أن نعالجها في سياق النظم الاقتصادية والسياسية والتأثيرات الدينية والحقائق المتعلقة

بالسكان في المجتمع الذي تنتمي إليه ، وليس من قبيل الصدفة ان المجتمع الزراعي سوف يساند الأسرة الممتدة ، أو أنه سوف يسمح أو يشجع الزواج المتكرر ، أو أنه سيعطي الوالدين السلطة في فرض اختيارات معينة للزواج على ابنائهم ، إن مثل هذه العناصر تلائم بناءا اجتماعيا مستقرا نسبياً ، كما أن وجود العائلة الزوجية والحب الرومانتيكي والإقامة المستقلة يمكن أن يكون من خصائص المجتمعات الحضرية ، ولهذا فإن دارسي الأسرة يميلون إلى القول بأن القوى ذات النفوذ في المجتمع تسهم في خلق نوع من النسق الأسري يمكن أن يكون هو النمط السائد في وضع اجتماعي معين ، ولهذا إذا أمكن اكتشاف التطابق بين هذه القوى ، فإن أي مؤسسة تعمل في ميدان الأسرة يمكن أن تتوصل ، أو تضمن وجود عناصر مرغوبة ، وعلى الرغم من الفكرة الشائعة بين الدارسين للأسرة بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي أكثر المجتمعات في العالم ابرازا لتلك الحقيقة التي يؤكدها الكثيرون من أن الأسرة النواه هي الشكل النهائي لأسرة عالم اليوم ، إلا أن أهمية الأسرة الممتدة أمر لا يمكن التقليل منه حتى في هذا المجتمع ، ومعنى ذلك أن الأسرة النواة سوف تستمر وتزداد أهميتها في نفس الوقت ولكن جوانب أخرى من النسق القرابي يمكن ان تزداد ضعفا ، وهذا يعني ان الأسرة قد أصبحت منظمة متخصصة اكثر من أي وقت مضى[1] .

إن هذا التحول لم يجعل الأسرة أقل أهمية لأن وظائفها الأساسية لا تزال باقية . وإذا أخذنا في الاعتبار الفترة الطويلة التي يكون فيها الوليد الإنساني عاجزا عن مواجهة الحياة وحده فإن القول بأن الإنسان حيوان حامل للثقافة الأمر الذي يتطلب فترة طويلة من التدريب والتمرين ، وكذلك القول بأن هناك حاجة لعملية تؤدي إلى وضع الأفراد في مواضعهم المختلفة في المجتمع (وهي الأمور التي تعتبر من صميم وظائف الأسرة) فإننا نستطيع ان ندرك ببساطة المركز الجوهري الذي تحتله الأسرة في كل المجتمعات ، وجدير بالإشارة هنا أن بعض الحركات الثورية تحاول أحيانا ان

---

(1) Talcott Parsons and Robert F . Bairs , « Family , Cocialization and Interntion Proress , Free Press Wlencoe 1955 , p 9

تدمر الأسرة من أجل كسر استمرارية الأجيال ، وهي الاستمرارية التي تربط السكان بتقاليدها الماضية ، ولكن بعد مضي وقت قصير فإن كل حركة من هذه الحركات الثورية وكما حدث في الاتحاد السوفييتي تبدأ من جديد في التأكيد على الأهمية القصوى للنسق الأسري ، ومنذ عام ١٩٤٠ بدأ قادة روسيا يعلنون ان الأسرة هي أساس الدولة .

إن التأكيد على الأهمية الحيوية للأسرة لا يمكن ان يؤدي إلى الزعم بأنه ليست هناك مؤثرات وصراعات خطيرة ، ففي المجتمعات التي تتغير بسرعة تتعرض كل جوانب الحياة الأسرية تقريبا إلى اضطرابات عنيفة . ويمكن ان نرى بوضوح الطريقة التي يتأثر على أساسها النسق الأسري بالوسط الاجتماعي الذي يوجد فيه إذا أمعنا النظر في المستويات المتعددة للتفاعل في الأسرة ، وملاحظة الأساليب المتعددة التي تتغير على أساسها . إذن فالأسرة التي كانت تؤدي وظائف مستقرة وتقوم بدورها من خلال بناء اجتماعي مستقر نسبيا كانت تشكل مع النظم الاجتماعية السائدة كلا متساندا ، ولكن العوامل العديدة للتغير التي تتزايد منذ الثورة الصناعية في أكثر بلاد العالم تؤدي الى تغيرات في شكل البناء الاجتماعي وفي علاقات النظم الاجتماعية بعضها ببعض الأمر الذي يؤدي الى تغير مصاحب في النسق الأسري ، ولكن الأسرة لا تتغير بشكل متوازن مع سرعة وعمق النظم الاجتماعية هذه ، وهذا فمن المتوقع دائما ان تتعرض الحياة الأسرية للاضطرابات والتوتر .

وسوف أحاول في هذا الفصل ان أعرض لبعض أهم النظريات التي يتناولها الدارسون في علم الاجتماع الأسري لتفسير مسيرة الأسرة الإنسانية حتى يمكن فهم علاقة تغير الحياة الأسرية بتغير المجتمع ككل :

النظرية التطورية في الزواج والأسرة

سيطرت النظرية التطورية على الفكر السوسيولوجي في القرن التاسع عشر

وبدايات القرن العشرين . إلا انها بدأت تضعف منذ حوالي ١٩٢٠ ، ولكنها عادت إلى الظهور مرة أخرى نتيجة للاهتمامات الحالية بالدراسات المقارنة .

وقد كانت النظريات التطورية القديمة تصطدم بعقبتين رئيسيتين :

الأولى : الافتراض بأن نمو المجتمعات الإنسانية وبالتالي نسق الأسرة ، يسير في خط مستقيم ، أي أن التغير يأخذ اتجاها وحيدا ، يظل يتابع حركته دائما إلى أعلى Up Wardأو إلى التحسن (التقدم)Improvement.

الثانية : الفشل في تحديد أو إيجاد الدليل الملائم « للمراحل » الرئيسية في النمو العالمي ، والعوامل التي أدت إلى التحول من مرحلة إلى أخرى . وفي كثير من الأحيان ، كانت المادة العلمية أو البيانات الحقلية المستمدة من المجتمعات البدائية المعاصرة غير ملائمة لتوضيح المنظور التطوري .

ومما لا شك فيه ان النظريات التطورية تأثرتبداروين Darwinوخاصة فكرته عن الانتقاء الطبيعي التي شكلت اساساً صلباً للتطور البيولوجي[1] . وجدير بالذكر ان هربرت سبنسرSpencer كانيعتقد أن التطور كنمو وحيد الاتجاه عملية مستمرة تؤدي إلى زيادة مطردة في « التركيب » حتى يصل الموضوع إلى مستويات عالية من التعقيد[2] .

فالإنسان في المجتمع مثل بقية الكائنات الحية ، يسير في طريق لا مفر منه (حتمي) يتطور فيه من بناء غير منتظم وغير متبلور إلى بناء متمايز ومتخصص .

وقد استعان سبنسر من أجل تدعيم هذه النظرية ، بأمثلة ضربها عن نمو الزواج والأسرة من مرحلة الشيوعية الجنسية إلى مرحلة تعدد الأزواج وتعدد الزوجات وصولا إلى أعلى وأرقى مرحلة وهي مرحلة الزواج الوحداني . وكان سبنسر يعتقد اعتقاداً جازما في التطور الطبيعي للمجتمع والأسرة : ويتغلغل هذا التطور في النظام

---

(1) Charles Darwin , « Origin of Species » , New York , Appleton , 1859 The Descent of Man , وايضاً New York , Appleton . 1889 .

(2) Herbert Spencer , The Principles of Sociology, New - York,Appleton and Company , 1898 .

الطبيعي للأشياء ولهذا ليس في وسع الإنسان ان يأمل في تغيير هذه العمليات التطورية الحتمية بالتشريعات التي يصدرها . فالدولة تتكيف مع سياسة عدم التدخل Laissez-faire وهذا يعني أنها لا تتدخل في الانتخاب الطبيعي لمن هم مهيئون للبقاء . ومثال ذلك أن التعليم إذا أحدث تأثيراً غير مطلوب في التطور المنظم للأشكال الاجتماعية المتقدمة يمكن وصفه بأنه ظاهرة مرضية . ويلاحظ ان سبنسر لم يعارض التغير أو الصراع . لأنه يعتبر الصراع جانباً من عملية منظمة ، أي أنه يعتبر في زمن معين ما كان ينبغي ان يكون . هذا وترتبط فكرة سبنسر عن التغير الناجم عن التطور والانتخاب الطبيعي (التي تعرف احياناً بالداروينية الاجتماعية) بالمماثلة بين المجتمع وبين الكائن البيولوجي .

ويعتبر لويس هنري مورجان Morgan [1] واحد من أوائل علماء الانثروبولوجيا الذين قدموا مخططاً مفصلا للتطور في المجتمعات ، التي يمكن تصنيفها من وجهة نظره إلى ثلاثة أنماط اساسية : المتوحش Savage وغير المتمدن Barbaric والمتمدن المتحضر Civilized. وقد ظهر تأثر مورجان بالداروينية ايضا حين طور مخططه التطوري ليتضمن نظما اجتماعية مختلفة بما في ذلك الأسرة . ويرى ان تعاقب النظم المتصلة بالأسرة تبدأ بالشيوعية الجنسية التي اطلق عليها التزاوج غير المنظم أو غير الشرعي (لم يظهر اي دليل علمي حتى الآن يؤكد ان الاتصال الجنسي غير الشرعي قد وجد بالفعل) ثم الزواج الجماعي ، ثم تعدد الزواج (بدأ بتعدد الأزواج ثم تعدد الزوجات) وأخيراً الوحدانية وهي في نظره أرقى أشكال التطور .

أما وسترمارك Westermark فيرى أن أصل الزواج تطور عن عادة بدائية،يعيش بمقتضاها رجل وأمرأة (أو عدة نساء) معاً ، فتنشأ بينهم علاقات جنسية ، ثم يلتزمون بتربية ما ينجبون ، ويكون الرجل في هذه الحالة هو الحامي والعائل لأسرته ، وتساعده المرأة وترعى الأطفال وقد ترسخت هذه العادة في البداية عن طريق التكرار ثم أكدها القانون بعد ذلك إلى أن تحولت إلى نظام اجتماعي متعارف عليه . وعلى العكس من مورجان يرفض وسترمارك فكرة وجود الشيوعية الجنسية في

---

(1) Lewis Morgan , « Ancient Society » N . Y , Henry Helt and Company , 1877 , pp . 325 - 328 .

المجتمعات القديمة ويؤكد وجود نظام الوحدانية في الزواج في الجماعات البدائية . واتفاقا مع معظم المنظرين التطوريين اعتمد وسترمارك على عالم الحيوان وكذلك الأسر البدائية ليقدم الدليل الذي يدعم به نظريته في تغير الأسرة[1] .

إن معظم هذه المحاولات التطورية لتقديم تفسير مقنع لمراحل تغير الأسرة لم تعد تقابل بالموافقة ، فيرى وليام جود ان هذه النظريات قامت على أربعة افتراضات اساسية أصبحت مرفوضة في الوقت الحالي وهي :

١ ـ إن الأسرة والأنماط الدينية لمجتمع يتميز بمستوى تكنولوجي منخفض تكون أكثر ارتباطاً بإنسان العصر الحجري وليس بالإنسان الحديث ، ونتيجة لهذا الفرض ، يمكننا إعادة بناء مراحل الزمن بينهما عن طريق ملاحظة المجتمعات البدائية المعاصرة .

٢ ـ إننا نستطيع حاليا النظر الى المتبقيات الثقافية Cultural Survival في طقوس « أسر الزوجة» Wife Capture مثلا ،على انها تمثل التحجر الاجتماعي او الطقوس الاجتماعية البالية .

٣ ـ إن الأنماط الأسرية موضع الملاحظة الآن تطورت لكي تسهم بفعالية في بقاء المجتمع بصورة أرفع مما كانت تستطيع الأنماط السائدة في الماضي .

٤ ـ إن النتائج المتعاقبة والمتسلسلة لمستوى معين يمكن ان تبرز كما هو الحال في المنظور البيولوجي ، وهو الأمر الذي تستطيع من خلاله جميع انساق الأسرة والقرابة ان تستمر في الوجود[2] .

هذا وقد تعرضت النظرية للإهمال تماما بعد الحرب العالمية الأولى ، من اجل الرغبة الأكيدة الصادقة في الحصول على وصف دقيق وواقعي لأنساق الأسرة ، وما صاحب ذلك من ظهور اتجاهات التحليل ذات المدى القصير والدراسات

---

1) Edward Westermarck «A Short History of Marriage» N.Y. Humanities, 1968. P. 2. (First Published in 1928).

(2) William Goode . « The Theory and Mcasnment of Family Clange » in Eleanor B Sheldon and Willret Moore . Indicators of Social Change , N . Y . Russel Sage Foundation , 1968 , p . 301 .

الانتشارية ، حتى أصبح هناك اتفاق نسبي بين علماء الاجتماع على ان البيانات المتاحة لا تدعم النظرية الكبرى وبذلك تصبح جميع المحاولات لإعادة بناء الأشكال القديمة لتنظيم الأسرة مجرد فروض لافتقارها إلى الدليل التجريبي .

النظرية الدورية المثالية للتغير

ظهر تفسير مثالي للتغير كبديل لتفسيره عن طريق البحث عن الأصول التطورية أو المادية ، يقوم على تنظيم المعايير والقيم المصاحبة لتحول افكار الإنسان ، ويكون التغير في التنظيم الأسري في هذه الحالة من خلال دور الأفكار . ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن التفسير الدائري يقوم على أن التغير يتم في قفزات او ذبذبات تاريخية هائلة أو دورات .وقد ضمن كارل زيمرمان Zimmerman هذه التفسيرات مؤلفه الضخم عن الأسرة والحضارة[1] ، ويعتبر محور أو محك القوة Power، هو الأساس الذي بنى عليه زيمرمان معظم تصوراته عن الأسرة الأمر الذي مكنه من تصنيف الأسر خلال تطورها التاريخي من منظور قوتها أو مقدرتها على العمل وميدان عملها ، ومدى هذه القوة مقيسا بقوة المجتمع كلة وكذلك الأدوار التي تستطيع الأسرة القيام بها في إطار الأدوار الكلية للمجتمع ومثال ذلك ، إذا اراد الأفراد ان يتزوجوا . فهل يستشيرون الأسرة ، أم رجال الدين ، أم الدولة ؟ وإذا حدث انحراف عن القواعد والقيم المرسومة فمن الذي يعاقب ، الأسرة ام رجال الدين أم الدولة وهكذا . . .

وبناء على ذلك فإن زيمرمان يرى انه يمكن تنميط الأسر تبعا لمقدار قوتها مقارنة بقوى باقي المجتمع . وباستخدام « النمط المثالي» IdealType توصل زيمرمان الى ثلاثة انماط رئيسية تمر بها الأسرة :

١ ـ اسرة الوصاية The Trustee Family [٢]

ويشتق هذا النوع من الأسرة إسمه من الحقيقة القائلة بأن الأفراد لا ينظر اليهم كأعضاء في الأسرة بل كأوصياء على اسمها وأملاكها ونسبها . والأسرة في حد ذاتها « خالدة » بغض النظر عن وجود الأفراد .

---

(1) Carle C. Zimmerman , Family and Civilization , N . Y , Harper and Bros , 1947

(٢) يعتمد توضيح وشرح زيمرمان على انماط اسرية نموذجية وليس على انماط اسريه تجريبية

وإلى جانب درجة عالية من الأسرية ، فليس هناك أي تصور لحقوق الأفراد وأي تساؤ ل عن رفاهية الفرد يرتبط برفاهية الأسرة كجماعة .

وأسرة الوصاية لها سلطة كبيرة على أفرادها ، وتستمد سلطة الزوج والأب المطلقة من كونها قوة منبعثة من دوره كوصي على الأسرة ومن تحمله مسئوليتها . هذا وتنتظم الأسرة في عشائر لتكوين الدولة في نهاية الأمر ، وعند تشكيل الحكومة فإنها لا تتدخل في شئون الأسرة إلا نادراً . أما عضوية الأسرة فإنها تعتمد على طقوس معينة ، ويمكن للجماعة ان ترفض او تقبل اعضاء جدد إلى جانب فرض قيود عديدة على الطلاق والنوع الوحيد المسموح به هو حق الزوج في طلاق زوجته إذا ثبت انها لا تتعاون معه في العمل على تكامل الجماعة .

٢ ـ الأسرة العائلية The Domestic Family

وهي نوع متطور أو مشتق من أسرة الوصاية حيث تضعف سيطرة الأسرة على أفرادها وتزداد سلطة الدولة التي تحد من حق الأسرة في معاقبة افرادها . وتهيء الظروف لممارسة الحقوق الفردية لكي يتمكن اعضاء الأسرة من مواجهة سلطتها . ومع ان نظام العشيرة يميل إلى الاحتفاء إلا أن الأسرة كوحدة تبقى قوية ، على الرغم من نمو فكرة الحقوق الفردية وامكانيات تحطيم القيود المفروضة على الطلاق .

٣ ـ الأسرة النواة The Atomistic Family

وهي على النقيض من النوع الأول ، حيث حلت الفردية محل الأسرية وتناقصت قوة الأسرة وسلطتها الى الحد الأدنى . وأصبحت الدولة اساسا منظمة افراد ، وإذا كانت التضحية بالنفس في سبيل اهداف الجماعة من السمات المميزة لأسرة الوصاية ، فإن مذهب النفعية او اللذة هو الذي يميز الأسرة النواه . وقد اصبح الزواج في هذا النمط الأسري ، عقدا مدنيا . وليست له القدسية التي كانت له في الماضي مما جعل الطلاق أمرا شائعاً ، وهذا إلى جانب ادلة اخرى على تفشي الفردية مثل الحركات النسائية ، ومشاكل الشباب . وكثير من الاضطرابات المرتبطة بحياة الأسرة بوجه عام .

وفي هذا التصور للنمط المثالي ، نجد الأنماط المتناقضة هي تلك التي تتميز بالحد

الأعلى من القوة (أسرة الوصاية) في مقابل الحد الأعلى من الضعف (الأسرة النواة) وبينهما نمط وسيط له قوة متوسطة (الأسرة العائلية) .

وقد انتهى زيمرمان من تحليله لتطور نماذج الأسرة خلال تاريخ المجتمع الغربي منذ عام ١٥٠٠ ق . م . حتى الآن ، إلى ان التغير الاجتماعي عامة وتغير النسق الأسري خاصة يتفاعلان بصورة حتمية حيث يتبادلان مواقع السبب والنتيجة . أما التغير الاجتماعي في الوقت الحاضر فإنه يسير في طريق غير واضح . ويتنبأ زيمرمان بأن الحضارة الحديثة سوف تنهار كما أنهارت الحضارات القديمة[١] .

ولكن زيمرمان يستطرد فيما يتعلق بالأسرة فيقول « إن دورة التغير مستمرة لأن اسرة الوصاية تحمل في داخلها بذور انهيارها وتفككها . فبينما يتيح قانونها البدائي للعدالة قيام مجتمع منظم ، ويزيد من تراكم الثروة ، ويؤكد على العمل الإنتاجي ، إلا أن سلطتها المطلقة على أفرادها تؤدي إلى سوء الاستعمال ، فقد تظلم الزوجات ، وقد يتعرض الأبناء للطغيان والظلم ، كما أن حقوق الأفراد قد تقمع بوجه عام . وهذا يؤدي إلى نشأة المنازعات بين الأسر . وبتطور المجتمع تتناقص « قوة » الجماعة القرابية الممتدة وتبدأ الأسرة العائلية في الظهور .

وتعتبر الأسرة العائلية أكثر الأنماط الأسرية شيوعا في المجتمعات الأكثر تحضرا ، وقد أصبحت النمط السائد في المجتمع نتيجة لقوى وعوامل داخل الأسرة وخارجها . وكان السبب في ظهورها الرغبة في معاملة اكثر عدلا من جانب أعضاء الأسرة الى جانب تأثيرات الحكومة والدين ، وهي لذلك لا تشبه أسرة الوصاية حيث أنها لا تحمل داخلها بذور انهيارها ، لأن التغيرات طرأت عليها من الخارج ، حين بدأت نظم اخرى غيرها تحد من سلطتها ، كما زادت القوانين التي تمنح الحقوق

---

(١) هنا يظهر تأثر زيمرمان بدراسات فلسفة التاريخ او تحليل دورة الحضارات من المنظور السوسيولوجي ، ولمزيد من التعرف على أبعاد هذه الفكرة يمكن الرجوع إلى :

Spengler , . « The Decline of the West .

Sorokin , Social and Cultural Dynamics (1947) : وكذلك

كما يوجد عرض ممتاز لتعاقب الحضارة في كتاب :

Toynbee . The Study of History .

للأفراد ، في الوقت الذي خلقت فيه الثقافة مناخا عاما شجع على مقاومة الأسرة العائلية وبالتالي اتيحت الفرص لظهور « الأسرة النواة » .

وأخيرا يعتقد زيمرمان ان ظهور الأسرة النواة كان عاملا أو مصاحبا لت دع اركان الحياة الاجتماعية . والذي يتمثل في اختلال الانسجام والتوافق في الزواج وانتشار الزنا وسوء استعمال الجنس وسهولة الطلاق ، وانتشار ظاهرة الأبناء غير الشرعيين والجناح . في الوقت الذي تندثر فيه مفهومات الولاء والانتهاء والتضحية وتزايد ظهور النزعات الفردية . ولهذا يرى زيمرمان انه نظراً للانهيار الواضح والمستمر في الأسرة النواة فليس ببعيد ان تظهر من جديد اسرة الوصاية ، وهكذا يعيد التارخ نفسه[1] .

والخلاصة ، أن مؤلف زيمرمان في علم الاجتماع الأسري يعتبر من أهم الدراسات التي يرجع اليها الدارسون في هذا الميدان ، إلا ان تحليله للدورات الزمنية لم يصادف كثيرا من التأييد ، فقد جمع زيمرمان في كتابه تاريخ حوالي ٤٠٠٠ سنة ولا يوجد دليل على صدق البيانات والمعلومات التي اعتمد عليها . كما اننا لا نستطيع القول بأن زيمرمان هو الوحيد الذي أكد على أهمية تحليل طبيعة الدورات الزمنية لفهم التغير . فقد سبقه المؤرخون في بلورة نظريات عن الدورات الزمنية . وعموما ، فقد قدمت النظرية الدورية للتغير معلومات مفيدة ، وحددت العلاقة التفاعلية بين كل نموذج من نماذج الأسرة والإطار الكبير (المجتمع) الذي تتحرك خلاله . والذي يهمنا هنا هو ان زيمرمان اثبت بوضوح الآثار الاجتماعية التي يمكن ان تترتب على سيادة نموذج الأسرة النواة في المجتمع الحديث .

عوامل تغير الأسرة

تشتمل الكتابات السوسيولوجية على نوعيات واسعة من الاتجاهات التي تؤكد وجود محرك أول Prime-Mover وحيد يكون بمقدرته تفسير الاختلافات التي تظهر بمرور الوقت في نسق الأسرة والزواج . وهذه التفسيرات ليست نظريات في الأسرة أو التغير

(1) Carle Zimmerman , « The Family of Tommorrow : The Cultural Crisis and the way Out , » Harper and Bros N . Y 1949 .

الاجتماعي ولكنها ترفض « احادية العامل » أي انها ترى ان التغير الأسري أو الاجتماعي يتسبب عن عامل واحد كبير ، إلا أن معظم الكتابات السوسولوجية المعاصرة ترى أن ابراز عامل واحد وتصوره « كمستقل » في عملية التغير غير صحيح على المستوى النظري أو الأمبيريقي .

إن الأسرة كما سبق أن قلنا لا يمكن فهمها كظاهرة منعزلة . بل لا بد من النظر اليها في ضوء النظم الاقتصادية والسياسية والدينية والأوضاع السكانية في المجتمع ، الذي تكون جزءا منه ، يتأثر ويؤثر في نفس الوقت . فليس عن طريق الصدفة ان يدعم المجتمع الزراعي الثابت نسبياً شكل « الأسرة الممتدة » أو يشجع نظام « تعدد الزوجات » أو يمنح الآباء حتى اختيار الزوجات (الازواج) لأبنائهم فكل عنصر من هذه العناصر يتلاءم مع البناء الاجتماعي الثابت ، مثل الاصرار على شكل الأسرة الزوجية ، والحب الرومانتيكي ، والمنزل المستقل الذي يميز المجتمعات الحضرية الدينامية[1] .

ولا يوجد بالفعل ما يسمى « نظريات التغير الاجتماعي أو الأسري » ولكن كل النظريات الموجودة هي نظريات ذات طابع احتمالي أو ذات مدى قصير ، وهي تبين ان تغير الأسرة أو المجتمع يعود إلى عامل أو مجموعة من العوامل كالجنس او المناخ أو التكنولوجيا أو الاقتصاد . وهناك تصور عام بين علماء الإجتماع مؤداه ان التطور التكنولوجي أو الصناعي يشكل عاملا مهما في تغير الأسرة ، والدليل على ذلك ان الأسرة الصناعية في انجلترا تختلف طريقة حياتها عن حياة الأسرة في العصر الحجري في استراليا . ولكن على الرغم من أن الاختراعات والاكتشافات العلمية لها أهمية كبيرة في عملية التغير إلا أنها ليست العامل الوحيد في تغير الأسرة . فكل تغير يحدث في الأسرة يكون نتيجة لعدة عوامل كما ان التغير الذي يحدث في أحد اجزاء الأسرة يؤثر في بقية اجزائها . فإذا تساءلنا : ما الذي يدفع الحكومة على سبيل المثال لمد يد العون للمسنين ، فإننا سوف ننتهي إلى أن هناك مجموعة من العوامل التي تكمن وراء هذا الإجراء ، من بينها أن الحياة العصرية تباعد بين الأبناء البالغين وبين آبائهم ،

(1) Milton Yinger, « The Changing Family in a Changing Society » in John Edwards (ed.), The Family and, Change, Alfred Knoph : Publisher N, Y, 1969, p. 272

ويجعل من الصعب على هؤلاء الأبناء تحمل مسئولية آبائهم من الناحية المادية ، في الوقت الذي يبدو واضحاً ان كثيراً من الآباء لم يتمكنوا أو لم يخططوا لشيخوختهم في الوقت المناسب ، هذا إلى جانب ان الحكومة هي الهيئة الوحيدة في الوقت الحاضر التي لها سلطة الضغط وفرض الضرائب من أجل التأمين الاجباري للمسنين وهكذا[1] .

ولكن من الممكن ان نحدد عددا من العوامل يحتمل ان يكون لها تأثير فيما يلحق الأسرة من تغيرات وهي :

١ - العامل الجغرافي

من الواضح ان كل أسرة تعيش دائماً في مكان معين ، وطبيعة هذا المكان تؤثر بالضرورة على انشطة الأسرة ، وأي تغير في الظروف الجغرافية سوف يؤدي إلى تغيرات في الأسرة . فحدوث زلزال أو فيضان أو اعصار سيحدث تغيرات في اتجاهات وسلوك اعضاء الأسرة الذين يسكنون في هذه المناطق .

وليس هناك شك في أن دورة حياة الإنسان تتأثر بالمناخ والمصادر الطبيعية ، وتوزيع الأرض والمياه . والإنسان يتأثر بالدورات اليومية التي تحدث نتيجة دوران الأرض حول محورها ، وبالدورات السنوية الناتجة عن دوران الأرض حول الشمس ، والدوراث الشهرية الناتجة عن دوران القمر حول الأرض ، كل هذه التغيرات الجغرافية الدورية تؤثر بدون شك في الأنشطة التي تمارسها الأسرة خلال دورة الاعوام. إلا أن الإنسان استطاع بالعلم ان يطوع البيئة وان يستخدم مصادرها استخداماً ايجابيا لرفاهيته ، كما انها لم تعد إلى حد كبير « حتمية » في تحديد مجالات نشاطه ، إلى جانب أنه ليس في إمكان العامل الجغرافي دائما أن يفسر التغير . فنفس البيئة يمكن ان تنشأ فيها حضارتان مختلفتان تماماً . ومثال ذلك أن مناخ أوروبا لم يتغير في القرون الخمسة الماضية ومع ذلك فقد تغيرت الأسرة فيها تغيرا ملحوظاً .

---

(1) Mayer Nimkoff : « Obstacles to Innovation » in Allen and Others (eds) . Technology and Social Change . Apploton - Century Crafts , Inc . . N . Y , 1957 , pp . 307 - 308 .

٢ ـ العامل السكاني

الديموجرافيا هي الدراسة الاحصائية للسكان من حيث حجمهم وتوزيعهم وتركيبهم وهي تهتم بموضوعات معينة مثل التغيرات في الخصوبة ، وحجم الجماعات او المجتمعات ومعدلات المواليد والوفيات سواء بالزيادة او النقصان ، والهجرة داخل المجتمع الواحد ، والهجرة الخارجية واستحداث مناطق جديدة للعمران والسكن ، والعلاقات الإجتماعية ، ومستوى التكيف بالنسبة للمهاجرين وقاطني المناطق السكنية الجديدة ، ونسبة الأطفال او الشباب او الشيوخ إلى سكان المجتمع وأثر ذلك في العمل والانتاج والاقتصاد القومي . وعلى ذلك فإن أي تغير في حجم أو توزيع الناس يؤدي بالضرورة إلى التغيرات الاجتماعية . وبتتبع التاريخ نجد أن أي نقص او زيادة في السكان كانت تؤدي الى تحولات في أنماط حياة الأسرة . فالنمو السكاني السريع تتبعه مشاكل معينة مثل النقص في الطعام ، او في فرص العمل أو المدارس او الإسكان ومع ذلك فإن المصدر الديموجرافي على ما له من دور في تغيرات الأسرة إلا أنه ليس كافياً بمفرده لتفسير التغير .

٣ ـ العامل البيولوجي

إن تقسيم الناس إلى جنسين ، ذكور وإناث ، ظاهرة دائمة ولا يمكن اعتبارها عاملا في تغير الأسرة لأن العامل الذي يتغير فقط هو الذي يسبب تغيرات أخرى . أما توزيع الجنسين فله دخل كبير في تغير الأسرة ، وقد تبين من عدد من البحوث[1] ان معدل الزواج يرتفع كلما كان عدد الذكور أكثر من الإناث ، كما أن زيادة الذكور او نقصهم في مجتمع ما يؤدي الى تغيرات ملحوظة كارتفاع او إنخفاض معدلات الزواج ، وانتشار الدعارة ، والأطفال غير الشرعيين .

ويعتبر سن النضج البيولوجي من العوامل المؤثرة في تغير الأسرة ، حيث نجد أن عدداً كبيراً من المجتمعات يكون فيها سن الزواج بالنسبة للأنثى هو سن البلوغ البيولوجي وأي تأثيرات تطرأ على هذا النضج تؤثر في سن الزواج . ومن الأشياء التي تؤثر في هذا النضج ، التحكم في الأمراض في الطفولة

---

(1) E. R. Groves and W. F. Ogburn, « American Marriage and Family Relationships, N, Y, Holt 1928.

المبكرة والتغذية الجيدة .

ومن أهم التغيرات الأسرية التي يظهر فيها تأثير العامل البيولوجي ، زيادة عدد الأسر التي يوجد بها افراد مسنين ، وتوقع الزيادة في طول العمر ترجع إلى نفس العاملين اللذين سبق ذكرهما والمسئولين عن النضج المبكر للاناث .

٤ ـ العامل الايديولوجي

هناك عوامل أخرى تؤثر في تغير الأسرة ذات طبيعة نفسية واجتماعية يطلق عليها احيانا إسم « العوامل الايديولوجية »[١] . أما دور الايديولوجيا في تغير الأسرة فيظهر بوضوح في ارتفاع مستوى رعاية الأطفال في المجتمعات الحديثة ، حيث أصبحوا يحصلون على رعاية فائقة ، وخدمات كثيرة لم يتيسر لهم الحصول عليها من قبل ، ففي الماضي كان توجيه الآباء نحو تربية أطفالهم هو معاملتهم بحزم شديد ، وعدم تدليلهم ، أما اليوم فيحصل الأطفال على قدر كبير من الحنان والتدليل . ويمكن تفسير ارتفاع مستوى رعاية الأطفال في الوقت الحالي بنقص عددهم في الأسرة بسبب فعالية وسائل تنظيم الأسرة في بعض المجتمعات المزدحمة بالسكان واتجاه المرأة الحديثة إلى التقليل من الإنجاب ، وهذا إلى جانب التقدم العلمي الملحوظ في مجال رعاية الأطفال وتدريبهم في ابراز شخصياتهم وإعدادهم لحياة اجتماعية ذات طابع يختلف عن طابع الحياة الذي ساد المجتمعات التقليدية . وإذا كان الأطفال يشكلون عبئا اقتصاديا في وقتنا الحالي فإن الاستخدام الممكن والاختياري لوسائل منع الحمل يعاون الزوجين على الاختيار بين الانجاب أو عدم الانجاب مما يؤدي إلى أن الأطفال الذين سيولدون بمحض إرادة والديهم ، سيكونون موضع حبهم ورعايتهم[٢] .

ويبدو ان التأكيد على « وحدانية الزواج » والنفور المتزايد من أي نمط آخر على مستوى الشرعية ، يمثل أيديولوجية ، في الوقت الحاضر ، تساندها ظواهر عديدة ، من بينها ظاهرة تساوي عدد الجنسين تقريبا في كل مجتمع . ولهذا فمن المحتمل ألا

---

(١) سوف نفهم الايديولوجيا هنا على انها أنساق الافكار الموجودة في مجتمع ما والتي تعتبر عنصرا رئيسيا في توجيه قوى الحياة الاجتماعية .

(2) Meyer Nimkoff , « Technology and the Family » in Allen Francis and Others (eds) , Technology and Social Change , Appleton Century - Crofts , Inc . , N . Y , P 310 .

تستمر وحدانية الزواج كقاعدة إذا اختلفت معدلات الزيادة في عدد الرجال والنساء في أي اتجاه .

وعموما ، فقد أصبحت الديموقراطية والحرية وإتاحة الفرص للتعبير عن الذات من المفاهيم الرئيسية في الأيديولوجية الحديثة . وأصبحت الأسرة تميل إلى أن تكون جماعة تربطها المحبة والعلاقات الشخصية الوثيقة[1] .

٥ ـ العامل الاقتصادي

يعتبر العامل الاقتصادي من أكثر العوامل استخداما في نظريات التغير . فطبيعة العمل ، ومصدر الدخل ، وإمكانية الحصول على السلع ، والمعايير الأساسية التي تحكم العلاقات الاقتصادية بين الناس ، أساسية بالنسبة لمعظم الأسر .

ويرتبط التفسير الاقتصادي للتغير بكارل ماركس Karl Marx إلا أن نظرية ماركس عن المجتمع ينظر اليها على أنها واحدة من النظريات الحتمية ، لأنها حاولت ان تحلل التغير الاجتماعي عن طريق الربط بين الناس ووسائل الانتاج . فالتغير هنا يمكن ان يحدث عندما ينشأ إحساس قوي بالتضامن بين العمال الذين يقعون فريسة استغلال أصحاب العمل ، الأمر الذي يؤدي بهم في النهاية إلى إنهاء الطبقة الرأسمالية ، كذلك فإن النهاية القصوى للصراع الطبقي لا بد أن تكون في قيام مجتمع لا طبقي . ومع أن التاريخ الحديث يشهد على أخطاء ونقائص عديدة في التحليل الماركسي ، إلا أن بعض قضايا ماركس السوسيولوجية ينظر اليها على أنها صحيحة ، وعلى سبيل المثال فإن من يشغلون مراكز متشابهة في النظام الاقتصادي يواجهون نفس المشاكل ويمرون من خلال تجارب متماثلة في الحياة الأمر الذي ينتج عنه ان تكون لديهم اتجاهات وقيم مشتركة ، مما يجعلهم يسلكون بنفس الأسلوب . ومع ذلك فإن كثيرا من تنبؤات ماركس عن المجتمع الرأسمالي لم تتحقق ، فلم تختف الطبقة الوسطى ولم تتبلور احاسيس الطبقة العاملة ولم تتبلور الملكية في أيدي قلة يتناقص عددها

---

(1) Ernest Burgess , « The Family in a Changing Society » , in Hatt and Others (eds) , Cities and Society , The Free Press of Glencoe , Inc. , N . Y , 1961 , pp. 484 - 485 .

باستمرار . كما أن الثورات التي تنبأ بها لم تحدث حتى الآن في أكثر البلاد الصناعية تقدما وهي البلاد التي كان من المتوقع نتيجة للأفكار الماركسية ان تواجه المتاعب .

وقد أثار « انجلز » Engels[1] ومن يسيرون على نهجه من الماركسيين ان التغير بالنسبة للأسرة يتوقف على تعديل يجب ان يطرأ على علاقات الملكية وقد أدى خلق الملكية بعد مرحلة الشيوعية البدائية إلى استعباد النساء ومعاملة الأطفال كسلع إقتصادية . ولكن سواء اتفق المرء أو لم يتفق مع نظرية الصراع الماركسية في التغير التي تقوم على الحتمية الاقتصادية فإن تأثير العوامل الاقتصادية لا يمكن التغاضي عنه . ذلك لأن تأثير الاقتصاد العام للمجتمع على الأنساق الأسرية يمكن ان يلاحظ على الفور من خلال التعرف على معدلات الطلاق خلال فترات الكساد او التقدم ، ويكفي في هذا الصدد ان نشير أيضا إلى الاختلافات القائمة في حجم الأسرة ، ومكان الإقامة وأنماط الاستهلاك ، ومعنى ذلك انه يمكن ان نبرهن على أن أي تغير في الاقتصاد او أي تغير في الدخل الفردي يمكن أن يؤثر في الأسرة أو الأنماط الأسرية ، ويقول وليام جود على سبيل المثال هنا : « أنه كلما اتسع نطاق النسق الاقتصادي من خلال التصنيع تضعف روابط القرابة الممتدة وتتفكك انماط وحدات البدنة ويظهر هناك ميل إلى قيام شكل من أشكال النسق الزوجي ، ومع ذلك ، فإن النظر الى العامل الاقتصادي على أنه التفسير الوحيد أو الأهم للتغير الأسري او الزوجي لا زال حتى الآن موضوعا للحوار .

٦ ـ العامل التكنولوجي

لقد نشأت التكنولوجيا في الأصل لتقلل من المجهود العضلي والجسماني الذي يبذله الإنسان في العمل ، ولتعمل على رفاهيته ، ورفع مستوى معيشته وإتاحة وقت فراغ أطول ، وبذلك نستطيع القول ان التكنولوجيا أساسا اجتماعية وأن العمل التكنولوجي يحدث استجابة لمتطلبات اجتماعية معينة . وتأثير التكنولوجيا على الأسرة يكون في العادة بطريقة غير مباشرة ، وذلك من خلال التصنيع والحضرية ونمو المدن ، اما تأثيرات التكنولوجيا المباشرة على الأسرة فتظهر في صورة الأدوات المنزلية

(1) Frederck Engles , The Rigin of the Family, Private , Operty and the State, Chicago O . H . Cuer and Company , 1902 .

ووسائل الترفيه المختلفة وكذلك الاكتشافات العلمية في مجال الطب والدواء .

وقد كان للتقدم التكنولوجي تأثيرات متعددة على الأسرة من حيث بنائها ووظائفها ولذلك نجد ان حجم الأسرة في المجتمعات التي تأخذ بأسباب التكنولوجيا الحديثة يميل الى النقصان باستمرار مع ما يصحبه من انتشار شكل « الأسرة النواة » . ولكن هذا لا يعني ان التكنولوجيا هي السبب في نشأة هذا النوع من الأسرة ، وإنما يعني أنه من أكثر الأشكال ملائمة للنظام التكنولوجي ، كما أن العلاقات الداخلية في الأسرة تغيرت إلى حد بعيد ، وتغير دور الرجل التقليدي كرئيس للأسرة ، وأصبحت العلاقات بين أفراد الأسرة تقوم على الحرية والمساواة ، كما تغيرت القيم المتعلقة بالزواج واختياراته ، وتغيرت النظرة الى الطلاق . هذا وقد تناقصت وظائف الأسرة أيضا بظهور التكنولوجيا الحديثة المتمثلة في التصنيع والحضرية ولم يبق للأسرة سوى وظائف قليلة اهمها وظيفة الإنجاب والتنشئة الاجتماعية .

خلاصة القول ، أن تغير الأسرة يتم نتيجة تداخل مجموعة معقدة من العوامل الداخلية والخارجية والوسيطة ، ونظرا لأن الأسرة تعيش دائما إطارا ثقافيا ، تتفاعل معه تفاعلا متنوعا ، فإن التغير في أحد أجزاء هذا الإطار سوف يؤدي الى تغيرات عديدة في الأسرة ، وما من شك أن العلم في العصر الحديث يعتبر من أكثر جوانب الثقافة دينامية ، وهو المسئول عن عديد من التغيرات أو مظاهر النمو والتقدم في ميدان التكنولوجيا ، وقد سبق ان أشرنا إلى أن التكنولوجيا لا تغير الأسرة بطريقة مباشرة وإنما تغيرها من خلال عوامل وسيطة (أو غير مباشرة) تتمثل في نمو المدن وانتشار التصنيع وزيادة الخصائص الحضرية . لكن هذا لا ينفي ان التكنولوجيا في بعض الأحيان قد تمارس تأثيرا مباشرا على تغير الأسرة كما في حالة تحديد النسل (وتنظيم الأسرة التي) تتصل اتصالا حيويا بصميم وظائفها[1] .

---

(١) كان للتغيرات الاجتماعية والثقافية التي تعرض لها المجتمع المصري في العصر الحديث آثارها الواضحة على الأسرة المصرية . إلا ان الأسرة المصرية ليست نمطا وحيدا بل هي في الواقع متعددة الأنماط فالأسرة الريفية مثلا تختلف كثيرا عن الأسرة الحضرية إلا أننا نستطيع ان نؤكد ان أكثر التغيرات وضوحا في الأسرة المصرية هو ظاهرة التحاق المرأة بالعمل وحصولها على الفرص المساوية للرجل في التعليم والوظيفة بصورة لم تكن متاحة من قبل ، مما

وعموما نستطيع القول بأن التغيرات التي تتعرض لها المجتمعات الحديثة وخاصة في مجال التصنيع والتكنولوجيا كان لها أثرها الفعال على الأسرة في نواح عديدة نستطيع الاستدلال عليها بتقديم نماذج من تلك التغيرات :

١ ـ أتاحت التغيرات فرصا عديدة لتمضية وقت فراغ ممتع بما اتاحته من وسائل لم تكن متاحة من قبل مثل الراديو والتلفزيون وآلات التسجيل والأفلام السينمائية ، ولهذه الأدوات بجانب دورها الترفيهي آثار أخرى على الأسرة فمثلا مشاهدة الأسرة لبرامج التلفزيون انقصت الى حد بعيد من الوقت الذي ينفق في أشياء أخرى مثل تبادل الحديث بين أفرادها ، او الإقلال من الأنشطة الأخرى مثل القراءة أو أشغال الإبرة . وكان للراديو أيضا أثره في تمضية وقت الفراغ بحيث يستطيع الفرد ألا يكون بمفرده بمجرد إدارة مؤشره . وأتاحت السيارة فرصة ملائمة للترفيه عن أفراد الأسرة بما تتيحه لهم من إمكانية القيام برحلات ونزهات . وكان للأدوات الرياضية التي لم تكن موجودة من قبل دور هام أيضا في الترفيه مثل القوارب وأدوات الصيد ووسائل المخيمات الخ . . .

٢ ـ من أبرز التغيرات التي ظهرت آثارها على الأسرة استعمالها لوسائل ضبط النسل المختلفة ، وبالرغم من أن ممارسة تحديد حجم الأسرة معروف منذ القدم إلا أن الوسائل الحديثة قائمة على أسس علمية ونتائجها مضمونة تماما ، ويبدو ان الدافع الأساسي لاستخدام هذه الوسائل يرجع الى رغبة الأسرة في تحديد حجمها نتيجة

ساعدها على المساهمة بفعالية في ميزانية اسرتها ، وهذا اتاح لها فرصة المشاركة في اتخاذ القرارات .ويتناسب حجم مشاركة الزوجة في تخطيط ميزانية الأسرة وفي اتخاذ القرارات المتعلقة بتنشئة الأطفال تناسبا طرديا مع عملها أو دخلها الخاص . وهذا لا ينطبق إلا على الأسر التي تكون الزوجة فيها عاملة . وليس معنى هذا أن الزوجات غير العاملات لا زلن تابعات للرجل ، ويؤدين أدواراً سلبية ، بل إن التغير الاجتماعي العام في المجتمع وتأثير وسائل الاتصال وزيادة الخصائص الحضرية ، وانتشار التعليم ، وتناقص حجم الأسرة يؤدي إلى تغير ملحوظ في دور الزوجة وفي مركزها في الأسرة إلى الدرجة التي نستطيع معها القول بأنها تشارك ببطء ولكن بشكل مضطرد في مسئولية رعاية الأسرة وتخطيط مستقبلها .ومع أنه من الممكن ملاحظة التغير المستمر في مسائل مثل تنظيم الأسرة والمساواة ونوع الحرية المتاحة والأساليب الديموقراطية في إدارة شئون المنزل والارتفاع الملحوظ في مكانة المرأة ، إلا ان درجة تأثر كل أسرة بالتغير مسألة نسبية إلى حد كبير ، فالتغير الذي أصاب سلطة الرجل أو لحق بمكانة المرأة يقتصر على فئات معينة ، وعموما فإنه على الرغم مما قد يتنبأ به الكثيرون من احتمالات التفكك المصاحبة لتأثيرات التغير فإن الأسرة المصرية تتميز بالتماسك والتكامل ، وهذا لا ينفي تعرض الأسرة للأزمات ولا يقلل من قدرتها على استيعابها وتجاوزها .

للاعباء الاقتصادية الضخمة التي أصبحت تقع على عاتق الأسرة في المجتمع الحضري الصناعي المعاصر .

٣ ـ تغير آخر تتعرض له الأسرة حاليا وهو زيادة الاهتمام بوضع المسنين وذلك للزيادة المطردة في أعدادهم بالقياس الى عدد السكان (وذلك نتيجة للرعاية الطبية المتزايدة التي توليها المجتمعات المتقدمة لأفرادها منذ الطفولة المبكرة مما ساعد على إطالة عمر الفرد) إلا أن كبر الأب في السن مثلا يعني الإحالة الى المعاش وما يلي ذلك من فقدان للمكانة والقوة ، ومن ناحية أخرى النقص الواضح في الدخل وبالتالي انخفاض مستوى المعيشة . وغالبا ما تحدث تغيرات معينة في نوع المعاملة التي يلقاها أفراد الأسرة المسنين ، من حيث عدم الاستماع إلى نصائحهم ، كما يستعان بالجدة كجليسة مفضلة للأطفال ، وعموما فإن التغيرات الاقتصادية وما استتبعها من نظام معين في الأجور وطريقة معينة في السكن جعلت المساكن لا تسع إلا الزوجين وأطفالهما وأصبحت إقامة المسنين مع الأسرة عبئا ثقيلا لا تستطيع تحمله . بالاضافة إلى أن الأسرة المعاصرة كثيرة التنقل ، وهذا يحتاج الى الخفة في الحركة وقلة عدد الأفراد ، وهنا يصبح المسنون عائقا عن الحركة .

إلا ان وضع المسنين يختلف باختلاف الطبقة التي ينتمون إليها فالمسنين في الطبقات العليا يكونون آمنين نسبيا من الناحية المادية ، ولا تعني إحالتهم إلى المعاش فقدان مكانتهم في أسرهم ، كما أن مراكزهم المالية واسم عائلاتهم يبقى كأساس متين لمكانتهم في الأسرة . فهم رمز للعائلة . أما المسنون في الطبقات الأخرى فتختلف اوضاعهم تبعا لظروفهم المادية ويكونون عرضة للتوتر نتيجة لفقد المهنة أو الوظيفة وفقد المركز الاجتماعي ، وعدم الفعالية ، وقطع كثير من روابطهم العائلية .

٤ ـ حدثت تغيرات هامة في مكانة الشباب في المجتمع ، ففي الماضي كان الشباب الملتحقون بالعمل في سن مبكرة ، بينما الظروف الحالية تتطلب تخصصا دقيقا في الدراسة وهذا يستغرق زمنا طويلا مما يستتبع اعتماد الشباب على والديهم للانفاق عليهم حتى يتمكنوا من إتمام دراستهم .

وبالرغم من هذا فإن اوضاع الشباب في المجتمع تختلف باختلاف الطبقة التي ينتمون اليها ، ففي طبقة العمال يميل الشباب الى ترك الدراسة والالتحاق بالعمل وذلك نتيجة لفقر اسرهم ، فالظروف هي التي تجبرهم على عدم استكمال تعليمهم . أما الطبقات العليا فإن ثقافتها تؤكد على ضرورة التحاق الشباب فيها بالتعليم بدرجاته المختلفة . كما يمكن لهؤلاء الشباب الالتحاق بأعمال راقية استنادا الى مكانة عائلاتهم واسماء أبائهم وأقاربهم . اما الشباب في الطبقات المتوسطة فلهم رغبة في التعليم الجامعي أكثر من أي طبقة أخرى . ويرتبط هذا برغبة أفراد الطبقة المتوسطة في النجاح والوصول الى المراكز العليا في المجتمع .

٥ ـ من التغيرات الواضحة ايضا نقص الإنتاج المنزلي بشكل واضح ، وذلك لازدهار الانتاج الصناعي ، ولا ينتظر عودة الإنتاج الى المنزل لأنه لا يستطيع منافسة المنتجات الجاهزة من حيث الجودة والاتقان ، ونظراً لأن معظم الأشياء أصبحت تصنع خارج المنزل فقد تناقص صنع الطعام بالمنزل إلى حد كبير وخاصة في الدول المتقدمة ، حيث اصبح جميع أفراد الأسرة يشترون حاجياتهم من الخارج وخاصة المرأة . ومن المنتظر ان تتناقص عملية إعداد الطعام في المنزل مستقبلا ، وذلك لكثرة وجودة المنتجات الحديثة من الأطعمة المجمدة والمكثفة والمطبوخة . بالإضافة إلى أن المعدات الحديثة مثل حلة البخار ، والتبريد الآلي ، والموقد الالكتروني وكلها تبسط إلى حد كبير عملية إعداد الطعام ، وتزيل عبئا ثقيلا من على عاتق ربة البيت .

وهناك تغير آخر كان نتيجة مباشرة للتقدم التكنولوجي وهوزيادة جذب المنزل ، فمن طريق هذه الاختراعات أصبح في الإمكان تبريد المنزل أو تدفئته تبعا للحاجة ، وكذلك أصبح لاستعمال المعادن اللامعة والبلاستيك والزجاج في تأثيث المنزل أثر فعال في إضافة الوان من البهجة والأناقة والجمال ، كما كان لاستخدام الكهرباء أثر في زيادة إمكانية إقتناء وسائل الترفيه المختلفة مثل الراديو والتلفزيون وآلات التسجيل والتليفون الخ . . .

من عرض هذه النماذج عن التغيرات التي تعرضت وتتعرض لها الأسرة المعاصرة يتبين لنا ان التغيرات الاجتماعية السريعة التي صاحبت التصنيع فرضت

على نسق الأسرة التكيف السريع « خارجيا » مع متطلبات النظم الاجتماعية الأخرى و « داخليا » مع احتياجات افراد الأسرة . ونعني بذلك ، ان الأسرة ليست هي السنبب أو المحرك الأول في عملية التغير الاجتماعي الا ان هذا لا يعني انها تكون سلبية في علاقاتها بالنظم الأخرى ولكن يمكن القول ان الأسرة تستجيب بدرجة عالية للتغير الاجتماعي ، وذلك بتكييف بنائها وأنشطتها لتتلاءم مع المطالب المتغيرة للمجتمع والنظم الاجتماعية الأخرى .

وهكذا يتضح انه لا يمكن دراسة حجم الأسرة او دراسة نوع علاقاتها أو مستواها الاقتصادي او مشاكلها كل على حدة كمدخل لقياس التغير فيها لأن دراسة موضوع مثل التغير يقتضي الربط بين هذه الاجزاء جميعا ، فالأسرة كل لا ينقسم ، ويؤثر كل جزء فيها على الآخر مثل المجتمع الكبير تماما ، ومثال ذلك: ان دراسة العوامل التي تؤثر في حجم الأسرة سواء بالزيادة أو النقصان ، تقتضي ان ننظر الى العوامل المحيطة كنسق القيم ، فهناك مثلا مجتمعات يؤكد نسقها القيمي على ضرورة كثرة الإنجاب ، ومجتمعات أخرى يؤكد نسقها القيمي على الإقلال من الإنجاب ، وكذلك الاتجاهات العامة للناس ، والطبقة التي تنتمي اليها الأسرة ، ونوعية التعليم ، والترفيه ، وما إلى ذلك من العوامل التي تكون ذات أثر فعال في وضع الأسرة المتكامل مع بقية عناصرها الأخرى . وتجدر الاشارة هنا إلى ان دراسات الأسرة قد مرت تقريبا بنفس المراحل التي مرت بها نظريات التغير الاجتماعي . فالأسرة هي المرآة التي تعكس صورة التغير الاجتماعي على المجتمع وذلك عندما تتبنى مجموعة من الأسر شيئا جديدا (تكنولوجيا أو ايديولوجيا) فإنه بمجرد ظهور فائدة هذا الشيء تتبناه بالتدريج الأسر الأخرى حتى يشمل المجتمع بأسره . وقد يلاقى هذا الجديد معارضة من بعض الأسر في حالة مخالفته للقيم التقليدية أو إضراره ببعض المصالح الخاصة إلا أنه بمرور الوقت يثبت العنصر الجديد أقدامه ويقضي على القديم .



الفصل السادس

الدراســــة العلميــــة للأســــرة

لما كان علم الاجتماع مهتما أولا وقبل كل شيء آخر بالظواهر الإجتماعية ولما كانت الأسرة جماعة بالتأكيد ، ترتب على ذلك أن أصبحت الإطارات النظرية الرئيسية لتحليل الأسرة ذات طبيعة سوسيولوجية . ولا يعني إدراك هذه الحقيقة بحال من الاحوال ان علم الإجتماع في مرتبة أعلى أو أفضل من العلوم الأخرى ، وإنما يعني ان الأسرة تدخل بشكل أوضح في بؤرة اهتمامه .

ومن الملاحظات الهامة ان المداخل الحديثة في دراسة الأسرة ليست جديدة كلية ، وإنما تمتد جذورها الى المداخل والنظريات القديمة ، لكنها مع ذلك تكشف عن نمو متزايد من حيث السلامة المنهجية ، وعمق التحقيق الامبيريقي ودقة النتائج ، وزيادة قيمتها العلمية التي تستند إلى وضوح الفروض وتنمية ادوات البحث إلى جانب الكفاءة الفنية والاتجاه نحو إثراء النظرية العلمية السوسيولوجية بوجه عام .

ومع ذلك فقد واجهت ابحاث الأسرة صعوبات عديدة ، اهمها رغبة الاسرة العادية في الحفاظ على اسرارها وشئون حياتها الخاصة بها إلا أن هذا الاتجاه المعارض زالت حدته في السنوات الاخيرة الى حد كبير وأصبح كثير من الاسر يرحب بمثل هذه الدراسات لإدراكه أهمية تطبيق نتائج البحوث على ظروفه الخاصة .

وقد استغرق دارسو الأسرة وقتا طويلا قبل ان يدركوا وجهة النظر العلمية ، وربما كان هذا الوقت أطول بالقياس الى بعض العلوم الإجتماعية الأخرى ، نظرا لأن العلوم الإجتماعية كانت أبطأ في نموها العلمي من العلوم البيولوجية أو الفزيائية . إلا ان أهم ما يميز دراسات الأسرة في الوقت الحالي هو زيادة الإهتمام باتباع المنهج العلمي حيث أصبح الاتجاه في هذه الدراسات يسير نحو استخدام عينات أكثر تمثيلا وازدياد الاعتماد على الإحصائيات في تحليل المادة مع زيادة مصاحبة في الإعتماد على الملاحظة المباشرة في جمع المادة العلمية .

الى جانب التأكيد المستمر على اختبار الفروض الموضوعية نظريا واتخاذ المواقف التحليلية ذات الطبيعة الإحصائية ، يلاحظ ان البناء المنهجي للنظرية أصبح يمثل اهتماما رئيسيا في دراسات الأسرة .وربما كان هذا الاهتمام بالنظرية هو الاتجاه الأكثر بروزا في المرحلة الراهنة من تطور علم الإجتماع العائلي[1] .

تطور دراسات الأسرة

لم تبدأ الدراسة العلمية للأسرة (والزواج) إلا إبان القرن التاسع عشر ، وقد شهدت بعد ذلك وحتى اليوم تطورات عديدة ، يمكن ان نصنفها إلى أربعة مراحل ، وسوف أعرضها في إيجاز على النحو التالي :

المرحلة الاولى

وتتميز بسيادة الفكر العاطفي ، والخرافي والتأملي ، كما يتمثل في التراث الشعبي وكتابات الأدباء او التأملات الفلسفية وتمتد هذه المرحلة حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً . حيث كان الفلاسفة والكتاب الإجتماعيون يعبرون عن وجهات نظرهم وآرائهم الخاصة في المسائل المتصلة بالحياة الأسرية ، وخير من يمثل هذا الإتجاه ما جاء في كتابات « كونفشيوس » في العصور القديمة حين يقول « ان السعادة تسود المجتمع إذا سلك كل فرد سلوكاً صحيحاً كعضو في الأسرة » وهذا يعني تأكيد اهمية التزامات الفرد تجاه الأسرة . وقد خصص الأدباء القدامى في الهند جانباً كبيراً من تفكيرهم لمعالجة مسائل الأسرة ، ومن وقت لآخر كان الفلاسفة

(١) محمد الجوهري وآخرون ، « ميادين علم الاجتماع » مترجم دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٠ ، ٣١١ - ٣١٧ .

الخيالون يرسمون خططاً « يوتوبيا » Utopia يضمنونها طرقا جديدة لأدوار الأسرة كحل للمشاكل الإجتماعية التقليدية ، كما جاء في جمهورية افلاطون عن الأسرة المثالية ، والفرص المتساوية أمام الرجال والنساء في تطوير ذكائهم والوصول إلى غاياتهم . وكان هدف أفلاطون ان ينادي او يتوصل إلى الغاء الروابط الأسرية التقليدية . وأن يبعد جميع الأطفال عن آبائهم فور ولادتهم لتربيتهم تحت رعاية افراد متخصصين .

المرحلة الثانية

وتمتد من منتصف القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين ، وتتميز بعدد من الافكار التي تميل لتطبيق الافكار التطورية على ميدان الاسرة والزواج ، وجدير بالذكر ان أفكار دارون أوحت الى المفكرين الإجتماعيين انه من الممكن ان تتطور أشكال ونظم الحياة الإجتماعية بنفس الطريقة التي تتطور بها الكائنات البيولوجية .

المرحلة الثالثة

وتقع كلها في القرن العشرين وحتى منتصفه تقريباً ، وفيها انتقلت دراسة الأسرة من الاهتمام بالماضي، والتسلسل التاريخي الى الاهتمام بالواقع ، ومن البحوث غير المحددة الواسعة النطاق ، إلى استخدام المناهج العلمية في تناول مشكلات اكثر تحديدا . وركزت هذه المرحلة على دراسة العلاقات الداخلية بين أفراد الأسرة متأثرة في ذلك بعلم النفس ، في الوقت الذي ظلت فيه دراسة المشكلات الإجتماعية تشغل خلال هذه الفترة مكانة جوهرية ، وبقي الإطار النظري هو نفسه إلى حد كبير ، أما المناهج ومواد الدراسة فقد تغيرت ، إذ توفرت مصادر للبيانات والمعلومات أكثر ثراء من ذي قبل ، عن طريق الوثائق الرسمية وسجلات الهيئات الخاصة ، كما نمت المناهج وطرق البحث ، مع ازدياد الفصل بين العلم والاخلاق والاهتمام بأساليب التحقيق الامبيريقي لا المنطقي فحسب ، الى جانب ارتفاع مكانة المناهج الكمية . ومنذ الحرب العالمية الثانية زاد الاهتمام بالحياة الاسرية عن طريق تدعيم القوانين المنظمة لها ، وخلق انماط جديدة تتلاءم مع متطلبات التغيرات السريعة في المناطق الحضرية والصناعية الى جانب تطوير الاسرة الريفية لرفعها الى المستوى العصري .

المرحلة الرابعة

وهي الممتده حتى الآن ، وتتميز بتزايد الاهتمام بالنظرية وتعميق الدراسات الكمية ، ولكن بطريقة اكثر منهجية ، علاوة على محاولات جادة لتجميع وتقييم البحوث التي أجريت في الماضي ، وتحديد المدارس الفكرية المختلفة أو الإطارات المرجعية النظرية التي استخدمت في دراسة الأسرة كما تتميز هذه المرحلة بتحديد المجال ، واختفاء الاحكام القيمية ، ولااعتماد بصفة عامة على مادة ميدانية أصيلة ثم جمعها وفقا لاستراتيجيات منهجية عالية الدقة والكفاءة واستخدام اكثر من أسلوب واحد من أساليب التحليل المدعم احصائيا .

وهكذا نستطيع ان نستخلص ان الدراسات الأسرية في تطورها تعكس تطور التفكير الاجتماعي من العمومية الى التخصيص والتحديد ومن الأصول الفلسفية والدينية الى العلمية والمنهجية ومن الوقوف عند الماضي بحثا عن نقطة البداية إلى تأكيد الحاضر ، ومن الدراسة التجريدية الى الدراسة الامبيريقية كما تعكس النمو الذي يتزايد ظهوره في علم الاجتماع نفسه ، من الاهتمامات العامة الى الاهتمامات المحددة ، ومن الكل إلى الجزء دون اهمال النظرة الشمولية في نهاية الأمر وهكذا تكشف الدراسات الأسرية المعاصرة عن موضوعات جديدة مثل : الدور والمركز والزواج والطلاق والقوة والتنشئة الاجتماعية والتغير في البناء والوظيفة وهكذا .

نظريات الأسرة

يحاول الباحثون في ميدان الأسرة ، مثلهم في ذلك مثل أغلب المنظرين في مختلف مجالات العلم ، تنظيم معارفهم المتراكمة في نسق من المفهومات Concepts، والتعميمات Generalization والنظريات Theories . وقد شعر المتخصصون في الدراسات الأسرية بالحاجة الى تنظيم مفهوماتهم وتطوير فروضهم وربط هذه الفروض بشكل له معنى وصولا الى تفسير التنظيم والسلوك الأسري وترجع اهمية النظريات عموما الى انها تساعد الدارسين على اكتشاف النقاط الجوهرية التي يركزون عليها اهتمامهم .

إن نظريات الأسرة الحالية ليست احكاما نهائية من حيث الصدق أو الخطأ

ولكنها طرق للنظر إلى الظواهر المرتبطة بالأسرة والتفسير العقلاني لها . وتعتبر المفهومات من الأدوات الرئيسية في كل نظرية وفي كل بحث سوسيولوجي ، ولهذا يصبح مفهوم الأسرة « نسقا معنويا » يرمز او يشير الى كلمة أو جملة تتيح فهم الظاهرة وملاحظتها بطريقة معينة . والمفهومات فضلا عن ذلك ادوات عن طريقها تبرز المعاني المشتركة بين مستعمليها ، وهي افكار تستخدم كقوالب البناء من اجل تنمية وتطوير الفروض والقضايا والنظريات . ومن المفهومات التي تستخدم في مجال الأسرة مثلا : الأسرة النواة، Nuclear Family الوحدانية في الزواج Monogamy الأدوار Roles المعايير Norms القيم Values والشرعية Legitimacy الخ . . . .

وعندما تستخدم هذه المفهومات درجتين او أكثر فإنه ينظر اليها كمتغيرات Variables «فالزوج » مفهوم و « سنوات الزواج » متغير . والمتغيرات يمكن تصنيفها إلى متغيرات معتمدة او مستقلة . فدخل الأسرة يمكن أن يكون معتمداً على عدد سنوات الدراسة مثلا ويجب ان ننوه هنا ان المصطلح العلمي (اسرة) يستخدمه رجل الشارع كمصطلح عادي ، ولهذا عندما يستخدمه المتخصصون فإنهم يفرقون بين أنواع مختلفة من ألأسر ، مثل أسرة التوجيه ، وأسرة الإنجاب والاسرة النواه ، والاسرة الزوجية ، والاسرة الممتدة ، والأسرة الدموية ، والاسرة المتصلة الخ . . .

وعلى ذلك ، فطالما أن المفهوم المستخدم سوف يؤثر في النتيجة تبعاً لرؤ يته لذلك يجب اختياره بدقة حتى لا تشوه الحقيقة[1] . ويسهل « الإطار التصوري » Conceptual Framework عملية البحث عن طريق مايتيحه من التعريفات المناسبة للمفاهيم ، كما انه يكشف عن سلسلة المتغيرات التي يمكن استخدامها في أي ناحية من نواحي الزواج والأسرة .

وفي هذا الصدد يرى كل من ناي Nye وبيراردو Berardo[2] أن هناك إطارات تصورية متعددة تختلف منظوراتها من حيث النظر الى سلوك الاسرة ، إلا أن كلا منها

---

(1) J.Ross Eshleman , The Family : An Introduction , Boston . 1974 , p . 35 .

(2) F . Ivan Nye and Felix M . Berardo,«EmerginConceptual Frameworks in Family Analysis , N . Y , 1966 , p 5

يحدد مفاهيمه ويحاول ان يعرفها حتى تصبح الفروض المستخدمة واضحة ، وهذا امر جوهري لسلامة الإجراءات المنهجية في البحوث .

وهناك اتفاق عام بين الباحثين ان البحث الجيد أو بناء النظرية لا يمكن أن يتقدم ويزدهر دون أن يكون لدينا اطاراً تصورياً أساسياً نستخدمه في دراسة الأسرة .

ومن المعروف ان « القضايا » Propositions و« الفروض»Hypoyheses و« النظريات »Theoriesتنبثق من الإطر التصورية . فالقضية هي عرض أو بيان لطبيعة ظاهرة ما وهي تتضمن بوجه عام العلاقة بين مفهومين أو أكثر ، ومثال ذلك القول بأن « صغر السن عند الزواج » مرتبط « بارتفاع معدل الطلاق » يمكن ان يشكلا قضية . وإذا خضعت مثل هذه القضايا للاختبار التجريبي . ينظر اليها على أنها فروض تقيم الصلة بين النظرية والبحث التجريبي . هذا وتعني القضية من جانب آخر انه إذا تغير متغير معين بطريقة منتظمة فإنه من المتوقع ان يحدث تغير مصاحب في الآخر . فمثلا إذا زاد التصنيع تناقصت روابطت الأسرة الممتدة . ومعنى ذلك أن كلا من التصنيع والأسرة هما بمثابة متغيرين مترابطين ، إذا زاد أحدهما نقص الآخر .

أما النظرية فهي مجموعة من القضايا المترابطة منطقياً ومنهجياً أي أن الربط بينها هو السبيل إلى التوصل إلى النظرية ، والنظرية لا يمكن ان تستمد من الملاحظات والتعميمات ، ولكنها تستمد عن طريق الاستقراء الدقيق وهذا هو الذي يؤدي إلى القول بأن بناء النظرية هو إنجاز خلاق ، وبالتالي فليس من المستغرب ان قلة من العاملين في ميدان العلم تمكنوا من الوصول الى نظرية . وتعتبر النظرية صحيحة إذا خضعت للتحقيق ولم يظهر ما يكذبها او يتناقض معها[1] . والنظريات عموما (مثل القضايا) لا تقدم تفسيرات للأشياء الملاحظة فحسب ولكنها تصلح كذلك كمصدر هام لفروض جديدة ، وسوف نعرض فيما يلي لأهم النظريات المستخدمة في ميدان الدراسات الأسرية .

---

(1) Nicholas S. Timasheff « Sociological Theory » : Its Nature and Growth. N. Y, 1955, pp 9 - 11.

أولاً : النظرية البنائية الوظيفية

تعتبر « النظرية البنائية الوظيفية » The Structural Functional Theory أحد الاتجاهات الرئيسية في علم الاجتماع المعاصر . وعندما تستخدم كإطار لفهم موضوعات الأسرة ، فإنها تواجه متطلبات عديدة نظراً لتعدد الاهتمامات والموضوعات المتاحة داخل نطاق الأسرة مثل العلاقات بين الزوج والزوجة والأبناء . وكذلك التأثيرات المنبعثة من الأنساق الأخرى في المجتمع الكبير كالتعليم والاقتصاد والسياسة ، والدين ، والمهن على الحياة الأسرية ، وتأثير هذه الحياة على تلك الأنساق بالتالي .

وقد أستمدت النظرية البنائية الوظيفية اصولها من الإتجاه الوظيفي في علم النفس وخاصة النظرية الجشطلتية ، ومن الوظيفية الانثروبولوجية كما تبدو في اعمال « مالينوسكي » و « رادكليف براون »[١]، ومن التيارات الوظيفية القديمة والمحدثة في علم الاجتماع ، وهي التيارات التي تبلورت بشكل واضح في ميدان دراسة الأنساق الاجتماعية عند تالكوت بارسونز[٢] .

وجدير بالذكر أن النظرية الجشطلتية تركز على العلاقة بين الكل واجزائه ، وقد أنساق وراء هذا التصور عديد من الأنثروبولجيين الاجتماعيين حيث يرون عدم إمكانية دراسة اي مظهر من مظاهر الحياة بعيداً عن دراسة الكل . ويربط مالينوسكي بين الوظيفة ودراسة العلاقات المتبادلة بين البناءات في أي نسق .

ويدور المحور الرئيسي للمدخل البنائي الوظيفي حاليا على الأقل حول تفسير وتحليل كل جزء (بناء) في المجتمع ، وإبراز الطريقة التي تترابط عن طريقها الأجزاء بعضها مع بعض ، ولهذا يكون عمل التحليل الوظيفي هو تفسير هذه الأجزاء والعلاقات بينها . فضلا عن العلاقة بين الأجزاء والكل ، في الوقت الذي توجه فيه عناية خاصة إلى الوظائف التي تكون محصلة لهذه العلاقة .

ويتدرج التحليل وفقا للنموذج المثالي لهذه النظرية من الماكرو Macro

(1) A . R . Radcliffe - Brown , « Structure and Function in Primitive Society » Glencoe , The Free Press 195 .

(2) Talcott Parsons « The Social System » Glencoe The Free Press , 1951

(الوحدة الكبيرة) إلى المايكرو Micro (الوحدة الصغيرة) ويرجع الفرق بين هذين النمطين المتعارضين الى حجم الوحدة التي تكون محلا للتحليل . فالتحليل الوظيفي على النطاق الواسع (ماكرو) يعالج الانساق الواسعة نسبياً وكذلك النظم ، اما التحليل الوظيفي على النطاق (مايكرو) فأنه يعالج الأسر الفردية أو الانساق الصغيرة نسبيا .

أ ـ القروض (الوظيفية)

من المفيد هنا ـ رغبة في مزيد من الوضوح ـ أن نعرض لنوعين من الفروض[١] التي تندرج تحت نطاق النظرية البنائية الوظيفية كما يعرضها بعض علماء الاجتماع ، وهي التي نرى أنها مفيدة دراسة الأسرة .

١ ـ الفروض التي يستخدمها كل من هيل Hill وهانسن Hansen[٢]:

أ ـ يمكن تحليل السلوك الاجتماعي بصورة مرضية عن طريق معرفة اسهاماته في بقاء النسق الاجتماعي او تبعا لطبيعته المندرجة تحت بناءات النسق .

ب ـ الانسان الاجتماعي هو أساساً صورة منعكسة للنسق الاجتماعي ، والفعل (المستقل) المستنبط ذاتيا نادر وغير اجتماعي .

حـ ـ الوحدة الاساسية المستقلة هي النسق الاجتماعي الكلي ، والذي يتكون من « أنساق فرعية » Sub-Systems معتمدة (مثل النظم ، وأنساق الأسرة الخ . .) .

د ـ من الممكن دراسة أي وحدات فرعية للنسق الرئيسي .

هـ ـ يميل النسق الاجتماعي الى التوازن .

٢ ـ الفروض التي تستخدمها « ماك انتاير » Mcintyre[٣] :

---

(١) من المعروف ان الفروض هي المحك الذي يمكن معه ان نميز بين نظرية وأخرى حتى ولو كانتا متدرجتين تحت نظرية أعم .

(2) R . Hill and D . Hansen « The Identification of Conceptual Frameworks Utilized in Family Study» Marriage and Family Living . 22 (ovember 1960 pp . 299 - 311).

(3) Jennie Mcintyre ,«The Structural Functional Approach to FamilyStudy»,N.Y.Macmillan1966 pp . 63 - 64 .

أ ـ يجب أشباع متطلبات وظيفية أساسية إذا كان من المرغوب ان يبقى المجتمع عند مستوى معين .

ب ـ توجد انساق فرعية وظيفية لمواجهة هذه المتطلبات .

حـ ـ تؤدي الاسرة في كل مجتمع احد هذه الوظائف الأساسية على الأقل .

د ـ الأسرة الفردية نسق اجتماعي له متطلبات وظيفية تتقابل مع تلك القائمة في الانساق الاجتماعية الأكبر .

هـ ـ الاسرة الفردية كجماعة صغيرة لها خصائص شاملة معينة تميزها عن جميع الجماعات الصغيرة .

و ـ الانساق الاجتماعية بما فيها الاسرة ، تؤدي وظائف تخدم الفرد تماما مثل الوظائف التي تخدم المجتمع .

وهكذا يتبين ان هذه الفروض تلتقي جميعا في أن إهتمام النظرية الوظيفية يتركز حول «بقاء» نسق الأسرة. وتفترض ظاهرة بقاء «النسق» System maintenance عموما أن كل جزء في النسق يلعب دوراً في أداء وظيفة الوحدة الكلية ، ولهذا يدرس السلوك الزواجي أو الأسري في محيط اسهاماته في بقاء النسق الزواجي أو الأسري .

ب ـ البناء والوظيفة

يشير البناء الإجتماعي للأسرة إلى الطريقة التي تنتظم بها الوحدات الاجتماعية والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء ، كما يشير إلى أنماط التنظيم ، التي تختلف بصورة واضحة في أنحاء العالم إلا أن الأسرة على الرغم من هذا الاختلاف فإنها تكشف عن نمط معين من التنظيم كما أنها تؤدي الى نتائج متكررة محددة . فاتخاذ زوجة أو زوجات ، أو تأسيس منزل مستقل ، أو مشاركة الزوج والزوجة في اتخاذ القرارات ، او تركيز الميراث في الإبن الأكبر ، كل هذا يبين أن نفس الأشياء يمكن ان تشارك فيها مجتمعات عديدة .

ويمكن مناقشة مفهوم « البناء » و«الوظيفة» بشكل مستقل ، كما يمكن مناقشتهما مجتمعين لارتباط كل منهما بالآخر. فالوظيفة هي الدور الذي يلعبه البناء الفرعي في

البناء الاجتماعي الشامل[1] .

ومثال ذلك ان الأسرة تؤدي وظائف عديدة لأعضائها : فهي التي تأويهم وتمنحهم المكانة وتقوم بالتنشئة الاجتماعية والحماية والعطف . ويقوم المجتمع كذلك بوظائف معينة مثل تنشئة أعضائه تبعاً لمعاييره وقيمه . وهذا الى جانب كونه مصدراً للضبط الاجتماعي .

وفي هذا المقام يرى ميردوك Murduck[2] ان عالمية الأسرة النواة ترجع إلى انها تقوم بوظائف رئيسية هي : (١) التنشئة الاجتماعية ، (٢) التعاون الاقتصادي ، (٣) الإنجاب ، (٤) العلاقات الجنسية .

اما «وليم اجبرن» William Ogburn[3] فيرى أن الأسرة « تقليدياً » تقوم بوظائف أساسية للمجتمع : (١) تناسلية (٢) واقتصادية (٣) وتربوية (٤) وترفيهية (٥) ودينية (٦) ونفسية اجتماعية .

كما يرى كل من بارسونز وبيلز Parsons and Bales[4] ان وظائف الأسرة التقليدية تقلصت إلى اثنتين : (١) التنشئة الاجتماعية الأولية للاطفال التي من خلالها يصبحون أعضاء في المجتمع الذي ولدوا فيه (٢) والاستقرار للأشخاص البالغين .

ويؤكد كثير من علماء الاجتماع وعلى رأسهم اجبرن أن الأسرة أصابها التفكك نتيجة فقدها لكثير من وظائفها التقليدية التي انتقلت الى أنساق أخرى في المجتمع مثل المدرسة والمصنع ودور الترفيه الخ . . . إلا أن رأيه هذا تعرض لكثير من النقد حيث أنه لا يقوم على دليل مادي . فمن الخطأ التأكيد على المحتوى التقليدي

---

(١) احمد أبو زيد (البناء الاجتماعي : مدخل لدراسة المجتمع) دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص ٥٧ .

(2) George p . Murdock , « Social Structure » , N . Y , Macmillan 1949 , p 10 .

(3) William Ogburn , « The Family and Its Functions » . Recent Social Trends in the United States , N Y McGrow Hill 1933 .

(4) Talcott Parsons and Robert Bales,Family , Socializotion and Interaction Progress, N . Y , The Free Press . 1955 p 308.

والشكل المعين للوظائف بدلا من النظر إليها باعتبارها وظائف نقص اداؤ ها بالنسبة للأسرة ، وليس هناك شك في أن الأسرة فقدت كثيراً من وظائفها ، إلا أن هذا الفقدان في واقع الأمر ينطوي على تغير في الشكل وليس في المضمون . ومثال ذلك أن الأسرة في المجتمعات الصناعية المتقدمة لم تعد وحدة اقتصادية منتجة بالدرجة التي كانت عليها الأسرة الريفية في الماضي . ولكنها أصبحت وحدة اقتصادية مستهلكة . ووظيفة الاستهلاك لا تقل بأية صورة عن وظيفة الإنتاج ، من حيث حاجة المجتمع الملحة الى من يستهلك البضائع التي ينتجها[١] .

جـ ـ الوظيفة والخلل الوظيفي

استخدم مصطلح « وظيفة » في الفقرة السابقة للإشارة إلى ما يقوم به بناء معين . فإذا تمكن البناء والنتائج المترتبة عليه من أن يتوافق ويتكيف مع النسق ويؤدي إلى نتائج مرغوبة فإن مثل هذا الموقف يوصف بأنه وظيفي Functional ، أما إذا ظهر أنه أقل تكيفاً وتوافقاً مع النسق فإن الوضع الناتج يوصف بأنه « خلل وظيفي » Dysfunctional .

ويجب أن يؤخذ في الاعتبار ان بناءات مختلفة قد تقوم بنفس الوظيفة . ولاكتشاف الوظيفة أو الخلل الوظيفي في أي نسق اجتماعي فإنه من الضروري أن نضعه في المحيط الاجتماعي والثقافي الذي يحدث فيه . والبناء الذي يمكن أن يكون خللا وظيفياً بالنسبة لنسق ما قد يكون وظيفياً بالنسبة لآخر . فالعمل الإضافي Overtime قد يكون وظيفياً من حيث زيادة الدخل ولكنه يكون خللا وظيفياً من ناحية انتقاصه للوقت الذي يقضى مع الوحدة الأسرية . وقد يكون إنجاب عشرة أطفال وظيفياً بالنسبة للفلاح الذي ينظر إليهم باعتبارهم مصدراً اقتصادياً ولكنهم يشكلون خللا وظيفياً من ناحية الانفجار السكاني .

ويؤكد بعض علماء الاجتماع ان كل جزء من النسق الاجتماعي يسهم في بقاء النسق وتوازنه . ولهذا فإن أي بناء اجتماعي ، أو أي عنصر في تنظيم الجماعة الاجتماعية ، أو أي معيار اجتماعي ، أو أي قاعدة اجتماعية يمكن تحليلها من ناحية

---

(١) سناء الخولي ، « الأسرة في عالم متغير » بيروت ١٩٧٤ ص ٦٩ .

وظيفتها في المحافظة على بقاء النسق وتوازنه[1] .

د - المتطلبات الوظيفية ونسق الأسرة

تشكل المتطلبات الوظيفية ، والاحتياجات مشاكل محددة يتعين على الانساق الاجتماعية ، بما فيها الأسرة ، حلها أو أداء أنشطة معينة من أجل المحافظة على بقاء المجتمع . ويمكن وضع قائمة بالأنشطة الأساسية التي يجب ان تؤدى من أجل الحفاظ على بقاء المجتمع . وتتضمن أهم عناصر هذه القائمة : منح المكانة للأعضاء ، والإمداد بالطعام ، والمأوى والملبس ، وتدريب الأعضاء الجدد (التنشئة الاجتماعية) والمحافظة على النظام ، وخفض الصراع بين الأعضاء ، ودفع الأعضاء الى القيام بالعمل المطلوب إنجازه ، والإنتاج ، والتوزيع واستهلاك البضائع المختلفة والخدمات . وتعتبر هذه العناصر مجموعة صغيرة من الأعمال التي تؤدى في مقابل بقاء او وجود المجتمع . وإذا أمعنا النظر في هذه القائمة نجد ان الأسرة تقوم بمعظمها ، لأنها تعتبر نسقا أساسيا وفعالا في إنجاز معظم هذه المتطلبات .

ومن اهم هذه المتطلبات المعروفة على نطاق واسع في علم الإجتماع هي تلك التي قدمها بارسونز : التكيف Adaption وتحقيق الهدف Goalattainment والتكامل Integration والمحافظة على بقاء النمط Pattern Maintenance وامتصاص التوتر[2] .

ويشير « التكيف » إلى ضرورة تكيف الأسرة او تلائمها مع البيئة الاجتماعية والطبيعة التي تعيش فيها . فالتبادل بين الأسرة والاقتصاد يكون عن طريق التحاق فرد أو أكثر من أفراد الأسرة بالعمل في مقابل الحصول على أجر ومعنى هذا ان الأسرة تواجه مشكلة التكيف لمقابلة ظروف الاقتصاد عن طريق العمل واكتساب المهارات والتدريب المتخصص الخ . . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يواجه الاقتصاد مشكلة التكيف لمقابلة احتياجات ومتطلبات الأسرة عن طريق : حد أدنى للأجور ،

---

(1) Eshleman , op . Cit . pp . 43 - 45 .

(2) Talcott Parsons , « The Social Systems » N Y . the Free Press , 1957 and Talcott Parsons and Neil Smelser . Economy and Society , N . Y . the Free press , 1959 .

وتوفير ظروف عمل صحية ، والأجازات المرضية في حالة الوضع ، والمكافآت في حالات الوفاة والكوارث وماشابه ذلك .

أما « تحقيق الهدف » فيشير إلى الفهم الأساسي والموافقة العامة على أهداف الأسرة ككل . فجميع الانساق الاجتماعية بما فيها الأسرة في حاجة إلى سبب للبقاء او للوجود وهذا يعني وجود أهداف فردية وجمعية يتعين بلوغها مع إيجاد الوسائل الملائمة لتحقيقها وهذه هي المتطلبات الأساسية التي تشترك فيها الأسرة مع أنساق المجتمع المختلفة .

ويرى بل Bell وفوجل Vogel ان تحقيق الهدف يكون مسئولية الحكومة او الدولة . فالحكومة هي ذلك الجزء من المجتمع الذي يدير الأنشطة التي تجعل المجتمع قادراً على تحقيق اهدافه[1] ويعتبر التبادل بين الأسرة والحكومة امراً اساسياً بالنسبة لوجود كليهما . وكماهو الشأن في الاقتصاد ، فإن الأسرة تضع في مقدمة وظائفها أو متطلباتها مهمة تحقيق اهدافها . وهي لذلك تختار انماطاً معينة للقيادة تستطيع ان تصنع انماطاً من القرارات تتفق مع تحقيق هذه الأهداف او إنجاز الأمور التي تشغلها في الدرجة الأولى . وهذا هو الذي يجعل الأسرة تدين بالولاء لقيادتها وتمتثل لما تتخذه من قرارات .

ويهتم « التكامل » على العكس من التكيف وتحقيق الهدف بموضوعات داخل النسق . فهو يشير بصفة مبدئية إلى العلاقة بين الوحدات او الأجزاء داخل النسق ومن هذه الزاوية ينظر الى المجتمع المحلي باعتباره نسقاً فرعياً من المجتمع الكبير ، كما ان التأثير المتبادل بين الأسرة النواة والمجتمع المحلي يبدو في مشاركة الأسرة في الأنشطة الصناعية أو الاجتماعية او الدينية في الوقت الذي يمنح المجتمع المحلي الأسرة هويتها وكيانها . ويمد لها يد المساعدة وخاصة في أوقات الأزمات[1] . وفي ظل الظروف العادية يقوّي المجتمع المحلي روابط التماسك داخل الأسرة النواة ومع

(1) Norman Bell and Ezra Vogel ,« A Modern Introduction to the Family » New York , the Free press 1968 . p 11 .

(2) Ibid , p . 16 .

ذلك ففي أوقات اخرى ، يمكن ان يتسبب المجتمع المحلي في عدم تركيز الأسرة على عملياتها الداخلية .

وترجع عوامل التماسك والصلابة والوحدة داخل الاسرة النواة الى نمط المجتمع المحلي الذي تنتمي اليه ، فعندما يكون المجتمع ثابتاً نسبياً وتعمل أنماط الجماعة في شبكة محكمة فإن الوحدة لا تصبح مشكلة على الإطلاق. أما في المجتمعات المتنقلة المتغيرة عالية التصنيع ، فإن تنقل أعضاء الجماعة وتغيرهم قد يزيد من صعوبة التوصل إلى وحدة ثابتة .

هذا ويتركز اهتمام المتطلب الأخير وهو « المحافظة على بقاء النمط » على الموقف الداخلي في النسق الاجتماعي (الأسرة) ، فهو يهتم بالافراد (الفاعلين) وتوقعاتهم وأيديولوجيتهم وقيمهم . فقد يعاني الفرد من صراع الدور أو اللامعيارية . وتكون الاسرة في هذه الحالة هي المسئول الاول عن مواجهة هذه المتطلبات ، حيث تمتص التوتر وتعطي الوقت وتمنح الاهتمام من داخل عملية التنشئة الاجتماعية لاعضائها بحيث تطبعهم تبعاً للأيديولوجيات والقيم الخاصة بالنسق ، وعلى ذلك تصبح الاسرة أصغر وحدة اجتماعية مسئولة عن المحافظة على نسق القيم ، الذي يتحدد عن طريق الدين والانساق التربوية ، فيتحكم في تحديد أنماط السلوك المرغوبة او المطلوبة أو الشرعية . ولما كان الاطفال يتعلمون هذه القيم داخل محيط الأسرة فإن احد واجباتها الاساسية ان تعمل على تماثل أعضائها وامتصاص توتراتهم . وبدون إنجاز هذه المتطلبات لا يمكن للنسق الأسري ان يوجد وكذلك المجتمع .

وباختصار ، فإن المتطلبات الاربعة السابقة : التكيف ، وتحقيق الهدف والتكامل ، والمحافظة على بقاء النمط وامتصاص التوتر هي من وجهة نظر « البنائية » الوظيفية اساسية وعالمية في جميع الانساق الاجتماعية وعلى رأسها الاسرة ، ذلك لان الفشل في إنجاز هذه المتطلبات يؤدي إلى تعرض نسق الأسرة بل المجتمع بأسره إلى الانهيار .

ثانيا : نظرية التفاعل الرمزي

بدأ استخدام « التفاعلية الرمزية » كمصطلح يشير الى مدخل معين ومميز

لدراسة حياة الجماعة الانسانية والسلوك الشخصي ، وقد عنيت من منطلق نفسي إجتماعي ببحث مسألتين رئيسيتين تدخلان في نطاق اهتمام الدراسات الأسرية الرئيسي : التنشئة الاجتماعية والشخصية ، وذلك ان التنشئة الاجتماعية Socialization ،تركز على كيفية اكتساب الإنسان لأنماط السلوك ، وطرق التفكير والمشاعر الخاصة بالمجتمع . في الوقت الذي تهتم فيه البحوث المتعلقة بالشخصية بالطريقة التي تنتظم وفقاً لها الاتجاهات والقيم وأنماط السلوك .

وتدعو نظرية التفاعل الرمزي إلى استقصاء الأفعال المحسوسة للأشخاص ، مع التركيز على أهمية « المعاني » وتعريفات المواقف ، والرموز، والتفسيرات الخ . . . ذلك لأن التفاعل بين بني الانسان وفقاً لهذه النظرية يتم عن طريق استخدام الرموز وتفسيرها والتحقق من معاني أفعال الآخرين .

أ ـ طبيعة التفاعلية الرمزية

يرتكز التفاعل الرمزي كما يعرفه بلومر Blumer[1] على ثلاث مقدمات منطقية هي :

١ ـ أن بني الانسان يتعاملون مع الاشياء على أساس معانيها بالنسبة لهم .

وفي محيط الاسرة قد تكون هذه الأشياء جماداً مثل : اللعب ، الكتب ، او مخلوقات آدمية أخرى مثل : الجدة ، الأخ ، الطفل . أو فئات مثل : الجيران ، الأصدقاء . أو نظم مثل : المدارس ، والصناعات . أو مثل عليا مثل : الحرية . والعطف . أو أنشطة تتصل بالآخرين مثل طلبات الزوجة أو أوامر الأب .

٢ ـ إن المعاني مشتقة او ناشئة عن التفاعل الاجتماعي الذي يمارسه الفرد مع رفقائه وهذه المقدمة تشير إلى مصدر المعنى . والمعنى يمكن التوصل اليه تقليدياً بطريقتين . إما باعتباره جوهر الشيء . (الوردة وردة والصفعة صفعة) فالمعنى هنا مستمد من الموضوع . وإما باعتباره صادراً من تركيب الإنسان النفسي والعقلي . ومن ثم يختلف التفاعل الرمزي تبعا لوجهات النظر هذه ، لأن المعنى ينشأ أو ينبثق

(1) Herbert Blumer, « Symbolic Interactionism : perspective and Method » Englewood Cliffs, New Jersey, prentice - Hall Ince., 1969, p. 2.

من خلال عملية التفاعل بين الناس ولهذا كانت المعاني نتاجا إجتماعيا

٣ ـ ان هذه المعاني يمكن تناولها وتعديلها من خلال عملية تفسيرية يستخدمها الفرد في التعامل مع الاشياء التي يواجهها

وارتكازا على هذه المقدمات الثلاث يصبح التفاعل الرمزي مخططا تحليليا للمجتمع الإنساني يختلف عن بقية المخططات .

ب ـ الفروض (التفاعلية الرمزية)

عندما يطبق الإطار التصوري التفاعلي على دراسة الأسرة ، فهو يقوم على فروض عديدة[1] :

الفرض الأول : يجب دراسة الانسان وفقا لمستواه الخاص فإذا اردنا ان نفهم الزواج والسلوك الأسري بين البشر ، فلا بد ان ندرس الإنسانيات ولا يمكن الاستدلال على السلوك الإنساني من دراسة الأشكال اللاإنسانية . ذلك لأن الاختلاف الأساسي بين الإنسان واللانسان ليس فقط مسألة درجة بل هو إختلاف نوعي أساساً . وتتركز جوالب هذا الاختلاف في : اللغة والرموز والمعاني والاشارات والعمليات المنعكسة .

وعند محاولة تفسير السلوك الاجتماعي لرجل معين مثل اختيار زوجة أو طلب الطلاق فإن ذلك لن يتأتى بمراقبة سلوك شمبانزي أو كلب . فالحياة الاجتماعية لا تشبه الحياة الطبيعية او البيولوجية أو أي شكل غير إنساني .

والاختلافات بين الإنسان المهيأ إجتماعياً والحيوانات الدنيا ، أو بين العائلات الإنسانية والعائلات اللانسانية تتلخص في أن الحيوانات الدنيا ليس لها ثقافة ، وليس لها نسق معتقدات أو قيم أو مثل عليا مشتركة بين أفراد الجماعة والتي تنتقل فيها بينهم بصورة رمزية . وليس لها نظم عائلية أو تربوية أو دينية أو سياسية أو إقتصادية وليس لها أيضا معايير أو ايديولوجيات . فالتفاعل الرمزي إذن يفترض انه لفهم الناس لا بد من دراسة الناس . لأننا لن نستفيد شيئاً من دراسة الأشكال اللانسانية

(1) Eshleman .Op. Cit., p 54 - 58

لفهم الأزواج والزوجات والأطفال والحموات والأجداد وأساليب حياة الأسرة في الطبقات العليا الخ . .

الفرض الثاني : ان المدخل الملائم لفهم سلوك الانسان الاجتماعي انما يتم من خلال تحليل المجتمع . فمن الممكن فهم سلوك الزوج والزوجة والطفل من خلال دراسة وتحليل المجتمع ، والثقافة الفرعية التي يكونون جزءاً منها . وجدير بالذكر ان هذا الفرض لا يوافق على أن المجتمع يصلح ان يكون حقيقة لا نهائية . فالمجتمع مثلا ليست له اسبقية ميتافيزيقية على الفرد أو أن الحتمية الثقافية صالحة لتفسير كل سلوك

إن ميلاد شخص في مجتمع ما يعني ان اللغة التي يتكلمها او التعريفات التي يطلقها على المواقف ، وما هو ملائم وغير ملائم هو ما تعلمه من المحيط الاجتماعي والثقافي (فمثلا الحرية الجسية في المجتمعات الأوربية لا يمكن فهمها إلا من خلال فهم ودراسة المجتمع ككل)

الفرض الثالث : إن الطفل الانساني يكون لا إنسانيا عند مولده . والمجتمع والمحيط الاجتماعي هما اللذان يحددان اي نمط من السلوك يكون اجتماعيا أو غير اجتماعي . فالطفل حديث الولادة لا يستطيع ان يبكي طوال الليل بقصد معاقبة والديه وكذلك لا يستطيع النوم طوال الليل ليرضيهم . لأنه يكون عاجزاً عن إدراك هذه المعاني ولمثل هذا الطفل ايضا (كأي كائن حي) دوافع ، وهي دوافع لا تكون موجهة نحو غايات معينة . إلا ان الطفل تكون لديه إمكانية النمو الاجتماعي ، ومع الوقت والتدريب ، ينظم هذه الدوافع ويوجهها وجهات محددة ويسمي علماء الاجتماع هذه العملية « التنشئة الاجتماعية » .

الفرض الرابع : إن الكائن الانساني المهيأ اجتماعيا ، هو الذي يستطيع الاتصال رمزيا ، ويشارك في المعاني ، ويفعل وينفعل ويتفاعل . وهذا يؤكد ان الملاحظ لا يستطيع فهم السلوك ببساطة عن طريق دراسة البيئة الخارجية أو القوى الخارجية . لأنه لا بد أن يرى العالم من وجهة نظر موضوع بحثه . فالانسان لا يستجيب للنبه ، بل يختاره ويفسره ونتيجة لذلك يصبح من الضروري ان يكون

لهذا التفسير معنى معروف .

وافتراض ان الانسان يفعل ويتفاعل يبين ان الناس فقط هم الذين يستطيعون القيام بدور الآخرين . فنحن نحزن لمصائب الصديق ، ونشارك اطفالنا السعادة والمرح ، والزوج يستطيع توقع استجابة زوجته إذا ارسل لها زهورا او دعاها للعشاء . وباختصار ، لا يكون سلوك الفرد مجرد استجابة للآخرين ، بل هو استجابة ذاتية اي استجابة لنتائج الرموز الداخلية .

جـ ـ المفهومات الرئيسية

تعتبر المفهومات مطلبا أساسيا في كل بحث او نظرية كما سبق أن اشرنا ، لأنها تتيح فهماً أفضل للظواهر التي لا نستطيع فهمها بدونها . وهي أيضا رموز ومعناها ليس ملازما أو متأصلا في الكلمة او الفرد ولكن يظهر من خلال التفاعل مع الآخرين .

والمفهومات الرئيسية المستخدمة في نظرية التفاعل الرمزي تتضمن التفاعل ، والفعل الاجتماعي ، والدور ، والمركز ، والذات الاجتماعية ، والمفهوم الذاتي والجماعة المرجعية ، وتقلد الدور ، ولعب الدور ، وتعريف الموقف الخ . . .

١ ـ التفاعل الاجتماعي الرمزي وغير الرمزي

بتضمن التفاعل الاجتماعي مجموعة كاملة من العمليات التي تحدث بين الأفراد ومن خلالهم . وقد حدد جورج هربرت ميد Meade مستويين للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الانساني « المحادثة بالاشارة » و « استخدام رموز لها دلالة » وقد أطلق بلومر Blumer على المستوى الأول « التفاعل غير الرمزي » والمستوى الثاني « التفاعل الرمزي »[1] .

ويندمج الأفراد في الحياة بوجه عام او في الزواج والأسرة بصفة خاصة ، في تفاعل غير رمزي حين يستجيبون في الحال لحركات الآخرين الجسمانية ، وتعبيراتهم ، ونبرات اصواتهم . ولكن كثيرا من تفاعلاتهم تكون على المستوى

---

(1) Blumer , Op . Cit , p . 8 .

الرمزي عندما يحاولون فهم معنى فعل كل منهم .

ويقابل فهم عمليات التفاعل الرمزي فهم معنى الزواجي Maritalوالأبوي Parental وأي سلوك اجتماعي آخر .وهذا بالاضافة إلى الإستجابة إلى معنى هذه الاشارات . فإذا كانت الاشارة لها معنى مشترك بين الأشخاص المتفاعلين فسوف يفهم كل منهم الآخر . ومن الممكن ان يكون للإشارة معاني مختلفة تبعا لمضمونها والموقف والظروف المحيطة بالتفاعل .

٢ ـ المركز والدور

يكمن محور المنظور التفاعلي في مفهومات المركز (المكانة)Statusوالدور Role. وكما هو الشأن عند تعريف البناء والوظيفة يمكن تعريف المركز والدور ومناقشتهما مستقلين إلا أنهما لا يفترقان في الواقع ، فهما يكشفان الرابطة بين الفرد وبين المجتمع الذي ولد فيه . وبهذا المعنى لا يشير المركز إلى المكانة بل إلى الوضع في البناء الإجتماعي . فكل فرد في المجتمع له عدة مراكز بعضها موروث وبعضها مكتسب . فمثلا الجنس (ذكر ، أنثى) والطبقة تعتبر مراكز موروثة ، اما المركز الزواجي والمركز المهني فهي مراكز مكتسبة وكل منا يشغل مراكز عديدة مثل : طالب ، مراهق ، موظف ، طبقة متوسطة ، عاطل . وكل مركز او مجموعة من المراكز تتطلب سلوكاً مناسبا ، وهو ما يسمى بالدور ، هذا ويشير الدور « من وجهة نظر معينة » إلى مجموعة من المعايير او التوقعات التي ترتبط بأوضاع معينة . فالمراكز مثل : الأنثى ، الزوج الطفل لها توقعات مناسبة معرفة ثقافيا . وهذه التوقعات هي مفهومات إجتماعية وليست نفسية » كما انها توجد مستقلة عن الفرد ، إلا أن الدور كما يستخدم في الإطار التفاعلي يشير إلى العلاقة بين ما نفعل نحن وبين ما يفعله الآخرون . فالتوقعات (الأدوار) تنمو بالتفاعل . ولهذا يتضمن المفهوم التفاعلي للدور وصفا لعمليات السلوك التعاوني ووسائل الاتصال . وإذن فالدور كعملية يشتمل على كل فاعل يكيف سلوكه وردود فعله نحو ما يعتقد ان الآخرين سوف يفعلونه .

د ـ التفاعلية الرمزية كما تطبق على الأسرة

تركز كل من نظرية التفاعل الرمزي والنظرية النفسية الاجتماعية على محاولة

تفسير سلوك الأفراد كما ينضبط ويتأثر ويتحدد عن طريق المجتمع ، كما تركز من ناحية أخرى على الوسيلة أو الطريقة التي ينعكس بها سلوك الأفراد على الجماعات والبناءات الاجتماعية في المجتمع . وبصورة ادق يتركز الاهتمام على تفسير كيفية انضباط اعضاء الأسرة عن طريق جماعتهم الأسرية ، وكذلك تفسير التفاعلات والمعاني المشتركة التي تعتبر لب السلوك الزواجي والأسري .

ويرى هيل Hill وهانس Hansen ان المفهوم التفاعلي للأسرة يتبنى الموقف التالي :

« ان إدراك الفرد للمعايير او توقعات الدور تجعله ملتزما في سلوكه بأعضاء الجماعة سواء على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي. ويحدد الفرد هذه التوقعات في أي موقف تبعا لمصدرها (الجماعة المرجعية) وبناء على تصوره الذاتي . وعندما يتمكن من ذلك يقوم بدوره . وتتم دراسة الأسرة الآن من خلال تحليل التفاعلات العلنية والصريحة (تفاعل القيام بالأدوار بين أعضاء الأسرة) القائمة في هذا البناء »[١] .

وقد كانت معظم الدراسات في الماضي تنظر إلى الأسرة كوحدة مغلقة نسبياً بمعنى ان تأثيرها في النظم الأخرى خارجها طفيف ، كما أن تأثرها بهذه النظم يكون طفيفا بنفس الدرجة . ولكن الإطار المرجعي او نظرية التفاعل الرمزي في ميدان الأسرة تحدد لأول مرة من خلال كتابات «ارنست برجس Ernest Burgess»[٢] الموقف الذي ينظر إلى الأسرة كوحدة من الشخصيات المتفاعلة ، وهو يعني بذلك شيئاً حيا متغيرا ناميا ، إلا ان مدخله هذا يعتبر الآن من المداخل الكلاسيكية .

وظهرت بعد عدة سنوات من دراسة برجس محاولة متكاملة لدراسة الأسرة .ومن وجهة نظر « التفاعلية الرمزية » قدمها ويلارد ولر Willard Waller[٣] بعنوان:« الأسرة تفسير ديناميكي » وفي هذا المؤلف قسّم « ولر » تجربة الأسرة إلى خمس مراحل : الحياة في الأسرة الوالدية (أسرة التوجيه) ـ التودد والمغازلة والحب ـ السنة الأولى

---

(1) Hill and Hansen . Op Cit , pp . 302 - 303 .

(2) Ernest Burgess , « The Family as a Unit of Interacting Personalities Family » , 7 (1926) pp . 39

(3) Willard Waller , « The Family : A Dynamic Interpretation » N . Y , Dryden , 1938 .

للزواج ـ الأبوية ـ مرحلة العش الخالي Empty Nest إلا أن فكرته عن صرورة تبادل الغزل قبل الزواج أصبحت في الوقت الحالي موضع نظر ، بسبب ما يكتنفها من مظاهر المساومة او الاتفاق .

وقد أصبح هذا الأطار مرجعا رئيسيا لكثير من الأبحاث الحالية التي تهتم بالأشخاص داخل محيط الأسرة ، وهو الأمر الذي أدى إلى توجيه عناية كبيرة إلى علاقات الزوج بالزوجة والآباء بالأبناء ، والأدوار والقواعد التي تحكمها ، والموقف الزواجي . وتمثل التنشئة الاجتماعية من جانب آخر محوراً هاماً في مدخل التفاعل الرمزي لما لها من أهمية مركزية في التنظيم الأسري .

وعلى الرغم من أن معظم علماء النفس يحددون او يحصرون اهتمامهم في التنشئة الاجتماعية للطفل في سن مبكرة جدا (السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل) فإن الباحثين من خلال مدخل التفاعل الاجتماعي يركزون على فكرة أن التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة مدى الحياة ، وهي تتضمن استنتاج أو استنباط المعايير والقيم منذ الطفولة حتى الرابعة عشر ، ثم الزواج في حوالي العشرين ـ حتى يصبح الشخص والدا في الرابعة والعشرين مثلا ـ ثم ينتقل إلى وظيفة جديدة في الثلاثين ، ثم يصبح جداً في الخمسين ، وأخيراً يحال إلى المعاش . وما نقصده بعرض هذه المراحل هو أن الفرد يحتاج إلى عمليات تنشئة إجتماعية مستمرة تبعا للمواقف الجديدة التي يتعرض لها طوال حياته . ومعنى ذلك ان عمليات التفاعل ليس لها نهاية ، مما يترتب عليه ألا تكتمل التنشئة الإجتماعية على الاطلاق ، ولا تبقى الشخصية ثابتة أبداً .

وأخيراً فإن نظرية التفاعل الرمزي لا تقتصر على الأدوار ، وإنما تهتم ببعض المشاكل مثل المركز ، وعلاقات المركز الداخلية ، التي تصبح أساس أنماط السلطة وعمليات الاتصال ، والصراع ، وحل المشاكل ، وإتخاذ القرارات والمظاهر المختلفة الأخرى لتفاعل الأسرة ، والعمليات المتعددة التي تبدأ بالزواج وتنتهي بالطلاق[1] .

---

(1) Hill and Hansen', Op : Cit , p . 303 .

ثالثا : النظرية التنموية

تعتبر نظرية نمو الأسرة Family Develop ment من النظريات الحديثة،حيث يرجع ظهورها بشكل متكامل لأول مرة إلى حوالي عام ١٩٣٠ ، ويظهر إختلافها عن أي نظرية أخرى في محاولتها التوفيق بين الإتجاهات المتعددة في النظريات الأخرى ، ولهذا فهي تعتبر نظرية واسعة النطاق لأنها تشمل التحليل في المدى القصير وفي المدى البعيد ، وتعالج الموضوع في نطاقات واسعة وضيقة في نفس الوقت إلا أن الخاصية المميزة لها تكمن في محاولتها دراسة التغير في نسق الأسرة الذي يحدث بمرور الزمن ، وكذلك التغير في أنماط التفاعل . وتستخدم النظرية التنموية في تحليلاتها التي تبرز فيها « عامل الزمن » أداة تصورية أساسية يطلق عليها « دورة حياة الأسرة » Family Life Cycle .

دورة حياة الأسرة

إستخدمت دورة حياة الأسرة كأداة وصفية لمقارنة بناءات ووظائف التفاعل الزواجي في مراحل مختلفة من النمو . وقد كان هذا المدخل يستخدم في الماضي كمتغير مستقل يسمح بتفسير بعض جوانب معينة في ظاهرة الأسرة . مثل أنماط الإنفاق ، ومستويات المعيشة ، وأنماط الاستهلاك .

وقد قام « راونتري» Rowntree في إنجلترا عام ١٩٠٦ بدراسة عن دورة حياة الأسر الفقيرة ، فتبين ان دورة حياة الأسرة تتضمن فترة من الفقر الشديد عندما تنجب أطفالا صغاراً ، ثم تليها فترة من الرخاء النسبي عندما يكبر الأبناء ويصبحون قادرين على الكسب ، وتحل الفترة الثانية للفقر عندما يتقدم الزوجان في السن وعندما يكبر الأطفال ويغادرون المنزل ويؤسسون اسرا خاصة بهم[1] .

وفي عام ١٩٣٠ ناقش سوروكن Sorokin[٢] وآخرين ، أربعة مراحل لدورة حياة الأسرة وهي :

---

(1) B . S . Rowntree , « Poverty : Study of Town Life » , London , Macmillan Company , 1906 , PP . 136 - 138 .

(2) P . Sorokin and C Zimmerman and C . J . Gaplin . « A Systematic Source Book in Rural Sociology» University of Minnesota Press 1931 , V 2 , p , 31 .

١ ـ مرحلة زوجين ينشآن وجوداً إقتصاديا مستقلا .
٢ ـ مرحلة زوجين مع طفل أو أكثر .
٣ ـ مرحلة زوجين مع طفل أو أكثر يعولون أنفسهم .
٤ ـ مرحلة زوجين تقدمت بهما السن .

ومن ناحية أخرى يحدد كيرك باتريك Kirk Patrick[1] مراحل دورة حياة الأسرة تبعاً لمكانة الأطفال في النسق التعليمي وبعضها في أربعة مراحل :
١ ـ أسرة ما قبل المدرسة .
٢ ـ أسرة المدرسة الابتدائية .
٣ ـ أسرة المدرسة الثانوية .
٤ ـ أسرة البالغين .

وقد تطورت إبتداء من عام ١٩٦٠ فكرة دورة حياة الأسرة بصورة أفضل واستخدمها جليك Glick ودوفال Duvall وردجرز Rodgers كأداة للبحث ، فحاول جليك في تحليله للحالة الزواجية في الولايات المتحدة أن يوضح مضمون التغيرات المختلفة التي تتعرض لها الأسرة بتحركها خلال المراحل المختلفة[2] :

اما ايفلين دوفال[3] فقد حاولت تقديم إيضاح لمفهوم المهمة (الواجب) التنموية Development Task حيث ترى ان هذه المهمة تنشأ في فترة معينة في حياة فرد ما . ذلك لأن الانجاز الناجح يؤدي إلى السعدة والنجاح في الأعمال التالية ، بينما يؤدي الفشل إلى تعاسة الفرد ، وإلى إحتمال رفض المجتمع له ، ومقابلة الصعوبات في الأعمال التالية . وتنشأ هذه المهام التنموية عندما يتوفر عاملين رئيسيين : (١) النضج الجسماني (٢) المميزات والضغوط الثقافية ، ومعنى ذلك أن المهام التنموية أو الواجبات التي يتعين على الفرد أن يواجهها لا نهاية لها .

---

(1) E . L Kirkpatrick et al . The life Cycle of the farm Family in Relation to its Standard of Living . University of Wisconsin 1934

(2) Paul Glick « The Life Cycle of the Family » , Marriage and Family Living : 7 (1955 pp 3 - 9

(3) Evelyn Duvall « Family Development » Philadelphia J B . Lippincott Co 1957

وكما تفرض على الفرد مهام وواجبات فكذلك الأمر بالنسبة للأسرة حيث تتميز كل مرحلة من دورة حياتها بمهام معينة يكون من المحتم عليها ان تقوم بها . وتعرف النظرية التنموية الواجبات النامية للأسرة بأنها : « تعاظم أو نمو المسئولة التي تظهر وعليها أن تواجهها في مرحلة محددة ، ولهذا يؤدي الإنجاز الناجح أيضا في ميدان الأسرة إلى الرضا والنجاح في الأعمال التالية ، كما يؤدي الفشل إلى تعاستها وامتعاض المجتمع ، الأمر الذي يؤدي الى احتمال وقوف مجموعة من الصعوبات امام واجباتها أو مهامها التنموية التالية »[١].

ولكي تستمر الأسرة في النمو كوحدة فهي تحتاج الى نوع من الاشباع إلى درجة معينة في : ١ ـ المتطلبات البيولوجية . ٢ ـ المتطلبات الثقافية . ٣ ـ المطامح الشخصية والقيم . ويبين الجدول التالي واجبات الأسرة المتطورة أو النامية من خلال دورة حياتها كما قدمتها إيفلين دوفال[٢] .

---

(1) Duvall , Op Cit , pp . 149 - 150 .
(2) Ibid , P . 151 .

المراحل الحاسمة في الاعباء النامية للأسرة خلال دورة حياتها

مراحل دورة حياة الأسرة	المكانات في الأسرة	المراحل الحاسمة في الأعباء النامية للأسرة خلال دورة حياتها
١ ـ زوجان	زوجة زوج	إتمام زواج يرضي الطرفين ـ الاستعداد للحمل والوالدية ـ التلاؤم مع شبكة العلاقات القرابية .
٢ ـ إنجاب الأطفال	زوجة ـ أم زوج ـ أب طفل ذكر أو أنثى أو كلاهما	يصبح لديهما أطفال ـ يحاولون التوافق معهم ـ ويعملون على تربيتهم ـ إقامة منزل يوفي باحتياجات الوالدين والأطفال .
٣ ـ سن ما قبل المدرسة	زوجة ـ أم زوج ـ أب إبنة ـ أخت إبن ـ أخ	التوافق مع الاحتياجات الضرورية واهتمامات الأطفال قبل سن المدرسة . الفرص المواتية للترقي في العمل .
٤ ـ سن المدرسة	زوجة ـ أم زوج ـ أب إبنة ـ أخت إبن ـ أخ	التلاؤم مع مجتمع عائلات سن المدرسة بطرق بناءة . تشجيع تحصيل الابناء في التعليم .
٥ ـ سن المراهقة	زوجة ـ أم زوج ـ أب ابنة ـ أخت ابن ـ أخ	حرية نسبية مع تضاعف المسئولية نتيجة لنضج المراهقين وتحررهم . . تكوين اهتمامات خارج نطاق الوالدية . التقدم والترقي في العمل .
٦ ـ النشاط الحر	زوجة ـ أم ـ جدة زوج ـ أب ـ جد أبنة ـ أخت ـ عمة ابن ـ أخ ـ خال	إطلاق حرية الشباب في الالتحاق بالعمل أو الخدمة العسكرية أو الجامعة أو الزواج الخ ... مع توجيهات ومساعدات مناسبة .
٧ ـ زوجان في منتصف العمر	زوجة ـ أم ـ جدة زوج ـ أب ـ جد	إعادة بناء العلاقات الزواجية . الإبقاء على الروابط القرابية بين الاجيال القديمة والجديدة .
٨ ـ زوجان متقدمان في السن	أرملة ـ أرمل زوجة ـ أم ـ جدة زوج ـ أب ـ جد	المعيشة المنفردة . غلق بيت الأسرة . التوافق مع الإحالة للمعاش .

وبمراجعة الجدول السابق يتبين ان « إيفلين دوفال » قد حددت دورة حياة الأسرة في ثمانية مراحل :

١ ـ زوجان بلا أطفال .
٢ ـ أسرة في حالة انجاب (أكبر الأطفال عمره ثلاثين شهراً) .
٣ ـ أسرة لديها أطفال قبل سن المدرسة (عمر الأطفال من سنتين حتى ست سنوات) .
٤ ـ أسرة مع أطفال في سن المدرسة (من ٦ إلى ١٣ سنة) .
٥ ـ أسرة مع أبناء مراهقين (من سن ١٣سنة حتى ٢٠ سنة) .
٦ ـ اسرة النشاط الحر (من اول إبن يغادر المنزل حتى آخر إبن يغادره) .
٧ ـ زوجان في منتصف العمر (مرحلة العش الخاوي إلى المعاش) .
٨ ـ زوجان متقدمان في السن (من سن الإحالة إلى المعاش حتى الموت لكليهما) .

لكن هذه المراحل التي قدمتها « دوفال » ليست نهائية ولا تصدق على جميع الحالات وإنما تصلح كمصنف للدراسة والتحليل . والحقيقة ان دورة حياة الأسرة متصلة وكل مرحلة منها ليس لها بداية ولا نهاية بصورة محددة قاطعة . وعموما ، يؤكد معظم الكتاب في هذا المجال ان النظرية التنموية هي في ذاتها في حالة نمو ، وأنها ستتغير بمرور الوقت . كما أنها تشارك المدخل البنائي الوظيفي فكرته الأساسية في أن هناك متطلبات (أعمال) معينة توصف بأنها « جوهرية » لا بد ان تتوافر من أجل وجود الأسرة وبقائها وإستمرارها ، وأن التغير في أي جزء من أجزاء النسق يؤدي إلى تغير في أجزاء النسق الأخرى . وتتعلق النظرية التنموية كذلك مع مدخل التفاعل الرمزي في أهمية الأوضاع والادوار والعمليات التفاعلية . إلا أن الميزة الوحيدة التي تنفرد بها هذه النظرية هي محاولتها التمسك ببعد Time Dimension الزمن عن طريق إستخدامها مفهومات مثل : تسلسل الدور Role Sequence.

الفصل السابع

الاختـــيار الزواجي

لماذا يتزوج الناس ؟

لا يحدث الزواج بصورة طبيعية تلقائية ، كما أنه ليس نتاجا لأنماط سلوكية وراثية وهي التي تسمى أحياناً بالغرائز Instincts، بل إنه نظام Institution، أي أنه يشمل مجموعة متناسقة من العادات والتقاليد والإتجاهات والأفكار فضلا عن التعريفات الاجتماعية والقانونية . وهكذا فإن الغريزة الجنسية ليست سوى واحدة من العوامل الجوهرية التي تقوم عليها ، ومعنى ذلك ان الزواج يعني أكثر من الاستجابة النظامية لدوافع الجنس ، لأنه إذا كان الزواج والتزاوج يعنيان شيئاً واحداً فإنه لا مجال لمعنى الشرعية ، فالناس يتزاوجون وهم أيضاً يتزوجون ، إلا أنه في حالة الزواج تلعب الغريزة دوراً ثانوياً نسبياً . إذن إذا كان الناس لا يتزوجون بسبب الغرائز ، فلماذا يتزوجون ؟

يتزوج الناس لأسباب عديدة ، منها : تبادل الحب مع شخص آخر ، والبحث عن الأمن الاقتصادي والمنزل المستقل ، وإنجاب الأطفال ، وتحقيق الأمن العاطفي ، والإستجابة لرغبات الوالدين ، والهروب من الوحدة أو من منزل الوالدين أو من موقف غير مرغوب فيه ، أو الحصول على المال والرفقة ، أو الجاذبية الجنسية ، أو طلباً للحماية والشهرة ، أو الوصول إلى وضع اجتماعي معين ، أو

الوفاء بالجميل أو الشفقة او النكاية أو المغامرة ، واهتمامات أخرى عديدة لا نهاية لها .

وفي بعض الحالات عندما يفشل شخص ما في الحب ، أو يفسخ خطبته أو يعاني من تجربة مؤلمة مشابهة لذلك ، فإنه يحول عاطفته من الحب الأول إلى حب ثان ، ويشعر نحو هذا الثاني نفس شعوره نحو الأول حتى لو كان الثاني مختلفاً عنه تماماً ، وحتى لو كان لا يعرفه فترة كافية يبادله اثناءها الحب فهو في هذه الحالة يختار قبل أن يكون قد استعاد توازنه العاطفي ، ويمكن اعتبار مثل هذا الزواج رد فعل مباشر وتلقائي للتعثر أو الأزمة التي مر بها .

ويلاحظ ان بعض الزيجات تحدث نتيجة لضغوط مختلفة تبعا للظروف ، إلا أن هذه الضغوط لم تعد بالصورة التي كانت عليها في الماضي ، فلم يعد مقبولا الآن الضغط على الشباب لكي يتزوجوا . بالإضافة إلى أنه في بعض الحالات يتزوج الناس لأن معظم اصدقائهم تزوجوا ولا يرغبون في البقاء بمفردهم دون زواج .

وعموما فإن الناس يتزوجون لأن الزواج هو النمط الإجتماعي الذي يجد قبولا واسعا ومشروعية لإقامة علاقة بين الجنسين ، فاقتصار ممارسة الجنس مع شخص واحد كنوع من العفة والنقاء ، والتعاون من أجل الإبقاء على الحياة ، والوالدية ، والحياة المنزلية والقيم المتشابهة ، كل هذا يجذب الأفراد نحو الزواج . ولهذا يبحث كل فرد عن الزواج الذي يلائمه ويرضيه ، كما يفشل الكثيرون في الحصول على الزواج الذي يستطيعون الاستمرار في احتماله ، ولكن بين هذين الطرفين المتناقضين يوجد ملايين الأشخاص يحصلون على نمط من الزواج يعتبر بالنسبة لهم أفضل من أي بديل حتى وإن لم يصل الى النموذج المثالي .

ويرى بعض علماء الإجتماع[1] . ان العوامل العقلية المحددة لعملية « الإختيار الزواجي »Mate-Selection لم تحظ بالدراسة الكافية ، كما ان دراسة مدى التماثل والتجانس في الاختيار الزواجي من وجهة النظر السوسيولوجية لا تعني إلا بعرض المشكلة ، دون ان تضع لها الحلول ، أما التشابه او الإنتماء فإنه يقوم على أساسين :

---

(1) Burgess E. W. and Locke, H J. « The Family » American Book co, 1953.

١ ـ إمكان اعتبار الإختيار الزواجي وظيفة للفرص Opportunities ومعنى ذلك إمكان تفسير التماثل بين الزوجين على أساس إقامتهما في مناطق محددة ، ويعزز ذلك أن الاختلافات في أنماط الأنشطة بين الفئات الإجتماعية المختلفة يؤدي إلى تحديد نوعية ومدى اتصالات الفرد الى حد كبير ، الأمر الذي تسنح معه الفرصة لمقابلة أفراد متشابهين في جوانب عديدة ، مما يزيد من احتمالات التقارب والألفة ، ويشكل ذلك ما يمكن ان يسمى بالتفسير التفاعلي .

٢ ـ إمكان اعتبار انماط التشابه نتيجة لمفضلات شخصية نابعة من الشخص ذاته الذي يفضل الاتصال بأشخاص يتشابهون معه ، ويشكل ذلك ما يمكن ان يسمى بالتفسير المعياري . وقد حاول عالمان من علماء الاجتماع في دراسة حديثة نسبيا صياغة القضيتين السابقتين في نظرية معيارية تفاعلية واحدة ، تقوم على فرضين : الأول يرى ان الزواج معياري والثاني يرى أنه من خلال المجالات المعيارية للمرشحين أو المؤهلين الزواج ، فإن إمكانية الزواج تختلف بصورة مباشرة مع امكانية التفاعل[1] .

وهناك صورة أخرى للتفسير المعياري يمكن ان توضع موضع الاعتبار إذا افترضنا وجود معيار أو قاعدة للتشابه او التجانس تتحقق بدرجات متفاوتة عن طريق الأشخاص في المجتمع . فإذا أمكن التحقق من وجود هذا المعيار بالفعل ، جاز لنا ان نفترض وجود قاعدة عامة تؤدي إلى القول بأن « الشبيه يتزوج الشبيه » أو أنه يوجد نسق شامل من المعايير المقررة مثل « المسلم يتزوج المسلمة » و« الزنجي يتزوج الزنجية » و « الجامعي يتزوج الجامعية » وواضح أن هذه المعايير ترتكز أساسا على الجنس Race والعقيدة Religion والطبقة الاجتماعية Social Class الخ .أي ان القاعدة في الاختيار تؤكد الميل بصورة عامة إلى البحث عن الشخص القريب أو الشبيه .

ألا ان الفرص والمعايير تختلف باختلاف قطاعات السكان ، ومثال ذلك ان أفراد الطبقة المتوسطة يتميزون بحلقة واسعة من الاتصالات بمقارنتهم بأفراد الطبقة

(1) Kats A . M . and Hill , R . « Residential propinquity and Manital Selection : A Reviw of theory , method and Fact » Marriage and Family Living . Vol . 20 . pp . 27 - 35 .

العاملة . كما ان درجة « التجانس » تختلف في الطبقتين ، لأن تجارب الحياة المختلفة يمكن أن تؤدي إلى اختلاف درجات التجانس ، ولهذا يكون الشخص كثير التنقل والاتصالات قادرا على إنشاء علاقات متعددة أكثر من أمثاله في نفس الطبقة .

وعموما فإن البيانات المتاحة لمعرفة عناصر التجانس تركز على درجة التشابه بين الزوجين ، لأنها تهتم بنتيجة الاختيار الزواجي وليس بالعملية ذاتها . وهناك مجموعة من المتغيرات التي يقوم عليها التجانس وهي : الجنس والعقيدة والطبقة الإجتماعية ، والتجمعات المهنية الواسعة ، ومكان السكن ، والدخل ، والسن ، ومستوى أو درجة التعليم ، والذكاء . . . الخ . ووظيفة هذه المتغيرات أن « ترشد » أو توجه كل فرد إلى « نوع » الناس الذين يستطيع التفاعل معهم . وينتج عن هذا أن الناس الذين نعمل او نلعب معهم أو نرتبط بهم بصورة أو بأخرى يشبهوننا في كثير أو قليل تبعاً لهذه المجموعة من المتغيرات ، وكذلك تبعاً للاهتمامات الثقافية والقيم . وإذن طالما ان هذه المتغيرات تحدد « مجال الارتباط » للأفراد والجماعات ، فمن المعتقد أنها تحدد أيضاً « مجال ترشيح الزوجة أو الزوج المرغوب فيه » والذي من خلاله نختار شركاء الحياة(1) .

السن عند الزواج

يبدأ سن الزواج بعد سن النضج البيولوجي بكثير أو قليل تبعا لظروف الشخص المقبل على الزواج . وفي استطاعة الشخص ان يختار من يتزوجه سواء كان مماثلا له في السن أو أكبر أو أصغر (في حدود الشرعية) وسن الزواج المسموح به قانونا في المجتمع المصري هو ١٨ سنة للفتى و١٦ سنة للفتاة . ولكن يلاحظ أنه كثيرا ما يحدث انتهاك لهذه القوانين وخاصة في المناطق الريفية ، حيث يتم زواج فتيان وفتيات دون سن الزواج بكثير عن طريق استخراج شهادة « تسنين » والإدعاء بفقد شهادة الميلاد الأصلية . إلا أنه نتيجة للتغيرات الإجتماعية والثقافية العالمية والمحلية ، ارتفع سن الزواج وخاصة في المناطق الحضرية . لأن أعداداً كبيرة من الشباب يلتحقون بالتعليم بمراحله المختلفة ، وتستغرق بعض أنواع التعليم سنوات

---

(1) Winch , R . F . , « Mate Selection » Harper and Row , 1958 , p 14 .

عديدة ، لا بد ان تتلوها فترة من الاستقرار المادي والاستعداد للزواج مما جعل سن الزواج في الوقت الحالي يتراوح بين ٢٣ ـ ٢٨ سنة للفتيات ، و٢٧ ـ ٣٤ سنة للشباب .

والوضع المألوف لسن الزواج هو أن يكون الشاب أكبر من الفتاة سنا ويرجع ذلك إلى ان نضج الذكر البيولوجي عادة ما يكون أبطأ من نضج الأنثى كما أن الزوج باعتباره رئيس الأسرة والمسئول عنها يحتاج إلى وقت أطول ليصبح مؤهلا لهذه الوظيفة ، هذا وتكون اختلافات السن في الزواج أقل في الأعمار الصغيرة وتزيد كلما تقدم السن ، لأن الرجال يفضلون دائما الزواج ممن تصغرهم سنا .

القرب المكاني

تتضمن فكرة الاختيار في الزواج بالضرورة وكما تظهر في كتابات علم الاجتماع العائلي،عامل القرب المكاني Propinquity Factor فقد تبين من الدراسات العديدة التي أجريت في هذا المجال ان الناس يتزوجون ممن يلتقون بهم وهؤلاء يعيشون عادة بجوارهم سواء في المسكن أو العمل ، وتبين أيضا أنه للقرب المكاني أهمية وظيفية في لقاء وتعارف الشباب ، ومرجع ذلك إلى أن الحق في حرية الاختيار محدود بالاعتبارات الثقافية التي تحدد الأشخاص الذين من الممكن ان يكونوا الشركاء المرغوب فيهم وهذا نتيجة (على الأقل) لأن كل جماعة ثقافية تميل إلى العزلة أو الإنفصال عن غيرها سكنياً ، وتبدو هذه النتيجة بوضوح لو تتبعنا المناطق السكنية ومن يعيشون فيها في مجتمعنا ، فسوف نجد أن كل فئة طبقية تميل إلى السكنى في منطقة منعزلة خاصة بها ، ولكن نظرة أعمق تكشف أنه إلى جانب هذه العوامل الثقافية هناك عوامل أخرى تسهم في العزلة النسبية لهذه المناطق وهي بالأخص عوامل اقتصادية واجتماعية .

المكانية الاجتماعية

يعتبر الزواج من « داخل المكانة الاجتماعية المماثلة » معيارا اجتماعيا مفضلا وخاصة من وجهة نظر الاباء ذوي المكانة العالية عندما يشرعون في تزويج ابنائهم . وسواء تم الاختيار في الزواج عن طريق الأشخاص أنفسهم أو عن طريق آبائهم أو

آخرين . فإن كونه من داخل المكانة الإجتماعية يعتبر شرطا أساسيا للمحافظة على نسب العائلة ومكانتها أما الأفراد الذين ينتمون إلى مكانات منخفضة فإنهم يكسبون كثيرا عندما يتزوجون من أشخاص ينتمون إلى مستويات طبقية أعلى من مستوياتهم . وبصرف النظر عما يفضله الأفراد أو يرغبون فيه ، فإن معظم الزيجات تكون من داخل نفس المكانة .

وقد تبين من دراسة حديثة أجريت في جامعة ميتشجان الأمريكية ان معايير الإندوجامية (الزواج من داخل الطبقة) تظهر بوضوح بين طلبة الجامعة[1] ، وعند إجراء مقابلات شخصية مع الطلبة والطالبات المتزوجين الذين يعيشون في بيوت الطلبة تبين أن الرجال الذين ينتمون إلى عائلات عالية المكانة وآباؤ هم من الأغنياء يفضلون الزواج من فتيات آباؤ هن من نفس المستوى المهني والطبقي والاقتصادي . ونفس الشيء يحدث بالنسبة للجماعات المتوسطة والموظفين والطبقات الفقيرة والمهن الزراعية . ولكن عندما يحاول الأفراد الزواج من طبقة اجتماعية أعلى فإن هذا يعتبر دليلا على وجود نمط آخر يسمى Intra class (التداخل الطبقي) يحاول الأفراد من خلاله الحصول على أفضل صفقة ممكنة بالنسبة لأنفسهم ولأبنائهم سواء على المستوى المادي أو الاجتماعي .

الزواج المرتب في مقابل الزواج الحر

تختلف العمليات التي يجري وفقاء لها الاختيار الزواجي من مجتمع لآخر فتندرج وفقا « للنموذج المثالي » من الزيجات المرتبة وصولا الى الاختيار الحر .

وعندما يكون الزواج مرتبا ، فإن الاختيار يكون عادة من اختصاص الوالدين أو الأقارب ، ولا تعطى للعروسين فرصة للتدخل في الموضوع أما الاختيار الحر فبالرغم من وجوده فهو نادر وخاصة في المجتمعات الشرقية وبين هذين الطرفين المتناقضين توجد تركيبات عديدة لإمكانيات الاختيار «المرتب الحر» Arranged Free Choice فمن الممكن أن يرتب الوالدين للزواج وفي نفس الوقت يعطيان إبنهما أو إبنتهما

(1) Ross Eshleman and Chester I, . Hunt, « Social Class Factors in the College Adjustment of Married Stydents » . Kalamazoo, Western Michigan University, 1965 p. 32.

حق الاعتراض .كما أنه من الممكن ان يقوم الشاب أو الفتاة بالاختيار الحر ويمنحان والديها حق الاعتراض . كما أنه من الممكن ان يختار الشاب عروسه على أن يشترك والده في الرأي والاختيار .

ولكن عندما يكون الاختيار الزواجي مرتبا ، يصبح الزواج بالإضافة إلى كونه تأسيساً لأسرة جديدة ، وسيلة لاستمرارية وثبات الأسرة القائمة . ولذلك يجب ان يكون الشريك الذي وقع عليه الاختيار له نفس مميزات الجماعة . فالمكانات الإقتصادية والاجتماعية والدينية يجب ان تكون متشابهة بالإضافة إلى ارتكاز الزواج المرتب على الحب والرغبة في انجاب الأطفال والرغبة الجنسية فإنه يشتمل على عوامل أخرى مثل : مقدار مهر العروس ، وسمعة جماعة العريس القرابية الخ . . . . وقد قدم جون بيترJohn Peterمثالا متطرفا للزواج المرتب بين والدي العريس والعروس لا زال يحدث حتى الآن في شمال البرازيل « فالأنثى ليس لها حق اختيار زوجها ، وأي فرد ينتمي لها بصلة القرابة يمكن ان يتزوجها إذا حصل على موافقة أسرتها ، ويتم الاختيار عادة عندما يكون عمر الأنثى ثلاث سنوات والذكر من ١٤ - ٢٠ سنة ، وقد يتم الاختيار عن طريق ام الذكر ، إلا أنه في معظم الأحيان يتم عن طريق الذكر نفسه . وفي بعض الحالات يسأل الرجل المرأة الحامل ان تزوجه الطفل الذي لم يولد بعد إذا كان بنتا »[1].

وعموما فإن الإختيار الحر « تماماً » لا يوجد في أي مكان في العالم ، لأن هذا يعني « الزواج » من شخص بغض النظر عن رغبات أي فرد آخر ، وخاصة رغبة الوالدين أو الجماعة القرابية . ومع ذلك فإن الإختيار الحر يتضمن أيضا إعتبارات معينة لا يكون لها أية أهمية في الزواج مثل : المثال ، والقوة ، والمكانة الإجتماعية والمهنية ، والتعليم ، والسن ، والروابط الأسرية الخ . . لأنه لا يخضع في واقع الأمر إلا للاحتياجات والقيم الشخصية .

عمليات الاختيار الزواجي

عملية الإختيار الزواجي هي الطريقة التي يغير بها الفرد وضعه من « أعزب »

---

(1) John Fred Peters « Mate Selection Along the Shirishana » Practical Anthropology . 18 (January - February , 1971) pp 20 - 21 .

إلى « متزوج » ، وهناك بعض الإجراءات المتفق عليها في جميع المجتمعات لا بد من اتباعها لإتمام الزواج . إلا أن هذه الإجراءات تختلف من مجتمع إلى آخر . ففي بعض المجتمعات يسمح للأفراد المقبلين على الزواج ان يسهموا في عمليةالاختيار .وفي هذه الحالة توجد درجة من الاختيار الشخصي بين طرفي الزواج . أما في حالة الزواج المرتب فإن العملية تحدث بين أعضاء الجماعة القرابية بوجه عام . وفي بعض الظروف لا يلقى العريس عروسه قبل يوم الزفاف ، إلا أن هذا الوضع أصبح نادراً في الوقت الحالي ، إذ أنه من النادر ان تحدث عمليات الاختيار الزواجي مستقلة عن النظم الأخرى مثل المدارس ، وجهات العمل والجيران .

هذا وتختلف عمليات الإختيار الزواجي في المجتمع المصري تبعا للطبقة الإجتماعية التي ينتمي اليها الشباب المقبل على الزواج . كما أن درجة الحرية تتفاوت من طبقة لأخرى . فالأفراد في الفئات العليا يؤمنون بضرورة تبادل الحب أو التعارف على الأقل قبل الزواج ، وقد ظهر هذا الاتجاه نتيجة للتغيرات الاجتماعية التي تعرض لها المجتمع . ذلك لأن إتاحة الفرصة أمام الفتيات لتلقي العلم ووجودهن إلى جانب الشباب في ميادين التعليم والعمل خلق ظروفا متعددة للتفاهم والحب قبل الزواج ، ومع ذلك يميل معظم أفراد الطبقة العليا إلى أخذ رأي والديهم عند الزواج واضعين في أذهانهم إعتبارات كثيرة مثل إسم الأسرة والأصل العريق والمستوى الإقتصادي المرتفع الذي يسهم الأباء في الوصول اليه . ويلاحظ ان أفراد هذه الطبقة يعتبرون أنفسهم من « طبقة الصفوة » أما أفراد الطبقة المتوسطة فهم يميلون إلى المحافظة والتطلع في نفس الوقت ، إلا أنهم يتزوجون اكثر من غيرهم بفتيات ينشئن معهن علاقات زمالة أو عمل وهم في العادة متواضعون في مطالبهم ، ولكن يلاحظ ان مفهوم الإختيار الزواجي الحر يعني عند الطبقات الدنيا عدم وجود عنصر القسر أو الإكراه على الزواج . وهنا يجب ان نقرر أنه لا زالت توجد رواسب عديدة ثقافية واجتماعية متخلفة من الأسرة الممتدة التقليدية تحكم عملية الإختيار وأسلوب إتمام الزواج والعلاقات التي تقوم قبله ، على الرغم من أن هناك اتجاها يؤيد إعطاء حرية أكبر نسبيا للقاء الخطيبين .وقد دلت أبحاث كثيرة أنه ما زالت نسبة كبيرة من الزيجات تتم عن طريق الوالدين والأقارب وخاصة بين الفئات الفقيرة ، كما أن

الكثيرين يرفضون الاعتراف بأن زواجهم كان عن طريق الحب لأن تقاليد المجتمع المصري والأسرة المصرية بوجه عام وحتى اليوم لا يشجع ارتباط الفتى والفتاة عن طريق الحب الرومانتيكي .

وعموما فما زال الشاب أو الشابة المصريان لا يقدمان على الزواج إلا بعد موافقة والديهما الصريحة ، وفي كثير من الأحيان يضحون بحبهما أو اختيارهما إرضاء لوالديهما وحتى لا يخرجا على طاعتهما ، وبالرغم من ان الزوجين لا يقيمان بعد الزواج مع اسرتيهما إلا أن طاعتهما والأخذ برأيهما وخاصة قبل إتمام الزواج يعتبر من المسائل الحيوية ، وهذه السمات المميزة للأسرة المصرية التي لا زالت تحكمها تقاليد ثقافية مختلفة عن تلك الموجودة في المجتمعات الغربية . وجدير بالذكر ان الأسرة المصرية تنظر إلى التربية المتشابهة والوسط الإجتماعي المتماثل على أنهما من الأسس الهامة التي يقوم عليها الإختيار في الزواج . ولا تختلف الأسرة المصرية في هذا الأمر عن الأسر الأخرى في مجتمعات عديدة ، فالفرد حينما يقدم على الزواج فإنه لا يذهب بعيداً بل يبحث حوله في أقاربه أو جيرانه أو زملائه في الدراسة أو العمل ، لأن الناس عادة لا يقعون إلا في حب من يقابلونهم .

ويلاحظ ان أهداف الفتى من الزواج تختلف عن أهداف الفتاة . فالفتى يريد إشباع رغباته الجنسية ويرغب في الإستقرار ، أما الفتاة فهي تسعى إلى الحب وإلى إشباع غريزة الامومة فيها . وتخضع عملية الاختيار الزواجي لنوع من « اللعبة » تدور بين الذكر والأنثى ، لها قواعد وأهداف واستراتيجية ، واستراتيجية مضادة . وتبدأ اللعبة عادة في سن مبكرة (سن المدرسة الاعدادية) وعند النضج يبدأ الآباء وجماعة النظراء في الضغط لتشجيع الشباب على الزواج . وأهداف اللعبة عديدة ومتنوعة فقد تكون الاستمتاع ، وتبادل العواطف أو التمرين على اللعب بصورة أفضل ، أو الحصول على شريك للحياة . وهناك مستويات للعبة تخضع لنوع اللاعب ، فالأناث لهن قواعد وأهداف مختلفة عن الذكور . فيتجه الذكر باللعبة عادة إلى ناحية جنسية ، وقد ينجح أو يفشل تبعا لعوامل عديدة اجتماعية وشخصية ، أما الأنثى فهدفها الأساسي من اللعبة هو تحويل هذه العلاقة إلى وعد بالزواج .

التواعد أو التلاقي

كانت العلاقة بين الفتى والفتاة في الماضي مقيدة إلى حد بعيد ، حيث كانت العلاقات الاجتماعية بين الجنسين بوجه عام محددة ، وكان هذا التحديد يرجع إلى أسباب عديدة منها :

١ ـ أن أدوار الجنس كانت متمايزة بوضوح عما هي عليه الآن فالرجل الشاب يعد لدوره المهني المستقبلي عن طريق والده أو الذكور البالغين الآخرين في الأسرة ، كما كانت الفتاة الشابة تعد لدورها كزوجة وأم ومدبرة منزل عن طريق والدتها أو النساء البالغات الأخريات في الأسرة .

٢ ـ إن وقت الفراغ كان أقل بكثير مما هو عليه الآن ، وإذا وجد فإنه يقضى مع جماعة من نفس النوع أو مع الأسرة .

٣ ـ إن اختيار شريك الحياة كان لا يتم من خلال التفاعل العاطفي بين فردين ولكنه غالباً ما يكون مدبراً عن طريق الوالدين أو أفراد متقدمين في السن في المجتمع .

هذا وقد كان ينظر إلى احتياجات ورغبات الفرد في معظم مجتمعات العالم تقريباً كجزء من احتياجات الأسرة الكلية ورغباتها ، ولما كان للآباء دور كبير وهام في عملية الإختيار الزواجي ، فإن « لقاءات » الشاب والفتاة قبل الزواج أو الخطبة « على الأقل » لا توضع في الاعتبار . أما اليوم فإن احتياجات الفرد وأعبائه تعتبر موضوعاً قائماً بذاته وله أهميته القصوى عنده ، مما يجعله يسعى إلى تحقيقها أولا بغض النظر عن احتياجات الأسرة ككل ويظهر هذا الإتجاه بشكل واضح في نمط الأسرة الحضرية ، حيث يتجه الفرد إلى الاختيار الزواجي الذي يتفق مع احتياجاته النفسية الخاصة ، وحيث يسود الآن اعتقاد شديد بأن هذا يؤدي إلى سعادة شخصية عظيمة . ولهذا أصبح هناك التأكيد على العوامل العاطفية اكثر من العوامل العملية التي ترجع إلى الاحتياجات الواسعة للأسرة .

إلا أنه من الجدير بالإشارة إليه هنا أن التحول من الضبط الأبوي أو الرقابة الأبوية Parental Control إلى حرية الفرد في الاختيار لم تقض تماما على سلطة الوالدين،

حيث ما زال الوالدان وبدرجات متفاوتة يمارسون التأثير على أبنائهم كما سبق أن أشرنا وخاصة في المجتمعات الشرقية والنامية ولكن نظراً لتضاؤ ل الرقابة الأبوية في العصر الحديث في عملية الاختيار الزواجي بوجه عام ، فإن مقدار الوقت الذي ينفق في العلاقات الاجتماعية التي تسبق الزواج يتزايد باستمرار ، وهكذا أصبح التواعد (أي اللقاء) بين الفتى والفتاة علاقة غير مباشرة للاختيار الزواجي المستقبلي ، إلا أنه عادة يحاط بالسرية حيث يسود اعتقاد بأن الاختيار الزواجي هو قرار خاص Private decision وقد تأثرت فكرة السرية في مثل هذه العلاقة الثنائية إلى حد كبير بسبب تزايد الاعتماد على (خارج المنزل) لاشباع الاحتياجات الترفيهية ، فالترفيه كان محصوراً في الماضي داخل نطاق الوحدة الأسرية ولكنه الآن ونظراً لتطور وسائل الترفيه التجارية فقد أصبح الوقت الذي يقضيه الشباب في المنزل قليلا للغاية .

وهناك عامل آخر ارتبط بالتحرر النسبي من الوالدين ، وهو الحرية التي حصلت عليها المرأة في العصر الحديث ، فالتواعد ما كان ليتم بصورته الحالية إذا كانت الحرية من حق الذكر فقط لكن حصول المرأة على حق العمل في المهن المختلفة ، وفي استكمال تعليمها ، وفي مساواتها القانونية بالرجل ، والسماح لها بحرية أكبر في علاقاتها الاجتماعية جعلها تطالب في كثير من المجتمعات الآن بحرية أكبر في إنشاء العلاقات التي تسبق الزواج وجدير بالذكر هنا ان المجتمعات الأوربية والأمريكية لا ينكر على المرأة نفس الحقوق التي للذكر في الحب والعلاقات الجنسية التي تسبق الزواج بعكس الحال في المجتمعات الشرقية التي تغض الطرف عن علاقات الرجل الجنسية قبل الزواج بينما ترفض بشكل قاطع أي نوع من تلك العلاقات بالنسبة للمرأة[1] .

وعموماً فالتواعد أو ضرب المواعيد للقاء يعتبر عادة غربية اساسا . ولكنها بدأت تظهر حاليا في المجتمعات الشرقية نتيجة للإتصال الثقافي بين المجتمعات المختلفة عن طريق وسائل الإعلام والسينما وسفر الشباب للخارج والتعليم وخروج المرأة للعمل الخ . . . ويعتبر الموعد أو التلاقي Date غاية في حد ذاته ، وينظر إليه كنوع من

---

(1) Robert Bell . « Marriage and Familyinteraction» the Dorsey Press , Homewood , Illinis , 1975 , pp . 76 - 78 .

الترفيه وقد يتوقف تكراره بعد فترة قصيرة من الوقت ، وقد ينتهي عند المقابلة الأولى ، ولكن في حالة تكراره فإنه يتحول إلى علاقة من نوع جديد. ويحقق التلاقي اهدافا عديدة مثل :

١ ـ تحقيق شكل من أشكال الترفيه ، وقضاء وقت الفراغ، في الوقت الذي يمكن أن يكون مصدراً للمتعة الفورية .

٢ ـ تحقيق شكل من أشكال التنشئة الاجتماعية ، حين يهيء الفرصة للأفراد من الجنسين ليعرف كل منهما الآخر ، ويتعلم كيف يتوافق معه ، وينمي الوسائل المناسبة للتفاعل مع الطرف المقابل .

٣ ـ قد يصبح التلاقي في ظروف متعددة وسيلة مناسبة لتدرج المكانة أو ارتفاع المركز الاجتماعي ، فمن طريق لقاء ورؤ ية أشخاص ينتمون إلى مكانة اجتماعية مرتفعة ، يمكن للفرد الذي ينتمي إلى طبقة أقل أن ترتفع مكانته وهيبته داخل جماعته .

٤ ـ يهيء التلاقي فرصة طيبة لتبادل مشاعر المودة والألفة (العواطف) حين يتيح الأفراد غير المتزوجين الظروف التي يرتبط خلالها كل منهم بالآخر بهدف اختيار شريك يمكن الإرتباط به عن طريق الزواج[١] .

إلا أن الأسباب الأولية للتواعد والوظائف التي يحققها التلاقي تؤثر في دوره . فالأشخاص الذين يلتقون من أجل الترفيه وقضاء الوقت يختلفون عن هؤلاء الذين يلتقون بقصد التنشئة الاجتماعية ، أو الاختيار الزواجي ، أو تحسين المركز . إلا أن هذا التصنيف الذي ذكرناه لوظائف التلاقي وأهدافه قد تكون مجردة إلى حد كبير ، لأن التلاقي من ناحية أخرى له آثاره السلبية وخاصة في ظل ظروف مجتمعية غير مؤيدة أو غير ملائمة أو إذا استخدمه احد الطرفين للتدمير الذاتي او التشهير . ولهذا من المهم أن ندرس التلاقي في إطار موقف الرأي العام أو مدى مرونة الجزاءات الاجتماعية .

---

(1) James K. Skipper and Gilbert Nass, « Dating Behavior : or A Frame Work for Analysis and an Illustration » Journal of Marriage and Family 28 (November 1966) pp 412 - 413 .

ويرى وينش Winch[2]ان « التواعد » ، يمثل من وجهة نظر معينة مرحلة « استعراض الواجهة«Window Shoppingوهي مرحلة لا تتضمن أي وعد بشراء « البضاعة المعروضة »ولا يحقق اللقاء العشوائي إلا نمطا عبثياDellianceللعلاقة بين الجنسين . ولهذا تكون العلاقة نوعا من الترفيه ومجردة من أي وعد مستقبلي ، أو التزام من جانب تجاه الآخر . فاللقاء في هذه الحالة يكون غاية في حد ذاته .

أما التواعد كشكل من أشكال التنشئة الإجتماعية فهو ينحو للتأثير في طبيعة من نكون ، وماذا يحب فينا الجنس الآخر وهو يصلح كمجال اختياري ومصدر للإشباع الذاتي . وهو يعطي إجابات لعديد من التساؤلات مثل : هل أنا لطيف ومحبوب ؟ وهي من الممكن التحدث معي ؟ وهل انا مرغوب ؟ أم أنا عنيف وسخيف ؟ أو أنني أشبه الآخرين ؟ وإذن فالتواعد من حيث هو وسيلة للتنشئة الإجتماعية يهيء الفرصة لمواجهة الذات في علاقتها بالآخرين .

هذا ويعمل « التواعد » باعتباره شكلا من أشكال اكتساب المكانة على تهيئة الفرصة للبعض بأن يشاهد علنا مع الفتى أو الفتاة المناسبة وأن يلقى اعتراف الآخرين بهذه العلاقة ، والتواعد الناجم في هذه الحالة يتضمن موافقة جماعة النظراء ، وهم في العادة أعضاء الفرق الرياضية أو الأشخاص الذين ينتمون إلى مستويات عليا ، والذين يتميزون في العادة بارتداء الملابس الفخمة ويقودون السيارات الفارهة الخ . . .

وتسنح الفرصة عن طريق « التواعد » كشكل للاختيار الزواجي للأفراد غير المتزوجين كي يتصل أحدهم بالآخر بقصد اختيار الشريك ، ومعظم حالات الإختيار الزواجي في المجتمعات الغربية يكون نتيجة للمواقف التواعدية[1] . ويرى سكيبر Skipperوناس Nass أن الأفراد الذين يتواعدون تكون لديهم رغبة قوية في استمرار علاقتهما إذا ظل شعورهما العاطفي متبادلا وعميقا . أما إذا كانت العاطفة

---

(1) Robert F. Winch, The Modern Family, N. Y. Holt, Rinehart and Winston, Inc. 1971. p. 530.

(2) James Skipper and Gilbert Nass, « Dating Behavior, A Frame Work for Analysis and an Illustration, » Journal of: Marriage and the Family, 28 (November, 1965) p. 413.

مرتفعة في جانب ومنخفضة في الآخر فإن هذا يؤدي إلى فشل العلاقة ، ونشوء الصراع .

وعموما فإن الزواج في الوقت الحالي لا يحدث دون أن تسبقه فترة من التعارف تتيح لكل من الفتى والفتاة التعرف على الشخص الذي سوف يصبح شريك المستقبل ، وإن اختلف أسلوب هذا التعارف تبعا للطبقة الإجتماعية التي ينتميان إليها .

وهناك رأي يفصل بين التواعد أو التلاقي وبين الإعداد للزواج ذلك أن التواعد يعتبر غاية في حد ذاته ،حيث يستعد له كل فرد بأحسن ما يستطيع من مظهر وسلوك يعرضه أمام الآخر ، إلا أن معظم هذه الوعود (رغم حسن النية) لا تتحقق في الواقع ، كما أن معظم التوقعات والآمال التي يبنيها الشابان لا يمكن إنجازها ، والزواج في هذه الحالة يشبه الخذلان Letdown، ولا يرجع ذلك إلى ان الزواج أقل أهمية وجذبا للاهتمام من التواعد ولكن في الزواج يواجه الزوجان الواقع والحقيقة ، أما في التواعد فكثيراً ما تختلط الحقيقة بالخيال ، وربما كان هذا هو سبب ما نلاحظه من تغير الناس (وغالباً إلى الأسوأ) بعد زواجهم . فقبل الزواج يبدو الشابان في مظهر زائف ، ويرى كل منهما الآخر من وجهة نظر متحيزة ولكن بعد الزفاف يعود كل منهما الى صورته الحقيقية مما يشكل صدمة لكل منهما .

وقد قيل وكتب الكثير عن الفشل في الزواج ، لكن ما يكتب عن الفشل في التواعد فإنه محدود للغاية على الرغم من أن فشل الزواج يترتب في الحقيقة على فشل التواعد اولاDating Failures،وهذا يتضمن الفشل في قضاء وقت كاف للإلمام بصفات وإمكانيات الشخص الآخر والإطلاع على شئونه الخاصة ، أو الفشل في إتخاذ قرارات ذكية ، وكذلك الفشل في ربط القيم بالسلوك ، ومع ان كل هذا قد يظهر بصورة ما قبل الزواج ، إلا أن نتائجه لا تظهر بصورة واضحة إلا بعد الزواج[1] .

(1) Bowman. op cit p . 112 .

أ ـ خواص الموعد

إن الخواص المطلوبة في الزوج أو الزوجة وتلك المطلوبة في الشخصين اللذين يتلاقيان في موعد ليست متماثلة بالضرورة . ففي التواعد تلعب بعض الخصائص السطحية دوراً بارزاً ، ومثال ذلك ، أن يبدو الفرد كريماً وسخياً بغض النظر عن طموحه في العمل وعن إمكانياته المادية الحقيقية ، وكذلك يكون من الضروري ان تبدو المرأة جميلة جذابة بغض النظر عن إمكانياتها كربة منزل . وفي بحث أجري على مجموعة من الطلاب ،.طلب منهم فيه أن يضعوا قائمة بالخصائص التي يفضلونها في الزوج أو الزوجة ، فجاء على رأس القائمة الأولى صفات معينة مثل : المقدرة على إدارة الحديث ، حسن السلوك ، الشخصية السارة الممتعة . أماالقائمة الثانية فجاء على رأسها صفات أخرى مختلفة تماما مثل : المقدرة على التعاون ، الحب والتعاطف ، الطموح ، والذكاء الخ . . .(١) .

ب ـ طول فترة التعارف

كثيراً ما يتساءل الناس عن الفترة المناسبة التي يستغرقها شخصان ليعرف كل منهما الآخر قبل ان يتزوجا ، وقد تبين ان هناك علاقة بين طول مدة التعارف وبين النجاح في الزواج ، حيث ان طول فترة التعارف او التلاقي بين الشابين المقبلين على الزواج تؤدي إلى التوافق الزواجي .

وقد تبين أيضا أنه عندما يتزوج شخصان بعد فترة قصيرة من التعارف ، فإنهما يعرفان أشياء عن بعضهما بعد الزواج كان من الأفضل لو عرفاها قبله . حيث ان معرفة هذه الأشياء في ظروف جديدة مختلفة قد تحول دون حرية الاختيار . وهنا تظهر بوادر ضغوط كبيرة سواء نحو الموافقة أو الصراع ، وهذا يعتمد على مدى إمكانية تعديل توقعات كل منهما تجاه الآخر . وتعتبر عدم القدرة على تعديل التوقعات وتقبل الشخص الآخر كما هو وليس كما كان يتوقع ، من العوامل الهامة المؤدية إلى الفشل الزواجي . ويقول آخر ، إن زواج رجل وإمرأة قبل ان يعرف كل منهما الآخر بصورة مناسبة يكفي لأن يرفضان بعضهما كشركاء في الزواج(٢) .

---

(1) Bowman, Ibid, p. 120.
(2) Ibid, p. 121.

حـ ـ اختيار شريك الزواج

يمكن النظر إلى طريقة الاختيار على أنها « نصف المعركة » فاختيار الفرد هو الذي يحدد نوعية حياته ، وهكذا فمن الأسهل والأنفع ان نختار جيداً بدلا من ان نحاول تغيير الشخصية بعد الزواج ، وهذا لا يعني أن شخصية الزوجين لا تتغير على الإطلاق بعد الزواج ، فالتغير يمكن حدوثه من خلال التجربة ، والمجهود الذاتي أو بتأثير شريك الزواج ، ولكن هذا التغير لا يحدث إلا من خلال سمات وملامح الشخصية الموجودة أصلا قبل الزواج .

إن سمات الشخصية تظهر من خلال أنماط أو مظاهر السلوك ، ولا يمكن اعتبار تغير هذه السمات على أنه عملية تشبه عملية تغيير الملابس ، فنحن هنا أمام عملية تغيير للسلوك ، وهذه تستلزم تنمية أنماط جديدة للعادات المألوفة لدى الفرد ، وعموما ، فإنه من المعروف ان الناس لا يحبون ان يفرض عليهم تغيير سمة من سماتهم المستقرة[1] . ذلك لأن أي سمة في شخص معين تتناسب مع بقية سماته الأخرى ، في الوقت الذي تتناسب فيه أيضاً مع اتجاهاته ، هذا على الرغم من ان السمات ليس لها نمط يتصف بالدوام ، فالفرد قد يظهر سمة معينة تحت ظروف خاصة بينما لا تظهر نفس السمة في ظروف اخرى . ومثال ذلك ، ان الفرد يضبط مزاجه او انفعاله في المنزل بينما لا يستطيع ذلك في مباراة لكرة القدم .

د ـ خواص شريك الزواج

إنه لمن المثير للاهتمام ان نحاول استعراض جميع الخواص المطلوبة أو المفضلة في شريك الزواج إلا أنه من غير المفيد أن نتكلم عن أية خواص معينة قبل أن نجيب على هذا السؤال « زوج أو زوجة من ؟ » فالخواص المرغوبة أو المطلوبة متغيرة على الدوام وتعتمد على شخصية وتوقعات الفرد الذي يتخذ القرار . ومعنى ذلك أن الخصائص أو الصفات نسبية وتختلف باختلاف اتجاهات من يضع القائمة .

وقد قام احد الدارسين بدراسة عن اتجاهات مجموعة من الأزواج والزوجات نحو أنماط السلوك التي يشعرون أنها تسهم في نجاح أو فشل زيجاتهم . وقد ظهرت

(1) Ibid , 123

إجابات عديدة ومتنوعة ، ففي قائمة الأزواج نجد إجابات مثل « أنها تعد الطعام في موعده دائما ، وأنها تجيد حياكة الملابس ، وأنها تعد لي دائماً ملابس نظيفة ، أنها تغسل لي ظهري . أما إجابات الزوجات فكانت أيضاً متنوعة وطريفة مثل « إنه يساعدني في غسل الأطباق ، أنه يحب الطبيعة ، انه لا يحكي نكتا قديمة وهكذا . . . » ومن استعراض هذه الإجابات يتبين لنا مدى الإختلاف في أوجه التفضيل التي تختلف من شخص لآخر .

إن الإختيار المناسب قد يكون نصف المعركة كما سبق أن قلنا ولكنه مجرد « نصف » أي أنه بداية التوافق الزواجي وليس نهايته ، فالموقف هنا لا يشبه ما يحدث عند اختيار مهنة مثلا فالظروف هنا مختلفة تماما من حيث التكيف والإعداد .

إن الإختيار لا يتضمن فقط شخصية الفرد الآخر ولكنه يتضمن ايضا أشياء أخرى مرتبطة به ، مثل الظروف التي سيعيش في ظلها الزوجان ، ومتطلبات مهنتهما ومكان السكن ، ونمط اقاربهما . وهذه الأشياء ترتبط أكثر باختيار الزوجة لزوجها أكثر مما ترتبط باختيار الزوج لزوجته ، لأنه من المحتمل وفي معظم الحالات ، حتى في الوقت الحالي حيث التغير الإجتماعي السريع ، ان نجد أن طبيعة مهنة الزوج هي التي تؤثر إلى أبعد مدى في حياة أسرته ، كما أنها لا تؤثر الى حد كبير في تحديد دور الزوجة ، ونوع الصلاحيات الشخصية التي تحتاجها لتنجز هذا الدور بنجاح . وهذا بالإضافة إلى أن مهنة الزوج تحدد إلى حد كبير مكان إقامة الأسرة وكذلك مكانة الزوجين في المجتمع المحلي[1] .

الحب

إذا سألنا جماعة من الأفراد المتزوجين عن الأسباب التي دفعتهم للزواج ، فمن غير المحتمل ان يعددوا القيم التي أشرنا إليها من قبل ، ومن المحتمل ان يقول غالبية هؤلاء « تزوجنا لأن كلا منا أحب الآخر » إنهم إذن تزوجوا بسبب « الحب » . وليس هناك شك في أنهم صادقون ولو بصورة جزئية ، فقد يكون زواجهم قد تم لأنهم خبروا شعوراً معينا فسروه على أنه حب . إلا أننا لا نستطيع أن نحدد بدقة

(1) Ibid , pp . 123 - 126 .

ماهية هذا الشعور . لأننا نستخدم مصطلح « الحب » بمعان عديدة مختلفة . فنقول مثلا : أنا أحب والدي » أو « انا أحب خطيبتي » أو « أنا أحب الله » أو « أنا أحب وطني » أو « أنا أحب الملابس الجميلة » أو « أنا أحب الصيد » ولكن من الواضح أننا لا نستطيع أن نحب أمنا بنفس الطريقة التي نحب بها الصيد ، كما أنه ليست لنا نفس التجربة العاطفية مع الوطن مثل تلك التي نمارسها مع الخطيبة . وهكذا . . .

ونتيجة لهذه الوجوه العديدة للحب لا بد أن نصفه بأن نضيف اليه بعض الصفات مثل : « بنوي ، أبوي ، زواجي ، رومانتيكي » . إلا أن هذا لا يفسر ماذا نعني بقولنا أننا تزوجنا بسبب الحب أو أننا « وقعنا في الحب » وأكثر من ذلك ، فالحب يعني أشياء مختلفة تبعا لإختلاف الأشخاص ،وهذا يعتمد على خلفيتهم Back groundالثقافية وتجربتهم في الوقت الذي تتعدد فيه معانيه باختلاف فترات العمر .

وعموما ، فالذي يميز الحب الذي « نقع » Fallفيه عن الأنماط الأخرى للحب هو عنصر الجنس ، إلا أن الجنس لا يقوم بصورة كلية على أساس فسيولوجي ، فهو أكثر من ذلك ، لأنه يتشعب خلال حياة الفرد كلها ، ولكن في الحب الرومانتيكي ، وهو الحب الذي « نقع فيه » ، ويؤدي إلى الزواج ، فهناك تركيز للاهتمام على الشخص الآخر كمحور للدوافع البيولوجية ، وكوسيلة للراحة من التوتر البيولوجي .

تصورات خاطئة متعلقة بالحب

هناك كثير من الأفكار الخاطئة المتعلقة بالحب تشكل جزءاً من أفكارنا عنه ، وهي تزيد من ارتباك واضطراب الفرد الذي يحاول أن يحدد إذا كان ما يخبره هو حب حقيقي أم هو تجربة زائفة ، وسوف نحاول فيما يلي ان نستعرض بعض هذه الأفكار الخاطئة .

١ ـ أول هذه الأخطاء عندما نقول « لقد وقعنا في الحب » ذلك أنه من الصعب أن نعرف بدقة الدلالة التي تتضمنها كلمة « الوقوع » هذه . فالوقوع كلمة لها معان عديدة . فنحن نقول مثلا : احترس حتى لا تقع على السلم ، وقد يحمل الوقوع معنى السقوط او الهبوط : فنقول : هبط الليل ، أو هبطت درجة الحرارة ، أو سقط

اللص صريعا ، أو هبطت ثروة مفاجئة على شخص ما وهكذا . إلا أن الوقوع في الحب يختلف عن ذلك ، فهو شيء لا يكون بمقدور الفرد أن يتحكم فيه ولذلك فإنه غير مسئول عن نتاجئه . ولكن من الخطأ ان نربط بين « الوقوع في الحب » و « الوقوع في فخ » .

٢ ـ أننا عادة نفترض أننا نقع في الحب بقلوبنا فقط ولكن هذا غير حقيقي فنحن نقع في الحب فعلا بقلوبنا ولكن أيضا بعقولنا كما ان هذه العملية تتأثر إلى حد كبير بالتقاليد والعادات والأفكار الخاصة بالجماعة التي نعيش فيها والتي منها تنبعث اتجاهاتنا . ولهذا من الأفضل ان نقول اننا ننموا من خلال الحب وهذا أقرب إلى الحقيقة . فالحب عاطفة معقدة ، وهو يظهر عندما يعيد شخصان توجيه حياتهما ، من خلال نقاط محورية جديدة . « وعلى ذلك يكون الإنسان في حالة حب عندما يصبح في إمكانه ان يشبع الحاجات العاطفية لمحبوبه ، ويصبح هذا الإشباع ضرورة عاطفية مطلقة بالنسبة له[1] .

٣ ـ يعتقد بعض الأفراد أنه عندما يمارس شخص ما ما يفسره على أنه حب ، فإن تجربته الحالية تفوق جميع الإعتبارات الأخرى . وهناك ايضا افتراض بأن ما يشعر به الفرد في لحظة معينة لا يمكن ان يتغير ، وإذن فلا بد أنه الحب . وهذه الأفكار الخاطئة تتدرج جنبا إلى جنب مع الفرض القائل بأن الحب هو بوجه عام تجربة تعني في الدرجة الأولى بالجسد واحتياجاته .

٤ ـ يعزو بعض الأفراد إلى الحب قوة لا نهائية ؛ حيث يؤكدون أنه إذا كانت العواطف قوية بصورة كافية ، فإنها سوف تؤثر إلى حد بعيد ليس في علاقاتهم ولا في زواجهم فحسب بل أن السمات غير المرغوب فيها سوف تتحول وتتشكل لكي تصبح ملائمة وذلك من خلال « بلسم الحب الشافي » .

٥ ـ وهناك أفكار وتصورات خاطئة مشابهة تنسب إلى الحب المقدرة على حل المشاكل . فكثير من الأفراد يدخلون في علاقات الحب بسعادة طاغية بغض النظر

---

(1) Klemer , Richard H . « Marriage and Family Relations - hips , Harper and Row , Publishers , Incorporated , New - York 1970 .

عن المشاكل الأخرى المتعلقة بالوالدين والدخل والإنجاب والوظيفة وإختلاف مستوى التعليم وغير ذلك من العوامل التي يكون أحدها أو كلها عائقا في استمرار الحب عملياً .

٦ ـ يعتقد بعض الأفراد أنه لا يوجد في العالم سوى « شخص واحد » يمكنهم ان يقعوا في حبه ويجدوا معه السعادة . وهذا تصور رومانتيكي إلى حد بعيد ولا يستند إلى أية حقائق ، فالقول بأن الافراد الذين يتلاءمون مع بعضهم فقط هم الذين يقعون معا في الحب افتراض زائف . والدليل على ذلك أن معدل المواليد كما نعلم يصل إلى حوالي مولود في الدقيقة وبالتالي يكون من الصعوبة بمكان ان نبحث في كل هؤلاء عن شخص وحيد لنقع معه في الحب .

ماذا يحدث لو تحقق هذا الفرض في الواقع : شخصان لهما أفكار معينة متعلقة بالشريك المثالي يلتقيان ويقعان في الحب . أنهما في الحقيقة ينقحان ويعدلان خلال هذه العملية مثلهما الأعلى كي يتلاءم مع الشخص والآخر ، ونتيجة لهذا يعتقد كل منهما أنه وقع في حب الشريك المثالي . فبعد تنقيح وتعديل النموذج المثالي أو المثل الأعلى وتركيزه في شخص معين فإن هذه الحقيقة سوف تشكل اتجاهه نحو الأفراد الآخرين ، وقد يكون من الصعب في هذه الحالة الوقوع في حب أي شخص آخر .

٧ ـ وأخيراً فهناك فكرة شائعة جدا وهي أن الحب قد يحدث من أول نظرة ولكنها فكرة خاطئة بلا شك ، فقد يكون هذا الشعور الفوري إعجابا بالشكل قد يستمر أو لا يستمر وذلك تبعا لبقية العوامل الأخرى، بالإضافة إلى أهمية رأي الشريك الآخر . فقد يعجب شاب بفتاة بينما هي لا تبادله نفس الشعور والعكس صحيح .

إن تصديق هذه التصورات عن الحب يجعلنا نعتقد خطأ ان الحب هو الأساس الوحيد للزواج ولكن من الخطأ أيضا أن نتصور أن الوقوع في الحب هو مجرد مطلب سابق Prerequisite لإتمام الزواج ما يلبث ان يتلاشى بعد الزواج حيث يواجه الزوجان بعد ذلك حياة زوجية رتيبة ومملة ويعامل كل منهما الآخر بفتور شديد .

الحب : أهميته البنائية ، ووظيفته ونموه

بالرغم من أن الحب يعتبر في الأساس ظاهرة نفسية وعاطفية ، مثله في ذلك مثل

الانجاب الذي يعتبر ظاهرة بيولوجية ، إلا أنه لم يحظ بأهتمام كبير في كتابات علم الإجتماع . ومع ذلك فالحب مثل الانجاب أو التكاثر يمكن النظر اليه من منظور أوسع بالتركيز على أنماطه البنائية التي عن طريقها تتمكن المجتمعات من السيطرة عليه .

ويرى وليام جود Goode[1] ان المادة المطبوعة عن الحب ، يمكن تصنيفها إلى أربعة مجموعات هي :

١ ـ الشعر والانسانيات والأدب والكتابات الجنسية والاباحية : وتصور معظم الكتابات الأدبية الحب كتجربة غامرة طاغية ، ويلاحظ ان الكتاب في هذا النوع من الكتابات يلجأوون إلى استثارة تعاطفنا ومشاركتنا الوجدانية مع ما يكتبون ، بما يتيحونه للقراء من كشف لحياة الآخرين الخاصة .

٢ ـ النصائح الزواجية : تصور معظم الكتابات الواسعة الإنتشار عن الحب أن المجتمعات الغربية تؤكد على أهمية الحب الرومانتيكي وعدم اهميته في المجتمعات الشرقية بصورة عامة ويرجع ذلك إلى إختلافات جوهرية عند كل منها ، وهناك من الدارسين من يقول ان التمسك بقواعد الدين والتقاليد والعرف وسيطرة ورقابة الوالدين وتحفظ نظرة المجتمع ، تضع جميعا عوائق عديدة أمام العواطف . ومع ذلك تختلف النظرة إلى الحب باختلاف الطبقة التي تنتمي إليها الأسرة ، فالأفراد في أسر الطبقات الفقيرة يعتبرون تبادل الحب غير أساسي في إختيار شريك الحياة (الحب يأتي بعد الزواج) ، وقد يكون الحب في رأي البعض حبا من طرف واحد ، كأن يقع شاب في حب فتاة دون أن تبادله هي نفس الشعور . وعموما فإن الناس في مجتمعنا يتحدثون عن الحب ويفكرون فيه ، ويأملون في الحصول عليه ، ويتابعونه نظريا في الأغنية والقصة والرواية وفي تجارب الآخرين ولكنهم يتهمونه في نفس الوقت بل قد يشيرون إلى المحبين بشيء من السخرية والإدانة ، وربما يرجع ذلك في جانب منه إلى أن طريقه محفوف دائما بالعوائق والصعوبات ، لأن المناخ العام في

(1) William J. Goode, « The Theoretical Importance of Love » American Sociological Review 24 (Fegruary, 1959) pp. 38 40.

المجتمع لا يزال غير معترف بإيجابية العواطف الإنسانية ، ولهذا تتذبذب النصائح التي تقدم لمن يقبلون على الزواج بين الإتجاهات المتحررة والإتجاهات المحافظة في نظرتها لمشروعية أو أهمية الحب كأحد اسس الزواج الناجح

٣ ـ **الأهمية البنائية للحب** : قدمت جماعة من الكتاب بعض القضايا التي تعالج وظائف الحب والظروف التي من خلالها تنمو علاقاته.وتنطوي هذه القضايا على أقوال مثل : « الحب كمقدمة عامة أو كأساس للزواج أمر نادر » ، أو « الحب تعبير أو هدف للجنس المكبوت » ولكن في المجتمعات التي تسود فيها المودة والصداقة الحميمة بين الأباء والأبناء ، يكون تبادل الحب مع الآخرين ضروريا من أجل حث الطفل على تحرير نفسه ومحاولة التخلص من الإرتباط الشديد بوالديه الخ .

٤ ـ تتجاهل وجهة النظر الانثروبولوجية الحب كعامل له أهميته في الأنماط القرابية ، ويدعي كثير من الأنثروبولوجيين ان طبيعة الحب ووظائفه بدعة لم تظهر سوى في المجتمعات الغربية ، ويؤكدون أنهم لم يجدوا ما يدل على وجود هذه العاطفة في المجتمعات البدائية التي قاموا بدراستها .

ولكن على الرغم من هذا الرأي المضاد فالحب موجود بكل المجتمعات وإن إختلفت صوره من مجتمع لآخر ، ونظرا لأهميته ودوره الذي يؤديه في العلاقات بين الجنسين فإنه يخضع لسيطرة المجتمع[1] . وقد أشرنا من قبل إلى أن الإختيار الزواجي يؤثر من حيث النتائج التي ترتبت عليه في كل من الأسرة والمجتمع ، ولهذا طالما يؤثر الحب في عملية الإختيار الزواجي فإن كليهما (الإختيار والحب) يجب ان يخضعا للضبط الإجتماعي . ويميل كثير من دارسي الأسرة إلى القول تأكيدا لذلك ، أن الأطفال يتأثرون بالإختيار المسبق لأبائهم ، وبما بينهم من عواطف ايجابية (الحب) ـ وهي مسائل كان ينظر اليها قبلا على انها مسألة فردية ـ ولكن ما دام تأثير المواقف الفردية يمتد فيما بعد إلى أجيال أخرى قادمة فإن الأنماط النظامية في المجتمع « يجب » بل إنها تتضمن بالفعل صورا عديدة من صور ضبط الإختيار والحب على المستويات الفردية .

---

(1) Ibid , p 42

الضبط الاجتماعي للحب

يتجلى الضبط الإجتماعي للحب عن طريق وسائل عديدة

أولا تزويج الأطفال بقصد إبعادهم عن أي فرصة للتفاعل العاطفي ، والحيلولة دون أي معارضة أو رفض للزواج ومن الواضح أن صغر السن وعدم إدراك مسألة الزواج بصورة كافية هو الذي يجعل من هذا الضبط إجراءا فعالا[1] .

ثانيا تطبيق صارم لنوع من القواعد القرابية المتعارف عليها التي تحدد بشكل حاسم أزواج المستقبل ، ومن المعروف أن الكبار وفقاً لهذه القاعدة من الضبط هم الذي يصنعون القرار ، ويحددون موعد الزواج ، ويعينون الطبقات أو الجماعات التي تكون جديرة بأن يختار منها أزواج المستقبل (يحدث هذا في بعض فئات المجتمع المصري حين يقرأ الكبار الفاتحة الإتفاق المبدئي على الزواج ـ ويتعهدون أمام شهود بإتمام الزواج ، وفي مثل هذه الحالات تراعى قاعدة الأولوية لإبن العم في رواج إبنة عمه)

ثالثا : العزل الإجتماعي والجسماني للشباب ويتم ذلك عن طريق عدم تمكين من هم في سن الزواج من وجهة نظر المجتمع من رؤ ية بعضهم البعض بغض النظر عن مدى صلاحيتهم بالفعل للزواج . ومما لا شك فيه أن عدم التقاء الفتى بالفتاة في ظل ظروف معوقة تمنعه حتى تبادل الحديث معها يؤ دي إلى قيام عقبات شديدة أمام إمكانية نمو الحب أو ربما حدوثه أصلا ، ويلاحظ أنه في المجتمع المصري توجد دلائل على مثل هذه الصورة التي أشرنا اليها من العزل وخاصه في مجتمع الصعيد بوجه عام ، وفي أنماط معينة من القرى البعيدة عن المؤثرات الحضرية المباشرة في الوجه البحري حيث تمنع الفتيات بعد سن معينة من الخروج وحدهن أو محجبات في الوقت الذي يحظر عليهن الاختلاط مع الشباب من الجنس الآخر بأي صورة من الصور .

---

(١) إن هذا الإجراء وان حقق بصورة متعسفة بعض .هداف الضبط الاجتماعي من وجهة نظر مجتمع معين الا ان نتائجه السلبية عديدة في الوقت الذي لا يواجه المشكلة بطريقة نهائية لأن الأطفال يكبرون ويصلون إلى مراحل من النضج قد يحسون معها بحاجتهم الى العواطف وخاصة إذا لم تكن قد نشأت خلال الحياة الأسرية او ربما يتمردون ويتوقف كل ذلك على الظروف المجتمعية القائمة وهناك من الدارسين من يؤ كد أن هذا الاتجاه وان كان يميز المجتمعات التقليديه الا انه مع ذلك سيف الى استمراره تخلفا ما لم تحدث تغيرات تؤدي الى الاقلاع عن هذه العادة

رابعا : الوصيفات او القريبات ، وهن اللائي يقمن بوظيفة الملاحظة والرقابة لمن يسمح لهم المجتمع بنوع من تبادل الحب ، ومعنى ذلك أن السماح في هذه الحالة (تهيئة جو الحب لا يكون عادة إلا بين من هم مؤهلين لاختيار الشريك المناسب) ويترتب على ذلك أنه لا يوجد في هذا النوع من الضبط أي تشجيع للحب على الإطلاق إلا إذا كان الزواج هو الهدف الوحيد ، وجدير بالذكر أن غاية عملية الملاحظة الدقيقة هذه هي المحافظة على الطهارة الأنثوية . والحيلولة دون « الحب المحرم » (يلاحظ ان بعض الأسر في المجتمع المصري لا تسمح بخروج الإبنة مع خطيبها إلا في صحبة أحد أخوتها أو والدتها حرصا على عدم التمادي في العلاقات أو ربما التخوف من التقولات أو لذعات الرأي العام) .

خامسا : تشجيع تبادل الحب تحت مراقبة الوالدين وموافقتهما بين الفتى والفتاة ، وتحقيقاً لذلك درج الآباء وخاصة في السنين الأخيرة على إختيار الجيران المناسبين لإنشاء علاقات معهم وانتقاء المدارس التي يلحقون بها أبنائهم وتخطيط الزيارات والرحلات التي يحتمل أن يؤمها من هم مؤهلين للزواج ، ويحقق هذا الموقف أهدافا عديدة من بينها الوقوع على الإختيار الأنسب وضمان ان تكون جميع علاقات الأبناء وتصرفاتهم إزاء الجنس الآخر تحت بصرهم الأمر الذي يمكنهم من متابعتها والتحكم فيها في الوقت المناسب .

إذن فإن استعراض وجهات النظر السابقة يجعل من الممكن ان نتبين ان هناك عديدا من العوامل تعمل على ضبط الحب والسيطرة عليه أو توجيهه في كل مجتمع إلا أن معظم الناس في المجتمعات الغربية المتحضرة اليوم يرون ان الحب عامل هام جداً كشرط ضروري لإتمام الزواج ولهذا ينظرون إليه باعتباره اهم أساس يجب مراعاته في عملية الاختيار الزواجي . وهذا لا يستبعد بالطبع أسساً أخرى عديدة مثل المال والمكانة الإجتماعية وغير ذلك .

ويرى سيدني جرينفيلدSidney Greenfield[1].ان الحب في المجتمع الأمريكي

---

(1) Sidney M . Greenfield . « Love and Marriage in Modern America . A . Functional Analysis » Sociological Quarterly , 6 (Autumn , 1965) p . 361 - 377 .

يقوم بوظيفة حفز الأفراد على القيام بأعمال لا عقلانية لأنهم لن يقوموا بالإقدام على الاختيار لو كان عقلانيا صرفا ، وخاصة في مسائل الزواج ، ويرجع ذلك إلى أن المطالب الحيوية ابتداء من الطعام حتى الجنس يمكن الحصول عليها من الخارج ، وبالتالي فإنه من المتوقع أن كثيراً من الأفراد لن يتزوجوا إذا كان الاختيار عقلانيا[١] . وهنا يصبح بعض الإغراء ضرورياً لغرس وتجشيع الاتجاهات العاطفية واللاعقلانية التي تسهم في مساندة نظام الزواج ، وربما كان ذلك هو المبرر وراء مّا يؤيده كثير من دارسي الأسرة عن أهمية الدور الذي يلعبه الحب الرومانتيكي لإتمام الزواج .

وعلى الرغم من عدم وجود أية محاولات لتعريف الحلقة الواسعة التي تستخدم لوصف الحب او التمييز بين الحب الحقيقي (الصادق) والحب غير الحقيقي (المزيف) فإن الحب لا يمكن ان يوجد مستقلا عن المعايير الاجتماعية والثقافية ولا بمنأى عن الضبط الإجتماعي ، فهو (ظاهرة) نتعلمها أثناء التفاعل مع الآخرين وهو الأمر الذي يجعله يتأثر إلى حد كبير بالموقف الإجتماعي والثقافي السائد[٢] .

نمو علاقة الحب

في محاولة قام بها أحد علماء الإجتماع لوصف العمليات الداخلية الشخصية المتَضمنة في نمو علاقة الحب وجد أنه كمرحلة أولى أي في بداية العلاقة بين شخصين ، فإنهما يدركان للوهلة الأولى حضور أو غياب الشعوربالألفة Repport فإذا

---

(١) هناك اتجاه بين المثقفين وبين بعض الدارسين يميل الى القول بأن الزواج عملية غير عقلانية خاصة إذ فكر المقبلون عليه في دوافعهم وأسلوب إشباعها والمسئوليات التي سوف تلقى على كاهلهم فيما بعد وأمور أخرى تتعلق بنوع الحرية التي يتطلعون اليها والتي يمكن ان يكون الزواج قيدا عليها .

(٢) هناك مناقشات عديدة عن أصل الحب ففي تراث الأدب والفلكلور قصص وكتابات هائلة تشهد على ذلك حتى استقر في أذهان الناس بوجه عام أن الحب جزء من الطبيعة الانسانية لا بد ان يعبر عن نفسه بشكل أو آخر او ان يجد طريقه الى الاشباع وهو فضلا عن ذلك عنصر دائم ومطلب حيوي شأنه في ذلك شأن التنفس والطعام وتسهم اليوم وسائل الاعلام المختلفة في كل أنحاء العالم في تدعيم هذا الاتجاه ولكن الدراسة العلمية له تعالجه كظاهرة كيفية الظواهر الأخرى التي تتأثر بنظم المجتمع وقيمه وتقاليده ، وقد يؤكد بعض جوانب هذه الدراسة الى اهمية الحب البنائية في الصحة النفسية ، وفي التوازن النفسي الاجتماعي للانسان ، أو في اكتمال نضجه او تحقيقه لأهدافه او في إعطاء الحياة معنى او في رفع الروح المعنوية . . . الخ ومعنى ذلك ان علم الاجتماع حين يعالج مسألة الحب فانه يستخدم تراث الأدب والفلكلور كخلفية وفي نفس الوقت يعالجه كظاهرة لا يغفل معها أو ينكر الأهمية التي يشكلها في حياة الانسان وفي توازن المجتمع ككل . أنظر في هذا الموضوع ما كتبه جرينفيلد وغيره من الدارسين في علم الاجتماع الأسري .

كانا يشتركان في خلفية إجتماعية وثقافية واحدة ، فمن المحتمل ان يشعرا بالتقارب والإطمئنان وتنشأ لديهما رغبة قوية في التحدث عن نفسيهما . وأن يعرفا أكثر كل عن الآخر . فإذا اختلفت الخلفية الثقافية بطريقة ما ، فيمكنهما مع ذلك أن يشعرا بالإنسجام . أما إذا لم يشعرا بالألفة كخطوة أولى فإن نمو العلاقة يتوقف .

وما تلبث المرحلة الثانية المصاحبة للألفة وهي التي تسمى مرحلة « البوح الذاتي» Self-revelation ان تبدأ . وذلك أنه عندما يشعر الفرد بالاطمئنان إلى علاقة اجتماعية ، فإنه يبدأ في المصارحة بما تكنه نفسه ، فيتكلم عن امانيه ورغباته ، ومخاوفه ، وطموحاته . وهنا تعمل الخلفية الثقافية الاجتماعية المشتركة على سرعة التقبل والتفاهم .

وعند ذلك تكون الظروف قد تهيأت للمرحلة الثالثة ان تظهر وهي « نمو التبعية المتبادلة The development of mutual dependencies وفي هذه الحالة يصبح الفرد معتمدا على الآخر في إنجاز احتياجاته ورغباته الشخصية ، وهذا يرجع إلى أن كلاً منهما يحس بعمق أنه في حاجة من الآخر لأن يشاركه أفراحه وأحزانه ومشاعره وان يقاسمه المرح والمزاح . وباختصار ان يعيش معه الحياة[1] .

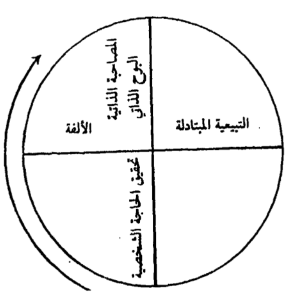
وأخيراً تأتي المرحلة الرابعة وهي « تحقيق الحاجة الشخصية» Personality need fulfilment. وتختلف الحاجات الشخصية باختلاف الخلفية الثقافية ، كما هو الشأن في التآلف والبوح الذاتي والتبعية المتبادلة .

هذا وتنطوي العمليات المشكلة للمراحل الأربع السابقة في واقع الأمر على عملية واحدة تسميها « رايس » Reiss نظرية العجلة (الدائرة) Wheel Theory لأنه عندما يشعر شخص بالألفة يبوح للآخر بذلك ، ثم يصبح تابعا ومعتمدا ، وبذلك يحقق احتياجاته الشخصية . وتقوم هذه النظرية (الدائرية) على ان الرغبة في تحقيق الاحتياجات الشخصية هي السبب الأصلي في الشعور بالألفة . ويمكن ان تدور (الدائرة) في اتجاهين : اتجاه سلبي يحد أو ينقص من درجة الألفة والبوح الذاتي

---

(1) Ira L . Reiss ,« Toward a Sociology of the Heterosexual Love Relationship , » Marriage and Family Living , 22 (May 1960) pp . 139 - 145 .

واتجاه ايجابي يزيد من كثافة كل عملية .



رسم توضيحي لنظرية العجلة (الدائرة) في نمو الحب

وترى « رايس » ان الحب الرومانتيكي او الحب الجنسي او الحب العقلاني . أو أي نوع آخر من الحب يمكن تفسيره نظريا بمتابعة عمليات (العجلة) مرورا بمراحل الألفة فالمصارحة ثم التبعية المتبادلة وأخيراً تحقيق الحاجات الشخصية . وتعتقد رايس ان هذه العمليات الأربع تحدث بصفة اساسية في أي علاقة أولية مثل علاقة الصداقة ، أو علاقات الآباء والأبناء ، أو علاقة الذكر والأنثى الخ . .

وأخيراً فقد أثبتت البيانات والمعلومات[1] المستمدة من الدراسات التي أجريت في ميدان الاختيار الزواجي اننا في حاجة إلى إعادة اختبار أفكارنا التقليدية عن أنماط التجانس وعمليات هذا الاختيار في مجال المرغوبات . وعدم الاعتماد على الفكرة العامة القائلة « بميل الشبيه للبحث عن شبيهه » ذلك لأن نتائج الدراسات كشفت

(1) A C . Kerckhoff , Patterns of Homogamy and the Field of Eligibles » Social Forces . Vol 42 , 1963 - 4 , pp , 289 - 297 .

عن وجود بعد « ميولي » معين يتغير خلال الزمن ، لأن مفضلات الشاب أو الفتاة اتضح انها تتغير تبعا لسنوات عمره ، فما تفضله الفتاة وهي في سن السادسة عشرة يختلف عما تفضله في سن العشرين أو الخامسة والعشرين وهكذا . . وهذا فضلا عن العوامل الأخرى العديدة التي تتدخل في التأثير في عملية الاختيار ومعنى هذا أننا نحتاج إلى معرفة أبعد بالعوامل البنائية والدينامية المرتبطة بأنماط الإختيار ، وإلى استكشاف الاختلافات في العوامل سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية وارتباطاتها بالقطاعات المختلفة للسكان . كما أننا نحتاج كذلك في أي بحث مستقبلي ان نميز بوضوح بين عملية الاختيار في الزواج والنتائج المترتبة على هذا الاختيار وبين التفسيرات التي تقوم على الفرص البنائية من ناحية وتلك التي تقوم على الالتزام المعياري من ناحية اخرى . وباختصار ، من الضروري ان ندرس بحرص الدرجة التي يكون فيها مجال « المرغوبات » هو مجال الأشياء المتاحة أو مجال المفضلات .

الخطبة

إذا قورنت الخطبة بأي بناء عاطفي قبل الزواج فإنها تتضمن أكثر الوعود جدية ، وفي هذه الحالة يكون « استعراض الواجهة » قد أوشك على النهاية أو انضج دوافع الإقدام . والخطبة موجودة في كل مكان من العالم وإن اختلفت أشكالها فنادراً ما يحدث الزواج فجأة أو بدون تمهيد ، ويتضمن البناء الاجتماعي لمعظم المجتمعات طريقة للتعارف بين الشابين المقبلين على الزواج تؤكد لهما جدية العلاقة وضرورة حدوث الزواج . وتحظى الخطبة في كثير من المجتمعات بأهمية كبرى وخاصة في المجتمعات الشرقية التي لا تقبل أي علاقة غير رسمية بين الفتى والفتاة ، الأمر الذي تصبح معه الخطبة هي الوسيلة الوحيدة المقبولة من الأسرة والمجتمع للتعارف بين الفتى والفتاة . وتنطوي الخطبة على مرحلة التحول النهائي للمكانة المتغيرة من « العزوبة » إلى « الزواج » وكذلك التحول من التواعد مع أكثر من شخص إلى التواعد المقصور على شخص واحد (الخطيب أو الخطيبة) وما يصحب ذلك من طقوس ومراسم معينة ، وهدايا ، وغير ذلك مما يعمل على ان تترسخ في أذهان الخطيبين وأسرتيهما والناس أيضاً أهمية هذه العلاقة .

وتؤدي الخطبة وظائف متنوعة لكل من الخطيبين والمجتمع . فهي تقدم للخطيبين مؤشراً واضحاً على قرب حدوث الإرتباط النهائي وهو الزواج . وتعطيهما فرصة مناسبة للاختيار الشخصي المتبادل دون تهديد من القوى المنافسة ، وهو الذي يعرف من خلاله كل منهما توقعات الدور الزواجية من وجهة نظر الآخر . وكذلك القيم المشتركة بينهما أو المختلفة . وأمال المستقبل وتطلعاته . وتقدم الخطبة الفرصة الأخيرة قبل الإرتباط الرسمي والقانوني لكي يفهم الفرد نفسه وعلاقته بالشخص الآخر .

ويعتبر خاتم الخطبة Engagement Ring «إعلاناً رسمياً» ورمزاً للارتباط بين شخصين . وفي كثير من المجتمعات بما فيها المجتمع المصري لا يكتفي بخاتم الخطبة بل لا بد من توفر تعهد له قيمة مالية من جانب الذكر في شكل هدية للعروس (شبكة) وهي عادة من معدن ثمين كالذهب أو الماس ، وتتفاوت قيمة هذه الهدية تبعاً للطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها العروسان . ويرمز هذا العبء المادي إلى جدية العلاقة والرغبة في إتمام الزواج . ويلاحظ ان كثيراً من الأسر تحرص في الوقت الحالي على إعلان نبأ الخطبة عن طريق نشر صور العروسين في الصحف والمجلات .

ومن المناسب هنا ان نعرض للدراسة التي أجراها كل من برجس Buerges ووالين Wallin عن الخطبة والزواج على ١٠٠٠ خطيب وخطيبة والتي توصلا منها إلى النتائج التالية :

أ ـ الخطبة ليست ضماناً نهائياً لإتمام الزواج ، فقد تبين من الدراسة ان نسبة الخطبات الفاشلة عالية نسبياً .

ب ـ هناك تعارض واختلاف في الرأي بدرجة عالية بين معظم المخطوبين (١٧٪ فقط يتفقون في جميع المجالات) في المسائل المتعلقة بإظهار العواطف ، وترتيبات الزواج ، والأمور الدينية ، وعادات المائدة ، ونوعيات الترفيه ، وفلسفة الحياة ،[1] وكسب المال وإنفاقه ، وطرق الاتصال بالأقارب والأصدقاء الخ . . .

---

(1) Ernest W. Burgess and Paul Wallin. « Engagement and Marriage » philadelphia : J. B. Lippincott Company, 1953.

هذا وينظر إلى قيام التعارض بين الخطيبين في فترة الخطبة على أنه مؤشر على مدى الخلافات التي يمكن ان تحدث بينهما بعد إتمام الزواج . إلا أنه على الرغم من ارتفاع نسبة الخلافات بين المخطوبين فإن الزواج يتم ، مما قد يؤيد فكرة أن « الحب اعمى » .

حـ - يمكن استخلاص المؤشر الوحيد لاحتمالات الزواج الناجح مما يحدث خلال فترة الخطبة ولهذا يرى كل من برجس ووالين ان الخطبة الناجحة تنبىء بالنجاح في الزواج مستقبلا .

الفصل الثامن

أزواج وزوجات

وظائف الزواج

الزواج أمر شائع ومقرر في جميع أنحاء العالم ، فعلى الرغم من مظاهر الصراع الذي ينطوي عليه ، وتغير أهدافه ووظائفه ومعانيه وكثرة وقوع الطلاق فإن الناس مع ذلك يتزوجون . ويرجع ذلك إلى أن التوقعات المعيارية تنظر إلى الزواج كموقف أو كحالة مناسبة أو مفضلة ومطلوبة . ومهما كانت التعقيدات والالتزامات التي تصاحبه مثل الإختيار وحفل الخطبة وعقد القران والبحث عن مسكن إلى جانب كثير من المتطلبات المادية والمعنوية التي تصاحب عملية الزواج فإن الذين يبقون بدون زواج قلة في معظم المجتمعات . وفي هذا دليل واضح على أن الزواج ينجز او يؤدي وظائف عديدة لكل من الفرد والمجتمع .

وقد سبق أن أشرنا إلى أن وظائف الأسرة تشتمل على حلقة واسعة من النتائج ، مثل التشكيل أو التكوين الأساسي للشخصية ، واكتساب المكانة ، والتنشئة الاجتماعية ، وامتصاص التوتر ، والتعاون الاقتصادي ، والإنجاب ، والاستقرار بالنسبة للأفراد البالغين (الزوجين) ومع أن عديدا من هذه الوظائف يمكن انجازها بدون زواج إلا أن النسق الزواجي يعززها ويقويها .

وتختلف وظائف الزواج باختلاف بنائه ، فعندما يكون الزواج من داخل النسق

القرابي أو الأسر الممتدة يصبح الإنجاب والمحافظة على إسم الأسرة وملكيتها من الوظائف الأساسية للأسرة. في هذه الحالة يكون عدم الإنجاب بوجه عام أو عدم إنجاب طفل ذكر سببا قويا لطلاق الزوجة والزواج من أخرى أو الزواج بأخرى مع الاحتفاظ بالزوجة الأولى .

أما في المجتمعات المتقدمة فإن الزواج تكون له وظائف أخرى مختلفة عن تلك التي توجد في النمط السابق مثل : الاستقلال والاستقرار وتأسيس اسرة خاصة ، والانجاب ، وتحقيق الرفقة والسعادة ، والحب ، والاعتماد على النفس ، والأمن الاقتصادي ، والعلاقة الجنسية المشروعة ، وتبادل العواطف ، واستبعاد مشاعر الوحدة . . الخ . اما لماذا يحدث الزواج ، فإن أي سبب من الأسباب السابقة يمكن ان يفسر الزواج على المستوى الشخصي ، أما على المستوى الاجتماعي فإن جميع المجتمعات تقبل أسبابا معينة وترفض أخرى ، إلا أنه من المؤكد ان العوامل الشخصية في الزواج تعمل من خلال حدود اجتماعية واضحة ، والوظائف التي يؤديها الزواج تتحدد من خلال المضمون الثقافي والاجتماعي .

وهنا يجب ان نشير تأكيدا لذلك إلى أنه على الرغم من أن الشريعة الاسلامية تبيح تعدد الزوجات بالنسبة للرجل المسلم ، إلا ان المضمون الثقافي والاجتماعي في المجتمع المصري يؤكد ويشجع على الشكل الاحادي للزواج من أجل انجاز أفضل وأكثر تكاملا لإحتياجات الفرد . وتعتبر نسبة من يتزوجون أكثر من واحدة قليلة جدا نتيجة للضغوط الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي تستنكر تعدد الزواج وتحبذ الوحدانية في الزواج ، وتكشف التعدادات التي أجريت حتى الآن في المجتمع عن تناقص مستمر في حالات تعدد الزوجات ، إلى الدرجة التي يمكن أن يقال معها إن تعدد الزوجات لم يعد مشكلة بالنسبة للحياة الأسرية أو لم يعد يشكل ظاهرة جديرة بالبحث ، وليس هناك شك في أن التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية قد أسهمت بشكل حاسم في الاختفاء التدريجي لحالات التعدد هذه ، ويعزز من هذا الاتجاه التوسع المستمر في تعليم المرأة واستقلالها من الناحية المادية نتيجة لالتحاقها بالعمل في مختلف ميادين الأعمال على المستوى العام والخاص .

حفل الزفاف

إن الانتقال من أدوار (العزوبة) إلى أدوار الزواج يتضمن نوعا من الاحتفال ويعتبر هذا الاحتفال الذي يكون جزءا من النسق الإجتماعي أمراً شائعاً في جميع المجتمعات وإن اختلفت صوره وأشكاله ، ومن خلاله يكتسب الفرد حقوقا وتفرض عليه التزامات جديدة نتيجة لحصوله على هذه المكانة . وتختلف طبيعة هذا الحفل إلى حد كبير لدرجة انها قد تستمر اياما عديدة في بعض المجتمعات . الا ان إقامة حفل الزواج أصبحت في العصر الحديث مسألة اختيارية بحته ترجع إلى رغبة العروسين وإمكانياتهما المادية والإجتماعية ، إذ من الممكن ان تتم مراسم الزواج في دقائق معدودة ودون أي احتفال على الاطلاق كما يمكن أيضا إقامة حفل بسيط أو حفل كبير وضخم تنفق فيه مبالغ طائلة .

ويشتمل الزفاف على جانبين احدهما ديني والآخر اجتماعي ، فالأول هو عقد القران الذي يقوم باتمامه رجل دين حيث يقوم باجراء الشعائر الدينية التقليدية التي تتم في مثل هذه الحالة بالاضافة إلى كتابة « عقد الزواج » الذي يشير إلى النواحي المدنية وهو مكلف من قبل الحكومة والهيئة الدينية بالقيام بهذا الاجراء الرسمي ، أما الجانب الاجتماعي فهو الاحتفال الذي يلي عقد القران والذي يدعى إلى حضوره أقارب العريس وأقارب العروس والأصدقاء وعادة ما يصاحب الحفل الموسيقى والغناء والرقص وتناول الأطعمة والمشروبات .

وفي هذا الحفل يظهر العروسان للناس كزوجين وذلك بجلوسهما متجاورين في مكان معد لهما خصيصا ، ويكون العمل الأول الذي يشتركان فيه هو قطع كعكة الزفاف بأن يضع العريس يده فوق يد العروس ويقومان بقطعها معا كرمز للمحبة والتعاون والمشاركة ، هذا إذا كان المستوى الاقتصادي والإجتماعي لأسرتيهما يسمح بذلك .

ويعتبر حفل الزفاف بالنسبة لبعض الناس مناسبة « محزنة » إذ يفقد الفرد بانتهائه حريته وانطلاقه وينتقل الى سنوات تحمل المسئولية . وتنظر جماعات أخرى إلى حفل الزفاف بسعادة كبيرة ، حيث يعتبرون هذا الحفل بداية فترة السعادة

والاستقرار الذي أصبح الآن في متناول هؤلاء الذين اكتسبوا مميزات الزواج .

ويعتبر حفل الزفاف مثل حفل الخطبة إهتماما انثويا بالدرجة الأولى ، وعادة ما تقع مسئولية الاعداد للحفل على أسرة العروس ، ويقوم بالتخطيط العام له العروس ووالدتها . والدور الرئيسي للعروس في حفل الزفاف يتركز في الزمن الذي ينفق في إعداد ثوب الزفاف وتكاليف إعداده ، ذلك الثوب الذي لا يلبس سوى مرة واحدة ، بينما على العكس من ذلك فإن العريس يشتري ملابس جديدة ليرتديها ويمكن ان يستخدمها بعد الزواج ايضا .

وتكون العروس عادة هي الشخصية اللامعة والمهيمنة فهي محط الأنظار في الحفل ، ويمتد هذا اللمعان والهيمنة إلى والدتها باعتبارها وراء كا ما يجري في الحفل ، وترجع اهمية الأنثى في حفل الزفاف إلى عدة أسباب تاريخية منها ، انها ستترك منزل والديها إلى منزل زوجها ، كما انها في كثير من المجتمعات تترك اسم اسرتها بعد الزفاف وتحمل اسم زوجها ، بالإضافة إلى أن هذا الحفل يعتبر احتفالا بدخول الأنثى إلى دورها الهام كزوجة وأم كما انه رمز إلى تغير دورها بالزواج عن هؤلاء اللائي لم يتزوجن بعد ، فالزواج ينظر اليه عادة على أنه « جواز مرور » للأنثى كي تنتقل لتحتل مكانة البالغين .

هذا ويؤدي حفل الزفاف وظائف اجتماعية عديدة ترتبط غالبا بالهيبة والاعتبار . ذلك ان ثوب الزفاف والنسيج الذي يصنع منه والحائك الذي قام بصنعه وكذلك أثواب الوصيفات ونوع حفل الاستقبال يشار اليها على أنها أمور تتصل بالمكانة والهيبة الاجتماعية لأسرة العروس أو العريس او لهما معاً ، ومن الملاحظات الجديرة بالاهتمام ان مظاهر البذخ في حفلات الزفاف قد زادت بشكل واضح في المجتمع المصري في السنوات الأخيرة وأصبحت مظهراً من مظاهر التفاخر والتباهي التي تحرص عليها بعض الطبقات الجديدة التي ظهرت مؤخراً والتي تحرص على إقامة حفلات الزفاف في قاعات الفنادق الكبرى مع ما يصاحب هذا من ثياب فاخرة وفرق موسيقية ومطربين مشهورين وموائد الأطعمة ونشر صور الزفاف في الجرائد والمجلات الخ . . . . وقد يلجأ البعض لتحقيق ذلك إلى انفاق كل ما معهم من نقود أو ربما الاستدانة على أعتبار ان حفل الزواج هو « ليلة العمر »

إن عقد الزواج ، هو في الواقع الأساس الديني (الشرعي) والوضعي (القانوني) الذي يعبر عن مشروعية ارتباط رجل بأمرأة ارتباطاً دائما بما يخوله هذا الارتباط من الدخول في علاقات جنسية وتحمل مسؤولية الإنجاب والرعاية الضرورية للإطفال والنهوض بمسئولية اعداد المواطن الجديد لحياة المجتمع بكل ما فيه من قيم وعادات وتقاليد . . . الخ . وهذا العقد هو الذي يعطي لنظام الزواج الهيبة والقداسة ويعبر عن استمرار تأكيد المجتمع لدور الزواج في قيام النسق العائلي وفي حفظ العلاقات بين الجنسين حفاظا على استمرار الحياة الإجتماعية نحو التناسق والتعاون وتجنب التنافس والصراع والتدمير الذاتي . اما حفل الزواج فانه يؤدي دور « الإعلان الإجتماعي » ويعكس طابع الثقافة والبعد الطبقي ونوعية القيم والعادات والتقاليد وما ينالها من تنمية او تحديث .

شهر العسل ووظائفه

تسبب الفترة التي تسبق الزواج مباشرة والتي تنتهي بحفل الزفاف إرهاقا بدنيا ونفسيا للعروسين ، وخاصة العروس . وذلك لانشغالها طوال الوقت في استكمال متطلبات بيت الزوجية والإجراءات الأخرى مما يحتم قضاء فترة مناسبة من الراحة والاستجمام بعد الزفاف . ويميل الكثيرون للقيام برحلة في شهر العسل إلا ان هذا التقليد منتشر في البلاد الأوربية وإلى حد ما في المجتمع المصري ولكن بالنسبة لفئات معينة لديها من الامكانيات ما يساعدها على ذلك ، وإذا لم تتوفر إمكانيات السفر فإن العروسين يحصلان على إجازة من العمل يقضيانها معا كل حسب وسائله وامكانياته ويساعد الأهل العروسين في تلك الفترة باعداد الطعام لهما وكذلك الملابس .

ويهيء شهر العسل ظروفاً ايجابية لكي يبدأ الزوجان أدوراهما الجديدة ، حيث يكرسان معظم انتباهها لإنجاز هذه الأدوار بنجاح ، ويتركان أي أدوار أخرى ، كما ينقل شهر العسل الفرد من البيئة التي كانت عاداته القديمة تعمل من خلالها ويشجعه على التركيز من أجل تكوين أنماط جديدة . وبينما يضع كل شريك تحديدات وتعريفات معينة مسبقة لأدواره الزوجية وكذلك لأدوار شريكه ، فإن المشاركة الفعلية في هذه الأدوار تكون جديدة تماما بالنسبة لكليهما ويعتبر توافق الفرد مع دوره الجديد من اهم العوامل في التوافق الزواجي ، ومع ذلك نجد أنه من المناسب ان

نشير إلى أنه :

١ ـ نادرا ما يعود الفرد من شهر العسل وهو متوافق تماما مع دوره الجديد ، لأن التوافق في الزواج هو عملية ديناميكية ، وما شهر العسل سوى بداية لهذا التوافق ، والملاحظ ان التأثيرات السلبية لشهر العسل غير المرضي قد يكون لها نتائج غير مرضية في المدى البعيد . لأن علاقة الزوجين في شهر العسل تكون مثالية إلى حد كبير ، وعدم الرضى الأولى للتوافق قد يحطم المثالية المبكرة في الزواج ويؤدي إلى الشعور بالفقدان وخيبة الأمل لكلا الزوجين .

٢ ـ عندما يعود الزوجان لحياتهما اليومية العادية ، فإن متطلبات دور أخرى سوف تظهر لتشارك متطلبات دور الزواج الجديد . فإذا بذل الزوجان أقصى مجهود في القيام بالأدوار الزوجية في شهر العسل وكان نجاحهما محدودا مع ذلك ، فإن النجاح في الدور الزواجي قد يكون أكثر صعوبة عندما يصبح من الضروري توجيه الاهتمام إلى أدوار أخرى . وبعض النظر عن نجاح شهر العسل فإنه يجب على الزوجين ان يوجها اهتمامهما إلى متطلبات الدور الأخرى عند انتهائه .

بناء القوة في الوحدة الزواجية

تعتبر أوضاع أو درجات القوة من المظاهر الهامة في النسق الزواجي عند كل من الزوجين . ويعرف الباحثون مفهوم « بناء القوة » في الوحدة الزواجية باستخدام مصطلحات معينة مثل اتخاذ القرار Decision making والسلطة Authority والتأثير influence فقوة الأسرة يمكن قياسها بدمج حصيلة هذه المصطلحات .وفي هذا المجال تقول « سافيليوس روتشيلد » Sofilios Rothschild إن قوة الأسرة مفهوم « متعدد الأبعاد » يمكن قياسه بطريقة غير مباشرة على أساس الأفعال السلوكية التي تختبر من خلالها درجة قوة الفرد. وإذن فالقوة في الوحدة الزواجية يمكن قياسها إذا استطعنا ان نجمع حصيلة « اتخاذ القرارات ، وأنماط إدارة التوتر والصراع . ونمط تقسيم العمل السائدة »[1] .

---

(1) Constantiona Safilios - Rothschild , « The Study of Family Power Structure : A . Review 1960 - 1969 » Jonrual of Marriage and the Family , 32 (November , 1970) pp . 539 - 552 .

١ ـ القوة واتخاذ القرارات

يتضمن قياس القوة من خلال اتخاذ القرار بعدين آخرين هما : السلطة والتأثير . ومن المعروف ان المعايير الاجتماعية تحدد الشخص الذي بيده السلطة . ففي بعض المجتمعات تمنح السلطة للزوج ، وفي بعضها الآخر تبقى مع الذكر المسن كما هو الشأن في حالات الأسرة الممتدة ، وفي بعض الأحيان قد تكون السلطة في يد « الحماة » إلا أنه على الرغم من تركز « السلطة » في يد فرد معين فإن الأعضاء الآخرين يستطيعون « التأثير » حين يمارسون الضغط على الشخص الذي بيده السلطة . ومثال ذلك أن رئيس الجمهورية في أي مجتمع يكون بيده السلطة لاتخاذ حلقة واسعة من القرارات ، ولكنه « يتأثر » إلى جانب ما توجهه اليه القنوات النظامية (المؤسسات) بالرأي العام والصحافة أو أسرته الخاصة . ولهذا قد يكون للزوج السلطة على زوجته وأطفاله ، ولكنه يتأثر بهم كثيرا في نفس الوقت ولهذا كان من المعروف ان الضغط الذي يمارسه احد الزوجين على الآخر ، يمارس على درجات متباينة رسمية أو غير رسمية[1] .

ومن الواضح ان أوضاع القوة عند كل من الزوجين وتوازنها بينهما تشكل عنصرا هاما في بناء الأسرة ، وذلك لأن بعد « القوة » هو انعكاس حساس للأدوار التي تلعب في الزواج ، حيث يقوم كعامل يؤثر في معظم مظاهر العلاقة الزوجية . وفي محاولة لقياس توازن القوة بين الأزواج والزوجات ، فقد قام «بلد وولف» Blood and Wolfe[2] باختيار ثمانية مواقف تتضمن قرارات اسرية ومحاولة معرفة موقف كل من

(١) تكشف دراسات علم الاجتماع السياسي في مسألة السلطة عن أنواع عديدة منها كالسلطة الإسمية أو الشكلية (النظرية) والسلطة الفعلية (العملية) كما ان صاحب السلطة لا يمارس سلطته بعيدا عن أنساق القيم السائدة أو خبرات التاريخ ، وعندما يتخذ قراراً فانه يضع في اعتباره عديدا من الاعتبارات الشخصية أو الموضوعية ، في الوقت الذي يمكن ان يتصور مقدما نتائج قرار معين على مجرى الأحداث أو على كيان سلطته واستمرارها . لهذا فان السلطة في الوحدة الزواجية تعكس صورة السلطة في المجتمع الكبير والتقاليد والانساق القيمية التي تساندها ، وهي كأي ظاهرة اجتماعية تخضع لتأثير عوامل التغير واتجاهات وأبعاد النمو الاجتماعي والاقتصادي ومستويات النضج الثقافي وغير ذلك ، انظر في ذلك :

Lipset and Bendix , « Class Status and Power » .

وكذلك دراسات C . Wright Mills وبالاخص كتابه عن Power Elite

(2) Robert Blood and Donald M . Wolfe , « Husbands and Wives The Dynamics of Married Living » Glencoe , Illinois, the Free Press , 1960 p . 20 .

الزوج والزوجة ، من هذه القرارات :

أ ـ العمل الذي يجب ان يلتحق به الزوج ؟
ب ـ أي نوع من السيارات يشتريه ؟
جـ ـ هل يؤمن على الحياة أم لا ؟
د ـ اين يجب الذهاب في الأجازات ؟
هـ ـ أي نوع من المساكن يجب ان تعيش فيه الأسرة ؟
و ـ هل من الضروري ان تعمل الزوجة ؟
ز ـ اي طبيب يستدعى في حالة المرض ؟
حـ ـ ما مقدار المال الذي تستطيع الأسرة إنفاقه على الطعام في أسبوع ؟

وقد تبين من الإجابات التي حصل عليها الباحثان ان القرارات التي تتخذها الزوجة كانت تتصل بعملها ، ثم اختيار الطبيب ، والمال الذي ينفق على الطعام . ولكن لوحظ ان الزوج كان اكثر تدخلا في القرار المتصل بعمل الزوجة بالمقارنة بتدخل الزوجة في اختيار العمل الملائم لزوجها .

ويقوم التفسير النظري لاتخاذ الأزواج قرارات في الوقت الذي تتخذ الزوجات فيه قرارات اخرى ، على الإمكانات أو الوسائل الخاصة أو المتاحة لكل منهما . والتي تتعلق بمصدر السلطة والقوة عند كل من الزوجين ، وقد تكون هذه الوسائل : المال أو الجنس أو الإستجابة العاطفية أو المهارات ، أو قد تكون أي شيء آخر يمتلكه أحدهما ويحتاج اليه الآخر . ولكن الإمكانات الذكرية الأنثوية ترتبط بشدة بالعوامل البيولوجية . ومثال ذلك أن احد تفسيرات سيطرة الذكر ترجع إلى ان الأنثى كمنجبة للأطفال ومرضعة لهم يؤدي إلى تكليف الرجال بالأعمال الشاقة الخارجية وتكليف النساء بأعمال المنزل ورعاية الأطفال . إلا ان العالم شهد بمرور الزمن عددا من التحولات التاريخية الهامة في الحياة الانسانية .ومنها التوصل إلى طرق عديدة للتحكم في الحمل ، والاهتمام بالتعليم وارتفاع مستوياته ، والتحاق المرأة بالعمل الأمر الذي أصبحت معه كل الطرق مفتوحة أمام المرأة لكي تتنافس مع الرجل على أساس من المساواة . وكلما زادت إمكانات المرأة زادت قوتها ، فالزوجة المتعلمة الحاصلة

على درجة جامعية والتي تشغل مركزا مهنيا مرموقا لا يمكن ان تتبع اوامر زوجها الذي لا يساويها في الدرجة العلمية او زوجها العاطل عن العمل .

وتعتبر مسألة الإمكانات من المسائل الهامة في بناء القوة في الوحدةالزواجية .فمن المعروف انه عندما تجتمع جماعة من الناس لأول مرة لا بد ان تمضي فترة معينة من التجربة والخطأ نتيجة لفكرة من سوف يفعل ماذا ؟ ففي البداية لا يتمكن اي منهم من مقارنة مهاراته الخاصة بمهارات الآخرين ، أو من الذي يستطيع ان ينهي عملا بنتيجة أفضل وبأقل مجهود ، أو من يجد إرضاء اكثر في القيام بعمل معين ، ونتيجة لهذا يقوم الفرد بدور يتزايد تخصصا بمرور الوقت . وفي حالة الأسرة ، يكون لتمايز الدور أهمية بارزة في الزيجات الجديدة حيث يلاحظ العروسان في طفولتهما المبكرة نموذجا خاصا لوالديهما ، وللآباء بوجه عام (النموذج التقليدي لتمايز الدور تبعا للجنس) فهناك في العادة تدريب معين (وخاصة للبنت) على الأعمال التي سوف تقوم بها عندما تصبح زوجة وأما ، ولهذا فإنه في أثناء عملية التنشئة الاجتماعية يعد كل من الزوج والزوجة للدخول في الزواج بتوقعات واضحة عن كيفية تقسيم الواجبات بينهما ، وبالإضافة إلى ذلك الاعداد التمهيدي ، يبقى شيء ما في الزواج ، يرجع إلى التجربة الخاصة التي تميز أي جماعة جديدة . والملاحظة الجديرة بالذكر أن كثيراً من الفتيات في الوقت الحالي يتزوجن دون أية دراية بالاعمال المنزلية نتيجة لظروف الدراسة والعمل التي لا تتيح لهن الفرصة الكافية للتدريب على هذه الأعمال في منازل اسرهن[1] .

وتختلف إمكانات معالجة الأشياء تبعا للاشخاص ، فإذا كانت الاطباق في حاجة إلى غسل ، والملابس في حاجة إلى كي فالزوجة هي التي تقوم بهذه الأعمال في العادة ، ولكن إذا حدثت ظروف تحول دون قيامها بذلك « فان العرض يجب ان يستمر » أي أن كل زوج ، يكون بديلا لزوجته ، وكل زوجة تكون بديلة لزوجها . ولكن كثيراً من الأزواج لا يرحبون بالقيام بمثل هذه الأعمال ، إلا ان الضغوط الأخلاقية والظروف الواقعية تفرض عليهم الرضوخ ، لأنه إذا لم ينهضوا بهذه الأعباء

(1) R . O . Blood and D . M . Wolfe , « Husbands and Wives : The Dynamics of Family Living » Free Press and Collier - Macmillan 1969 . pp . 68 - 69 .

يتعرضون للوم ونقد الزوجات ، ويمكن ان يشعروا بتأنيب الضمير أيضاً .

وهناك نظريات عديدة حول إمكانيات القوة الزوجية ، تختلف منظوراتها للعوامل التي تسهم في القوة النسبية للازواج والزوجات ، وقد عدد سنتر Centers وزملاؤه قائمة بخمسة إمكانيات[1] :

أ ـ تنميط الدور Role Patterning: يكون للأزواج المقدرة على اتخاذ القرارات في مجالات معينة . وهناك خط متصل لقوة الزوج يتدرج من أسفل (اختيار الطعام) إلى أعلى (اختيار نوع العمل) .

ب ـ الشخصية Personality: يمكن ان نعزو وجود عديد من عناصر الشخصية الى القوة النسبية ، فقد وجد « سنتر » أن كلا من الأزواج والزوجات الذين يتمتعون بدرجة عالية من السلطة يوجدون في الأسرة التي يسيطر فيها أحد الزوجين على الآخر .

جـ ـ العوامل الثقافية Cultural Factors: هناك معايير متباينة من حيث النظر الى المدى الذي يجب ان تكون عليه قوة الزوج في الوحدة الأسرية . ويؤكد رودمان Rodman في «نظرية الإمكانات في المحيط الثقافي » ان توزيع القوة الزواجية يمكن ان يكون نتيجة للتفاعل بين : أ ـ الامكانات المقارنة للزوج والزوجة . ب ـ التوقعات الثقافية عن توزيع القوة الزوجية[2] .

د ـ السيطرة على الامكانات ذات القيمة ControlCaluedResoures: إن القوة كما فسرناها من قبل ، هي الجانب الذي يتحكم أو يسيطر على الإمكانات ذات القيمة ، فإذا كان لأحد الزوجين إمكانات اكثر من شريكه ، فإنه يصبح الجانب القوي .

هـ ـ الجدارة والانهماك Relative Competence and Relative Involvement ويعني ذلك ان الزوج او الزوجة الذي يكون أكثر معرفة في مجال معين يصبح أكثر قوة .

---

(1) Richard Centers, Betram W. Rayen and Aroldo Rodrigues, «Conougal power Structure, Are — :xamination», American Sociological Preview April 1971) pp. 264—278.

(1) Hyman Rodman, «Marital Power in France, Greece, Yugoslavia and the United States». A Cross — National Discussion», Journal of Marriage and the Family, 29 May 1917 pp. 320—324.

لكن تحليل هذه النظريات التي تحاول تفسير بناء « القوة الأسرية » يكشف انها جميعا تحاول تفسير الديناميات ولكنها لا تضع في الاعتبار الإسهامات الممكنة لأعضاء الأسرة الآخرين . وخاصة الأطفال والأقارب فبالرغم من أن الأطفال لا يكون لهم السلطة إلا أنه يكون لهم تأثير قوي ، كما أنهم يشاركون ويمارسون الضغوط على القرارات التي يتخذها آباؤ هم .

٢ ـ تقسيم العمل بين الزوجين

يعتبر تقسيم الغمل تعباً للجنس نظاما عالميا ، فجميع المجتمعات لديها أعمال للذكور وأخرى للأناث . ومع ذلك ، فإن الاسهام الذي تقوم به النساء والرجال والأعمال التي يؤدونها تختلف من مجتمع لآخر . وقد وضع دوركايم Durkheim نظرية محتواها أنه في المجتمعات البدائية جداً كان الرجال والنساء متساويين في القوة والذكاء[١]. وبناء على ذلك كان الجنسان مستقلين اقتصادياً ، ولكن مع تقدم وتطور صور اخلاقية معينة أصبحت النساء أضعف وعقولها أصغر ، وزاد اعتمادها على الرجل ، في الوقت الذي وضع تقسيم العمل تبعاً للجنس قيداً على حريتها ومركزها الزواجي .

وقد قدم ميردوك Murdock[٢] تفسيراً فسيولوجيا للاختلافات بين الجنسين في تقسيم العمل ، فهو يرى أن الرجل بقوته الجسمانية المتفوقة يستطيع القيام بالأعمال العنيفة لأنه ليس معوقاً كالمرأة بالأعباء الفسيولوجية للحمل والرضاعة ، ولهذا يستطيع الابتعاد عن أسرته للقنص أو الصيد أوالرعي أو التجارة . أما الأعمال الخفيفة التي يمكن انجازها في المنزل أو قريباً منه فتستطيع المرأة القيام بها .

وقد تعرضت آراء ميردوك لمناقشات عديدة ، نشير هنا إلى ، إحداها ، وهي التي أثارها وليام جود Goode[٣] حيث يقول ، إذا حصرنا الاختلافات بين الجنسين التي تظهر في أنماط الأسرة . فإن اشهرها هي أن الأنثى تحيض وتلد الأطفال وترضعهم ،

(1) Emile Durkheim, «De la Division du travail «Reference here in to the division of Labor in Society, George Simpson, trans, Glencoe: The Free Press 1933, p. 61.

(2) George P. Murdock, «Social Structure» New—York» The Macmillan Co. 1949, p. 7.

(3) William Goode, The Family «Prentice Hall Inc. Englewood Cliff, New Jersey.

وهذا أمر واضح ومفروغ منه ولكن هذا لا يعني أنه لذلك ، يجب على المرأة أن تظل حبيسة المنزل وأن ترتبط بأعمال معينة ، أو أن أدوار النساء والرجال يجب أن تختلف بسبب هذه العوامل .

وأغلب الظن أن المسألة تقوم على تصور اجتماعي وليس على تصور فيزيقي ، وعلى ذلك نستطيع ان نستنتج أن تأثير القدرات البيولوجية في تقسيم العمل بين الجنسين لا يمكن قبوله لأنه لا يقدم تفسيراً حاسما . ففيما عدا الحمل والولادة والرضاعة يستطيع الرجل بيولوجيا القيام بجميع الأعمال التي تقوم بها المرأة ، وفي المقابل ، تستطيع المرأة القيام بجميع الأعمال التي يقوم بها الرجل بما فيها الأعمال التي تتطلب قوة جسمانية خاصة إذا وضعنا في الاعتبار ان القوة الجسمانية لم يعد لها قيمة تذكر في العصر الحديث .

ويمكن أن نشير إلى الأعمال التي يقوم بها الرجال والنساء بوجه عام فيما يلي :

أ ـ توجد في كل مجتمع قواعد نظامية ثقافية متداخلة في تنميط الأعمال تبعاً للجنس ، فبعض الأنشطة تكون دائما تابعة للرجال ، وبعض الأعمال تقوم بها النساء . فالزوجة تقوم دائما بالاعمال المنزلية (الطبخ ، التنظيف ، غسل الملابس وما شابه ذلك) هذا بالإضافة إلى عبء رعاية الأطفال (إذا كان لديها أطفال) .

ب ـ في معظم المجتمعات ، تقوم الزوجات بأشياء أكثر من « الأعمال المنزلية » و « رعاية الأطفال » فهن يسهمن أيضاً في الأنشطة الاقتصادية سواء كن مقيمات في الريف أو الحضر .

جـ ـ يمكن بناء على عدم التمييز او التباين الواضح في العمل في بعض المجتمعات ان يساعد الأزواج زوجاتهم في الاعمال المنزلية . في الوقت الذي يستبعد ذلك في مجتمعات أخرى ، حيث يعتبر الأزواج ان القيام بهذه الاعمال يجلب العار ويستدعي الخجل[1] .

---

(1) William N. Stephens. «The Family in Cross — Cultural Perspective, N.Y.: Holt Rinehart and Winston, Inc. 1963, pp. 281—284.

د ـ إن إمكانية المساعدة أو القيام بالاعمال المنزلية تحتم التواجد بالمنزل ، ولهذا فإن العوامل أو الظروف التي تبعد الزوج او الزوجة عن المنزل تنقص من مشاركتهما في الأعمال المنزلية . ولكن حتى إذا كان الزوجان معا في نفس الوقت فإنهما لا يتساويان . فالزوج يمكن ان يكون في المنزل بجسده بينما يكون عقله مشغولا بمسئوليات وظيفته .

هـ ـ ومن المعروف ان الزوجات الريفيات اكثر إسهاما وانهماكا ومقدرة في الأعمال المنزلية إذا قورن بالزوجات في المدينة . ومع ان الأزواج في القرية تكون أعمالهم في العادة قريبة من منازلهم إلا أنهم لا يشاركون على الإطلاق في الأعمال المنزلية ، والمرأة الريفية لا تقوم بالإعمال الأنثوية فقط بل تشارك أيضاً في أعمال الرجل ، وهذا يرجع إلى أن أعمال الذكور لا تخضع لتحديد واضح في القرية . وقد يقال ان زوجات المدينة مدللات إذا قورن بزوجات القرية فإن نفس القول يمكن ان يصدق على الأزواج في القرية إذا قورنوا بالأزواج في المدينة .

و ـ تبين من دراسة أجريت على الأسرة ان الأزواج ذوي الدخول المرتفعة أقل مشاركة في الأعمال المنزلية ، لأنهم في العادة ينشغلون كلية بعملهم ، وتستطيع الزوجة نظرا لثراء الزوج ان تستخدم الخدم للقيام بدلا منها بالأعمال المنزلية ، ومع ذلك تقع مسئولية أداء العمل بالمنزل كلها على عاتق الزوجة سواء انجزت بعض هذا العمل بنفسها أو أنجزه غيرها تحت إشرافها .

ز ـ ليس الأزواج فقط هم المستغرقون في العمل خارج المنزل ، فهناك عديد من الزوجات يعملن أيضا ، وليس هناك شك في أن عمل كل من الزوج والزوجة يؤثر على مدى إنجاز الأعمال المنزلية . ومن الواضح نتيجة لدراسات عديدة وجود ذلك الفرق الواضح في إنجاز الأعمال المنزلية بين الزوجات المتفرغات وبين الزوجات العاملات ، فعندما تكون الزوجة بعيدة عن المنزل معظم ساعات النهار فإنها تواجه أعباء عملين في نفس الوقت ، عملها الذي تحصل منه على مرتبها بالإضافة إلى عبء الأعمال المنزلية . وقد يشعر الزوج تحت ضغط هذه الظروف ان عليه التزاما بمساعدة زوجته في أعمالها بالمنزل ، ومع ذلك فمما لا شك فيه أن حياة

المرأة العاملة شاقة وعسيرة إذا قورنت بحياة الزوجة المتفرغة من حيث رعايتها لمنزلها وأسرتها . ويستطيع الزوج أحيانا ان ينقذ الموقف بتخفيف العبء الجسماني عنها ، وان يقلل إلى الحد الأدنى من درجة الاستياء الموجهة له نتيجة عزوفه عن المشاركة والإسهام ، ومع ذلك ، فإن مقدرة الزوج على تقديم العون لزوجته تعتمد على الوقت الذي يقضيه في عمله . فإذا كان يعمل فترة واحدة في اليوم فإنه في بقية ساعات فراغه يستطيع مساعدة زوجته ، أما إذا كان يعمل وقتاً إضافيا فإن مساعدته تهبط إلى الحد الأدنى وقد لا يساعدها على الإطلاق[1] .

حـ ـ يصل الزوج إلى مرحلة معينة لا يعمل فيها ، وذلك عندما يحال إلى المعاش ولا يزاول اي نشاط أو عمل آخر ، إلا أنه مع ذلك لا يساعد زوجته بصورة مرضية ، بل قد يكون معوقا لها في كثير من الأحيان بكثرة طلباته .

ط ـ يظهر عند مقارنة الأسر ذات الدخل الواحد والأسر ذات الدخلين من ناحية درجة النمطية في توزيع الأعمال ، اختلاف في الأدوار ، ويتجلى ذلك في الأسر التي تكون الزوجة فيها عاملة ويكون دخل الزوج في نفس الوقت منخفضا جدا . ويرجع ذلك إلى ان الأسرة ذات الدخل المرتفع يمكنها استخدام من يقوم بالأعمال المنزلية أو استخدام الأدوات المنزلية الحديثة . اما في الأسر منخفضة الدخل ، فإن الزوجة تقوم بنفسها بجميع الأعمال وعلى الزوج في هذه الحالة ان يساهم في العمل وان يساعد زوجته .

وهكذا يتبين من استعراض تقسيم الأعمال بين الزوجين أنه تحت ضغط ظروف معينة يمكن ان يعاد تقسيم العمل في اتجاه الشريك الأكثر ملاءمة أو الأكثر مقدرة . ولكن تقسيم العمل في الأسرة المصرية بشكل عام ، وحتى الآن ، ما زال يجري على النمط التقليدي الذي يخصص اعمالا معينة لكل من الجنسين فالمرأة مسئولة مسئولية كاملة عن الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال حتى ولو كانت عاملة ، والزوج مسئول عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية إلا أن هناك تغيرات عديدة بدأت تفرض نفسها مؤدية إلى مؤشرات تسمح بنوع من المرونة ، ومن ابرز ما أسفرت عنه بعض

---

(1) Blood, Op. Cit. pp. 265—267.

الدراسات في هذا المجال أن مدى مساعدة الزوج لزوجته في الأعمال المنزلية ، يختلف تبعا للطبقة التي تنتمي اليها الأسرة . فأكثر الأزواج إقداما على مساعدة زوجاتهم ينتمون إلى فئة الوظائف المتوسطة ، ولعل ذلك يرجع إلى إرتفاع المستوى الثقافي في هذه الفئة والاتجاه إلى المساواة بين المرأة والرجل ، كما ان الإمكانيات المادية المتاحة لها لا تسمح بالاستعانة بالخدم او إقتناء الأدوات المنزلية الحديثة كلها أو بعضها[1] .

ولكن يلاحظ أنه على الرغم من المساواة والديموقراطية التي تسود العلاقات الأسرية في « الطبقات العليا » في المجتمع المصري ، فإن نسبة الأزواج الذين يساعدون زوجاتهم في الأعمال المنزلية صغيرة جدا ، ويرجع ذلك إلى أن ظروف الأسر في هذه الطبقة تسمح بالاستعانة بالخدم ، واقتناء الأدوات المنزلية الحديثة وإرسال الاطفال إلى المدارس ودور الحضانة الخاصة ، وبالتالي لا توجد ضرورة ملحة لإشتراك الزوج في الاعمال المنزلية . وعموما فإن معظم الازواج المصريين لا يمدون يد المساعدة لزوجاتهم إلا لضرورة ملحة أو لظروف طارئة . أي ان مساعدتهم لزوجاتهم لا تتخذ مظهر الانتظام وتحمل مسئوليات معينة في تلك الاعمال . إلا ان هذا لا يمنع من استنتاج مدى التغير الذي لحق بوجهة نظر الازواج نحو المشاركة في الاعمال المنزلية .

وهناك عدة أسباب تدفع الزوج في الأسرة المصرية إلى عدم مشاركة زوجته في الاعمال المنزلية :

١ ـ إمكانية الاستعانة بالخدم الذين لا زال المستوى الاقتصادي والإجتماعي في المجتمع المصري يسمح للبعض بأداء مثل ما يقوم به هؤلاء في المنازل على عكس ما هو قائم في كثير من البلاد المتقدمة صناعيا ، وعلى ذلك فإن الزوج يشعر بأنه ليست هناك حاجة لأن يشارك في الاعمال المنزلية .

٢ ـ انتشار استعمال الادوات المنزلية الحديثة مثل البوتاجاز والسخان

---

(١) راجع الدراسات التي أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة وكذلك ، سناء الخولي : الأسرة في عالم متغير (مرجع سابق) .

والثلاجة . . . الخ . مما خفف كثيراً من عبء الاعمال المنزلية عن الزوجة وبالتالي لا يكون هناك داع لمشاركة الزوج في تلك الاعمال ، وخاصة في الاسر التي يتيح لها مستواها الاقتصادي اقتناء هذه الادوات .

٣ ـ وجود نسبة عالية جداً من الزوجات في المجتمع المصري لا يعملن في وظائف أو أعمال خارج المنزل وبالتالي فهن متفرغات للقيام بالأعمال المنزلية بينها يقضي الأزواج معظم أوقاتهم في العمل ويعودون مرهقين ، مما يحول بينهم وبين مساعدة زوجاتهم .

٤ ـ ما زال كثير من الأزواج وخاصة في الطبقات الدنيا ينظرون إلى الأعمال المنزلية باعتبارها شيئاً ينقص من كرامتهم ومن هيبتهم . ويستنكرون تماماً القيام بمثل هذه الأعمال .

٥ ـ إن فكرة سيادة الرجل وقيادته للأسرة عند أكثر المصريين تتنافى مع اعمال عرفت تقليديا بأنها من أختصاص المرأة ، بل إن كثيراً من الأزواج ممن لا يؤمنون بالتمييز الحاسم بين الرجل والمرأة يساعدون زوجاتهم ، إلا انهم لا يعترفون بذلك . لأن التراث الثقافي والإجتماعي التقليدي وما يتخلله من قيم وعرف وتقاليد لا زال يمثل الخط الأساسي للسلوك الإجتماعي الذي يساند نوعاً من الأعمال للرجال ونوعاً آخر للنساء . ويستتبع ذلك أن أساليب التنشئة الإجتماعية في مجتمعنا لا تزال تميز منذ الصغر بين الذكر ودوره والأنثى ودورها .

وأخيراً نستطيع أن نقول أن أهم مظاهر عدم المساواة التي تحدث في الزواج تكون في التقسيم المتطرف للعمل بين الأزواج والزوجات ، والواجبات الكثيرة المفروضة على النساء لرعاية الأطفال والقيام بالأعمال المنزلية وهي المسائل التي تخفض من مكانتها بالنسبة للرجل في الوقت الذي لا يقابلها الجزاء المناسب ، وقد ثبت من دراسات عديدة حجم التأثيرات السلبية التي يتركها كل ذلك على الزوجين . ومن المعروف ان المهنة والأجر يكسبان الشخص مكانة وهيبة ، ولهذا يكون نصيب النساء المقيدات برعاية الطفل والأنشطة المنزلية ضئيل جدا من هذه الإمكانيات . وفي هذا المقام ينصح خبراء الأسرة ان تغيير طريقة أداء العمل وتوزيعه

بين الأزواج والزوجات لا بد ان يتم عن طريق إعطاء الزوجات حرية الاختيار للتخلص من تلك الأعباء التقليدية وتشجيع الأزواج لتنمية وإنجاز وظائف معينة ، وكل هذا يجب النظر إليه من منظور إنساني وليس من منظور استقطابي Polarizing[1].

التوافق في الزواج

هناك مظهر هام آخر في النسق الزواجي له أهمية كبيرة ، وهو : كيف يتمكن كل من الزوج والزوجة من شق طريق الحياة معا ، وقد بذلت محاولات عديدة لدراسة وتحديد نوع العلاقة الزواجية وذلك باستخدام مفهومات معينة مثل التوافق الزواجي ، والنجاح ، والإرضاء ، والثبات ، والسعادة ، والتماسك ، والتكيف ، والتكامل . . . الخ . وكثيراً ما تستخدم هذه المصطلحات بالتبادل لتشير إلى نفس الشيء ، واحياناً أخرى تشير كل منها إلى معنى مختلف ، كما أنها قد تستخدم بمعنى سيكولوجي ، لتشير إلى الحالة النفسية لأحد الزوجين أو كليهما . أو بمعنى اجتماعي ـ نفسي لتشير إلى « موقف العلاقة » أو بمعنى سوسيولوجي لتشير إلى موقف الجماعة أو النسق . او تستخدم بالإضافة إلى ذلك للإشارة إلى تحقيق الهدف . وواضح أن كل الاستخدامات وما تنطوي عليه من مفهومات تؤكد على المعاني التي تتعارض مع عدم التوافق ، وعدم الرضا ، وعدم الثبات والتعاسة الخ .

إن التوافق Adjustment في العلاقة الزواجية يناظر أي علاقة إنسانية أخرى ، إذ أنه من الممكن أن نتحدث عن كل شكل من أشكال التوافق في العلاقات بين جماعات الأصدقاء أو جماعات النظراء ، أو جماعات العمل ، إلا أن الدور الذي تقوم به علاقات الأزواج والزوجات تختلف تماماً عن الدور الذي تقوم به العلاقة المشار إليها . فالزواج ، الذي يتحقق عن طريق معيشة فردين من جنسين مختلفين في قرب مكاني ، هو أمر شائع وله طابع ارتباطي ، يصعب انهياره بسبب نوع العلاقة الرسمية والعلنية التي يقوم بقاؤه عليها . والإرتباط هنا معناه ان أعضاءه يعملون

---

(١) يعتقد كثير من دارسي الأسرة أن النصائح والارشادات في هذا المجال ربما تكون غير مؤثرة ، وإنما يمكن الوصول الى هذا التوازن كمحصلة للتفسيرات التي تفرض وطأتها على الحياة الأسرية والعلاقات بين الأزواج نتيجة تأثيرات الحضيرية واستمرار ظهور المرأة على مسرح العمل وتوجيه المجتمع والمشاركة الفعلية في عمليات الانتاج والخدمات المختلفة . الخ .

كوحدة وبالتالي يصبح الإتفاق بينهم شيئاً اساسيا . فكل قرار يتخذ يجب ان يضع في اعتباره متطلبات ورغبات كل من الزوجين ولهذا تحدد هذه « القوى » من غير شك مستوى التوافق وطبيعة العلاقة الزواجية .

قياس التوافق الزواجي وتنبؤاته

من المقدمة السابقة ، يتضح ان التوافق الزواجي مفهوم متعدد المعاني ، والدليل على ذلك كثرة التعريفات التي تطلق عليه . والمفهوم العام للتوافق الزواجي يتضمن التحرر النسبي من الصراع ، والاتفاق النسبي بين الزوج والزوجة على الموضوعات الحيوية المتعلقة بحياتها المشتركة وكذلك المشاركة في أعمال وأنشطة مشتركة وتبادل العواطف ، ويختلف النجاح الزواجي عن التوافق الزواجي في أنه يشير بصفة عامة إلى تحقيق واحد أو أكثر من الأهداف التالية : الدوام ، والرفقة ، وتحقيق توقعات الجماعة . . . الخ . كذلك تختلف السعادة الزوجية عن كل من التوافق والنجاح في أنها إستجابة عاطفية لفرد معين . ومع ذلك فالسعادة ظاهرة فردية بينما يشير النجاح والتوافق الزواجي الى إنجازات ثنائية او مواقف زواجية .

وترى جيسي برنارد Jessie Bernard أن الأبعاد الرئيسية لأي مشكلة في التوافق الإنساني يمكن تحديدها في النقاط التالية :

١ ـ الدرجة أو المضمون او طبيعة الاختلاف بين الأطراف .
٢ ـ الدرجة أو المضمون أو طبيعة تبادل الآراء والأفكار بين الأطراف .
٣ ـ نوع العلاقة السلبية أو الإيجابية بين هذه الأطراف[1] .

هذا ويمكن ان تكون الإختلافات مسألة درجة أو قد تكون مطلقة ، فالاختلافات في الدرجة تسمح بالأخذ ، والرد ، والمساومة ، والتفاوض ، أما الاختلافات المطلقة فهي لا تسمح بأي درجة من الاتفاق لوجود اختلافات أساسية في الرأي .

وينطوي تبادل الآراء والأفكار على « التفاعل » بالضرورة . ولهذا يعتبر عاملا

---

(1) Jessie Bernard, «The Adjustment of Married Mates» in Handbook of Marriage and The Family, Harold Christensen (ed.), Chicago, Rand McNally Company, 1964, p. 690.

بالغ التعقيد في العلاقات الزواجية . ويتجلى في صور عديدة ، فيكون شفهيا أو غير شفهي ، واضحا أو غامضا ، مؤديا إلى علاقات وثيقة أو إلى فرقة دائمة أو مؤقتة .

ويعتبر « نوع العلاقة » البعد الرئيسي الثالث للتوافق ، فالزوج المحب الصديق لا يتوافق آليا مع زوجته لأن الحب (فقط) يجعل الاتصال بينهما اسهل ، ولهذا فإن نوع العلاقة التي تتمثل في المودة والمحبة والعاطفة تؤدي إلى نتائج تختلف كثيرا فيما لو كانت بغضا أو عداء أو كراهية .

ومن أجل هذا كله يميل كثير من الدارسين في ميدان الأسرة الى القول بأن هذه الابعاد الثلاثة « الاختلافات » ،و«تبادل الآراء والأفكار » ، و « نوع العلاقات » لها أهمية كبيرة في فهم عملية التوافق .

وقد بدأ قياس التوافق الزواجي بطرق متعددة في أواخر العشرينيات[1]. ثم ظهرت بعد ذلك بعشر سنوات دراسات واسعة وشاملة اهتمت بتحديد العوامل الشخصية المرتبطة بالتوافق الزواجي[2] ، وتتنبأ بالنجاح الزواجي[3] . وتبين أن معظم هذه الدراسات تركز بصفة أولية على خمسة مقاييس أو أقسام : الإنسجام أو عدم الانسجام ، والاهتمامات والأنشطة المشتركة ، وإظهار العواطف والثقة المتبادلة ، وعدم الإشباع ، والشعور بالعزلة الشخصية والتعاسة .

وهناك محاولة أخرى لتصميم مقياس آخر يمكن تطبيقه لتقييم العلاقات الزواجية يقوم على تساؤلات مهمة هي : كيف يقابل الزواج احتياجات وتوقعات المجتمع ، وما هي العوامل التي تسهم في دوامه وثباته ، ودرجة الوحدة التي تنمو بين أعضائه ، والدرجة التي يسهم بها في نمو الشخصية .

وقد وضعت « برنارد » علامة مميزة تصلح لتقييم العلاقة الزواجية . فالمعيار أو المقياس المناسب في رأيها ، يجب الا ينهض على علاقة متخيلة ، وإنما يجب ان يقوم

(1) Gilbert V. Hamilton, «A Research in Marriage, N.Y. Albert and Charles Boni 1929.

(2) Lewis M. Terman, Psychological Factors in Marital Happiness. N.Y. McGrow — Hill Book Company, 1938.

(3) Ernest Burgess and L.S. Cottrell, Jr. Predicting Success or Failure in Marriage, N.Y. Prentice — Hall, 1939.

على علاقة ممكنة وملموسة . ولهذا يمكن ان نقول ، إن الزواج ناجح استنادا إلى مدى الإشباع الممكن الذي يقدمه ، وليس استنادا إلى ما يمكن أن نتخيله ، وعلى ذلك تكون العلاقة الزواجية ناجحة إذا :

أ ـ كان الإشباع إيجابيا ، أي إذا كان الجزاء لكل من الشريكين أكبر من الخسارة .

ب ـ إذا كان استمرار العلاقة الزواجية أفضل من أي بديل آخر كما في المثالين التاليين[1] :

الأول : أ ، ب زوجان ، لا يحب أحدهما الآخر ، وهما على خلاف مستمر ، وتكاليف بقاؤهما معا كبيرة من حيث الشعور بالفشل والإحباط والوحدة . ولكن بقاءهما معا له فوائد كبيرة أيضا ، فهما يستطيعان إقامة مسكن جميل ، ويحصلان على مكانة عالية في المجتمع ، ويحميان أطفالهما من المشاكل التي قد تنتج عن الانفصال والطلاق ، ولهذا تعتبر تلك العلاقة ناجحة ، ليس لأنها أفضل ما يمكن تخيله ولكنها أفضل ما يمكن بمعنى ان الفوائد أكثر من التكاليف ، أو المكسب أكبر من الخسارة .

الثاني : زواج تكون فيه العلاقة الزواجية ناجحة فقط لأنها أفضل من أي بديل آخر ، كما في حالة « زوجة غير عاملة » تعتمد اقتصاديا على زوجها ، فيكون بقاؤهما معه أفضل من أي بديل آخر بالرغم من عدم التوافق والتعاسة القائمة بينهما .

وللتنبؤ بالتوافق الزواجي ، يمكن استخدام طريقة « عوامل ما قبل وما بعد الزواج » وقد قدم برجس[2] وآخرون قائمة بالمؤشرات التنبؤية لما قبل ولما بعد الزواج والتي يمكن ان تكون سبباً مباشراً في التوافق الزواجي .

---

(1) Bernard . op . cit , p . 732 .

(2) Ernest Burgess , Harvey J .Lokeand Mary Margaret Thomes , « The Family : From Traditional to Conpanionship » Fourth Edition , N - Y , Van Vostrand Reinbold Company , 1971 pp . 344 - 345 .

المؤشرات التنبؤية المؤدية للتوافق الزواجي

أولا ـ مؤشرات ما قبل الزواج

١ ـ التعرف ، لا بأس به أو يدوم أكثر من ستة أشهر .

٢ ـ القدرة على التوافق : حسنة بوجه عام .

٣ ـ السن عند الزواج : ٢٠ فأكثر للفتيات و٢٢ فأكثر للرجال .

٤ ـ فرق السن : الرجل أكبر او في نفس سن المرأة .

٥ ـ الاترباط بالاب : وثيق .

٦ ـ الإرتباط بالام : وثيق .

٧ ـ المواظبة على الصلاة : مرضية بوجه عام .

٨ ـ الصراع مع الأب : لا يوجد أو يكون قليلا للغاية .

٩ ـ الصراع مع الأم : لا يوجد أو يكون قليلا للغاية .

١٠ ـ مراعاة النظام والدقة : ليس صارما .

١١ ـ المستوى التعليمي : تقارب في درجة التعليم بين الشاب والفتاة .

١٢ ـ فترة الخطبة : تسعة أشهر أو أكثر .

١٣ ـ الأصدقاء قبل الزواج : لهما أصدقاء .

١٤ ـ السعادة في الطفولة : مرتفعة أو مرتفعة جدا .

١٥ ـ السعادة في زواج الآباء : مرتفعة او مرتفعة جداً .

١٦ ـ أسلوب إتمام الزواج : الجهات الرسمية .

١٧ ـ المقدرة العقلية : متساوية .

١٨ ـ المهنة : التفرغ في خط مهني معروف .

١٩ ـ التنظيمات : العضوية في واحدة منها ،

٢٠ ـ الإدخار : موجود إلى حد ما .

٢١ ـ المعلومات الجنسية : مناسبة وصحيحة .

٢٢ ـ مصدر المعلومات الجنسية : الوالدان .

٢٣ ـ العلاقة الجنسية قبل الزواج : عدم وجودها او مع من سصبح شريك المستقبل .

ثانيا : المؤشرات الزواجية

١ ـ الأطفال : وجود الرغبة في إنجابهم .

٢ ـ الصراع حول الأنشطة : لا يوجد .

٣ ـ المستوى الاقتصادي : البيت الخاص المستقل .

٤ ـ الوظيفة : منتظمة ودائمة بالنسبة للزوج .

٥ ـ وظيفة الزوجة : تعمل والزوج موافق .

٦ ـ المساواة بين الزوج والزوجة : عدم وجود أدنى أو أعلى .

٧ ـ المقدرة العقلية متساوية : من وجهة نظر الشريك .

٨ ـ مهنة الزوج : متفرغ في خط مهني معروف .

٩ ـ ملامح الشخصية : القبول والخلو من الاضطرابات العصبية .

١٠ ـ العلاقات الجنسية . في إطار الزواج فقط مع قليل من مظاهر الرفض .

١١ ـ الجنس : قوة الرغبة المتساوية .

١٢ ـ الاستمتاع بالجنس : ممتع أو ممتع جدا .

وعموما فقد اصبح هناك شبه إجماع منذ عام ١٩٦٠ على ان المراكز المهنية المالية ، والدخل ، ومستويات التعليم بالنسبة للزوج ، وتشابه الزوج والزوجة في المكانة الاجتماعية والاقتصادية ، والسن ، والدين ، والجزاءات العاطفية ، والاستمتاع الجنسي ، والرفقة ، كلها متغيرات ترتبط إيجابياً مع السعادة الزوجية[١] .

توقعات الدور والتوافق في الزواج

إن تكوين أسرة جديدة يتضمن تغيرا أساسيا في الأدوار المشكلة لأنماط السلوك لكل من الفتيان والفتيات . فمعظم هؤلاء يكون جديدا على هذه الأدوار وليس لهم خبرة في تكييف انفسهم لمتطلبات التفاعل مع شخصية أخرى . ومفهوم الدور نستخدمه هنا للإشارة إلى التوقعات الاجتماعية المرتبطة بموقف معين . والموقف هنا هو

---

(1) Mary W . Hicks and Marilyn Platt, « Marital Happeness and Stability . A Review of the Research in the Sixties » Journal of Marriage and the Family , 32 (November , 1970 , p . 555 .

الزواج ، وأجزائه هي مكانات الزوج والزوجة ، فالشخص الذي يعرف ماذا يتوقع في موقف معين ويستطيع الاستجابة بصورة ملائمة يكون « متوافقا » للدور الذي يلعبه ومن المناسب هنا أن نعرض العوامل الرئيسية التي تشكل اهمية كبيرة في التوافق الزواجي من منظور تحليل الدور كمحور اساسي .

١ ـ التوجيه المعياري

إن الطريقة التي يمارس بها الفرد دوره في أي موقف اجتماعي تعتمد اساسا على فهمه للمعايير الثقافية ، أو مستويات السلوك التي توجه تفكيره نحو الموقف . وكل زوج جديد أو زوجة جديدة لديهما ما يشكل الاتجاهات الأساسية عن الأسرة من خلال تجربتهما في اسرتيهما ومن قراءاتهما ومشاهداتهما وما يسمعانه عن الأسر الأخرى . ونتيجة لذلك يؤكد الزوجان عادة على وحدانية الزواج وضرورة إتمام مراسم الزواج التقليدية وغير ذلك من الطقوس المتعارف عليها في الثقافة الخاصة بالمجتمع الذي ينتميان اليه . إلا أن إنتماء الزوجين إلى انساق اجتماعية مختلفة . وبالتالي تعرضهما لعمليات تنشئة اجتماعية مختلفة يمكن ان يوجههما الى انساق معيارية قد تكون متعارضة أو على الأقل غريبة بالنسبة لكل منهما .

ويرى كل من ناي Nye وماكدوجال MacDougal[1] انه بالرغم من أن كل أسرة جديدة تتبنى ثقافة فرعية خاصة بها ، ناتجة عن ظهور وضع جديد وهو قيام الأسرة ، نجد أن الزوجين الجديدين يحافظان على جزء رئيسي من نسق اسرتيهما (السابقتين) حيث يتعرضان لبعض الضغوط الخارجية والداخلية من اجل التطابق مع معايير اسرتي التوجيه لكل منهما ، فإذا كان الزوجان ينتميان الى انساق اجتماعية مختلفة من حيث العقيدة الدينية أو الاجتماعية او السكنية أو السياسية أو الثقافات الفرعية ، فهناك احتمال كبير لنشوء الصراعات وعدم التفاهم ، لأن سلوك كل منهما يعبر في المحل الأول عن المعايير الخاصة التي ينتمي اليها احدهما والتي تختلف عن معايير شريكه .

---

(1) Nye , I , and MacDougal , E . , « Do Families have Sub - Cultures» Sociology and Social Researdh , Vol . 44 .

٢ ـ وضع الدور

يتحدد وضع الدور Role Position بناء على المعايير التي يعتنقها الأفراد فكل من الزوجين يدخلان في العلاقة الجديدة بأفكار مسبقة عن ، كيف يجب ان يكون هو او تكون هي كزوج أو زوجة . وهذا يشتمل على مظهرين او اتجاهين :

أ ـ اتجاه معين عن وضع الشريك النسبي أو مركزه في التنظيم الجديد .

ب ـ اتجاه نحو تحديد « الفعل » أو دور الفرد وماذا يجب ان يفعل باعتباره عضوا في أسرة .

ويستخدم مفهوم الدور هنا بطريقتين : الأولى ، لتصوير المجموع الكلي للسلوك المقبول ميعاريا في أي وضع معين . والثانية ، للدلالة أو الإشارة إلى المتطلبات السلوكية المختلفة للوضع او المركز ، ذلك أن كل سلوك متوقع يصبح دورا وترجع أهمية هذين التصورين للدور إلى أن الزوج والزوجة في وضعيهما الجديدين يكون عليهما حلقة واسعة من الواجبات المحددة معياريا بالنسبة لهما . والمشكلة الرئيسية في القيام بهده الأدوار ترجع إلى أن الزوجين يكونان في العادة بدون خبرة تقريباً بهذه الأدوار الجديدة .

وجدير بالذكر أن الوضع أو المكانة لا ينفصل عن الدور (لأنهما وجهان لشيء واحد) ولهذا فإن المشاكل الرئيسية لاختلافات الوضع تنشأ عندما يؤدي شخص ما دوره بناء على تصوره لوضعه الخاص . فإذا كان الزوج يشعر بأن وضعه له مكانة أعلى في الأسرة ، فإنه يظهر هذا الشعور عادة عند أدائه لدوره . وإذا حدث وكانت له المكانة الأعلى بالفعل ، فإن ذلك يعطيه الحق في بلورة القرار الأخير ، وإصدار الأوامر ، ويصبح من المألوف ان يتوقع في كل موقف التأييد والامتياز .

٣ ـ توقعات الدور

تشير توقعات الدور Role Expectations إلى الطرق التي يتوقع بها الفرد كيفية (أسلوب) سلوك الآخرين . وبناء على ذلك وبالتطبيق على الأسرة ، فإن الشريكين إلى جانب الأفكار المعينة عن كيف يجب ان يكون الزوج أو الزوجة في الوضع

الجديد ، فان كلا منهما يأتي ولديه توقعات معينة عن دور الشخص الآخر[1] . ومثال ذلك ان الزوج في العلاقة الزوجية الجديدة ، تكون لديه بعض الأفكار عن كيفية سلوكه (دوره) كزوج وكذلك بعض الأفكار عن كيفية سلوك الزوجة (توقعاته لدور الزوجة) وفي المقابل يكون عند الزوجة بعض التحديد لدورها وتوقعات معينة لدور زوجها .

وتتمثل إحدى المشاكل الهامةفي موضوع سلوك الدور Role Behavior في التحديد العلمي (المجرد) لتعريفات الدور ثم مقارنتها بأداء الدور بالفعل . ذلك لأن هناك اختلافا بين ما يجب ان يكون وبين ما هو قائم بالفعل . فمن المعروف ان الزوجين يوافقان على أن الاهتمام بالإبن الذكر وتخطيط مستقبله يشكل جزءا من دور الزوج في الأسرة ، ولكن في الواقع لا يقوم الزوج بشيء من هذا .

ومن المحتمل في مطلع الزواج ان يبدأ كل شريك بتوقعات معينة من الآخر ومن ثم تطبق هذه التوقعات في كل مناسبة على سلوك الشريك ، ولكن بمرورالوقت ، يمكن ان يتغير مضمون هذه التوقعات ، لتشمل مضمونات أخرى تتصل بعناصر الدور الخاصة المستقاة من تجربتهما معاً . ويجب ان يوضع في الاعتبار ان كل شريك لا تكون توقعاته فقط عن « ماذا يجب ان يفعل الآخر»بل أيضاً عن « كيفية » الأداء . فالزوجة قد لا تتوقع من زوجها ان يشارك في الأعمال المنزلية فقط ، بل تتوقع ايضا ان يقوم بها بطريقة تعاونية وسعيدة . ولكن توقعاتها قد تخيب إذا لم يؤ د الزوج عمله هذا كما يجب ، أو إذا قام به بطريقة لا ترضى عنها الزوجة . ونتيجة للتعارض بين التوقعات وما يحدث في الواقع فإنه من المحتمل ان تحدث الصراعات ، فالزوج قد يتصور انه على كفاءة عالية ، وانه مقبل على التعاون ويسلك سلوك الصديق المحب ، بينما تراه الزوجة غير ذلك تماماً .

٤ ـ الجزاءات

الجزاءاتSanctionsهي المكافآت ، او العقوبات التي يفرضها فرد على الآخر تبعا لدرجة نجاحه أو فشله في القيام بتوقعات الدور . وفي حالة الأسرة ، إذا كان

(1) Talcott Parsons « The Social System » N . Y . The Free Press . 1951 . p . 8

أداء الزوج لدوره يلتقي مع توقعات دور الزوجة فإنها سوف تطبق عليه جزاءات إيجابية مثل الإطراء ، وإظهار العواطف ، والشعور الودي . . . الخ . أما إذا كان اداؤه للدور يتعارض مع توقعاتها فإنها في الغالب سوف تطبق عليه جزاءات سلبية مثل : ذرف الدموع ، والشجار او الإرتداد بالعواطف (سلوك النكد) .

هذا ويمكن ان تؤدي التفاعلات الانسانية بصفة عامة الى خلق مناخ إنسجامي مرن ورقيق في حالة توفر الظروف الآتية :

أ ـ ان تتميز الأطراف المتفاعلة بدرجة عالية من الاتفاق على المعايير والمفضلات الشخصية .

ب ـ ان تكون الاطراف المتفاعلة متفقة على تعريفات الدور وتوقعاته لكل منهم .

جـ ـ ان يتفق اداء الدور لاحدهما مع توقعات الآخر ، وتكون الجزاءات الايجابية هي النتيجة النهائية للتفاعل .

وباستخدام المخطط التصوري السابق القائم على وضع الدور وتوقعاته يمكن ان نرجع أسباب الصراع في الموقف الزواجي إلى :

أ ـ ان تكون المعايير والمفضلات الشخصية للزوج في صراع مع معايير الزوجة ومفضلاتها .

ب ـ أن يكون أداء الدور بالنسبة للزوج لا يتفق مع توقعات دور الزوجة .

جـ ـ ان يكون أداء الدور بالنسبة للزوجة لا يتفق مع توقعات دور الزواج .

وفي كل من حالات عدم الرضى السابقة تنشأ ضرورة توقيع الجزاءات السلبية التي قد تتخذ صورة مباشرة . ولهذا فإن أي سبب من الأسباب السابقة يمكن ان يكون مصدراً للإحباط في العلاقة الزواجية .

ومع ذلك فإن نقاط الصراع السابقة يمكن تلافيها بايجاد طرق معينة للتوافق فإذا اخذنا الموقف الأول للصراع ، نجد ان الزوجان يكونان في حاجة إلى أن يفسر كل منهما معاييره ومفضلاته الشخصية حتى يتمكنا من معرفة واضحة بوجهة نظرهما .

أما في المواقف الصراعية الثانية والثالثة ، فأن كلا من الزوج أو الزوجة يستطيعان ان يغيرا تماما من طريقة ادائهما لدورهما لتتقابل مع توقعات دور رفيقه . كما يستطيعان أيضا أن يغيرا توقعات دورهما بشكل حاسم لتتطابق مع أداء دورهما . وفي هذه الحالة نستطيع القول ان هناك توافقا متبادلا ، ويحدث ذلك إذا نجح كل من الزوجين ان يغيرا أو يعدلا جزءاً من عاداتها وقيمهما لتتقابل مع قيم وعادات الآخر . أو بمعنى آخر تكون نتيجة التغيير أو التعديل النهائية قيام اتفاق بين أداء الدور وتوقعاته .

وجدير بالملاحظة ان ما ذكرناه ليس هو نمط التوافق الوحيد ، فهناك نمط آخر ، ذلك أنه في بعض الحالات يستطيع الزوجان أن يسلما بالتباين والتفاوت بين أداء الدور كما يحدث في الواقع وبين توقعاته أو بين المعايير التي يكون التغير فيها صعبا أو غير ممكن على الإطلاق . وعند ذلك يكون على الشريك ان يحترم وضع الآخر ويسلم به دون الموافقة عليه أو التوافق معه ويطلق على هذا النمط « الموافقة على عدم الاتفاق» Agreeingof Disagree[1] إلا أن هذا لا يعتبر توافقاً بالمعنى السابق كما أنه لا يحدث في جميع مراحل الزواج ، بل إنه يحدث في مرحلة متأخرة منه حين يصبح التوافق بالمعنى الاول غير ممكن ويصبح الخضوع للأمر الواقع أمرا لا مفر منه .

وعموما فإنه من الخطأ ان نستدل من المظهر الخارجي والسلوك العام للزوجين كمؤشر على التوافق الكامل بينهما ، لأن التوافق الكامل لا يمكن حدوثه إلا إذا صاحب التغير في السلوك حالة عقلية « تقبل وتدعم هذا التغير » وعلى ذلك ، إذا غير الزوج طريقة أدائه لدوره ليقابل توقعات زوجته علانية ، فإن التوافق يحدث بشكل ظاهر أو ملموس ، ولكنه قد يكون مستاءا او مغتاظا وهو يفعل ذلك . ويمكن ان يوجه هذا الإستياء أو الغيظ إلى مجالات أخرى غير تلك التي حدث فيها التوافق .

ومن دراسة لعدد من الحالات تبين أنه يمكن أن يوجد اتفاق وتعايش بين الزوجين دون وجود توافق ، فالإعتداء على التوقعات ينتج غالبا من الشعور بعدم

---

(1) W . C . Dyer , « Analysing Marital Adjustment using Role Theory » Marriage and Family Living , Vol 24 . 1962 , pp . 371 - 375 .

الانسجام والخلافات او النزاع بين الزوجين إلا أنه في أوقات الحنان المتبادل والاعتذار عن الافعال الماضية ، يمكن أن يعتذر الزوجان كل منهما للآخر ويطلب مغفرته . وهذا يعود بهما إلى العلاقات المتناسقة ولكن بمجرد وقوع أي اضطراب في التوقعات أو السلوك فإن الخلاف يعود مرة أخرى .

هـ. صراع الدور والتوافق

إن أساس مشكلة صراع الدور هو حالة التناقض التي يتميز بها ، وذلك لأن نفس الإستجابة قد تحمل في طياتها الثواب والعقاب . فمثلا الزوجة شديدة التدين التي تستجيب لتوقعات زوجها بالذهاب معه للنزهة في أماكن تحول بينها وبين القيام بشعائر الدين يمكن ان تنتهك توقعاتها وتوقعات الآخرين . وإذن تحمل الإستجابة لتوقعات الزوج في طياتها العقاب والثواب . والثواب هنا من الزوج والعقاب من نفسها ، من خلال شعورها بالتحريم الذاتي نتيجة لإنتهاكها لدورها الآخر .

وقد يجد احد الزوجين نفسه في صراع نتيجة لإختلاف التوقعات عن الدور الذي يجب ان ينهض به . فالزوجة الشابة يمكن ان تكتشف ان توقعات زوجها تختلف عن توقعات امها وحماتها عن كيفية أداء دورها كزوجة . وفي حالة توافق الزوجة مع توقعات الزوج فإنها بذلك تخالف توقعات الآخرين . ويبدو ان هذا النوع من الصراع يستعصى على الحل.وخاصة إذا كان كل فرد يشعر ان توقعاته هي الصحيحة وفي بعض الأحيان يشعر الفرد بأنه في حاجة إلى أداء دوره بطريقة معينة ترضيه هو شخصيا بغض النظر عن متطلبات الآخرين .

ومع أن هذا الفعل الأخير يقلل إلى حد كبير من الصراعات الداخلية ، إلا أنه لا يستطيع استبعاد الضغوط الخارجية بصفة نهائية .

هكذا يبدو واضحا أن ما سبق ليس تخطيطا منطقيا لإمكانيات التوافق بين وجهات نظر معينة ، فهو لم يتناول الديناميات النفسية الإجتماعية المتضمنة في العملية الصعبة لتغير الاتجاه أو السلوك . إذ لا يمكن أن نفترض أن أي توقعات تصلح ان تكون مسألة نفسية بحتة . فقد سبق أن أشرنا إلى أن كل صراع يكون نتيجة لسلوك فرد معين لا يتفق مع توقعات الآخر . إلا أن الصراع يكون صعبا

للغاية ، ذلك لأن تغيير سلوك شخص معين أو تغيير توقعاته يتطلب توافقات شخصية .وهذا أمر تكتنفه صعوبات بالغة ، وهذا بالإضافة إلى أن مستوى نضج الشخص يكون عاملا هاما يحدد مقدرته على تحقيق التوافقات . المخطط السابق لم يبين كذلك أي أنماط الصراع أكثر حدوثا ، ولا أي أنماط التوافق أكثر سهولة ، ومع ذلك فإننا نستطيع أن نقول ، إن التغير في توقعات الدور يكون أكثر سهولة من التغير في السلوك . كما يجب ان يوضع في الاعتبار أنه توجد وسائل أخرى ممكنة لخفض الصراع في المواقف الزواجية دون الحاجة الى التوافق الفعلي بالمعنى الذي أشرنا إليه ، ذلك حين يكون بإمكان الزوجين القيام ببعض التغييرات في المعايير والأدوار أو التوقعات . فإذا كان الصراع يقع بين الزوجين نتيجة لقضاء الزوج وقتا طويلا مع أصدقائه في الخارج (وهذا سلوك يختلف مع توقعات الزوجة) فإن تغيير منطقة السكن قد تكون طريقة فعالة للحيلولة دون لقاء الزوج بأصدقائه ، لأن هناك احتمالا نتيجة لتغير الموقف المسبب للصراع ان يقضي الزوج أكثر وقته مع زوجته . ولكن إذا لم يتمكن الزوج من التوافق مع زوجته في ضوء الظروف الجديدة فمن الممكن أن يصنع مجموعة جديدة من الأصدقاء . وليس هناك شك ان الموقف الزواجي يكون عرضة للتغير نتيجة لأفعال معينة مثل : التنقل ، تغيير الأعمال ، وإنجاب طفل ، والكوارث العائلية . . الخ ، وفي هذا الصدد يميل عدد كبير من دارسي الأسرة الى القول بأن المواقف المتغيرة يمكنها ان تستبعد الصراع ، وقد تؤدي الى حدوث التوافق بين الزوجين .

التغيرات التفاعلية المصاحبة لامتداد الزواج

يرى كثير من الباحثين ان التوافق الزواجي يميل إلى التغير خلال دورة الحياة ، وهذا الرأي يتناقض مع الآراء السابقة التي تفترض ان مفاتيح النجاح الزواجي تتركز في الاستعداد الشخصي والانسجام في الاختيار الزواجي والتوافق المبكر .

وبناء على الاتجاه الأول ، فإن إعادة تعريف الأدوار الزوجية تصبح مطلبا ملحا إذا أراد الزوجان الإبقاء على علاقة مرضية بينهما في ضوء تجربتهم الجديدة . إلا أن

---

(1) Dyer , Ibid p : 256 .

التوافق الزواجي الذي يتغير بامتداد الزواج لا يكون في العادة متعمدا أو مدركا من الزوجين ، « فالناس يفاجئون أحيانا عندما يدركون التغيرات التي حدثت لعلاقاتهم الزوجية خلال الزمن ، فهم يتوافقون مع بعضهم البعض دون ان يشعروا بهذه الحقيقة »[١] .

وقد بينت الدراسات أن امتداد الزواج تصاحبه زيادة في نظرة عدم الرضا المتكامل عند كل من الزوجين . ويبدو أن الأشخاص السعداء في زواجهم ينظرون الى شركائهم بشكل أقل اعجابا بمرور الوقت ، في الوقت الذي ينظر فيه غير السعداء الى شركائهم أنهم أصبحوا غير مرغوب فيهم على الاطلاق .

وتقل بمرور الوقت ايضا جاذبية العلاقة الرومانتيكية في الزواج . ففي دراسة أجراها « بينو » تبين ان الرجال يتمكنون في السنوات المبكرة للزواج من التحرر من هذه الجاذبية أو هذا الوهم أكثر من النساء ويعيشون الواقع ، وربما كان ذلك من بين الاسباب التي تخلق التباين بين الرجال والنساء مما يجعل من التوافق بينهما مشكلة الى حد كبير نظرا لاختلاف وجهات نظرهما نحو موضوعات بعينها[٢] .

وهناك اختلافات أخرى في اتجاهات وميول وآراء الازواج والزوجات تؤثر إلى حد كبير في درجة التوافق الزواجي ، وقد تبين من أحدى الدراسات التي أجريت في مجال التوافق ان النساء أكثر ميلا إلى التوافق في الزواج من الرجال ، ونتيجة لذلك تكون الزوجة اكثر حرصا وانتباها ويقظة في إنجاز متطلبات زوجها وتحقيق رغباته ، وربما كان ذلك هو الذي دعا بعض الدارسين إلى القول بأن التوافق في الزواج يكون أسهل عند الرجال لأن توقعاته بالنسبة له تكون أقل[٣].

ويظهر اختلاف آخر عندما يمتد عمر الزواج ، وخاصة عندما تدعو الحاجة إلى

---

(1) Jessie Bernard, « The Adjustments of Married Mates » in Harold T. Chrestensen (ed.), Handbook of Marriage and the Family. Rand McNally and Co,, Chicago, 1944, p 80.

(2) Peter C. Pineo, « Disenchantment in the later Years of Marriage », Marriage and Family Living, February 1961, p. 10.

(3) Nick Stinnett, Janet Collins, and James E. Montogomery, « Marital Need Satisfaction of Older Husbands and Wives », Journal of Marriage and Family, August, 1970, p. 432.

معالجة النزاع أو الخلاف بين الزوجين ، فالملاحظ ان الأزواج يتبعون سياسة « التريث » في الرد عندما تقوم زوجاتهم بأفعال تتعارض مع توقعاتهم وعلى العكس من ذلك تبين ان الزوجات يقابلن انتهاك توقعاتهن بالثورة أو بالثرثرة (توسيع نطاق الموضوع كلاميا) أو برد الفعل السلبي .

هذا وتتناقص مع مرور الوقت كذلك درجة المثالية الرومانتيكية التي كانت تسبق الزواج ، وتبدأ في الظهور قيم جديدة تحل محلها ، فالتجربة المشتركة بين الزوجين تمدهما برباط قوي ، فضلا عن أنهما يستمدان الاشباع من المواقف التي تعترضهما والتي يستطيعان حلها معا ، أي أنهما يستطيعان خلق عالم خاص يجمعهما فيتبادلان من خلاله الأخذ والعطاء . ولهذا تؤدي مشاركة الازواج زوجاتهم في مواجهة المتاعب ومعالجة المشاكل يمكن إن تؤدي إلى إيجاد رابطة وثيقة بينهما تمكنهما من تبادل المشورة والمساعدة وكسب الرضى عندما يتم لهما حل مشاكلهما بنجاح .

وغني عن البيان أنه إذا أريد للعلاقة الزوجية ان تحقق الشعور بالأمن وأن تتوصل إلى استمرار الإشباع فإن أنماط السلوك في المرحلة الرومانتيكية تكون غير ملائمة ، فالزوجة التي تنزعج أو تشعر بالقلق لأن زوجها لم يعد يقدم لها زهورا كما كان يفعل من قبل لأنها تريد التمسك بالرمز المرتبط بفترة الحب الرومانتيكي ، أو أنها تريد الزهور كعلامة وحيدة على حب زوجها ، فإن هذا يؤكد أنها لا تشعر بأي دليل آخر على حبه لها . ومن المعروف أنه بمرور الوقت يتغير الزوجان خلال مراحل حياتهما المشتركة ، فتتعرض اهمية الزواج والأسرة تبعا لذلك لتغيرات عديدة ، ومن بين ذلك أن معرفتهما أحدهما للآخر تزداد عمقا الأمر الذي يجعل من التوقعات المتبادلة شيئا ليس جديدا ولا مثيرا .

وهناك مؤشرات عديدة أخرى تؤكد أن الأزواج يكونون أقل انغماساً في الزواج من الزوجات . ويظهر هذا الاختلاف بوضوح في معظم مراحل دورة الحياة الزوجية . ويختلف التقييم الموضوعي للاشباع الزواجي بشكل بسيط للغاية خلال أطوار الانجاب وتربية الأطفال بالنسبة للذكر ، أما الزوجات فإنهن يواجهن نقصا في الاشباع الزواجي العام ونسبة عالية من المشاعر السلبية خلال هذه الأطوار نفسها .

ومن المتوقع أن تستمر هذه الاحاسيس حتى المرحلة التي يتهيأ فيها الأبناء لمغادرة المنزل . إلا أنه يلاحظ ان الزوجان يشعران بعد انتهاء جميع مراحل تربية الأطفال بزيادة حقيقية وجوهرية في الاشباع الزواجي خلال مراحل الاستيداع أو المعاش[1] .

ولكين يبدو أن مرور الوقت يؤدي إلى نمو اتجاهات جديدة نحو الزواج ، ذلك أن معدلات السعادة الحقيقية عند عدد كبير من الأزواج تتناقص كلما تقدمت بهم السن وامتد عمر الزواج ، حيث يرى معظم هؤلاء ان السعادة الحقيقية كانت في سنوات الزواج المبكرة ، تلك السنوات التي حدثت فيها معظم مشاكل التوافق الزواجي . وفي هذا الصدد يرى جارين Gurin ان مشاعر عدم التلاؤم والمشاكل الأخرى تتناقص بتقدم السن ، وقد يتوهم البعض أنه بمرور الوقت يزيد التوافق مع شريك الزواج ، وترد جيسي برنارد على هذا الرأي بقولها « إن العلاقة الزواجية التي تتكون مع تقدم السن يمكن ان تكون مؤشرا على الاستسلام وليس على السعادة[2] . أن مرور سنوات من التفاعل الزواجي الذي قد يؤدي إلى التآلف بين الزوجين يمكن ان يحيل العلاقات الزواجية إلى نمط روتيني ويكون من السهل التنبؤ بأبعادها ونتائجها .

ونظرا للأهمية العظمى التي توليها المرأة للزواج ، فإن تأثرها به يكون كبيرا مهما بلغ امتداده . وعندما تصل المرأة إلى أواخر الاربعينات فإنها تتعرض لتغيرات جذرية ، وخاصة عندما يكبر الأبناء ويغادرون المنزل ، وتتضح هذه التغيرات أكثر ما تتضح عند النساء اللائي وهبن حياتهن لأطفالهن حيث يواجهن صعوبة كبيرة في التوافق ، ويضاف إلى ذلك بوجه عام ان المرأة في تلك السن تصل الى سن اليأس مع ما يصحبه من نقص في الهرمونات مما يؤدي إلى تغيرات فيزيقية ووظيفية . إن التأثير النفسي المصاحب لسن اليأس يكون قويا للغاية لأنه ينهي بعنف ما تعتقد كثير من النساء أنه أهم الوظائف الا وهو القدرة على الانجاب .

---

(1) Boyd , C . Rollins and Harold Feldman , « Marital Satisfaction Over the Family life Cycle » Jaurnal of Marriage and the Family . February , 1970 , pp . 26 27 .

(2) Bernard , op . cit . p . 732 .

الفصل التاسع
آبــاء وأبنــاء

مقدمة

يرتكز النسق الأبوي The parental system «بصفة مبدئية» على المراكز المترابطة للآباء والأبناء . فمن المعروف ان جميع المجتمعات تضع قيودا معينة وتحديدات معيارية عن السلوك الملائم والسوك غير الملائم فيها ، كما تصطلح على سلسلة من توقعات الدور تتفق مع مكانات الأب والإبن . وتنظر إلى بعض معايير الأب والإبن باعتبارها عالمية لأنها توجد في جميع المجتمعات بلا استثناء ، وهذا يعني أن بعضها الآخر مقصور نسبيا على مجتمع معين أو ثقافة فرعية معينة . ومثال ذلك أنه لا يوجد أي مجتمع معروف يضع المسئولية الأولى لتربية الأطفال على عاتق الرجال كما أنه لا يوجد مجتمع معروف يسيطر فيه الأبناء الصغار على آبائهم . ومع ذلك فإنه توجد اختلافات واسعة بين المجتمعات من حيث مناهج تربية الطفل ، وعدد الأطفال ، وسن الفطام . . . الخ . اي أنه في كل مجتمع تكون علاقة الآباء بالأبناء منمطة ومنسقة وتتكرر بصفة دورية . وتعمل هذه الأنماط كما هو متوقع من خلال محيط اجتماعي معين ، وإذن « فالأبوية» Parenthood لا يمكن تقييمها بعيداً عن المجتمع الذي يكون موضع الدراسة ، وهو الأمر الذي يؤدي إلى اكتشاف التباين في الأدوار الأبوية والسلوك نتيجة لإختلاف المستويات الاجتماعية والاقتصادية ، والثقافة الفرعية التي تنتمي إليها الأسرة .

مرحلة الانتقال إلى الأبوية

ماذا يعني قولنا «مرحلةالانتقال إلى الأبوية» The Transition to Parenthood. إننا نعني ، فترة التحول النفسي وإعادة ترتيب الأدوار للتحرك برفق من حالة زواج بلا أبناء إلى حالة زواج مع أبناء ، أي تكوين أسرة ، أي التحول من مجرد الحياة كأزواج إلى الحياة كأزواج وآباء وأمهات في نفس الوقت . ولكن ما هو أثر الشعور او هذا التحول على الشخص البالغ ؟ وما هي الطرق التي يتغير وفقا لها الآباء وخاصة الأمهات نتيجة لتجربتهم الأبوية ؟ ولقد كانت الإجابة على هذه التساؤلات نقطة البدء في اهتمام«أليس روسي Alice Rossi عند تحليلها للدور الأبوي Parental Role

إن التركيز الأساسي عند روسي ، على عكس ، ما كان سائدا عند دراسة علاقات الأبناء بالآباء ، كان على الأب أكثر من الطفل . وقد مهد السبيل لهذا المنظور الجديد تطورات عديدة في العلوم السلوكية ، وخاصة تلك الفكرة القائلة بأن الشخصية هي ظاهرة تتغير باستمرار ، أي انها ليست ثابتة ، لأن الأفراد يتغيرون طوال حياتهم تبعا للتجارب التي يمرون بها ، وخاصة تلك التجربة التي سيصبحون عن طريقها آباء .

وتسلك روسي مدخلا مقارنا عند مناقشتها وطأة الأبوة ، وذلك عن طريق تساؤلها عن الطرق البنائية الأساسية التي تختلف الأدوار الأبوية فيها عن الأدوار الأولية الأخرى للبالغين مثل الأدوار الزوجية او المهنية ، وهي في ذلك تركز على أربعة مظاهر فريدة وجادة في هذا الدور الأبوي :

اولا : ان هناك بالنسبة للنساء ما يعرف بالضغط الثقافي من أجل استيعاب الدور في الوقت الذي تكون فيه للرجال حرية ليست كبيرة من الاختيار . وخاصة إذا اتصل هذا الاختيار بالعمل ، ذلك أن الضغط الثقافي بالنسبة للمرأة الشابة يتمثل في النظر الى الأمومة على انها مسألة هامة من أجل تحقيق فرديتها وضمان مركزها كأنثى بالغة . وجدير بالذكر ان هذا الضغط الثقافي ربما تضاءل في هذه الأيام بسبب الانخفاض المستمر في معدل المواليد والرغبة في الوصول بالنمو السكاني إلى نقطة الصفر ، وكذلك إعطاء مزيد من الاهتمام بالعائلات أو الأسر ذات الطفلين فقط .

ثانيا : يبدو أن الدور الأبوي ليس دائما مسألة قرار طوعي أو اختياري ، فعلى خلاف الخطبة ، فإن الحمل يمكن ان يكون نتيجة غير مقصودة للفعل الجنسي الذي يمارس باعتباره مصدرا من مصادر اللذة أو السعادة لا باعتباره مؤديا إلى الإنجاب ، والحمل كذلك يختلف عن الخطبة في أن نهايته ليست مرتبطة بنوع من الجزاءات الاجتماعية . أي انه يتوقف على اجراءات معروفة في تقاليد المجتمع وقيمه .

ثالثا : والدور الأبوي فضلا عن ذلك مصير محتوم . فأن يكون لك طفل هو دائما وببساطة ان يكون لك طفل ! ذلك أنه من الممكن أن يكون للمره زوجات أو أزواج سابقين . كذلك يمكن ان يكون المرء قد عمل في مهن كثيرة قبل مهنته الحالية ، إلا أنه من المستحيل أن يكون له أطفال سابقين ، وما أن يخرج الطفل إلى الوجود فهناك احتمال ضئيل جدا في ألا يتحمل الأب أو الأم الدور الأبوي أو الأمومي إلا في الحالات النادرة التي يوضع الطفل فيها في ملجأ أو يتم التنازل عنه لتتبناه أسرة أخرى .

رابعا : يلاحظ ان هناك اهتماماً قليلاً في فترة ما قبل الولادة بالإعداد للدور الأبوي ، ذلك أنه من الملاحظ ان هناك مقاومة لهذا التحول ، كما أن هناك نقصاً واضحاً في التوجيه لبلوغ هذا الدور والقيام به بنجاح. وترجع روسي هذا إلى أن النظام التعليمي يهتم في كثير من فقراته بالتركيز على العلم والرياضيات ، وغير ذلك بينما لا توجه عناية تذكر إلى الموضوعات المتعلقة بالعلاقات الأسرية أو الجنسية أو تدبير المنزل أو رعاية الطفل ، وإذا قارنا فترة الحمل بفترة الخطبة التي تسبق الزواج فإن الخطيبين يسنح لهما كثير من الفرص للمشاركة في الخبرات الاجتماعية وربما بعض الخبرات الجنسية المبدئية الأمر الذي يعتبر إعدادا لزواجهما ، في الوقت الذي لا تحظى فيه فترة الحمل بنفس القدر من الخبرة للإعداد للدور الأبوي اللاحق ، الأمر الذي يؤثر بشكل أو بآخر على خصائص مرحلة البلوغ عندما يبلغها الطفل فيما بعد[1] .

تأثيرات الأسر الكبيرة أو الصغيرة

ليس هناك شك في أن عدد الأفراد في الجماعة يؤثر في تفاعل وسلوك الأعضاء

(1) Ibid , P. 35 .

فيها . ولهذا فإن الأسر ذات الطفل الواحد تختلف انماط حياتها عن الأسر التي ذات الطفلين أو الثلاثة أو الأربعة أطفال أو أكثر .

ومن المعروف أن الأسرة الكبيرة أو الصغيرة امر نسبي ، ففي بعض المجتمعات (وخاصة المتقدمة) تعتبر الأسرة التي لديها أربعة أطفال أو أكثر اسرة كبيرة Large Family، بينما تعتبر نفس الأسرة في مجتمعات اخرى اسرة صغيرة Small Family وبصرف النظر عن هذه المسائل النسبية فإن الأسرة الصغيرة ينظر اليها كذلك لسببين : أ ـ إذا كان الوالدان يريدان أسرة صغيرة ويستطيعان تحقيق ذلك ، ب ـ أو أنهما يريدان أسرة كبيرة ولكن ظروف معينة تحول دون ذلك ، وفي كلتا الحالتين لا توجد إمكانية لأطفال غير مرغوب فيهم . وبصورة عامة ، يكون الآباء في الأسر الصغيرة أكثر اهتماما وإيجابية مع كل طفل بعكس الحال في الأسر الكبيرة ، كما يعتبر الطفل الأخير في الأسرة الكبيرة غير مرغوب فيه عادة أو ليس موضع الحب الكافي بعكس الطفل الأول أو الثاني . والمشاكل الناشئة عن كثرة عدد الأطفال تدفع بكثير من الآباء إلى تحديد عدد أطفالهم وكذلك تحديد الفارق الزمني بين مولد كل طفل وآخر ، وترجع مقدرة الآباء حاليا على ذلك إلى استخدام الوسائل الحديثة لمنع الحمل أو اللجوء إلى الإجهاض في حالة عدم استخدام هذه الوسائل . وبالرغم من أن الأجهاض ممنوع شرعا وقانونا في معظم المجتمعات إلا ان الكثيرين ينادون بإباحته حرصا على راحة الأم وسعادة الأسرة .

إن التأثيرات المتعلقة بأثر حجم الأسرة على رفاهية وسعادة أعضائها والأطفال فيها بصفة خاصة متنوعة للغاية ، فاحتمالات زيادة المرض بما في ذلك سوء التغذية وزيادة معدلات الوفيات ، والإشباع الأقل ، والذكاء الأقل ، وزيادة أمراض الوالدين ترتبط بالأسرة الكبيرة . ومع أن حجم الأسرة ليس السبب الوحيد أو النهائي لهذه التأثيرات إلا أنه يعتبر من الأسباب الواضحة والرئيسية[1] ، وتشير هذه المعلومات إلى موقفين مختلفين :

---

(1) Joe D . Wray , « Population Pressure on Famiies : Family Size and Child Spacing » Report on Population Family Planníng , N . Y. The Population Council , 9 (August , 1971) P . 454 .

١ ـ موقف الآباء الذين يستطيعون تحديد حجم أسرهم ويختلفون بذلك نوعيا عن هؤلاء الذين لا يستطيعون . ويؤدي هذا الاختلاف إلى إنجاب عدد أصغر من الأطفال أكثر صحة وأشد ذكاء .

٢ ـ موقف الآباء الذين لا يستطيعون تحديد حجم أسرهم بينما تكون لديهم نفس امكانيات الذين يستطيعون ذلك ، ولكن نظرا لعدم معرفتهم بوسائل تحديد حجم الأسرة فإنهم يفشلون ، وتكون النتيجة إنجاب أطفال كثيرين يشكلون اسرة كبيرة الحجم ، وعندئذ يحتمل أن يتعرض الأطفال للأمراض وسوء التغذية كما يفشلون في الحصول على ما يحتاجون اليه من إمكانية النمو الجسماني والعقلي[١] . ويرى « راي » Wray أنه إذا كان هناك اهتمام برفاهية الأطفال ، وبضرورة توفير جميع السبل التي تكفل حصولهم على أفضل الإمكانيات فإن الهدف يصبح واضحا ، وهو أن نهيء كل التسهيلات للآباء الذين يريدون تحديد حجم أسرهم[٢] .

وقد قدم بوسار Bossard واليانور بول Boll دراسة مقارنة بين أنساق الأسر ذات الطفلين والأسر الكبيرة ذات الستة أطفال أو أكثر ، وقد تبين من نتائج هذه الدراسة مجموعة من الاختلافات بين النمطين نشير إليها فيما يلي :

تختلف طريقة ممارسة تربية الطفل بين النمطين من عدة أوجه ، فالأسر الكبيرة يسيطر عليها الأب ، بينما تسيطر على الأسر الصغيرة الأم ، وتختلف أنماط ممارسة السلطة فتقوم على العقاب الجسماني او التهديد به في الأسر الكبيرة التي يبدو عليها بعض مظاهر التفكك وتكون غير سعيدة في معظم الحالات .

---

(١) يلاحظ ان راي يهتم في المحل الأول بالأطفال من حيث رعايتهم عند التأكيد على ضرورة تحديد حجم الأسرة ، أي أنه ينظر إلى الموضوع من زاوية « صغرى » ولكن الأجدر أنه الى جانب ذلك لا بد أن ينظر إليه من زاوية « كبرى » وهي التحديد من أجل تمكين المجتمع ككل من مواجهة مشاكله الاقتصادية والاجتماعية التي تتفاقم بسبب زيادة معدلات النمو السكاني بشكل خطير ـ لأن نجاح المجتمع في مواجهة هذه المشاكل من خلال خطة قومية عامة لخفض حجم الأسرة بوجه عام سيؤدي إلى نفس النتيجة التي يريدها راي . ودون معالجات جزئية قد لا تفلح كثيرا .

(2) Ibid , p . 546 .

٢ ـ تكون الأسر الكبيرة في بعض الأحوال أكثر عرضة للتصدع والانهيار لأن معظمها يمر بأزمات اقتصادية ، وقد يتعرض بعض الأطفال فيها للأمراض او الحوادث الأليمة ، وجدير بالذكر انه مع ان معدل الطلاق منخفض في الأسر الكبيرة إلا أن نسبة الهجر او الموت الذي يصيب أحد الوالدين أو كليهما مرتفعة الى حد كبير .

٣ ـ تتضاءل اللهفة أو القلق على الأطفال كثيراً في الأسر الكبيرة اذا قورنت بالأسر الصغيرة . فالأم التي لديها عدد كبير من الأطفال تكتسب خبرات تعرف من خلالها أن كل الأطفال يمرون ببعض الصعاب او المشاكل ، وهذا شيء طبيعي ومؤقت ولا يدعو الى القلق او اللهفة . ولكن الأمر يكون على عكس ذلك في الأسر الصغيرة التي تكون خبرتها قليلة في هذه المجالات بسبب قلة الأطفال مما يدفعها للانزعاج الشديد بمجرد تعرض الطفل لأي حادث او مرض مهما كان بسيطاً .

٤ ـ يختلف إحساس ونظرة الأطفال في الأسر الكبيرة والصغيرة تماما من حيث مصادر الأمن . فالأطفال في الأسر الكبيرة يجدون الأمن في كثرة عدد الأشقاء الذين يشكلون جماعة متماسكة للدفاع عن النفس ، أو اللعب ، او حتى في التآمر ضد الآباء . اما اتجاهات الأطفال في الأسر الصغيرة فهي على العكس من ذلك تماماً ، حيث يستمدون أمنهم من آبائهم مباشرة .

٥ ـ تختلف مشاكل العلاقات بين الآباء والأبناء أيضا في هذين النوعين من الأسر . ويلاحظ أن أطفال الأسر الكبيرة يتحدثون عن الحرمان العاطفي ، لأن آباءهم ليس لديهم الوقت الكافي لإرضاء الجميع . أما الأطفال في الأسر الصغيرة فهم يشكون من كثافة العلاقات وتركيزها ومن المنافسة على العواطف ، والارتباط الشديد بالوالدين الذي قد يستمر سنوات طويلة .

وليس هناك شك في أن هذه الاختلافات بين الأسر الكبيرة والصغيرة تؤثر على الأطفال الذين يعيشون في ظلها ، فالتركيز في الأسرة الكبيرة يكون على الجماعة وليس على الفرد . بينما يحدث في الأسر الصغيرة ، حيث يحظى الطفل بكل أنواع العناية ,

إلا أنه يجب ان يوضع في الاعتبار ان حجم الأسرة ليس هو في حد ذاته الذي يخلق الانساق المختلفة لمعيشة الأسرة ، فإلى جانب الحجم توجد عوامل او عناصر الحياة والقيم الشخصية . فالأسر الكبيرة ترفع من درجة العلاقات المعقدة داخل الجماعة ، وربما تقف امامها المعوقات «. كما ان الحجم قد يؤثر في مقدار المدح والثناء المتاح لكل طفل ، إلا ان طبيعة التعقيد ، وأنماط المشاكل تختلف تبعاً لعوامل اخرى مثل جنس الأطفال (ذكور أو إناث) وكذلك المكانة الطبقية للوالدين . هذا ويمكن ان يصبح الآباء أكثر فعالية (على سبيل المثال) في تربية الذكور عندما تكون الأسرة كبيرة وتتضمن على الأقل ولداً واحداً . ويرى كثيرون أنه إذا نظرنا الى الأمر من منظور الطبقة الاجتماعية ، فإن اتجاه الضبط السلوكي الأبوي يمكن ان يرتبط بشدة بالحجم في أسر الطبقات المتوسطة بالنسبة للأبناء الذكور ، وبالنسبة للبنات في أسر الطبقات الدنيا . وعلى ذلك فإنه يمكن القول باختصار ان تأثيرات حجم الأسرة على السلوك الأبوي يرتبط بشدة بجنس الطفل وبطبقته الاجتماعية[1] .

التنشئة الاجتماعية وتفاعل الآباء والأبناء

نظراً للأهمية الشديدة للنسق الأبوي ، نعود الآن بعد أن ناقشنا بعض الأبعاد البنائية إلى موضوع التفاعل . وسوف يقوم تحليلنا على أساس المدخل الاجتماعي ـ النفسي ، الذي ينظر إلى التفاعل بين الآباء والأبناء ، ليس على انه شيء منعزل بل إنه يتم داخل النظام الاجتماعي الكبير ، ولهذا يكون نسق الأسرة هو المحيط المباشر الذي يحدث فيه التفاعل بين الآباء والأبناء ويطلق على المفهوم الرئيسي لهذا المدخل مصطلح التنشئة الاجتماعية Socialization .

١ ـ شروط التنشئة الاجتماعية

يؤكد كل من الكين Elkin وهاندل Handel على ضرورة وجود ثلاثة شروط أساسية للتوصل الى تنشئة إجتماعية ملائمة أو صحيحة[2].

---

(1) Glen H Elder , Charles E . Bowerman , « Family Structure and Child - Rearing Patterns , The Effect of Family Size and Sex Conposition , AmericanSociologicalReview 28 (December , 1968) p 901 .

(2) Frederick Elkin and Gerald Handel , « The Child and Society » The Process of Socialisation » N . Y , Random House , 1972 , p . 9 .

وينطوي الشرط الأول ، على ان الطفل حديث الولادة يدخل مجتمعا موجودا بالفعل Existing Society له قواعده ومعاييره وقيمه واتجاهاته ،وبه بناءات اجتماعية عديدة منتظمة ومنمطة ، ومع ذلك تتعرض للتغير باستمرار ، ولا يكون للطفل الوليد غير المهيأ اجتماعيا أي علم بهذه العمليات او البناءات أو التغيرات ، وتكون وظيفة انماط التفكير والشعور والعمل في مثل هذا المجتمع تحديد الوسائل والطرق التي يجب ان يمر فيها «القادم الجديد» New Comer ومن المعروف ان هذه الوسائل والطرق هي التي تشكل عملية (أو عمل) التنشئة الاجتماعية .

أما الشرط الثاني للتنشئة الاجتماعية الملائمة ، فهو الميراث البيولوجي Biological Inheritance الذي يسمح لعمليات التعلم بالحدوث . ذلك ان العقل والجهاز الهضمي ، والقلب النابض كلها متطلبات أساسية وضرورية من أجل التنشئة الاجتماعية . وبالرغم من اهمية هذه المتطلبات وحيويتها إلا أنها غير كافية لأن هناك عوامل معينة مثل إصابة العقل أو المخ أو الصمم ، وكذلك الطول الشديد أو القصر الشديد ، أو شكل الأنف والذقن ، ومجموعة كبيرة من الشروط الجسمانية قد تعوق او تؤثر في عمليات التفاعل والتنشئة الاجتماعية ، ويجب ان يكون واضحاً أنه على الرغم من أهمية الميراث البيولوجي في عمليات التعلم وضرورته ، إلا أنه لا يشكل جانبا جوهرياً في عملية التنشئة الاجتماعية المتكاملة ذلك لأنه من المعروف أن هناك احتياجات معينة مثل الشراب والنوم تكون أساسية من أجل البقاء ، ويمكن إشباعها بطرق مختلفة ، كما أن المزاج والذكاء بيولوجي في أساسه ، إلا أن نموهما وتطورهما واتجاهها يتأثران إلى حد كبير بالمجتمع الذي يولد فيه الطفل .

ويتمثل الشرط الثالث للتنشئة فيما يسمى « الطبيعة الانسانية » Human Nature وهي هنا تشير إلى عوامل معينة وعالمية بين البشر . أي أنها تميز البشر في حالة مقارنتهم بالحيوانات الأخرى . ويرى مدخل التفاعل الرمزي كما سبق أن أشرنا أن الطبيعة الانسانية تتضمن المقدرة على القيام بدور الآخرين وكذلك المقدرة على الشعور مثلهم ، أو عموما المقدرة على التعامل بالرموز Symbolice وهذا يعني إعطاء المعنى للأفكار المجردة ، ومعرفة الكلمات . والأصوات ، والإيماءات ، فالغمز بالعين مثلا ، والمصافحة باليد ، والإيماء بالرأس ، كل هذه أشياء يكون لها معنى تبعاً

لمقدرة الفرد على فهم ما ترمز اليه . وبصفة عامة نستطيع أن نقول إن هذه الأشياء طبيعية ، وينفرد بها البشر دون غيرهم من المخلوقات .

٢ ـ عمليات التنشئة الاجتماعية

عند معالجة التنشئة الاجتماعية ، فان أهمّ ما يعنينا ان نشير إلى العمليات التي يتعلم عن طريقها الطفل أو البالغ اساليب المجتمع أو الثقافة التي تعينه على أن ينمو ليتمكن من المشاركة في الحياة الاجتماعية في مجتمع بعينه .وقد طور الدارسون في هذا المجال عددا من النظريات الشاملة التي تصلح لتفسير الجوانب المختلفة لهذه العملية . وجدير بالذكر ان هناك عددا كبيرا من النظريات الشاملة أو الجزئية التي يمكن أن تصلح لتحليل هذه العمليات وسوف نختار ثلاثة منها نرى أن لها أهمية مباشرة تتفق مع ما نتوخاه في عرضنا هذا .

أ ـ نظرية التعلم السلوكية

تعتبر نظرية التعلم نظرية في التعزيز ، أو نظرية تفسير العلاقة بين المؤثر والاستجابة ، أو قد ينظر إليها بوجه عام على أنها نظرية سلوكية ، وبغض النظر عن إختلاف المسميات فإن هذه النظرية تزعم ان المفهومات والمبادىء التي تطبق على الحيوانات الدنيا قابلة للتطبيق على بني الإنسان ، وربما يكون هذا منطقيا حين ننفق جهدا ووقتا في التجريب المعملي مع الفئران والقطط والكلاب والقردة وأنواع أخرى من الحيوان من أجل أن نعرف المزيد عن الإنسان . إن التعليم او التنشئة الاجتماعية كما تطبق على الوليد الإنساني تتضمن تغيرات في السلوك تنشأ عن التجربة أو الخبرة . وهذا يتعارض بالطبع مع التغيرات في السلوك التي تنشأ عن النضج الفسيولوجي أو الظروف البيولوجية ، وهنا يجب ان نشير إلى تجربة بافلوف Pavlov الشهيرة عن الكلاب التي تصلح كمثل على ما يسمى بالتشريط الكلاسيكي ، والذي يعنينا هنا هو أن نشير إلى ان الطفل يربط بين الأصوات التي تصدر عن والديه أو بين ما يقدم له يوميا كغذاء أو تدليل وبين استجاباته لها عند صدور إشارة أو رمز أو صوت يدل على قرب حدوث مثل هذا السلوك منهما ، وعلى ذلك تكون التنشئة الاجتماعية من خلال هذا المفهوم نتيجة لتشريط المؤثر والاستجابة ونتيجة كذلك للتعزيز السلبي أو الإيجابي لها .

ويرى الدارسون في هذا الميدان أن أكثر هذه العمليات يمكن ملاحظتها في حالة الطفولة المبكرة عندما يستخدم الوالدان العقاب والثواب كأدوات أو كوسائل لتعليم الطفل الصور المفضلة للسلوك . وهنا يجب ان نقرر أنه كلما تقدم الأفراد في طريق النضج ، تصبح الجزاءات أكثر تعقيدا وتفقد في نفس الوقت الصور الأخرى للعقاب والثواب التي كانت صالحة في مرحلة سابقة قدرتها ، على كف السلوك غير الموافق عليه أو تشجيع السلوك المقبول أسريا أو اجتماعيا[1] .

ولست أريد أن أتوسع في هذا التحليل ، إلا انه من المناسب أن نقول إن هذا المدخل الآلي لعملية التنشئة الاجتماعية يتعرض لمزيد من الرفض من علماء الاجتماع الذين يرون ان الذات والأدوار والجماعات المرجعية والعمليات الرمزية تحتل جميعا اهمية محورية في فهم السلوك الانساني ، وعلى الرغم من أن نظرية التعلم القت أضواء قوية على الأبحاث التي تمت في مجالات الحيوانات والأطفال ، إلا أنها لم تكن موفقة في تفسير المواقف الاجتماعية والمعايير الجماعية أو حتى تفسير اكتساب اللغة وتعلمها في حد ذاتها ، لهذا فإن كثيرا من الدارسين في علم الاجتماع ؛ وهذا حق) ينظرون إلى أنه من قبيل تضييع الوقت والجهد محاولة تفسير سلوك الإنسان الاجتماعي الذي يستطيع ان يتعامل مع العمليات الرمزية والاستدلالية وان يشارك مع غيره في عدد كبير من المعاني المشتركة وما إلى ذلك ، عن طريق دراسة الأشكال او الأنواع اللاإنسانية ، إلا أن هذا لا يمنعنا من القول بأن السلوكية قد أضافت بشكل واضح إلى فهمنا للإنسان الذي لم يستطع ان يتعلم من خلال مشاركته للمعاني . أو فهم الطفل أو الإنسان المنعزل أو الشخص المتخلف عقلياً بصورة واضحة ، أو أبعد من ذلك ، ذلك الشخص الذي تعلم ولكنه فشل في متابعة تنمية المعاني التي حصلها وغير ذلك من الحالات التي تبدو عليها مظاهر الشيزوفرينيا Schizophrenia حيث تبقى الألفاظ إلا انها تكون مفرغة من المعاني المشتركة مع الآخرين .

---

(١) من اجل مزيد من المعلومات عن هذه النظرية ارجع الى :

B . F . Skinner , The Behavior of Organism : An Experimental Analysis , N . Y , Appleton - Century - Crofts , 1938 ,

وأيضا : John T Doby , « Introduction to Social Psychology» ,N . Y , Appleton Century - Crofts , _ 1968 .

ب ـ نظرية التحليل النفسي

تؤكد نظرية التحليل النفسي Psychoanalytic Theory التقليدية التي طورها كل من سيجموند فرويد Sigmund Freud وأتباعه أهمية الدوافع البيولوجية والعمليات اللاشعورية . وتتعارض هذه النظرية كما هو معروف تعارضا واضحا مع النظرية السلوكية التي أشرنا إليها ، لأن عملية التنشئة الاجتماعية بناء على هذا الإطار التصوري تتكون من عدد من مراحل النمو المحددة التي قد يسبق احدها الآخر ، ذلك لأن ما قد يحدث في هذه المراحل من الولادة حتى سن الخامسة أو السادسة يمكن أن يصبح دائما وثابتا نسبيا على الرغم من أنه قد يكون لاشعوريا .

هذا وتحل المرحلة الأولى من النمو (Oral)[1] خلال السنة الأولى من حياة الطفل حيث يكون الفم ممثلا للجذب الشبقي المبكر ،مما يترتب عليه ان يكون الطفل أشكالا من الارتباط الانفعالي القوي مع أمه التي تكون بالنسبة إليه مصدر الغذاء والدفء والرضاعة ، وهنا يكون الطفل في هذه السنة الأولى نرجسيا لأنه يستمد إشباعه أو تحقيقه لذاته خلال مصدر داني Oral وعلى الاخص الفم .

وتأتي بعد تلك المرحلة الفمية ما يسمى بالمرحلة الشرجية التي تتداخل معها ، وهذه التسمية تعود إلى أن الطفل يحصل على خبراته في اللذة من خلال التبرز ، وكذلك بسبب أن تدريبه على التبول أو الإخراج يصبح مشكلة كبرى . ويقول علماء النفس إنه عندما يصل الطفل إلى هذه المرحلة يواجه بوظيفتين اساسيتين هما الإبقاء (حبس البول والبراز) أو الإخراج (إخراج البول أو البراز) ولهذا طالما أن الأم تكون حتى في هذه المرحلة لا زالت الشخصية المسيطرة ، فإن أساليبها في تدريب الطفل واتجاهاتها بشأن هذه المسائل مثل التبرز والنظافة والسيطرة على النوازع البيولوجية يكون لها تأثير بالغ في نموه ، وخاصة من خلال ما تعوده عليه في مجال عمليات ضبط الإخراج . ويذهب كثير من الدارسين إلى أن موقف الأم في هذه المرحلة يكون مسئولا عما يمكن أن يتحول إليه في المستقبل فيما يتصل بعادات النظافة أو التنظيم أو المسئولية أو قدرته على الخلق والإبداع أو إحداث تأثير مريح في الوسط

---

(1) Calvin S . Hall . « A Primer of Freudian Psychology » , N Y , The World Publishing Company , p 104 .

الذي يعيش فيه .

وتأتي بعد ذلك المرحلة الأخيرة ، والتي تسمى بالمرحلة القضيبية وهي تلك المرحلة من النمو التي ينشغل فيها الطفل بأعضائه التناسلية . ولكن قبل حلول هذه المرحلة يلاحظ علماء النفس التحليليون أن موضوع الحب الأساسي عند الولد والبنت يتركز حول الأم ، ولكن ما ان تحل تلك المرحلة ويتزايد الدافع الجنسي يتكثف حب الإبن لأمه مما يترتب عليه أن يشعر بالغيرة من أبيه الذي يتصوره منافسا له ، وتستمر نظرية التحليل النفسي في تشخيص أحوال نمو الذكر والأنثى على هذا التحول إلى الدرجة التي يزعم فيها أنصار هذا الاتجاه أنه تكمن في هذه المرحلة القضيبية جذور ما يمكن ان يسمى بسيادة الذكر وسلبية الأنثى واستسلاميتها أو تفوق الذكر وتبعية الأنثى . هذا ويعتقد المؤيدون لنظرية التحليل النفسي أن المراحل الثلاث الفمية والشرجية والقضيبية إذا نظر إليها معا يمكن أن تصلح لتفسير السنين الخمس أو الست الأولى من الحياة ، وهي السنوات الهامة التي تكون مسئولة عن تشكيل أنماط الشخصية والتي يصعب ان تتحول عنها بعد ذلك في مراحل النمو المختلفة .

ويعتقد علماء الاجتماع أن ادعاءات الفرويديين[١] فيما يتعلق بأهمية مراحل النمو الأولى في الطفولة بالنسبة لتوافق الشخصية فيما بعد لم تحظ من الناحية الإمبيريقية بأي تأييد يذكر ، لأن أكثر ما ذكره فرويد وأنصاره في هذا الصدد كان متعلقا بحالات مرضية لا يمكن أن نقيم دليلا على ما يحدث بالفعل بالنسبة للغالبية العظمى من أعضاء المجتمع الذين يحتمل الا يتعرضوا لظروف استثنائية يمكن أن توصلهم إلى مستوى تلك الحالات التي عكف فرويد وغيره ممن إقتنعوا بآرائه على دراستها .

حـ ـ نظرية التفاعل الرمزي

تتعارض هذه النظرية مع كل من نظريتي التحليل النفسي والتعلم ، وطبقا لمضمونها فإنه على الرغم من أهمية السنين الخمس الأولى ، فإن الشخصية لا تصبح

(1) Wolliam H . Sewall , « Infant Training and the Personality of the Child » The American Journal of Sociology . (September , 1952) , pp . 150 - 159 .

ثابتة ، كما ان عملية التنشئة الاجتماعية تستمر مدى الحياة ، كذلك فإنه إلى جانب أهمية الأم يكون الآباء والأجداد والمعلمون في نفس مستوى الأهمية للطفل والبالغ معا . وتثير هذه النظرية قضية أخرى ، هي أنه إلى جانب اهمية الحاجات الداخلية والدوافع باعتبارهما مصادر للطاقة ، فإن التفاعل مع الآخرين والتعريفات المستدمجة والمعاني التي تخلعها على العالم لا تقل أهمية ، فالمسألة هنا بالنسبة لنظرية التفاعل الرمزي ، أن العالم الخارجي بما فيه من أشخاص وأفكار ومعانى لا بد من أخذه في الاعتبار عند تفسير نمو الطفل أو في موجهات التنشئة الاجتماعية أو في تطور سمات الشخصية حتى مرحلة متأخرة من الحياة[1] .

إن أهمية السنين الأولى وما يرتبط بها أمر هام في حياة الطفل ، ولكن طبيعة العلاقات الاجتماعية مع الأم والآخرين تعتبر أكثر أهمية لأنها تؤثر على الصورة التي يأخذها الطفل عن نفسه . والدليل على ذلك أنه على الرغم من أن الأم تنهض بكل احتياجات الطفل وتسهر على رعايته فإن خبرات التنشئة الاجتماعية لأغلب الأطفال تتضمن تفاعلا مع الأعضاء الآخرين في الأسرة النواة وكذلك في الأسرة الممتدة ، وغنى عن البيان أن عملية التنشئة الاجتماعية تأخذ وقتا[2] ، فالطفل عند الولادة لا يكون اجتماعيا أو غير اجتماعي ، لكنه عن طريق التفاعل مع الآخرين تنمو اللغة وتستدمج المعاني ، ومن ثم تبدأ الذات الاجتماعية في الظهور . وفي هذه الحالة يمكن للأشخاص المهمين لنا أو الآخرين المهمين ان يقوموا بدور « موصلي النزعة الاجتماعية » لنا[3] . وفي ضوء هذا المنظور فإن التنشئة الاجتماعية والسلوك الذي يعتبر تعبيرا عن عملياتها لا يعتمد في كثير من نواحيه على الدوافع أو الحاجات او العمليات اللاشعورية أو الخصائص الفطرية أو البيولوجية ، وإنما يعتمد أكثر على العمليات التفاعلية وعلى المعاني المستدمجة للذات أو للآخرين .

(1) Elkin and Handle, op. cit, p. 37.

(2) Erik Erikson, Childhood and Society, N. Y, Norton, 1950,

(3) Alferd R. Lindesmith and Anselm L. Strauss, « Social Psychology », N. Y, Halt Rinehart and Winston, 1968, p. 236.

الطبقة الاجتماعية وعلاقات الآباء بالأبناء

تؤكد غالبية الأبحاث في مجال التنشئة الإجتماعية على وجود اختلافات رئيسية في أساليب ممارسة التنشئة الاجتماعية بين الجماعات ، تبعاً للمسئوليات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المختلفة . وهذه الاختلافات لا تكون فقط في مجال أساليب تربية الطفل ولكن ايضا في مناهج التأديب وفي طرق إظهار العواطف وفي طريقة ترتيب اللعب ، وفي الطرق التي تحدث بها الأمهات أطفالهن ، بالإضافة إلى طموحات الآباء بالنسبة لأبنائهم .

والإختلافات إذن كبيرة ومتعددة ولا يمكن حصرها ، إلا أن معظم الأبحاث المعاصرة تؤكد أن هذه المتغيرات لا تعمل بصورة مباشرة وإنما تؤدي إلى نمو الاختلافات القيمية التي تكون حافزا مباشراً للسلوك .

ولهذا نحاول هنا تفسير تأثيرات الطبقة الاجتماعية على علاقات الآباء بالأبناء[1] (من المنظور السوسيولوجي بالطبع) لأن كثيراً من الباحثين الذين سبق لهم دراسة المشكلة افتقدوا دائما هذا المنظور ، حيث كان تناولهم للمشكلة يركز على الناحية النفسية وليس على الناحية البنائية الاجتماعية ، وقصروا كذلك اهتماماتهم في دراسة بعض الأساليب الخاصة التي تستخدمها الأم في تربية الأطفال في أعمارهم المختلفة . وقد اكتشفوا ان الطبقة الاجتماعية تحدد الاتجاه الذي يجب ان تتجه اليه أساليب الآباء المستخدمة في التربية ، ولكن حالما يصلوا إلى المشكلة من هذه الزاوية فإن اهتمامهم بالطريقة لا يذهب خلف آثارها في هذه الناحية المحدودة جدا لعلاقات الآباء بالأبناء .

أما التحليل السوسيولوجي الحديث فإنه يتناول مشكلة الطبقة الاجتماعية وعلاقات الآباء بالأبناء كمثال لمشكلة أعم وأكبر لتأثيرات البناء الاجتماعي على السلوك . ويبدأ هذا المنظور بافتراض أن الطبقة الاجتماعية لا ترجع أهميتها لمجرد أنها تؤثر في المستوى التربوي أو المهني أو أي عدد آخر من المتغيرات المرتبطة بذلك ،

---

(1) M . L . Kohn , « Social Class and Parent - Child Relationships . An Interpretation , » American Journal of Sociology , Vol 68 , pp . 471 - 480 .

بل ترجع فائدتها لتأكيدها على الحقيقة القائلة بأن التفاعل المعقد لكل هذه المتغيرات مجتمعة يخلق ظروفا اساسية مختلفة للحياة في المستويات المختلفة للنظام الاجتماعي . وتختلف نظرة اعضاء الطبقات الاجتماعية المتباينة إلى الحياة استنادا إلى الاستمتاع أو المعاناة من الظروف المختلفة التي تمر بهم ، فتنشأ لديهم تصورات عديدة للحقيقة الاجتماعية وكذلك تمنيات ومخاوف مختلفة ، وأفكار متناقضة لما هو مرغوب فيه .

والنقطة الأخيرة لها أهمية خاصة بالنسبة لموضوعنا الحالي من حيث تصورات الناس لما هو مرغوب وخاصة تصوراتهم عن الخصائص والصفات التي تكون مرغوبة في الأطفال ، ويستطيع الفرد أن يتبين فعاليتها وآثارها في تربية الطفل . إذن التصورات عن « المرغوب » التي هي القيم Values [1] تصبح المفتاح الملائم لهذا التحليل والجسر بين الوضع في البناء الاجتماعي الكبير وسلوك الفرد وهدف التحليل يكون في هذه الحالة هو معرفة تأثيرات الوضع الطبقي الاجتماعي على القيم الأبوية وتأثيرات القيم بالتالي على السلوك .

ويختلف هذا المدخل عن التحليلات التي تركز على اختلافات الطبقة الاجتماعية في استخدام اساليب خاصة في التربية ، وبالتالي يكون من الضروري إعادة اختبار الصياغات المبكرة للمنظور الحالي . وهنا يجب الاجابة على ثلاثة اسئلة . ما هي الاختلافات التي توجد في القيم التي يتمسك بها أو يلتزم بها الآباء في الطبقات الاجتماعية المختلفة ؟ ما هي مميزات الحياة التي تتميز بها تلك الطبقات والتي عن طريقها يمكن تفسير سبب الاختلافات في قيمهم ؟ ما هي نتائج هذه الاختلافات في القيم على علاقات الآباء بالأبناء ؟

١ ـ الطبقة الاجتماعية

يمكن تعريف الطبقة الاجتماعية Social Class بأنها مجموعة من الأفراد يشغلون اوضاعا متشابهة في مجالات الهيبة والاعتبار . وعادة ما يؤخذ الوضع المهني كمرشد للطبقة التي ينتمي اليها الفرد . ويمكن تصنيف هذه الأوضاع الى اربعة :

---

(١) القيم مفهوم او تصور ظاهر أو كامن ، يميز فردا أو جماعة ويعتبر من المفضل أو المرغوب الذي يؤثر في عملية الاختيار بين نماذج المتاحة أو الوسائل أو أهداف العقل .

١ ـ الطبقة الدنيا وينتمي اليها العمال غير المهرة .
٢ ـ الطبقة العاملة وهي تشمل العمال المهرة ونصف المهرة .
٣ ـ الطبقة المتوسطة وينتمي اليها الموظفون والمهنيون .
٤ ـ طبقة الصفوة وهي تختلف عن الطبقة المتوسطة ، من حيث الثروة والانتماء العائلي

ومن الواضح أنه توجد اختلافات في القيم الأبوية داخل كل طبقة تسير بموازاة المكانة الاجتماعية . وأكثر من ذلك ، فان الطبقات الاجتماعية تكون متغيرة الخواص تبعا لعوامل أخرى تؤثر في قيم الوالدين مثل العقيدة الدينية .

وقد أجريت أبحاث[١] عديدة في مجال الثبات والتغير Stability and change كان من نتائجها ظهور تغيرات واضحة في أساليب تربية الطفل التي تستخدمها الطبقة المتوسطة وكذلك تغيرات واضحة في أساليب الطبقة العاملة . إلا أن هؤلاء يتخلفون عنهم عدة سنوات . ففي الوقت الذي كان فيه آباء الطبقة المتوسطة منذ خمسة وعشرين عاما أكثر تعقيدا وتزمتا عن آباء الطبقة العاملة ، فقد أصبحوا في الوقت الحاضر أكثر تحرراً منهم . كما أصبحت الهوة أو الفجوة بين الطبقات أضيق مما كانت عليه في الماضي .

ومن الواضح أن ربع القرن الأخير شاهد تغيرات كثيرة في مجال تربية الأطفال من نواح عديدة مثل : ايهما أفضل ، إرضاع الطفل من ثدي أمه أو عن طريق « الزجاجة » والألبان الصناعية المعدة خصيصاً للأطفال[٢] . هل من الضروري التقيد بمواعيد محددة للرضاعة ؟ هل يعاقب الطفل عن طريق الضرب ؟ ام تتبع وسائل أخرى لعقابه مثل العزل أو الخصام ؟ وعموما فقد أصبحت العلاقات بين

(1) Bronfenbreenner , U . « Socialization and Social Class Through Time and Space » in E . E . Macooly , T . M . Newcomb and E . L . Hartley (eds) . Readings in Social Psychology , Holt Rinehart . and Winston 1958 .

(٢) تبين من دراسات عديدة ان الرضاعة من ثدي الأم الى جانب انها صحية وتحمي الطفل من تناول البان قد تتعرض للتلوث ، فإن عملية الرضاعة ذاتها وقرب الطفل من جسم أمه وسماعه لضربات قلبها المنتظمة يكون لها أثرها الواضح من الناحية النفسية للطفل من حيث الطمأنينة والثقة بالنفس .

الآباء والأبناء في الوقت الحالي مشكلة ، (إلا انه في المجتمعات الثابتة لا يوجد تساؤ ل عن كيف يكون الفرد مسئولا عن أطفاله . فالقواعد المحددة للسلوك موجودة في العرف والتقاليد لأنها أصبحت متداخلة في العملية البطيئة للتعلم) فالأم الشابه لا تستطيع طلب النصح والمشورة من والدتها التي قد تكون مقيمة في منطقة بعيدة عنها ، أو لبعد درجة ثقافة كل منهما عن الأخرى . وفي معظم الحالات لا يعرف الآباء الطريق الذي سيتبعونه في تربية ابنائهم ، وخاصة عند ممارسة التربية لأول مرة .

وقد أكبر برونفنبرونر Bronfenbreener ان التغيرات في الأساليب التي يستخدمها آباء الطبقة المتوسطة تتوازى الى حد بعيد مع تلك التي يسلم بها الخبراء ، ونظراً لأن آباء الطبقة العاملة يكونون في العادة أقل تعليما فإنهم بالتالي أقل استجابة لوسائل الاتصال المختلفة . ويؤكد هذا العالم في بحثه ان آباء الطبقة المتوسطة يتبعون آراء الخبراء عند تربية اطفالهم . ولكن لماذا يفعلون ذلك لا يكفي هنا ان نفترض أن التفسير يكمن في ارتفاع درجة تعليمهم ، أو أنهم يكونون في العادة أكثر إقبالا على قراءة الكتب الخاصة بتربية الأطفال بعكس الحال في حالة آباء الطبقة العاملة الذين لا يهتمون باتباع نصائح الخبراء في تربية أطفالهم على الاطلاق .

فنحن نعلم من الدراسات العديدة لوسائل الاتصال بالجماهير ان الناس بوجه عام يبحثون عن إثبات أو برهان لمعتقداتهم وممارساتهم القائمة ويميلون إلى تجاهل ما يتعارض معها . ومن هذا يتأكد لنا أن آباء الطبقة المتوسطة لا يقتصرون على ما يقوله الخبراء بل أيضا يبحثون عن مصادر أخرى للتوجيه والنصح ، فهم يناقشون مسائل تربية الأطفال مع الأصدقاء والجيران ، كما يستشيرون الأطباء ويهتمون باجتماعات مجالس الآباء والمدرسين لمناقشة سلوك أطفالهم في المدرسة ومدى مقدرتهم على التحصيل العلمي ، وكيفية تعاملهم مع زملائهم ومدرسيهم . إن آباء الطبقة المتوسطة ينظرون لتربية الطفل باعتبارها مشكلة تحتاج للبحث والاهتمام بعكس الحال في آباء الطبقة العاملة . وهذا لا يمكن إرجاعه إلى الاختلاف في درجة التعليم فقط بل تمتد جذوره بعمق في ظروف الحياة لكل من الطبقتين الاجتماعيتين فكل جوانب حياة الطبقة العاملة (درجة التعليم وباختلاف مستوياتها ونوعياتها وطبيعة

أعمالهم وارتباطاتهم العائلية) تؤدي إلى استمرار مناهجههم المحافظة في التربية . وحتى لو كانت لديهم الرغبة في التغيير ، فان فرصتهم في ذلك تكون أقل من فرصة آباء الطبقة المتوسطة ، لأنهم لا يجدون كتابات الخبراء المناسبة والملائمة لرغباتهم ومستوياتهم التعليمية ، وأكثر من ذلك لأن معظم خبراء التربية يضعون نصائحهم لتتناسب مع قيم الطبقة المتوسطة .

٢ ـ قيم الآباء في الطبقتين المتوسطة والعاملة

إن الخصائص او الصفات المطلوبة في الأولاد أو البنات تعتبر من الموضوعات الرئيسية التي تقوم عليها تصورات الآباء . ولتفسير اختيارات الآباء القيمية يجب أن نضع في اعتبارنا ان هذه الاختيارات لا تعكس فقط اهدافهم بل أيضا الأهداف التي يكون الوصول اليها « مشكلة » بالنسبة لهم .

وقد ظهرت بعض الدراسات المعاصرة التي تهتم ببحث العلاقة بين الطبقة الاجتماعية والقيم الأبوية Parental Values ومن أهم هذه الدراسات دراسة أيفلين دوفال[١] Evelyn Duvall التي صورت القيم الأبوية عند الطبقة العاملة (والطبقة المتوسطة السفلى) بأنها تقليدية Traditional ذلك لأن اعضاءها يرغبون في أن يكون أطفالهم مرتبين ونظيفين وأن يطيعوا الكبار ويحترموهم ويبجلونهم . وعلى العكس من هذا التأكيد على كيفية سلوك الطفل في حد ذاته نجد أن قيم أباء الطبقة المتوسطة تكون أكثر تطورا إذ تكون لديهم رغبة شديدة في أن يصبح ابناؤهم تواقين لتلقي العلم ، ويحبون اباءهم . ويثقون بهم وأن يكونوا سعداء ، ومشاركين ومتعاونين وأخيرا ان يكونوا اصحاء .

إذن فالاختلاف بين الطبقتين يتركز في أن أباء الطبقة العاملة يريدون من الطفل يمتثل لمستويات مفروضة من الخارج بينها أباء الطبقة المتوسطة يكونون أكثر التصاقا بدينامياتهم الداخلية Internal Dynamics . فالأبناء في الطبقة العاملة يعلقون أهمية كبيرة على طاعة أوامر الأباء والامتثال المطلق لها أكثر مما يفعل أباء الطبقة المتوسطة .

---

(1) Evelyn M . Duvall , « Conceptions of Parenthood , » American Journal of Sociology , Vol . 52 , 1964 , pp . 193 - 203 .

كذلك ظهر من بحث أجراه كوهن Khon[1] أن قيم أباء الطبقة العاملة المتصلة بالطاعة والنظافة والترتيب والنظام اكثر وضوحا عنها في الطبقة المتوسطة ، حين تبين له أن قيم الأباء في الطبقة المتوسطة تتركز بصورة واضحة في : حب الاستطلاع ، السعادة ، التفكير والبحث . إلا أن ضبط النفس Self Control يبدو أكثر وضوحا عنه في الطبقة العاملة . وجدير بالذكر انه على الرغم من الاختلافات العديدة في القيم بين الطبقتين العاملة والمتوسطة ، فهناك قيم مشتركة مثل قيمة «الأمانة» التي تكون مرتفعة عند الطبقتين .

إن الاختلافات الطبقية في القيم الأبوية تحتاج إلى تفسير اكثر شمولا . فاعتناق أباء الطبقة المتوسطة لبعض القيم واعتناق أباء الطبقة العاملة لقيم أخرى مغايرة يرجع أساسا للاختلافات القائمة في ظروف حياة الطبقتين . ولذلك نرى أنه من الضروري أختبار العناصر الرئيسية للاختلافات الطبقية في ظروف الحياة لمعرفة ايها يمكن أن يسهم في هذا الميدان.

ومن المنطقي أن نبدأ بالاختلافات المهنية لأن أهمية ذلك لا ترجع فقط إلى تحديد الطبقات الاجتماعية في المجتمع الصناعي الحضري بل أيضا إلى تحديد ظروف حياة الناس . وهناك على الأقل ثلاثة مستويات تختلف فيها مهن الطبقة المتوسطة عن مهن الطبقة العاملة ، وهذه تتركز في الأمن Security وثبات الدخل Stability of income والهيبة الاجتماعية بوجه عام Social Prestige وتفسير ذلك يرجع إلى أن المهن السائدة في الطبقة المتوسطة قد تفرض نوعا من التلاعب بالعلاقات بين الأشخاص والافكار والرموز بينما تؤكد مهن الطبقة العاملة أكثر بالتعامل بالأشياء . وهذا في الوقت الذي تكون فيه مهن الطبقة المتوسطة موضوعا للتوجيه الذاتي ، وتكون مهن الطبقة العاملة موضوعا لمقاييس محددة وللاشراف المباشر . ومن جهة أخرى فان التقدم إلى الامام في مهن الطبقة المتوسطة يكون أكثر اعتمادا على الأفعال الشخصية بينما تعتمد مهن الطبقة العاملة أكثر على العمل الجمعي وخاصة في الصناعات المتحدة في نقابات .

---

(1) Kohn M. L, « Social Class and Parental Values », American Journal of Sociology, Vol. 64, 1959 P. 337 - 351.

والخلاصة أن مهن الطبقة المتوسطة تتطلب درجة عالية من التوجيه الذاتي بينما تتطلب مهن الطبقة العاملة اتباع نسق من القواعد الموضوعة عن طريق الأشخاص الذين تكون في يدهم السلطة أو مسئولية العمل بوجه عام ، فالعامل يقوم بعمله في حدود معينة لم يرسمها أو يصنع خطتها بنفسه ومن الواضح أن هذه الاختلافات بين وعي العمل توازي الاختلافات التي سبق أن أشرنا اليها بين الطبقتين الاجتماعيتين من ناحية الخصائص التي يرى الأباء ضرورة تواجدها في ابنائهم ولهذا يمكن ان تستنتج وجود تطابق بين المتطلبات الوظيفية والقيم الأبوية حيث يبدو أن تجارب الآباء المهنية تؤثر في تصوراتهم عن السلوك المرغوب فيه سواء بالنسبة للبالغين أو الأطفال .

هذا ومن أجل الوصول إلى تفسير أفضل للاختلافات الطبقية في القيم نرى أنه من الضروري أن ندرك أن هناك اختلافات في ظروف حياة الطبقتين تزيد من حدتها ، فالاختلافات التعليمية على سبيل المثال تكون محددا رئيسيا للمهنة ، ويمكن أن تسهم بفعالية في اختلاف القيم الابوية بين الطبقتين . وأكثر من ذلك فان الاختلافات في مستويات الدخل تسهم أيضا في الاختلافات الطبقية فيما يتصل بالقيم الأبوية . وأخيرا فان الأمن الاقتصادي لمعظم مهن الطبقة المتوسطة ومستوى الدخل الذي يحصلون عليه ، والمكانة التي يشغلونها ، تسمح للفرد بتركيز انتباهه على الجوانب الذاتية والتصورية كما أن ظروف حياة الطبقة المتوسطة تسمح وتتطلب في نفس الوقت درجة عالية من التوجيه الذاتي عن تلك الموجودة في الطبقة العاملة . ألا انه مع ذلك فثمة نقطة هامة يجب الاشارة اليها ، وهي أن التجارب المهنية لا يكون لها أهمية تذكر بالنسبة لقيم الأم وخاصة إذا كانت غير عاملة .

٣ ـ نتائج الاختلافات الطبقية في القيم الأبوية

ان التساؤل الذي يطرح نفسه هنا هو عن النتائج التي يمكن أن تؤدي اليها الاختلافات بين القيم الأبوية في الطبقتين المتوسطة والعاملة في الطرق التي يربون بها أطفالهم . وهناك عدد من الأبحاث التي تعرضت لهذا الموضوع وكان من نتائجها بوجه عام أنه في مسائل « التأديب » يميل الأباء في الطبقة العاملة إلى استخدام العقاب الجسماني،بينما يركن أباء الطبقة المتوسطة أكثر على التفكير ويلجأون اليه في

العقاب ، مثل التهديد بفقدان الحب[1] .

ومن المسائل الهامة في هذا المجال ، هي متى ولماذا يستخدم أسلوب أو أخر في التأديب ، لأن أباء الطبقة العاملة يلجأون إلى العقاب الجسماني عندما تظهر بوضوح مظاهر عدم الطاعة والعصيان من أبنائهم . فهم يعاقبون الأطفال بالضرب عندما يفسدون أثاث المنزل أو يكسرون شيئا أو يحدثون ضوضاء عالية غير محتملة ولكنهم يتجاهلون نفس الأفعال عندما لا تكون نتائجها بنفس العنف والشدة .

ومن الواضح أن رد فعل أباء الطبقة العاملة يتوقف بشكل مباشر على النتائج الواضحة وليس على القصد أو النية التي تنطوي عليها أفعال أطفالهم ، إن الشيء المهم هو الا ينتهك الطفل أو يخالف القواعد المرعية .وعلى العكس من ذلك نجد أن أباء الطبقة المتوسطة يهتمون اساسا بدوافع اطفالهم ومشاعرهم ، حيث يتركز الانتباه على الخلفيات التي تكمن وراء سلوك أطفالهم ، ومن هذا يتبين أن القيم الأبوية في كل من الطبقتين المتوسطة والعاملة تقود الأباء إلى رؤ ية أخطاء الأبناء بطريقة مختلفة تماما ، فالطفل الخاطيء من وجهة نظر أباء الطبقة العاملة قد لا يكون كذلك بالنسبة لأباء الطبقة المتوسطة .

هذا وتمتد نتائج الاختلافات الطبقية في القيم الأبوية وراء الاختلافات في الممارسات التأديبية ومن معرفة اتجاهات القيم بالنسبة للأطفال ، يمكن أن نستنتج أن أباء الطبقة المتوسطة يشعرون باللالتزام الكامل نحو إعالة أطفالهم . وذلك لحساسيتهم الشديدة نحو الدينامية الداخلية لأطفالهم . أما الطبقة العاملة فانها بتأكيدها المستمر على الامتثال للقواعد الخارجية ، فإن ذلك يؤ دي إلى تزايد التأكيد على الالتزام الأبوي في فرض هذه القيود .

وتقوم هذه النتيجة أساسا على دراسات علاقات الأم بالطفل في أسر الطبقتين المتوسطة والعاملة . فالاختلافات الطبقية في القيم الأبوية يكون لها نتائج بعيدة بالنسبة لدور الأب . في الوقت الذي يكون على الامهات في كل طبقة ان يساعدن

(1) Miler D . R . . and Swanson , G . E « The Changing American Parent : A : Study in the Detroit » Area , Wiley , 1958 . p . 424 .

ازواجهن في « لعب ادوارهم » في تنمية وتربية الطفل تبعا للخصائص القيمية لهذه الطبقة ، وجدير بالذكر أن الامهات في الطبقة المتوسطة يطلبن من أزواجهن أن يساعدوا ويشجعوا أطفالهم (وخاصة الذكور) حيث أن فكرة فرض القيود أو السيطرة لا تشغل لديهم سوى مكانة ثانوية . أما أمهات الطبقة العاملة فهن يطلبن من أزواجهن ان يكونوا أكثر حزما وتوجيها لأولادهم ، ولكن يلاحظ أن المساعدة والتشجيع لا يكون لها أهمية عالية بالنسبة لهن . ويتفق معظم الأباء في الطبقة المتوسطة مع زوجاتهم ، كما أنهم يلعبون دورا يتقارب مع ما تريد زوجاتهم ان يلعبوه . بينما لا يفعل ذلك الأباء في الطبقة العاملة .

والنتيجة النهائية لهذا كله ، وجود تقسيم مختلف للمستويات الابوية في كلا الطبقتين الاجتماعيتين لأنه قد تبين ان أدوار الام والأب في أسر الطبقة المتوسطة لا تتمايز عادة بشدة أو بصورة أساسية ، ولا يكون الاختلاف في هذه الحالة دالا من ناحية المسؤولية الخاصة التي يأخذها الأب على عاتقه لكي يعول ويساعد ويشجع أطفاله . أما في الطبقة العاملة فإن دوري الأب والأم يتمايزان بشدة . فبينما تنهض الأم في هذه الحالة بمسؤولية مساعدة وتشجيع أبنائها ، يتولى الأب مسئولية التوجيه والارشاد . أو بمعنى آخر تتحمل الأم مسئولية التنشئة والتربية ويتحمل الاب مسئولية الانفاق[1] .

وهكذا يتبين من نتائج الدراسات التي أجريت في مجال أثر الطبقة الاجتماعية على عملية التنشئة الاجتماعية مدى التقيد الذي يظهر عند محاولة معرفة تأثيرات البناء

---

(١) بالنظر إلى العلاقات بين الأباء والأبناء في الأسرة المصرية يبدو أن المعاملة التي تقوم على سيطرة الأباء وسلطتهم على الأبناء مرتفعة جدا في طبقة الفلاحين والطبقة العاملة بينما تنخفض إلى الحد الأدنى في الطبقة المتوسطة والعليا ، وفي هذا دلالة واضحة على مدى التغير الذي لحق بطريقة معاملة الأبناء : وقد تبين ان نسبة كبيرة من الأباء في الريف ما زالوا يعتقدون أن علاقتهم بأبنائهم وزوجاتهم أيضا لا بد ان تقوم على فرض السيطرة والتسلط وإصدار الأوامر وإلا فقد الأب والزوج مكانته في الأسرة والمجتمع ايضا . بينما تنخفض هذه النسبة إلى أقصى درجة في المناطق الحضرية نتيجة لتأثر الأسرة في تلك المناطق بالتغيرات الاجتماعية والايديولوجية والتكنولوجية التي تعرض لها المجتمع ككل .
وكنتيجة عامة تستطيع ان نقول أن الأسرة المصرية تسير نحول تقليل حجم الفوارق بين الجنسين في المعاملة ولا تفرق بين الذكر والأنثى في المعاملة لأن انجاب البنت أصبح لا يشكل عبئا على الأسرة كما ان الايديولوجيات القديمة مثل انجاب ولد ليحمل اسم الأسرة أو حتى لا تخرج ممتلكات الأسرة الى الغرباء لم يعد ينظر اليها في الوقت الحاضر نظرا للتغيرات العديدة التي تعرض لها المجتمع ككل .

الاجتماعي على السلوك ، وخاصة إذا تركز محور اهتمامنا حول معرفة اهمية الطبقات الاجتماعية بالنسبةلعلاقات الاباء بالأبناء . فقد اتضح أن مفهوم القيم Values ، استخدم كجسر رئيسي بين « الوضع الاجتماعي » و«السلوك» وأكد التحليل ان القيم الأبوية في الطبقة المتوسطة تختلف عنها في الطبقة العاملة ، وأن هذه الاختلافات متأصلة في اختلافات اساسية بين ظروف الحياة في كل من الطبقتين .
كما أن الاختلافات الأبوية بين الطبقتين يكون لها نتائج هامة بالنسبة لعلاقاتهم مع أطفالهم ، وينحصر النموذج التفسيري حينئذ في « الطبقة الاجتماعية » و « ظروف الحياة » و « القيم » و « السلوك » وعلى ذلك نخلص إلى أن مناهج تربية الطفل تعتبر جزءاً من النسق الاجتماعي المركب ، ولهذا إذا تغير أحد مظاهر النسق الهامة ، ولم تتغير تبعا لها الطرق المتبعة في التنشئة الاجتماعية للأطفال ، فإن الأسرة حينئذ يمكن ان تتعرض للتصدع والانهيار .

٤ ـ التنشئة الاجتماعية والنوع

وتعتبر التنشئة الاجتماعية من ناحية تخصيص أدوار للذكور وأخرى للاناث واحدة من أهم التجارب التعليمية للطفل الصغير . وقد عادت إلى الظهور مرة أخرى في السنوات الأخيرة أهمية دراسة أدوار الجنس Sex Roles التي تستند إلى القول بأن التنشئة الاجتماعية للجنسين وطبقاً لأدوار ثابتة إنما تحدث لتلبية وتحقيق احتياجات الفرد .

ومن المشكوك فيه أن الأطفال يتعلمون شيئا يذكر عن أدوار الجنس أو النوع في وقت مبكر جداً من حياتهم ، وخاصة قبل دخول المدرسة . وقد ثبت من إحدى الدراسات في هذا المجال أنه بمرور الوقت يدرك الأطفال والبنات في سن الرابعة أن الدور الأنثوي هو ـ تدبير شئون المنزل بينما يتجه دور الذكر إلى كسب الرزق[1] . وكثيرا ما تنسب المرأة (بخلاف أبيها) إلى زوجها أو ابنها الأول (أم فلان أو زوجة فلان) فالأنثى عموما وخاصة في المجتمعات الشرقية تكون نتاجا للتنشئة الاجتماعية التي تؤكد فيها التبعية ، فهي لا تتعود منذ الصغر على القيادة ولا على المسئولية ولا

(1) Ruth F. Hartley, « Children' s Concepts of Male and Femals Roles », Merrill Plamer Quarterly, 6 (1960) pp 83 - 91.

اتخاذ القرارات . وأكثر من هذا فهي تربى وتكيف عقليا خلال الطفولة والبلوغ على أن تظهر دائما الخضوع والطاعة وفقا لتعريف دور الأنثى التقليدي وهكذا فان التنشئة الاجتماعية القائمة على التبعية عند المرأة تعوق تحقيق الذات .

وفي المجتمعات الحديثة المعاصرة يلاحظ أن المستوى الأمثل لضبط العقاب أو المحبة أو العواطف الأبوية تكون منخفضة إلى حد ما بالنسبة للإناث عن الذكور وذلك تبعا لفكرة الرئاسة . واتجاه الإعتماد على النفس ، وهذا بالرغم من أنه لم يظهر حتى الآن أي دليل تجريبي يؤكد الإختلاف بين الذكور والإناث نتيجة لإختلافهم فسبولوجيا في المقدرة العقلية والإمكانات . وتمر التنشئة الإجتماعية لأدوار الجنس بنفس العمليات العامة للتنشئة الاجتماعية في التفاعل مع الآخرين . فمن خلال الأحاديث اليومية ومن الأفلام والكتب يتعلم الطفل نوع السلوك الذي يكون ملائما لكل جنس ، ويقول أحد الكتاب في تأييد ذلك « نحن نقذف بالطفل الذكر في الهواء وندربه على الألعاب العنيفة . بينما نتحدث بتودد ورفق مع الطفلة الأنثى ونلمسها برقة ، ونحن كذلك نختار الألوان المناسبة للنوع فهناك ألوان للذكور وأخرى للإناث ، وكذلك نختار اللعب لأطفالنا منذ ايامهم الأولى . ونحن نشجع الطاقة والنشاط الجسماني العنيف في أبنائنا بينما نشجع الفتاة على أن تكون هادئة ورقيقة في الكلام وفي السير وفي السلوك[١] .

وقد قامت لينور واتزمان Weitzman بدراسة عن نماذج دور البالغين تبين منها أن صورة النساء تكون عادة نمطية ومحدودة[٢] . مما يترتب عليه أن يصبحن سلبيات بينما يصبح الذكور إيجابيين ، فيسيطرون على الأنشطة الخارجية بينما تسيطر النساء على الأنشطة الداخلية . وفي داخل نطاق الأسرة تقوم النساء عادة بمعظم وظائف الخدمة ، ويقمن برعاية الرجال والأطفال على السواء ، وعندما يكون الرجال قادة

---

(1) Florence Howe «Sexual Stereotypes Start Early » Saturday Review (October, 1971) p 76.

(٢) استخرجت هذه البيانات من دراسة قامت بها واتزمان عن الكتب المصورة التي تقدم أو تطبع للاطفال في سن ما قبل المدرسة .

Lienore J. Weitzman, Deborah Eifler, Elizabeth Hokada and Catherine Ross, « Sex Roles Socialization in Picture Books for PreschoolChildren», American Journal of Sociology, 77 (May, 1972) pp. 1125 - 1150.

تتبعهم النساء ، وعندما ينقذ او يحرر الرجال الآخرين . وإن النساء يكن المنقذات أو المحررات.ومن النتائج التي توصلت إليها مجموعة من المؤلفات من دراستهن لبعض الكتب المصورة الخاصة بالأطفال ان النساء ليس لهن عمل أو مهنة في العادة فيما عدا الأمومة التي هي العمل الوحيدلهن .وتصور معظم القصص المرأة كأم أو زوجة ، وقد تلعب احيانا دور الجنية Fairy أو عروس البحر وربما أدى هذا القول بأن أدوار النساء محدودة للغاية . في الوقت الذي تكون فيه أدوار الرجال كثيرة متنوعة ، فهم ملوك أو تجار ، أو بناؤ ون وآلهة وصيادون ، أو رجال شرطة وآباء ، أو طهاة وقضاة ومزارعون الخ . . .

وترى المؤلفات ان تعريفات الدور الضيقة ليست هي فقط التي تعوق تماثل الطفل مع والده من نفس النوع (الإبن مع الأب والبنت مع الأم) ولكن التمييز الشديد أو التحديد لدور الجنس يمكن أن يكون له أثر سيء على نمو الشخصية الطبيعية للطفل . كما أنه يحبط أو يحد من إمكانيات النساء وانجازاتهن في مجالات ضيقة للغاية كإظهار الدلال والفتنة والقيام بالخدمات .

وأخيرا نود أن نشير إلى دراسة أجريت في جامعة واشنطن[1] عن العلاقة بين أنماط السلطة الأبوية وتوافقات للمراهقين حيث تبين أن الأبناء في الأسر التي تسودها العلاقات الديموقراطية[2] يكونون أقل قلقا وأقل رغبة في هجر منزل والديهم من هؤلاء الذين ينتمون إلى أسر غير ديموقراطية وهذا الطابع يميز عادة الأبناء في المناطق الريفية ، كما تبين أن نسبة كبيرة من الأولاد والبنات الذين تلقوا تربيتهم في أسر متسلطة يكرهون اسرهم ، وقد ينعكس كرههم هذا على المجتمع ايضا . أما الطفل الذي ربي في أسرة تسودها الديموقراطية فانه يكون أكثر استعدادا لإتخاذ قرارات لنفسه اتفاقا مع القيم التي تعلمها في أسرته .

وعموما فإن الآباء في العصر الحديث يحاولون الابتعاد عن توجيه النصح أو

---

(1) Nelson Lowry and Othrers , « Community , Structure and Change » N . Y . pp . 361 - 363

(٢) يقصد بالديموقراطية هنا منح مكانة متساوية لجميع أفراد الأسرة من حيث الحرية والمساواة النسبية وحق ابداء الرأي والمناقشة الحرة واستقلال الشخصية والمكانة المتساوية بين الاطفال دون تفرقة

الارشاد لابنائهم ، ولا يتدخلون كثيرا في شئونهم خصوصا فيما يتعلق بشؤون مسقبلهم . لقد كان الأبناء في الماضي يتقبلون كل ما يصدر عن آبائهم بطاعة كاملة مستندين في ذلك إلى التقليد المتوارث الذي يقضي بأخذ أقوال الآباء على أنها مسلمات لا تحتمل المراجعة . ويتم قبول ذلك بحكم الأبوة وكبر السن ووفرة ونضج التجارب ، أو ربما لمجرد ان حقوق الآباء على الابناء تقتضي اتخاذ هذا الموقف . لكن الذي كان يصلح لمواجهة تطورات الحياة وأوضاعها في الماضي اصبح لا يصلح بالمرة لمواجهة تطورات الحياة في العصر الحديث . ففى ظل الظروف الكاسحة السريعة التغير والتقلبات المتتابعة ظهر جيل جديد لا يحفل بالنظر إلى الوراء وإنما يتجه دائما إلى المستقبل بأقدام أكثر ثباتا وأقوى رسوخا وهو جيل عملي لا يقتنع إلا بتجاربه ومع ذلك فهم أكثر مثالية من جيل آبائهم ، وهذا هو وجه التناقض لأن العصر الحاضر هو عصر الواقعية المتعدد الابعاد الذي وصلت فيه المادية إلى اقصى حدود تعاظمها ، ولكن من الطبيعي ان يحدث رد فعل في الإتجاه المناقض إلى ما يسمى المثالية المطلقة .

ولعل هذا التحول الخطير هو الدافع إلى ظهور ما يسمى حاليا بفكرة التنشئة الإجتماعية للكبار وهي الفكرة التي تنادي بأن يعيد الكبار تنشئة أنفسهم الإجتماعية لكي يتوافقوا مع الظروف المجتمعية الجديدة . وخاصة أن الدراسات الحديثة في علم الاجتماع أكدت ان التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة لا تنقطع ، بل إن عمليات التنشئة الإجتماعية خلال سنوات النضج يجب ان تكون مطلبا اساسيا في المجتمعات الدينامية الحديثة ، إن الشخص يستوعب دوما اتجاهات جديدة نحو عمله ، أو نحو تربية أطفاله ، أو نحو معاملة زملائه وأصدقائه ، ومن هنا يكتسب صورة جديدة عن نفسه يستطيع خلالها استيعاب وفهم العالم المحيط به .

الفصل العاشر

أزمات الزواج

مقدمة

تختبر الزيجات والأسر خلال دورة الحياة . ولا توجد فترة في الحياة الزوجية خالية من إمكانية حدوث الأزمات (تفكك ثم إعادة تنظيم) فمن الممكن أن نطلق على فترة الأستعداد لإستقبال الطفل الأول للأسرة « أزمة » وكذلك الأمر عندما تكون مستويات الإرضاء أو الإشباع الزواجي منخفضة ، أو عندما تحدث صراعات الأدوار . . . الخ . ويشير كل ذلك إلى حادثة أو عملية تؤدي إلى نشوء ضغط أو صراع أو أزمة أو تفكك في الوحدة الزواجية والأسرية .

وإذا تتبعنا الرأي العام كما يتمثل في آراء رجال الدين والمدرسين والفلاسفة والقادة السياسيين والمعلقين وغيرهم فسوف نجد أن غالبيتهم ينهجون منهجا تشاؤميا تجاه الأسرة الحالية حيث يعتقدون أن سلطة الآباء قد انهارت وأن المحرمات الجنسية ضعفت إلى حد كبير ، وأن الأزواج غالبا ما يتمردون ويثورون على بعضهم البعض . . . الخ . وهذا يتعارض مع (ايام زمان) عندما كانت تحترم وتراعى المحرمات ، والأزواج أكثر تفاهما وتسامحا . ومن هذا يتبين ان كل جيل يتخذ من تجربته الخاصة معياراً يقيس عليه تجارب الآخرين ويحكم عليها .

وعموما فمن النادر ان تكون حياة الأسرة والزواج « كاملة » Perfect طوال دورة

حياتها ، لأن كثيرا من الأحداث التي تتعرض لها الأسرة ينبغي ان تؤدي إلى حدوث أزمات Crisis أو أنواع من التفكك ، يحتمل أن تتلوها فترات من التوافق وإعادة التنظيم ، ولهذا سنحاول فيما يلي استعراض بعض الضغوط الاجتماعية التي تمارس تأثيراتها على الأسرة .

الضغوط الاجتماعية على الأسرة

من الملاحظ أن الأسر التي لها نفس الكفاءة والمقدرة تستجيب بصورة مختلفة للأحداث المتشابهة ، ويرجع السر في اختلاف الاستجابة إلى ما يسمى « البعد المعنوي Meaning Dimension » الا أن تحول الحادث الضاغط إلى ازمة يتطلب فهما لمعنى مصطلح « الحادث Event » أو تعريفا له . وقد نتمكن من هذا الفهم من خلال استخدام الصيغة التالية :

أ ـ (الحادث) يتفاعل مع ب (وسائل مواجهة الأسرة للأزمة) يتفاعل مع ج (التعريف الذي تضعه الأسرة للحادث) ينتج (الأزمة)[1] وتنبعث الاحداث الناتجة من مصادر مختلفة من داخل نطاق الأسرة أو خارجها وبالتالي فإن النتائج تختلف تبعا لمصدرها . وهناك ـ مثلا ـ قاعدة اساسية في علم الاجتماع تؤكد أن أحداثا معينة خارج نطاق الجماعة قد تؤدي الى تماسكها مثل نشوب حرب أوحدوث فيضان . ولهذا فإن الأحداث الخارجية الضاغطة تشكل أزمة بالنسبة للأسرة والجماعة الا أنها تؤدي إلى تضامن أعضائها حتى يتمكنوا من التغلب عليها ، وبالمثل فإن هذه الأحداث الخارجية الضاغطة قد تؤدي إلى توحيد الأسرة وجعلها أكثر تماسكا أكثر مما تؤدي الى انهيارها . غير ان نفس الاحداث قد لا تكون ضاغطة بالنسبة لأفراد آخرين في نفس الموقف .

أما الأحداث الداخلية في الأسرة التي تعرف على أنها ضاغطة ، فتكون غالبا ناشئة عن اضطرابات تنعكس آثارها على كفاية الأسرة الداخلية[1] ، ويمكن تقديم

---

(1) Reuben Hill, «Social Stresses on the Family» Social Casework, 39 (February - March , 1953) , pp . 139 - 150 .
(2) Ibid , p . 112 .

أمثلة عديدة على هذه الأحداث مثل فقدان العائل ، والانهيار العقلي ، أو شرب الخمر . الخ . لكن حلقة الاحداث ، سواء داخل الأسرة ، أو خارجها التي تعوق حياة أعضاء الأسرة متعددة وهي لا تضمن فقط فقد الاشخاص ، أو العمل أو الدخل ، بل هناك أيضا أشياء أخرى مثل قدوم طفل جديد ، أو قدوم الحماة للمعيشة مع الأسرة ، فهذه قد تكون امورا معوقة مثل فقد أي منهم تماما . وكذلك قد تؤدي الشهرة أو الثروة المفاجئة الى نشوء الأزمة او التمزق مثل فقدها تماما . وعموما فإن كل تغير مفاجىء في مكانة الأسرة أو قيام صراع بين أعضاء الأسرة حول تصوراتهم لأدوارهم يمكن ان يؤدي إلى أزمة عائلية(١) .

وقد صنف هيل Hill أزمات الأسرة إلى ثلاث فئات هي التمزق أو فقدان الأعضاء Dismemberment والتكاثر أو الاضافة accasion والإنهيار الخلقي Demoralization ويعني هيل بالتمزق فقد أحد أعضاء الأسرة نتيجة ذهابه إلى الحرب ، أو دخول أحد الزوجين المستشفى ، أو موت أحد الوالدين . ويعني بالتكاثر أو الاضافة ضم عضو جديد للأسرة دون استعداد مسبق ، ومثال ذلك حمل غير مرغوب فيه ، أو زوج أم ، أو تبني طفل ، أو حضور احد الأجداد المسنين للاقامة مع الأسرة .

أما الانهيار الخلقي فإنه يشير إلى فقدان الوحدة الاسرية والاخلاقية ويقصد بها هيل ، فقد العائل ، أو الخيانة الزوجية ، أو إدمان الخمر أو المخدرات أو الانحراف ، وكل الأحداث التي تجلب الخزي والعار . هذا ويمكن أن تؤدي الاحداث المسببة للأزمة Crisis producing Events إلى نتائج عديدة مثل : الانتحار والطلاق والهجر والهروب ، والاصابة بأمراض عقلية . . . الخ .

ما هي اذن العوامل التي تؤدي إلى الخضوع للازمة ، وما هي العوامل التي تؤدي إلى التخلص منها أو التغلب عليها ؟ إن الاجابة على هذا السؤال تكمن في (ب) ، (ج) في الصيغة التي قدمناها آنفا . ونعني بذلك ، إلى أي مدى يكون في

(1) Hanest W , Burgess « The Family and SociologicalResearsh», Social Pommes 26 (1947) , pp . 1 - 6 .

إمكان الأسرة تحمل الحادث (العامل ب) وإلى أي مدى يمكن للاسرة تعريف الحدث كأزمة (العامل ج) هذا ويمكن أن تنطوي إمكانات مقابلة الازمة (العامل ب) على عوامل عديدة مثل تماسك الأسرة ، والمال ، والدخل ، والتأمين ، والاصدقاء ، والعقائد الدينية ، ودرجة التعليم ، والصحة السليمة وما شابه ذلك . وجدير بالذكر أن الأسرة التي تقابلها المشاكل هي غالبا تلك التي ليس لها الامكانات الملائمة لمواجهة الاحداث . والمضمون الذي تعرف على أساسه الأسرة الحادث كأزمة (العامل ح) يعكس نسق قيم الأسرة وخبرتها السابقة في اجتياز الازمات .

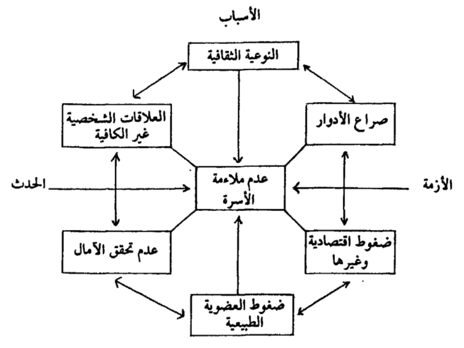
هذا ويوجد أحيانا سبب أولي يؤدي إلى خلق التوترات في المجالات الأخرى لحياة الأسرة فتصبح فريسة للصراع ، ومثال ذلك : ان التفاوت الثقافي بين الزوجين قد يؤدي إلى خلل في الاشباع الجنسي ، نتيجة لاختلاف أفكار كل منهما عن السلوك الجنسي ، وهذا يفضي إلى أن يشك كل منهما في الآخر ، وأن يظهر الخلل في نوعية التعاون القائمة بينهما ، مما يخلق أدواراً متصارعة في الأسرة ، يترتب عليها تصورات جديدة عن المسئولية في الاسرة . وهذا بالإضافة إلى أن تراكم هذه التواترات يضعف إلى حد كبير من العلاقات العاطفية بين الزوجين . ويقضي على تكامل الأسرة مما يجعلها غير قادرة على مواجهة أي انحراف مهما كان بسيطا بالقياس إلى وقع أنماط الحياة العادية ، وتكون النتيجة الطبيعية زيادة إحتمالات ظهور الازمات .

التوافق مع الأزمة

إن التوافق مع الأزمة التي تهدد الأسرة يعتمد أساسا على فعالية أداء أعضاء الأسرة لأدوارهم وعلى استجابة المجتمع . ويختلف التوافق من أسرة إلى أسرة . وقد عدد هيل العوامل المؤدية إلى التوافق مع الأزمة فيما يلي : مدى استعداد الاسرة لمواجهة الازمة ، تكامل الاسرة ، مدى العلاقات العاطفية بين أعضاء الأسرة ، التوافق الزواجي القوي بين الزوجين ، علاقات الصداقة الحميمة بين الآباء والأبناء ، مشاركة مجلس الأسرة في اتخاذ القرارات ، المشاركة الإجتماعية للزوجة ، والتجارب السابقة الناجحة مع الازمات[1] .

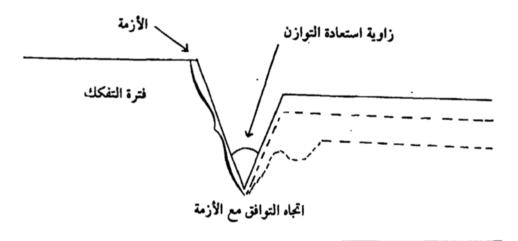
---

(1) Reuben Hill Families Under Rtress , N . Y , Harper and Brothers . 1940 p 146 .



مخطط يصور تفاعل الحدث الضاغط متضمنا الشدائد ووسائل الأسرة في احداث الأزمة الاسرية

ويشير الشكل التالي إلى الاجزاء المكونة لمنظور التوافق مع الأزمة [الأزمة ـ التفكك ـ استعادة التوازن ـ إعادة التنظيم(1) .]



(1) Ibid . p . 146 .

ويرى كل من جلاسر وجلاسر Glasser and Glasser [1] أنه توجد ثلاثة أشكال تميز الأسر القادرة على الإستجابة بكفاية للاحداث الضاغطة . (الاحتواء ، التكامل ، التكيف) حيث يشير الشكل الاول إلى الإندماج مع أو المشاركة في الحياة الاسرية عن طريق أعضاء الجماعة ، ويتعلق الثاني بالدور التساندي أو الدور العاطفي الاجتماعي للأفراد في الجماعة ، أما الثالث فإنه يشير إلى قابلية الجماعة الأسرية وكذلك قابلية كل عضو على تغيير استجاباتهم كل للآخر والعالم من حولهم حسبما يقتضيه الموقف .

إن توافق الأفراد أو الأسر لما يواجهون به من أزمات لا يمكن فهمه بعيدا عن وسطهم الاجتماعي ، ويسهم المجتمع المحلي بما ينطوي عليه من مضمونات مجتمعية ، أو الانساق الاجتماعية ، أو البناءات الاجتماعية في خلق الأزمات أو تفاقمها ، كما أنها تقدم في نفس الوقت الارشادات أو المعونات التي تؤدي إلى خفض حدة هذه الأزمات .

ويجب أن نضع في اعتبارنا هنا أن الأزمات ليست سيئة بالضرورة للأسرة أو لأعضائها ، ذلك أنه عندما تتعرض الأسرة لأشكال عديدة من الاختلال فإن هذا يؤدي إلى نشوء الحاجة إلى مناهج جديدة في معالجة او تناول هذه المشاكل وفي هذا الصدد يقول جلاسر أنه من خلال موقف الأزمة يمكن ان تنبثق حلول خلاقة من أجل تنظيم أوجه النشاط بصورة أكثر تميزاً أو أفضل من تلك التي كانت قائمة قبل حدوث الأزمة ، ولهذا فان التجربة يمكن ان تجعل الأسرة أكثر قدرة على معالجة الأزمات المستقبلة بصورة أكثر كفاءة ، ويضاف إلى ذلك أن مثل هذه المعالجة يمكن أن تؤدي إلى اقتناع فردي أو جماعي أو ربما إشباع أكثر يستمد من الحياة الأسرية . وعلى ذلك فلربما ينظر إلى الأسرة على أنها ضعيفة أو قوية في نفس الوقت ، فهي ضعيفة لأنها غالبا ما تفشل في أن تستعيد توافقها مع الأزمات وهي غالبا ما تنفك نتيجة لذلك ، وهي قوية لأنها تبقى دائما ذات شهرة وأهمية ، وتستمر في الحياة في كل المجتمعات من أجل القيام بمجموعة واسعة ومتنوعة من الوظائف تؤديها لاعضائها وللمجتمع ،

(1) Paul H . H . Glasser and Lois N . Glasser (eds.) , Families in Crisis , N . Y , Harper and Row , 1970 . pp , 7 - 8 .

وجدير بالذكر أنه في الوقت الذي يستمر فيه نسق الأسرة من جيل إلى آخر فإن الجماعات الزواجية مثلها مثل الحياة تصل إلى نهايتها ، هذه النهاية على الرغم من أنها عادة ما تحدث عن طريق الموت ، إلا أنها تحدث كذلك عن طريق الطلاق والهجرة والانفصال ، أو ربما يصبح وجود الأسرة بمرور السنين مجرد مسألة شكلية .

أنماط تفكك الأسرة

يثير تفكك الأسرة إلى أنهيار الوحدة الاسرية وانحلال بناء الادوار الاجتماعية المرتبطة بها عندما يفشل عضو أو أكثر في القيام بالتزامات دوره بصورة مرضية ، وقد صنف وليام جود W. Goode[1] الاشكال الرئيسية لتفكك الاسرة كما يلي :

١ ـ انحلال الاسرة تحت تأثير الرحيل الارادي لاحد الزوجين عن طريق : الانفصال ، أو الطلاق أو الهجر ، وفي بعض الاحيان قد يستخدم أحد الزوجين حجة الانشغال الكثير بالعمل ليبقى بعيدا عن المنزل وبالتالي عن شريكه لاطول فترة ممكنة .

٢ ـ التغيرات في تعريف الدور الناتجة عن التأثير المختلف للتغيرات الثقافية وهذه قد تؤثر في مدى ونوعية العلاقات بين الزوج والزوجة إلا أن الصورة أو النتيجة الاكثر وضوحا في هذا المجال تكون في صراع الآباء مع ابنائهم الذين يكونون في سن الشباب .

٣ ـ اسرة « القوقعة الفارغة » وفيها يعيش الافراد تحت سقف واحد ولكن تكون علاقاتهم في الحد الادنى ، وكذلك اتصالاتهم ببعضهم ، ويفشلون في علاقاتهم معاً ، وخاصة من حيث الالتزام بتبادل العواطف فيما بينهم .

٤ ـ يمكن ان تحل الأزمة العائلية بسبب احداث خارجية External ، وذلك مثل الغياب الاضطراري المؤقت أو الدائم لأحد الزوجين بسبب الموت أودخول السجن أو أية كوارث أخرى مثل الحرب أو الفيضان . . الخ .

---

(1) William Goode , « Family Disorganization » in Robert K . Merton and Robert Nisbet , Contemporary Social Problems,N . Y , Harcout Press , Jovanovich Inc , 1971 , p , 468 .

٥ ـ الكوارث الداخلية التي تتسبب عن فشل لا إرادي في أداء الدور نتيجة الامراض النفسية أو العقلية مثل التخلف العقلي الشديد لأحد أطفال الأسرة أو الاضطراب العقلي لأحد الأطفال او لاحد الزوجين ، والظروف المرضية الجسمانية المزمنة والخطيرة والتي يكون من الصعب علاجها .

وجدير بالذكر أنه لا ينظر لجميع أنماط تفكك الاسرة في أي مجتمع بنفس الدرجة من الاهمية . إلا أن الطلاق يعتبر أهم أشكال التفكك الاسري في جميع المجتمعات بلا استثناء .

الطلاق

تتضمن الانساق الإجتماعية في جميع أنحاء العالم شخصين على الاقل يعيشان معاً ، ورغم هذا فكل منهما له احتياجاته وقيمه الخاصة . ونتيجة لهذا الإختلاف تكون إمكانية الصراع قائمة ومن ثم تحدث الرغبة في الرحيل الإرادي . ويعتبر الزواج في كثير من المجتمعات عقداً مدنيا يمكن فسخه تحت ظروف معينة . وقد صنف روبرت وينش Robert Winch الظروف والقوانين التي تجعل الانحلال الزواجي أمراً مشروعا كما يلي[1] :

١ ـ يكون الزواج في بعض المجتمعات غير قابل للانحلال إلا بالموت ، وتتبع هذه المجتمعات الكنيسة الكاثوليكية الرومانية .

٢ ـ تسمح بعض المجتمعات بالطلاق ، إذا ثبت أن أحد الزوجين أجرم في حق التزاماته الزوجية .

٣ ـ يسمح بالطلاق إذا تبين فشل الزواج وانهياره التام .

٤ ـ يسمح بالطلاق في حالة اتفاق الطرفين على ذلك .

٥ ـ يكون من حق الزوج المطلق أن ينهي زواجه بمحض ارادته ودون موافقة

(1) Robert Winch , « The Modern Family » N , Y , Holt , Rienhart and Winston Inc. 1971 , pp , 574 - 575 .

الطرف الآخر[١] .

ويعتبر الطلاق بدون شك « حادثا مشئوما » للاشخاص الذين يشملهم كما يعتبر مؤشراً واضحاً لفشل نسق الأسرة . بالاضافة إلى اعتباره دليلا على محنة شخصية ، هذا وينظر إليه كذلك كطريق للهروب من توترات الزواج ومتاعبه . ويدعي « جود » ان الطلاق لا يسمح به فقط في معظم مجتمعات العالم ، بل يرى ان الطلاق في المجتمعات البدائية أعلى نسبة منه في المجتمعات المتحضرة .

الطلاق كجزء من نسق الأسرة

يميل الناس في العادة إلى النظر إلى الطلاق Divorce ككارثة أو كمأساة كما سبق أن أشرنا ، وعندما ترتفع معدلات الطلاق في مجتمع ما فإن هذا يكون دليلا على أن نسق الأسرة لا يعمل بصورة مرضية . وبالرغم من أن بعض الأديان السماوية تبيح الطلاق إلا أنها تضع عوائق كثيرة في سبيله ، فالديانة المسيحية مثلا تحرم الطلاق إلا في ظروف معينة ومحددة للغاية ، ونظرا لأن معظم المجتمعات الأوربية (التي تدين بالمسيحية) تجعل من الحب الرومانتيكي القائم على الاختيار الحر أساسا للزواج فإن الطلاق إذن يعني الفشل .

ولما كانت جميع أنساق الزواج تتطلب وجود فردين (الزوج والزوجة) يعيشان معا ، فإنه لا بد ـ ولو في فترة معينة من دورة الحياة الزوجية ـ أن تنشأ بينهما بعض الخلافات والتوترات والمشاكل ، قد تصل إلى درجة عالية بحيث تصبح حياتهما معا مستحيلة وعند ذلك يلجآن الى الطلاق كحل أمثل لهذه المشاكل وبهذا المعنى يكون الزواج سبباً في الطلاق ، أي أنه لكي يحدث الطلاق لا بد ان يحدث الزواج أولا .

---

(١) بالرغم من ان الزواج لا يتم في المجتمعات الاسلامية إلا بموافقة كل من الطرفين المقبلين على الزواج إلا أن الطلاق عندما يحدث فانه يكون من حق الزوج فقط ، وقد يحدث دون موافقة الزوجة أو حتى دون علمها ، ولهذا ظهرت الدعوة في الآونة الأخيرة إلى ضرورة توقيع الطلاق امام القاضي ، بدلا من توقيعه امام المأذون ، لتكون هناك فرصة للتروي والحد من الاندفاع الذي قد ينتهي الى تقويض الأسرة وتشريد الأطفال ، وحتى يمكن اجراء التحكيم القرآني تحت رعاية القاضي ، الذي يبدأ أولا بمحاولة التوفيق بين الطرفين ، ثم بدعوة حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة حسبما جاء في الآية الكريمة . وعموما فان ايقاع الطلاق بغير سبب شرعي حرام ومكروه ، فما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق . وذلك فان الزوج إذا اوقع الطلاق بغير الطريق الذي رسمه القانون استحق الجزاء ، سواء كان هذا الجزاء تعزيزا او تعويضا للمطلقة حسبما ينتهي اليه رأي القاضي .

ويوجد نمط زواجي آخر منتشر في المجتمعات المتخلفة غير الصناعية وهو ارتباط الزوجين بشبكة العلاقات القرابية ، ولذلك لا تكون الخلافات قاصرة على الزوجين فقط بل قد تمتد ليشارك فيها الأقارب الأمر الذي يزيد من حدة التوترات بين الزوجين إلى درجةلا تطاق .

ويوجد في كل مجتمع بعض الأنماط الاجتماعية ، يمكن عن طريقها ، تفادي هذه التوترات . وذلك مثل النظر إلى بعض الخلافات باعتبارها أموراً تافهة ، فقد يعتبر الناس الاختلاف النسبي في القيم بين العريس والعروس امراً غير ذي أهمية .

وتختلف نظرة المجتمعات في تعريفها للمستوى أو للحد الذي يصبح معه الخلاف بين الزوجين أمراً لا يطاق أو في أسباب انحلال الزواج غير الموفق . فالرأي العام في الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر مثلا كان ينظر إلى الحد الذي لا تطاق معه الحياة الزوجية على أنه درجة من درجات عدم الانسجام التي لا يستطيع الأزواج في العصر الحديث تحملها .

هذا ويختلف الموقف من الزواج غير الموفق من مجتمع لآخر وخاصة في المجتمعات الغربية ، ففي اسبانيا وأيرلندا وإيطاليا والبرازيل لا يسمح هناك إلا بافتراق الزوجين القانوني ورفض أي شكل آخر مثل الهجر أو الانفصال الجسدي .أما في المجتمعات التي تتميز بشبكة علاقات قرابية واسعة والتي يكون فيها الطلاق اختياريا ، فإن الزوجين يستطيعان الاستمرار في أعمالها اليومية ولكنهما يحدان من اتصالهما إلى الحد الأدنى . أما في المجتمعات التي تسمح بتعدد الزوجات فإن الرجل إذا ضاق بزوجته أو وجد أن حياته معها مستحيله فله الحق في ان يتزوج من أخرى في نفس الوقت . وبذلك يمكنه ان يرفض قضاء أي وقت مع إحدى زوجاته إذا كانت علاقته بها غير سعيدة أو غير موفقة . وفي الصين يقيم الزوج غير الموفق في علاقته بزوجته بعيدا عن بيته لفترات طويلة من الزمن مع بعض اقاربه أو جماعات العمل « وهذا يعتبر نوعا من الانفصال » .

ويحدث الطلاق إذن نتيجة لتعاظم الخلاف بين الزوجين الى درجة لا يمكن تداركها ، ولكنه بالاضافة إلى ذلك يؤدي إلى صراع جانبي بين كل من أسرتي الزوج

والزوجة . حيث تقع بينهما في العادة خلافات لا نهاية لها ذات مضمون مادي أو معنوي أو تتعلق بالأطفال الذين كانوا ثمرة هذا الزواج . ولا توجد في أي مجتمع طرق معينة واضحة لتجنب أو خفض حدة الصراع الزواجي ، أو حتى جعل الأزواج قادرين على تحمل زيجاتهم . .

فالطلاق إذن يكون أحد صمامات الأمن للتوترات الحتمية التي تقع في الحياة الزوجية . وليس لدينا حاليا أي مقياس أو دليل نصل منه إلى أسباب تفضيل معظم المجتمعات للطلاق بدلا من أشكال الانفصال الأخرى . فالطلاق هو الحل الاكثر انتشارا لمشاكل الحياة الزوجية . كما ان الحلول البديلة التي تقدمها المجتمعات المختلفة للفصل بين الزوجين في حالة وقوع الخلاف بينهما هي في الواقع اختلاف في نمط الطلاق والنقطة الوحيدة التي يختلف فيها الطلاق عن هذه الاشكال من الانفصال هي أنه يسمح بالزواج الثاني لكل من الزوج والزوجة .

وفي المجتمعات التي لا تسمح بالطلاق فإن الرجال عادة ما يدخلون في علاقات جديدة وعديدة خارج الزواج ، وذلك باتخاذ عشيقات لهم ، إلا أن هذا السلوك لا يعتبر قانونيا وهو أيضا مخالف لقواعد الدين . ومن الامثلة على ذلك ، أنه في الهند يستطيع الرجل أن يأتي بزوجة أخرى تعيش مع زوجته في نفس المنزل وفي الصين واليابان يمكن أن يكون للرجل محظية أو عشيقة ، ولكن هذه الإمكانية « إمكانية إتخاذ عشيق » لا يسمح بها للمرأة على الاطلاق مهما كانت درجة عدم توفيقها وتعاستها في الزواج . وفي المجتمعات التي تسمح بتعدد الزوجات يستطيع الرجل ان يتزوج بأخريات في حالة عدم قدرته على احتمال الحياة مع زوجته الأولى ، بينما لا يسمح للزوجة التي تكون في نفس الظروف بالزواج من رجل آخر في نفس الوقت . كما ان الدول الغربية التي يسمح فيها بانفصال فقط وليس بالطلاق (العقيدة المسيحية في المجتمع المصري أيضاً لا تقبل الطلاق ولكنها تقبل الانفصال في حالة عدم تمكن الزوجين من المعيشة معاً) فالإتجاه العام يعارض بشدة دخول الزوجة في علاقات غير مشروعة . بينما تغض الطرف عن اتخاذ الازواج لعشيقات .

وعموما نستطيع ان نقول ، أن الطلاق نهاية مؤلمة للغاية أو أنه مأساة ، ولكنه في

الحقيقة أفضل من الحياة التعسة غير الموفقة ، وحتى في حالة وجود أطفال فان معيشة الأطفال مع الام أو الاب في حالة انفصالهما تكون أفضل من المعيشة في جو مشحون بالخلافات والصراعات الدائمة مما يكون له أكبر الأثر على سلامتهم النفسية أو في تكوين شخصياتهم بصورة سوية .

معدلات الطلاق

تختلف معدلات الطلاق من مجتمع لآخر تبعا لظروفه المجتمعية والسياسية والاقتصادية وكذلك تبعا للقيم والمعايير ولاسباب أخرى عديدة ، ويتميز المجتمع الامريكي بأعلى نسبة طلاق بين الدول الغربية . ومع ذلك فكثير من المجتمعات الأخرى كان لها في الماضي نسبة أعلى من الولايات المتحدة في الطلاق مثل مصر (١٩٣٥ ـ ١٩٥٤) واليابان (١٨٨٧ ـ ١٨٧٩) والجزائر (١٨٧٧ ـ ١٩٤٠) .

وسوف نستعرض في الجدول التالي ارتباط معدلات الزواج بمعدلات الطلاق في المجتمع المصري ، التي يظهر فيها بوضوح ان معدلات الطلاق ترتفع كلما زادت معدلات الزواج . والعكس صحيح ، ومن تحليل البيانات الاحصائية الواردة في هذا الجدول يتبين ان أعلى معدل للطلاق في العشرين سنة الاخيرة يظهر في عامي ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ . ثم بدأت معدلات الطلاق تسير بعد ذلك بصورة متوازية إلى أن بلغت أدنى معدل لها في عام ١٩٦٧ (عام الحرب) . ولكن يلاحظ أن معدلات الزواج في هذه السنة كانت هي الأخرى منخفضة . وهذا يعني أن ظروف خيبة الأمل والإحساس بالضياع وانعدام الأمن التي سادت مصر في النصف الثاني من هذا العام كان لها دخل مباشر في إنخفاض معدلات الزواج والطلاق على السواء .

وقد تبين من الاحصاءات ان معدلات[1] الطلاق تختلف من الريف إلى الحضر ففي إحصاء عام ١٩٧١ تبين أن معدل الطلاق في الحضر يصل إلى ٢ر٦ لكل الف من السكان بينما يصل الى ٧ر١ فقط في كل الف من السكان في المناطق الريفية ، أي أن معدل الطلاق مرتفع في المدينة عنه في القرية ويرجع ذلك إلى عدة أسباب .

(١) الاحصاءات المتعلقة بالمجتمع المصري مستمدة من بيانات الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء .

معدلات الطلاق والزواج لكل الف من السكان في مصر

السنة	معدل الزواج	معدل الطلاق
١٩٥٢	١٠,٨	٢,٣
١٩٥٣	٩,٨	٢,٨
١٩٥٤	٩,٧	٢,٦
١٩٥٥	٩,٨	٢,٦
١٩٥٦	٩,٤	٢,٤
١٩٥٧	١٠,٠	٢,٥
١٩٥٨	٩,٢	٢,٤
١٩٥٩	٩,١	٢,٤
١٩٦٠	١٠,٩	٢,٥
١٩٦١	٨,٦	٣,٢
١٩٦٢	٨,٥	٢,٠
١٩٦٣	٩,٨	٢,١
١٩٦٤	١٠,٥	٢,٢
١٩٦٥	٩,٨	٢,٢
١٩٦٦	٩,٨	٢,١
١٩٦٧	٧,١	١,٨
١٩٦٨	-	-
١٩٦٩	٩,٥	١,٩
١٩٧٠	-	-
١٩٧١	١٠,٢	٢,١

أ ـ أن المرأة في المناطق الريفية ما زالت لا تعمل (في وظيفة) ولذلك فهي تعتمد اقتصاديا بصورة مطلقة على الزوج ومن ثم فهي تحرص على ارضائه لأنه عمليا يمثل عائلها الوحيد ، وجدير بالذكر أن الزوجة الريفية بالرغم من فشل زواجها ، وعدم حبها لزوجها ، وتعاستها الشخصية تتحمل استمرار الزواج لاعتمادها اقتصاديا على الزوج وخوفها من سخط المجتمع وتقولات الناس إذا طلبت الطلاق ومن ناحية أخرى قد يتحمل الزوج الريفي أيضا المعيشة مع زوجته لشفقته عليها أو لكثرة عدد أطفاله منها .

ب ـ تختلف ظروف الحياة في المدينة وهذا يبدو واضحا من أن استقلال أكثر النساء إقتصاديا يجعلهن أكثر جرأة في طلب الطلاق إذا أصبحت حياتهن مع أزواجهن مستحيلة .

حـ ـ يفرض أسلوب الحياة في المدينة على المرء ان يستغل الفرصة حرصاً على مصالحه واهتماماته الخاصة تلك التي قد يقف الزوج أحيانا في سبيلها .

د ـ تتعارض احيانا متطلبات الأسرة مع ظروف العمل مما يخلق مواقف صراعية بين الأدوار الاسرية والأدوار المهنية .

هـ ـ يرتبط الزوجان عادة بأنشطة عديدة خارج نطاق الأسرة مما يحول بينها وبين القيام بالالتزامات الأسرية بصورة مرضية ، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور المشاكل والمتاعب المعجلة بانهيار الزواج .

و ـ يحتمل ان يكون للتغيرات الاجتماعية المتلاحقة في المجتمع الحضري أثرها في أحساس الأفراد بعدم الاستقرار والقلق الدائم ، مما ينمي لديهم ، مشاعر الأنانية وعدم الرغبة في التضحية من أجل الآخرين .

ز ـ يعتبر الزواج في الريف أمراً ضروريا وحتميا وعملا من أعمال الأسرة . ومحققا لقيم جمعية ، أما في المناطق الحضرية فالزواج مسألة شخصية بحته لا تعنى سوى الشابين المقبلين على الزواج . ولذلك يكون الطلاق في الريف من الأمور الصعبة والمكروهة بينما يكون الأمر غير ذلك في المدينة .

بعض الخصائص المميزة للمطلقين

ليس هناك شك في أن الطلاق يرتبط ببعض العناصر البنائية الهامة مثل السن والجنس والتعليم والمهنة وسوف نستعرض فيما يلي بعض هذه العناصر :

أ ـ العمر

تبين من بيانات الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء أن ظاهرة الطلاق تقع في جميع الفئات العمرية بدون استثناء سواء في الشباب أو الشيوخ . إلا ان نسبته ترتفع عند الزوجات اللائي يقل عمرهن عن عشرين سنة ذلك أن صغر سنهن وقلة تجاربهن تدفعهن إلى إنهاء علاقاتهن الزواجية بسرعة والملاحظة الهامة هنا هي أنه بعد تجاوز الزوجات العام الخامس والثلاثين فإن احتمالات حدوث الطلاق تقل بشكل ملحوظ ، ذلك لأن المرأة بعد هذا السن تكون أكثر حرصا على استمرار حياتها الزوجية ، لقلة أو أنعدام الفرص التي قد تتيح لها الزواج مرة أخرى إذا هي طلبت الطلاق .

وتكشف البيانات الإحصائية كذلك أنه كلما ارتفع عمر المطلق ارتفع عمر مطلقته ، هذا ويكثر وقوع الطلاق بين الرجال ابتداء من بلوغهم سن العشرين وقبل بلوغهم الخامسة والثلاثين . ومع أن البيانات كشفت عن زيادة معدلات طلاق الزوجات تحت سن العشرين ، إلا أن الازواج الذين تقل أعمارهم عن العشرين فإن الطلاق بينهم أمر نادر الحدوث ، وهو نتيجة حتمية لندرة المتزوجين من الشبان قبل العشرين وخاصة في المدن ، بعكس الحال بالنسبة للفتيات كما سبق أن ذكرنا اللائي تزداد حالات الطلاق بينهن في هذه الفئة العمرية ، وفي هذا دلالة على أن صغر سن الزوجة وقلة خبرتها بأمور الحياة ، يحولان أولا : دون اختيارها للزوج المناسب وثانيا : يقللان من قدرتها على مواجهة الصعاب التي تقابلها وتسهمان في عجزها عن التكيف الملائم مع المواقف الاجتماعية المختلفة .

وتشير البيانات المتاحة أيضا إلى أن أكثر حالات الطلاق تتم بين زوجات انجبن طفلا واحدا ، وتقع أعمار هؤلاء في الفئة العمرية ٢٠ ـ ٢٥ عاما وهذا يؤكد أن ازدياد عدد الأطفال في الأسرة قد يقلل من احتمالات الطلاق . فالأبناء يزيدون من

مسئولية الوالدين . وربما يعتبر ذلك السبب من أجله تكون الأسر التي لم تنجب أكثر تعرضا للتفكك . وعموما ، فانه يمكن القول أنه كلما ازداد عدد الأطفال وكبر عمر الزوجين تناقصت فرص الطلاق ، وهذا يعني ان الشعور بالمسئولية عند الزوجين يتزايد بمرور الوقت وخاصة عندما تزداد الوحدة الأسرية حجما بانجاب الأطفال وانشغالها بواجب رعايتهم وتنشئتهم ، كما أن الأطفال عندما يكبرون فإنهم كثيرا ما يحولون بين والديهم وبين اقدامهم على الطلاق .

ب ـ المهنة

ترتبط المهنة ارتباطا قويا بارتفاع معدلات الطلاق أو انخفاضها . ويبين الجدول الآتي العلاقة بين الطلاق وأصحاب المهن المختلفة .

التوزيع النسبي لاشهارات الطلاق حسب مهنة المطلق ١٩٦٩ [1]

مهنة المطلق	التوزيع النسبي لاشهارات الطلاق
١ ـ اصحاب المهن الفنية والعلمية ومن اليهم	٧,٤
٢ ـ المديرون والاداريون ومديرو الاعمال	٠,٩
٣ ـ القائمون بالأعمال الكتابية	٦,٥
٤ ـ القائمون بأعمال البيع	٧,٢
٥ ـ العاملون بالزراعة وتربية الحيوان وصيد البحر والبر	٣٠,٣
٦ ـ عمال الانتاج والفعله والعتالون وعمال وسائل النقل	٣٣,٤
٧ ـ الافراد الذين لا يمكن تصنيفهم حسب المهن	١٨,٩
الجملة	١٠٠,٠

(١) بيانات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء .

ومن هذه البيانات يتبين أن فئة المديرين وأصحاب المهن الادارية هم أقل الفئات طلبا للطلاق من زوجاتهم ، وأكثرهم التزاما بالروابط الاسرية واحتراما لها . بينما تبلغ نسبة الطلاق أعلى معدل لها عند العاملين في الزراعة وتربية الحيوان والصيد . ويرجع انخفاض معدل الطلاق بين الفئات العليا والدنيا إلى أن حياة الفئة الاخيرة مليئة بالمشكلات الناجمة عن سوء أوضاعهم المادية وانخفاض مستوياتهم الثقافية والتربوية . وقد يرجع ذلك أيضا إلى أن الفئات الدنيا ليس أمامها بدائل أخرى متاحة تخفض حدة التوترات الزواجية ، مثلما هو متاح للفئات العليا ، أو ربما يرجع ذلك إلى ان الضوابط الاجتماعية في بعض أقسام الفئات العليا تجعل من استمرار الزواج ، قيمة في حد ذاتها تسهم في مقاييس الصلاحية او القيادة . . الخ .

حـ ـ التعليم والطلاق

يرى كثير من علماء الاجتماع أن إقبال المرأة على طلب العلم وتحررها الاجتماعي والاقتصادي ، قد ولد لديها شعورا قويا بالتمرد على سلطة الرجل التقليدية ، وقد تبين عند محاولة التحقق من هذا الافتراض على المجتمع المصري أن ٧٣,٩٪ من حالات الطلاق تقع بين الاميين . وأن ٣٤,٩٪ منها تقع بين الاميات ، ولما كانت هذه البيانات تؤكد حالات الطلاق تزداد بين الإميين والاميات ، فإن هذا يعني أنه كلما زاد حظ الزوجة أو الزوج من التعليم ، أزدادت مسئولياته نحو اسرته ، وكان أكثر تردداً في قبول مبدأ هدمها وطلب الطلاق ويتفق هذا مع ما ذهب اليه بعض علماء الاجتماع من أن المتعلمين والمتعلمات أكثر نفوراً وكرها للطلاق ، وأكثر من غيرهم كذلك في تحمل الإلتزامات الاسرية .

وقد كان من المعتقد أن حصول المرأة المصرية على حقها في التعليم والعمل سوف يعطيها الحرية الكاملة للتعبير عن ذاتها ، وتأكيد شخصيتها أمام زوجها المتوحد مع قيم تؤكد سيطرة الرجل وسيادته ، مما يؤدي بالحياة الزوجية إلى الإنحلال والطلاق ، إلا أن البيانات الاحصائية تؤكد عكس ذلك حيث تبين أن الطلاق أكثر حدوثا بين الأميات وأقل وقوعا بين المتعلمات ، هذا إلى أن التجربه الثانية في الزواج تبين أنها أكثر تعرضا للفشل بين الأميات من غيرهن نتيجة للتسرع وعدم تلافي الأخطاء التي وقعت في الزواج السابق فضلا عن أنها تتم احيانا

بسرعة ؛ لإغاظة الزوج السابق .أما التجربة الثانية في الزواج بين المتعلمات فانها تكون أكثر استمرار ولا نقول أكثر نجاحا . كذلك تبين أن المطلقين يتشابهون مع المطلقات ، حيث يكون الطلاق أكثر وقوعا بين الأميين وممن يعرفون القراءة والكتابة وتتعرض الزيجة الثانية عندهم للفشل إذا قورنت بالزيجة الثانية عند المتعلمين .

د ـ **أنواع الطلاق**

تتيح الشريعة الاسلامية أربعة أنواع من الطلاق :

الأول : هو الطلاق « الرجعي » ولا تحل به عقدة الزواج في الحال حيث يملك الزوج اعادة مطلقته إلى حياته الزوجية دون عقد جديد ، ما دامت في العدة سواء رضيت أم لم ترض .

الثاني : هو الطلاق « البائن » ويقصد به حل رابطة الزواج في الحال .

الثالث : ويعرف باسم « المبارئة أو الخلع » وهو الطلاق على مال وشرع لتفتدي المرأة نفسها من زوج لا تريد البقاء معه .

الرابع : ويعرف باسم اليمين أو الحلف ، حيث يحلف الرجل بألا يقرب من زوجته مدة تطول أو تقصر رغبة في إذلالها وإيذائها[١] .

وقد تبين من الاحصاءات ان الشكلين الأول والثاني أكثر حدوثا في المجتمع المصري ، حيث تبلغ نسبة كل منها حوالي ٤٩,٠٪ تقريباً بين مجموع حالات الطلاق .

والملاحظة الجديرة بالاهتمام ان ظاهرة تعدد الزوجات بدأت تختفي من المجتمع المصري وأصبح من النادر أن يتزوج الرجل من امرأتين ، أما الزواج بثالثة فظاهرة تكاد تختفي بصورة نهائية . وليس هناك شك في أن ارتفاع تكاليف المعيشة ، ونظام العمل في المجتمعات الحضرية الذي يتطلب من الرجل مزيدا من الاهتمام والتفرغ لعمله يصرفه عن التفكير الدائم في أمور الجنس ، بالإضافة إلى

---

(١) زكي شعبان ، (الزواج والطلاق في الاسلام) ، القاهرة ، ١٩٦٤ وأيضا عمر فروخ ، الأسرة في التشريع الاسلامي ، بيروت ، المكتبة العلمية .

ارتفاع مكانة المرأة وشعورها بضرورة سيادتها على بيتها ونفورها الشديد من ان تشاركها امرأة أخرى في زوجها ، كل هذه العوامل وغيرها ساعدت بل أدت إلى إحجام الأزواج عن الزواج من واحدة وبالتالي اختفاء ظاهرة تعدد الزوجات تقريباً .

التغيرات في معدلات الطلاق كمؤشر للتغيرات الاجتماعية الأخرى

إن ارتفاع معدلات الطلاق في أي مجتمع يكون إشارة واضحة على تفككه ودليلا على التغير في نسق الأسرة وبالتالي يصبح مؤشرا على التغير في بناء المجتمع ككل .

وهنا يجب ان نوضح ان التصنيع لم يكن له علاقة بارتفاع معدلات الطلاق في معظم المجتمعات الذي حدث فيها . ففي اليابان انخفضت معدلات الطلاق في نصف القرن الأخير وكذلك الأمر بالنسبة للجزائر وعلى العكس من ذلك ، ارتفعت معدلات الطلاق في جميع بلاد أوربا الغربية التي يسمح فيها بالطلاق ،

وهذا يعني أنه بالرغم من انتشار التصنيع في المجتمعات المشار اليها فان معدلات الطلاق انخفضت في بعضها بينما ارتفعت في الأخرى ، ولكن يلاحظ ان النسق الصناعي كما يؤكد كثير من الباحثين يتطلب شكلا معينا من الأسرة وهو الاسرة النواة او الزوجية ، حيث يشعر الناس في ظل هذا النمط الزوجي المنظور بحرية كبيرة في تصرفاتهم وبحقهم في اختيار من يتزوجونهم . وفي ظل التصنيع كذلك يستطيع الناس أن يبدأوا حياتهم الزوجية على أساس الاعمال التي يشغلونها سواء في المصانع أو المكاتب ، فمن المعروف ان نسق الأسرة النواة أصبح اليوم النسق الشائع في كثير من المجتمعات الأمر الذي يفرض على كل من الزوجين ان يتوقعا توفر جميع احتياجاتها العاطفية من خلال وحدة الأسرة الصغيرة المكونة من الزوج والزوجة والأطفال وهذا هو الموقف الذي يلقى على الأسرة النواة عبئا أو حملا عاطفا ثقيلا لم تكن تتحمله الأسرة الممتدة التقليدية لأن هذا العبء كان يوزع على أعضاء النسق القرابي الكبير . ونتيجة لذلك ، فمن المتوقع ان تعمل الأسرة كوحدة هشه وضعيفة إلى حد كبير . لأنه عندما يفشل الزوج أو الزوجة في إيجاد الاشباع العاطفي من خلالها ، فإن المصادر الخارجية وهي قليلة بل ونادرة تفشل في تقديم البديل .

وهناك ملاحظة أخرى جديرة بالاهتمام ، وهي أن كثير من المؤسسات العديدة

التي توجد في المجتمعات الذي يقوم اقتصادها على الصناعة تتيح للرجل الحصول على كثير من الخدمات المنزلية إذا لم يكن متزوجا وتتزايد مقدرة المرأة في نفس الوقت على إعالة نفسها حتى وأن لم يكن لديها أملاك أو أن تكون متزوجة وقد ترتب على هذه العوامل أن أصبحت الأسرة النواة لا تتمتع بدرجة عالية من الثبات . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عندما تكون العلاقة الزواجية هشة نتيجة لتدخل الكبار وسيطرتهم على زواج ابنائهم ، كما في اليابان[1] ، أو تعتمد على نزوات الرجل وشهوته ، كما هو الحال في بعض البلاد العربية ، فإن الاستقلال في المسكن والحياة للشاب والشابة المقبلين على الزواج ،وارتباطهما العاطفي الشديد ، وأيضاً القوة المكتسبة للمرأة ، كل هذا قد يعني ثباتا وإستقرارا متزايدا لوحدة الأسرة التي ما زالت بالرغم من انهيار الشكل التقليدي لها تقوم بوظائف عديدة مثل الإنجاب ، ومنح المكانة والإعالة والتنشئة الاجتماعية للطفل ، والضبط الاجتماعي على أعضاء الأسرة بالإضافة إلى أن الحرية في التنقل بهذا النسق المستحدث يبدو أنه يتلاءم بصورة أفضل مع احتياجات الاقتصاد الصناعي ، بالرغم من التغيرات العديدة التي تحدث في الأنساق الأسرية ، والأبنية الاجتماعية الواسعة ، والمتغيرات في الثروات الشخصية للأفراد الذين يستطيعون الزواج . فإن مصطلح « التفكك » لا يكون ملائما أو صالحا للتطبيق .

معنى الاختلافات في الخلفية الاجتماعية

في أي دراسة للأزمات الزواجية لا بد من الاهتمام بمكونات الخلفية الثقافية والاجتماعية لكل من الشخصين المقبلين على الزواج ، لكن الاختلاف في الخلفية لا يمكن ان يكون السبب الأساسي للطلاق ، وإن كان التشابه فيها يعمل او يساعد على خفض التوترات إلى حد كبير مما يحول دون وقوع الانفجار أو الانفصال أو الطلاق .

---

(١) بالرغم من ارتباط شكل الأسرة النواة بالنظام الصناعي الحديث في كثير من انحاء العالم باعتبارها أكثر الاشكال تحقيقا لمتطلباته ، إلا أن اليابان كدولة صناعية متقدمة يسيطر شكل الأسرة الممتدة التقليدي على النظام الاسري فيها حتى الآن ويرجع ذلك إلى تمسك زعماء « الميجي » باستمرار اتباع اسلوب « الباشيدو » الذي يعني عبادة وتقديس الأجداد ، وقد أدى هذا إلى سيطرة الآباء على زيجات ابنائهم ، فالمشاكل الأسرية يمكن حلها داخل نطاق الأسرة الممتدة. والممتلكات الجديدة تضاف الى ممتلكات الأسرة وكذلك المواليد والوفيات فانها تسجل في سجلات الأسرة هكذا .

وهناك عديد من الصفات او الملامح للوضع الاجتماعي ، وتجارب المرء وثقافته وبيئته السابقة تعمل على زيادة أو نقصان الاحتمال القوي للانحلال الزواجي Dissolution ، ويمكن ان نقول أن الطلاق يبدأ Begins قبل المشاجرة الأولى ، أوحتى قبل أن يتقابل الطرفان . ومن الصعب ان نستعرض هنا جميع العوامل التي تؤدي إلى تفكك الزواج وانهياره ، ولكن من الملائم ان نستعرض بعض هذه العوامل من ناحية أهميتها السوسيولوجية ويمكن تلخيصها فيما يلي :

الخصائص المكونة للخلفية المرتبطة بدرجة الميل إلى الطلاق

درجة ميل عالية نحو الطلاق	درجة ميل منخفضة نحو الطلاق
١ ـ الخلفية الحضرية	الخلفية الريفية
٢ ـ الزواج في سن مبكرة جدا (الخامسة عشرة حتى التاسعة عشر)	الزواج في سن مرتفع نسبيا (ثلاثة وعشرون سنة للرجل وعشرين سنة للفتاة)
٣ ـ التعارف لفترة قصيرة قبل الزواج	التعارف لمدة سنتين أو أكثر قبل الزواج
٤ ـ الخطبة القصيرة او بدونها .	الخطبة لمدة ستة أشهر أو أكثر
٥ ـ آباء العروسين غير موفقين في زيجاتهم	آباء العروسين موفقين في زواجهم
٦ ـ عدم موافقة الأقارب والاصدقاء على الزواج	موافقة الاقارب والاصدقاء
٧ ـ عدم تشابه الخلفيات بوجه عام	التشابه في الخلفية .
٨ ـ التعريفات او التحديدات المختلفة لالتزامات الدور المتبادلة بالنسبة للزوج والزوجة .	اتفاق الزوج والزوجة على التزامات الدور الخاصة بكل منهما

وباستعراض هذه الخصائص فإنه يمكن إدراجها تحت أربعة عناصر رئيسية[1] .

١ ـ هناك احتمال قوي في أن الشخص الذي تكون لديه خلفية عميقة ، يستند إلى نسق أقوى من القيم المضادة او المناهضة للطلاق .

(1) Locke , H . J . « Predicting Adjustment in Marriage » Holt Rienhart and Winston 1950 .

٢ ـ توجد في كل مجتمع انماط عديدة من الضغوط الاجتماعية التي تقف عائقا في سبيل وقوع الطلاق .

٣ ـ يؤدي الأسلوب الذي تسلكه عمليات الإختيارات الزوجية الى فرز أو تصنيف هادف لشركاء الزواج .

٤ ـ تكون الراحة والطمأنينة في التوافق الزواجي محتملة جداً بين الأشخاص ذوي الخلفية الاجتماعية المتشابهة سواء من الناحية الفكرية أو الثقافية او المادية .

وعموما ، نستطيع ان نقول أن الشخص الذي يتمسك بقيم معينة في الحياة ، (وخاصة القيم المحافظة) يتروى كثيرا قبل أن يقدم على الطلاق أو حتى يفكر فيه . وإلى جانب هذا ، فإن الشخص عادة ما ينتمي إلى دائرة حياة اجتماعية أوسع منه تضغط عليه وتدفعه نحو محاولة التوافق مع شريكه وتجنب الصراع بقدر الإمكان . ذلك أنه عندما يوافق الأقارب والأصدقاء على زواج شاب وفتاة ، فإنهم ينصحونهما بالتفاهم والتوافق والتكيف وأن يتحمل كل منهما الآخر مهما كانت الظروف ، والا يصل الصراع بينهما إلى النهاية . فالطلاق حينما يحدث فإنه يهدد إلى حد كبير شبكة العلاقات القرابية التي تكونت نتيجة للزواج .

وتساعد بعض هذه العوامل « الخلفية » ، وخاصة ، موافقة الأقارب والأصدقاء ، على أن يجد الفرد الرفيق المناسب لرغباته وميوله ، مما يجعله يحاول التوافق معه (حتى قبل الزواج) . ومن الممكن ان ننظر الى موافقة الأقارب والأصدقاء باعتبارها موضوعا مزدوجا ، فهي اولا تقدم نوعا من التنبؤ Prediction بأن هذين الشخصين يلائم كل منهما الآخر ، ويصلح زوجا له ، والسبب في هذا يرجع أولا إلى معرفة الشخصين أو أحدهما معرفة وثيقة (ناتجة عن القرابة أو الصداقة) وبالتالي يكون في إمكانهم الحكم عما إذا كان من الممكن ان يتلاءما معا . وتعاون الموافقة ثانيا على ربط الشخصين احدهما بالآخر ، وتنمية شعورهما بالالتزام . فضلا عن ان الموافقة المسبقة من الجميع تجعل التوافق بين الزوجين أسهل وتحقق السعادة ممكنا .

هذا ويمكن اعتبار طول مدة التعارف وكذلك طول مدة الخطبة مؤشرا هاما لمدى

التوافق بين الخطيبين . لأنه يمكن اعتبارها فترة من التجربة المشتركة من خلالها يمكن للتوافق أن يتم ، فإذا عرف رجل وأمرأة أحدهما الآخر لفترة طويلة من الزمن ، فمن المحتمل ان يكون ذلك راجعا بالفعل إلى خصائصهما المشتركة ، وعندما يعيشان معا لمدة طويلة بعد ذلك فإن تفاعلهما يصبح ايجابيا وباعثا على السرور والسعادة وإذن فطول مدة التعارف أو الخطبة يعطي الفرصة الصحيحة إما للتوافق وإما لإنهاء الارتباط[1] . وليس غريبا إذن أن ندعي ان الخصائص الخلفية لكل من الزوجين ترتبط ارتباطا وثيقا بمدى ثبات الزواج أو تفككه . ومع ذلك ، فإن طول مدة الخطبة دليل على وجود العوامل الأخرى والا ما استمرت . وغالبا ما تكون الزيجات التي تتم دون فترة خطبة ولو قصيرة هي في الحقيقة زيجات اضطرارية لسبب أو لآخر . إلا أن الزيجات التي تقوم على تصور معين للزواج تكون أقل عرضة للطلاق .

وأخيرا ، فإن طول مدة الخطبة يحمل معاني اجتماعية مختلفة تبعا للطبقة الاجتماعية التي تتم فيها ، فلو تتبعنا ظروف الخطبة في المجتمع المصري لظهر لنا أن الظروف المادية الصعبة قد تحول دون زواج كثير من الشباب مما يتسبب عنه طول مدتها وخاصة بين شباب الطبقات المتوسطة الذين هم في العادة من الموظفين ومن ابناء موظفين ولهم طموحات معينة سواء في متطلباتهم المظهرية أو المعيشية . أما الخطبة في الطبقات العليا والدنيا فقد لا تستغرق وقتا طويلا إذا حدث التوافق والانسجام بين الخطيبين ، ذلك لأن الجوانب المادية لا تشكل عبئا عند الشباب من الأسر الغنية وكذلك الأمر بالنسبة للشباب الذين ينتمون إلى أسر معدمة لأن متطلباتهم تكون محدودة ومتواضعة للغاية سواء من ناحية الشاب أو الفتاة أو أسرتيهما .

خلاصة الأمر أن هناك احتمالا كبيراً في انهيار الزواج إذا كان الزوجان يتميزان

---

(١) ليس المقصود هنا ان تطول فترة الخطبة أو التعارف لمجرد الرغبة في الاستمتاع بالصحبة او لمواجهة بعض المشاكل المتعلقة بالسكن او الدخل . وإنما المقصود اساساً ان تصبح هذه الفترة مجالا للتفكير التخطيطي البعيد عن ضغط العواطف او الاحلام وربما الاوهام لأن الزواج لا بد ان يقوم إلى جانب القدر المعقول من العواطف المشتركة على الفهم المتبادل والاستعداد الواعي للتعاون ـ كما ان طول هذه الفترة يعطي الخطيبين فرصة للمراجعة وللتدرب على اداء ادوار تتسم بالمسؤولية المشتركة ، لأنه يحدث في بعض الاحيان ان يكتشف احد الخطيبين في الآخر نظرة للحياة تتناقض تماما مع نظريته ويعتبر ذلك مؤشرا منطقيا لاحتمالات الصراع المستقبلة لا بد ان تعالج بعيدا عن ضغط المصالح القرابية او التبريرات التي يمكن ان تستند الى الانصياع لاتجاهات الرأي العام .

بخصائص اجتماعية متباينة ، ففي جميع أنساق الزواج المعروفة عالميا ينظم الزواج عن طريق الكبار أو عن طريق الشاب والشابة أنفسهما وعادة ما يقع الاختيار على من يتشابهون في خلفية مشتركة من الخصائص الاجتماعية وعلى الأخص ما تعلق منها بمكانة الأسرة وثروتها . وقد تكون الخصائص المشتركة بين العروسين فيزيقية مثل الطول أو لون البشرة أو العينين ، أو خاصية اقتصادية مثل الخلفية المهنية (وهذه الملاحظة واضحة جدا في المجتمع المصري حيث يفضل الشباب الزواج من نفس مهنتهم فالطبيب يفضل الزواج بطبيبة والمهندس مهندسة والمدرس مدرسة وهكذا)[1] . إلا أن كل هذه الخصائص لا تشكل اهمية كبيرة في التوافق الزواجي إذ يحاول كل من العروسين اوالخطيبين أن يجد في الآخر نفس الاتجاهات والميول والعادات والذوق . ولكن عندما يتدخل الكبار في الإختيار فإنهم يحرصون على إقامة زواج ثابت ودائم لأبنائهم نظراً لما أنفقوا من وقت وأموال على تربيتهم بالإضافة إلى حرصهم على سمعة الأسرة ومكانها في المجتمع ولهذا فهم يحاولون دائما البحث عن من يتناسب او يتساوى معهم في هذه الجوانب .

الترمل Widowhook

يعتبر الموت مسألة حتمية يتعرض لها كل انسان . ويؤدي موت أحد الزوجين إلى تغير الدور الاجتماعي للشريك الباقي على قيد الحياة . ويطلق على الزوجة التي مات عنها زوجها مصطلح ارملة Widow والزوج الذي ماتت عنه زوجته مصطلح ارمل Widower . وجدير بالذكر ان الطبيعة المتغيرة للأسرة قد أدت إلى نشوء مشاكل جديدة في توافق الزوج أو الزوجة عندما يموت احدهما ، لأن بناء الأسرة وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بمكان الإقامة الدائمة لها قد جعل من موت احد الشريكين عاملا من عوامل التفكك الذي ينبغي ان يواجهه الشريك الآخر ، ويظهر هذا بوضوح إذا عقدنا مقارنة في هذا المجال بين الجماعات التي تشتمل على عدد من الأسر أو المناطق الريفية أو المجتمعات التقليدية القديمة ، فقد أظهرت الأبحاث التي أجريت في

(١) هناك مجال لدراسة مدى الاقبال على الزواج بين المهنيين بمقارنتهم بغيرهم كالعمال أو الفلاحين ، لأن هناك انطباعاً بأن من ينتمون الى الفئة الأولى لا يقبلون على الزواج بعكس الحال في الفئتين الأخريين ، خاصة وأن بعض الدراسات أثبتت أن هناك أعدادا من المهنيين ربما تتزايد في المستقبل يبقون أكثر حياتهم بلا زواج أوربما لا يتزوجون أصلا .

المناطق الحضرية الحديثة وفي العينات التي أخذت من الطبقة المتوسطة ان الزوجات يواجهن الوحدة إذا مات ازواجهن[1] وتبين كذلك أن العزاب وبالأخص إذا كن من النساء لا يكون لهن مكان في ميدان العلاقات الإجتماعية التي تمارس من خلال نسق ثابت ، ومن المحتمل جدا ان يفقدن بصورة تلقائية العضوية التي كن يتمتعن بها في الجماعات التي كانت تقوم على الاعتراف بأهلية الزوجين معا للدخول في علاقات متبادلة ومشتركة مع الآخرين . ويلاحظ كذلك ، وكنتيجة للأبحاث المشار اليها أن عدداً كبيراً من الذين لم يتزوجوا مطلقا يمكنهم ان يكونوا عبر السنين أنماطهم الخاصة في الرفقة أو العزلة ، إلا أن الأرملة بوجه خاص تجد نفسها قد استبعدت فجأة من المحيط الذي تعودت ان تعيش فيه والتي كان لها من خلاله مكانة أو وضعاً مريحاً وملائماً[2] .

إن الأدوار الجديدة لكل من الأرمل والأرملة يبدو أنها تختلف في جوانب عديدة ، ويبدو ان هذا يرجع في المحل الأول إلى الاختلافات الجنسية ذلك لأنه ولأسباب عديدة يكون الدور الجديد للأرملة اكثر صعوبة في مجال التوافق سيكولوجيا واجتماعيا إذا قرون بدور الأرمل ومن بين هذه الأسباب :

١ ـ أن الزواج يكون عادة أكثر أهمية بالنسبة للمرأة من الرجل في كثير من المجتمعات في أغلب مناطق العالم ولهذا يكون إنتهاء الزواج يعني إنتهاء دور حيوي بالنسبة للزوجة إذا قورن بالدور المماثل للرجل إذا ظل على قيد الحياة .

٢ ـ يحدث غالبا ان الأرملة لا تجد تشجيعا اجتماعيا على الزواج مرة ثانية ، ولهذا تكون أكثر ميلا من الأرمل إلى عدم تكرار الزواج .

٣ ـ ويرتبط بذلك أن مشاكل الأرملة المتصلة بتحمل المسؤولية الاقتصادية لنفسها ولأطفالها سوف تواجه امكانية معاودة النظر في مستوى المعيشة الذي سيتعرض بشكل أو بآخر للهبوط ، وهذا موقف قد لا يتعرض له الأرمل .

---

(1) Helena Z. Lopata, «Loneliness: Forms and Components» Social Problems, Fall, 1969, p. 249.

(2) Ibid, pp. 249—250.

٤ ـ تواجه الأرملة في حياتها الاجتماعية قيودا اكثر مما يواجه الأرمل ويرجع ذلك أساسا إلى أن المرأة بوجه عام أكثر ميلا للسلام اجتماعيا وأكثر ميلا إلى الاستسلام لظروفها الجديدة .

٥ ـ إن الأرامل النساء لا تكون أمامهن فرص مثلما هو أمام الأرامل من الرجال لتغيير المكانة من خلال الزواج نظرا لما يكتنف ذلك بالنسبة لهن من صعاب ومعوقات ، وتظهر حدة هذه المشكلة خاصة إذا كانت الارامل قد مات عنهن ازواجهن وهن في سن مبكرة .

وعندما يثبت من خلال الدراسات التي تجري في هذا المجال ان هناك نسبة من السكان المتقدمين في السن تنطوي على عدد كبير من الأرامل فإنه من المحتمل ان نجد نوعا من الضغط الذي يظهر في الأسر ذات الاطفال ، ذلك لأنه بسبب انتهاء رابطة الزواج يميل الزوج أو الزوجة الذي بقي على قيد الحياة ان يقيم بصفة دائمة مع أبنائه البالغين ويترتب على ذلك انه بارتفاع نسبة الأرامل من النساء في الوقت الذي يزداد ميلهن اكثر من الأرامل من الرجال إلى الاستمساك بالحياة مع ابنائهن فإنه من المتوقع ان نلحظ تأثيرات واضحة يمكن ان تطرأ على طريقة حياة الارملة وعلى طريقة حياة ابنائها البالغين ، وربما يظهر ذلك في زيادة الإعتماد الاقتصادي على هؤلاء ، إلا ان درجة الاعتماد هذه ترتبط بشكل أو بآخر على سن الارملة نفسها نظراً لأن الغالبية العظمى من الارامل من النساء لا يعملن في الوقت الذي يكون سن اغلبهن قد جاوز مرحلة القدرة على العمل الذي يوفر دخلا يمكن الاعتماد عليه ومعنى ذلك أن الأرامل من النساء في كثير من المجتمعات أما أن يعتمدن كلية على معاونة ابنائهن أو اقاربهن أو يحصلن على مساعدات من مؤسسات حكومية أو مؤسسات خاصة[1] .

ومع أن كثيراً من الأرامل من النساء يعشن فعلا مع أبنائهن فإن هذا لا يعني ان ذلك يعبر عن اختيارهن الأول بالنسبة لما يرغبن بصدد حياتهن المستقبلة . فقد وجدت لوباتا أن أغلب الأرامل من النساء يفضلن المعيشة وحدهن عن أن يعشن في

(1) Robert J. Parke and Paul C. Glik, «Prospective Changes in Marriage and the Family» Journal of Marriage and the Family, May 1967, p. 255.

بيوت أبنائهن المتزوجين . وتفسير ذلك أن النساء يرغبن في الاستقلال لأنهن يعتقدن أن كل امرأة ينبغي ان تكون هي صاحبة الأمر في بيتها وأن الهوة التي تفصل بين الاجيال تؤدي إلى اختلافات في الاتجاهات نحو الحياة وخاصة نحو أسلوب تربية الأطفال وهو أمر قد يكون مصدراً للمتاعب إذا عاشت الارملة بصفة دائمة مع ابنائها المتزوجين[١] .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الأرملة أقل ميلا في الوقت الحاضر إلى أن تعيش بقية حياتها حاملة اسم زوجها باعتبارها (حرم فلان) مع ما في هذا من تقبل لمسؤولية العناية بنفسها وبأطفالها لأن ذلك ربما يجعلها تحصل على الاعتراف الإجتماعي إما لذاتها أو من خلال زواجها مرة أخرى .

إن الازمات الكبرى الذي يواجهها الفرد في حياته تتطلب عملية مستمرة من التوافق . ويأتي في مقدمة متطلبات هذا التوافق ما يترتب على فقدان الدوز المتميز الذي يعتبر أكثر صعوبة من التوافق لأي دور جديد آخر[٢] . هذا وتؤكد بعض الدراسات ان الانماط الاجتماعية غالبا ما تعين الفرد على التوافق. إلا ان شدة الاتصال والاندماج مع الشريك الذي غاب نهائيا بالموت يتطلب توافقات شخصية عميقة ومستمرة .

إن الزواج عندما ينتهي بموت أحد الشريكين فإن الاعتقاد السائد أنه لولا الوفاة لاستمر الزواج ولهذا فإن الشريك الآخر ينظر اليه على أنه شخص لم يفقد إنسانا محبا فحسب وإنما ينظر اليه على أن علاقة زواجية ناجحة قد انتهت . إن الموت لا ينهي رابطة الزواج كما ينهيه الطلاق لأن الطلاق يتضمن فترة قد تمتد طويلا بما تحمل من مشاعر الاغتراب وتكون مقدمة لانتهاء الزواج بينما لا يكون الأمر كذلك في حالة موت احد الزوجين ، حيث لا تكون هناك فترة انتقال ، فالشخص الأرمل هو عادة زوج أو زوجة يوما يتمتع بدوره الزواجي المقبول وبعلاقاته المستمرة ويتحول في يوم آخر إلى ارمل أو أرملة دون مقدمات ، وتنتهي بذلك كل العلاقات الزواجية التي تكونت عبر فترة طالت أم قصرت .

---

(1) Lopata «Loneliness» p. 259.

(2) Willard Waller and Reuben Hin, «The Family», The Dryden press, NY, 1951, p. 289.

ويلاحظ أن أحد وسائل التوافق المبكرة والهامة لمن يعيش على قيد الحياة من الزوجين عندما يواجه الحياة وحيدا في عالم كان يعايشه يتكون من العلاقات الثنائية التي تقوم بين المتزوجين أن يلجأ وخصوصا إذا كان السن متقدما إلى البحث عن آخرين يعيشون نفس الظروف . لكن الأمر هنا يختلف في نتائجه ومظاهره ، فإذا كان الزوج هو الذي بقي على قيد الحياة ، فإن مشاكل التوافق تكون أكبر من تلك التي تعانيها الزوجة التي كانت هي التي بقيت على قيد الحياة. فالأرامل من النساء لديهن فرصة أكبر لاستمرارية الدور من خلال رعاية المنزل والتفاعل مع الأقارب والمشاركة في عدد كبير من العلاقات الرسمية وغير الرسمية ومعنى هذا أن الرجال عندما يفقدون زوجاتهم وخاصة إذا كانوا قد تقدموا سناً فإنهم يستشعرون الشقاء وانخفاض الروح المعنوية وقد يصابون بالاضطرابات العقلية أو قد ترتفع بينهم معدلات الوفاة أو قد يقدمون بنسب متزايدة على الانتحار(١) .

أثر الطلاق على الأطفال

في دراسة مبكرة « لوليام جود » في ١٩٥٦(٢) ودراسة أخرى « لإيفان ناي في ١٩٥٧ »(٣) ناقشا فيها الافتراض القائم على أن تأثير الطلاق على الأطفال يكون سلبيا . وقد استفاد « جود » من بعض المعلومات الهامة المتاحة عن عملية الطلاق في صلتها بالأطفال والرعاية وترتيبات الزيارات وهذا إلى جانب كثير من الجوانب التي تكشف عن تصورات الأمهات للأساليب التي يؤثر وفقها الطلاق على أطفالهن . ومع أن دراسة « جود » قد أجريت في مجتمع آخر غير المجتمع المصري إلا أنها تلقي ظلا على ما قد يحدث نتيجة للطلاق في مجتمعات عديدة ، فقد وجد مثلا أن غالبية الأمهات أظهرن قلقا واضحا فيما يتصل بالأضرار المحتملة التي يمكن أن تقع على أطفالهن إلا انهن مع ذلك كانوا يشعرن بالحاجة للسير في اجراءات الطلاق ، ومن ناحية أخرى ، كشفت المادة الميدانية في هذا البحث أن ١٤٪ فقط من الأمهات ذكرن

(1) E. Wilbur Bock and Irving L. Webber, «Suicide among the Elderly: Isolating Widowhood and Mitigating Alternatives, Journal of Mariage and the Family, February 1972, p. 24.

(2) William Goode, «After Divorce» Glencoe, Illinois, the Free Press, 1956, pp. 307-330.

(3) Ivan Nye, «Child Adjustment in Broken and Unhappy Unbroken Homes» Marriage and Family Living. 19 (November, 1957). pp. 356-361.

أن الأطفال يكونون أكثر خشونة في رعايتهم بعد الطلاق . كما أن ٥٥٪ منهم رأين على العكس أن وطأة الطلاق على صعوبة معاملة أطفالهم لا تكاد تذكر ، ومن النتائج البارزة في هذا المجال أن الأمهات اللائي تزوجن للمرة الثانية (ثلاثة أرباع العينة) يرين أن حياة أطفالهن أصبحت أفضل إذا قورنت بحياتهم في الزواج السابق ، لكن ١٥٪ رأين أنه لم يحدث تغيير لهم ، وهذا في الوقت الذي كانت نسبة ٨٪ من الأمهات يؤكدن أن حياة أطفالهن أصبحت أسوأ . ومعنى هذا أن ٩٢٪ من الأمهات اللائي تزوجن مرة ثانية أكدن أن حياة أطفالهن قد تحسنت أو على الأقل بقيت على حالها .

أما دراسة « ناي » فقد كانت موجهة للمقارنة بين خصائص مختارة في جماعات عديدة تلقى أعضاؤها تعليما عاليا ، وتتفاوت أسرها بين الأسر غير السعيدة ومع ذلك تظل باقية لا تنهار ، وبين الأسر السعيدة التي لا يحتمل ان تتعرض للأنهيار ، وأخيراً بين انماط عديدة من الأسر التي انهارت بالفعل . وقد وجد ناي أنه لا توجد أي اختلافات أساسية بين أنواع التوافق عند المراهقين في الأسر غير السعيدة وغير المنهارة ، وبين الأسر المنهارة أيضا وخاصة في مجالات العبادة أو العلاقات المدرسية أو الصحبة الانحرافية ، ذلك أن المراهقين في العائلات المنهارة ظهروا على أنهم أكثر قدرة على التوافق بالمقارنة بالمراهقين في الأسر غير السعيدة وغير المنهارة ، وعلى الاخص إذا كان الأمر متعلقا بالأمراض النفسية،الجسمية ، والسلوك المنحرف أو التوافق بين الآباءوالأبناء . وعموما فإنه يمكن القول أن الأطفال في العائلات المنهارة عن طريق الطلاق لا يكون توافقهم أكثر سوءا من الاطفال الذين انهارت اسرهم بطرق أخرى .

إن النتائج التي توصل اليها الباحثون فيما بعد ، من دراسات اهتمت بالتوافق عند الاطفال في الأسر غير السعيدة أو الاسر المنهارة قد أظهرت أن وطأة الطلاق لم تكن امراً مقلقاً بشكل خطير من الناحية السيكولوجية كما ان شيئاً من قبيل الإختلافات الاساسية في الشخصية لم يحدث ، وطبيعي والحال على هذا النحو الا تحدث زيادة ملحوظة في المشاكل التي قد يثيرها الاطفال .

هذا ويجب ان نلاحظ ان النتائج السابقة تصور أثر الطلاق أو المشاكل الأسرية

على الاطفال في مجتمعات متقدمة نسبيا إذا قورنت بمجتمعات العالم الثالث وبينها المجتمع المصري ، فمن المعروف أن بناء المجتمعات التي اجريت فيهاالأبحاث السابقة يشجع الفردية سواء في نطاق الأسرة أو في برامج التعليم ، وهناك من الاجهزة والتنظيمات التي تعنى بمشاكل الاطفال في كل الظروف التي يمكن أن تواجههم سواء أثناء نموهم داخل الأسرة او في المدرسة أو حتى حين يتعرضون لأزمات بسبب الطلاق أو غيره من مشاكل الآباء ، وجدير بالذكر ان هذه المجتمعات تحرم تعدد الزوجات ، الا أنها لا تستبشع الطلاق ، ولا تلحق عارا أو خزيا أو أي نوع من السخرية أو الاشارة الجارحة بالمرأة التي تتزوج للمرة الثانية أو الثالثة ، بل أن ثقافة هذه المجتمعات أصبح فيها من التعاليم أو القيم ما يبرر ويساند هذه الاتجاهات ، الأمر الذي أصبح معه إنحلال الزواج مسألة عادية ، بل إنه أمر يجب أن يحدث إذا تعرضت تجربة معيشة الزوجين إلى الخلل أو سوء التوافق الذي قد ينجم عن عدم إتفاق في النظرة للحياة أو في القيم ، أو في طبيعة التعاون الذي يجب أن يقوم بين الزوجين . وما من شك أن أحداً لا يمكن أن يزعم أن مثل هذه النتائج يمكن أن تجد مثيلا لها في مجتمعنا ، إلا أنها يمكن أن تصلح كفروض لقياس التغير الذي يحدث في العلاقات الزواجية انحرافا عن وضع تقليدي ظل مسيطراً لفترة طويلة جدا ، لأن عناصر الثقافة ومقومات البناء الاجتماعي التي ظلت ثابتة نسبيا لقرون عديدة لم تشجع الفردية ، بل أيدت باستمرار الجماعية التي ظهرت في معالجة مسائل القرابة ، وتعدد الزوجات ، وعدم الترحيب بالطلاق ، لما قد يحدثه من مشكلات قد تهدد الوحدات القرابية أو الجماعات المتقاربة أو تسيء إلى الجوار أو ما إلى ذلك ، وإذا كان هناك وجه شبه بين النتائج التي اشرنا اليها والمستخلصة من أبحاث « جود وناي » في المجتمع المصري وخاصة فيما يتعلق بعدم تأثر الاطفال بشكل خطير بالتصدعات الاسرية فإن هذا لا يرجع إلى نفس الاسباب التي توصلت اليها ابحاثهما ، ذلك لأن الاسرة الممتدة لا تزال رواسبها تسيطر على اتجاهات العلاقات حتى في وجود نمط الاسرة النواة المفضل حاليا ، وتؤدي إلى اضفاء نوع من الرعاية والحماية على الاطفال الذين أصبحوا عرضة للضياع نتيجة للطلاق أو غيره من اشكال التصدع في العلاقات الأسرية. ومع ذلك ففي بعض اجزاء المجتمع

المصري الذي ازدادت فيه الخصائص الحضرية وازدادت فيه كذلك عزلة الأسرة النواة عن الروابط القرابية التقليدية ، فإن الأطفال في الأسر السعيدة أو الأسر التي إنهارت بالطلاق يتعرضون لكثير من المآسي والضياع نتيجة لتخلف اساليب رعاية الطفولة وكذلك نتيجة لعدم كفاية المؤسسات والتنظيمات التي يكون من مهامها الأساسية رعاية هؤلاء . وربما يفسر ذلك ما يلاحظ في السنين الأخيرة من ارتفاع معدلات انحراف الاحداث في المجتمع المصري وارتفاع معدلات التخلف الدراسي وزيادة أنواع معينة من الأمراض النفسية التي يتعرض لها الاطفال الذين انهارت أو تصدعت اسرهم .

وعموما فإن النتائج التي نصل إليها هي أن غالبية المطلقات يعتقدن أنهن وأطفالهن أصبحن في حالة أحسن مما كن قبل الطلاق ، كما أن نسبة الطلاق ترتفع في الأسر ذات الدخل المنخفض عنه في الأسر مرتفعة الدخل . كما أن الطلاق تزداد نسبته في المراكز المهنية المنخفضة ، ومن هذا يمكن لنا ان نستنتج أن الدخل المنخفض والمكانة المهنية المنخفضة هما مشاكل حقيقية في حد ذاتها وبالتالي ينعكسان على مدى التوافق الزواجي وهناك مثل عربي يقول « متى دخل الفقر من الباب هرب الحب من الشباك » .

الزواج الثاني

يتوقع الباحثون أنه مع إزدياد معدلات الطلاق فإن اقدام الرجال والنساء على الزواج مرة ثانية أمر محتمل ، وتدل كثير من الدراسات التي نشرت أن الزواج الثاني امر شائع في كثير من بلاد العالم ، إلا أن الولايات المتحدة الامريكية تأخذ في هذا النطاق مركز الصدارة ، وحول هذا الموضوع يقدم شليزنجر قائمة بالنتائج التي توصل إليها عن تكرار الزواج Remarriage (الزواج الثاني) .

أ ـ يكون معدل الزواج الثاني أكثر ارتفاعا بين من هم أقل تعليما بالمقارنة بمن تلقوا تعليما عاليا أو جامعيا .

ب ـ تنطوي أدنى نسبة من الزيجات الثانية على أشخاص فقدوا زوجاتهم أو ازواجهم بالموت (الأرامل) .

جـ ـ يميل المطلقون عندما يتزوجون ثانية إلى اختيار من سبق لهم الطلاق أكثر من اختيارهم لأرامل .

د ـ يكون الأشخاص الذين يتزوجون ثانية أكثر ميلا إلى الطلاق من أولئك الذين يتزوجون لأول مرة .

هـ ـ يتضمن النمط الاعلى للزواج الثاني عادة شريكا يكون قد سبق له الطلاق .

و ـ الزواج الثاني لا يضر بالأطفال .

ز ـ يكون توافق الأطفال مع أزواج أمهاتهم أحسن من توافقهم مع زوجات آبائهم .

حـ ـ لا تتميز الزيجات الثانية بشهور العسل أو الهدايا أو حفلات العرس كما أنها تتم عن طريق حفلات مدنية أكثر من الحفلات الدينية .

هذا وقد وجد « جود » أن ٨٧٪ من الأمهات المطلقات اللائي تزوجن مرة ثانية يقررن أن حياتهن الزوجية الحالية أحسن من حياتهن السابقة ، وبغض النظر عن النسب المئوية التي قد يسوقها آخرون ، بأن الغالبية العظمى ممن يتزوجون بعد طلاق يكونون اكثر سعادة ويمكن أن يبقوا كذلك لفترات طويلة .

الفصل الحادي عشر

دراسة تطبيقية على الأسرة المصرية

وظائف الأسرة المتغيرة

يظهر من استقراء تراث علم الاجتماع والانثروبولوجيا عن النسق الأسري في المجتمعات التقليدية ، أنه من الصعب التفكير في وظيفة تتصل بالحياة او العمل لم تكن من مسئولية الأسرة وفي نطاق اختصاصها ، ومعنى هذا أن الوظائف الأسرية كانت تواجه متطلبات المعيشة والضبط الاجتماعي في وقت واحد ، ولعل هذه الخصائص هي التي جعلت الباحثين يصفون الأسرة القديمة بأنها وحدة اجتماعية مكتفية بذاتها ، ذلك أنه باستثناء الانجاب ، فان الوظائف الأخرى مثل الانتاج والاستهلاك والتنشئة الاجتماعية ومنح المكانة الاجتماعية والتوجيه الديني والترفيه والحماية والتعاطف والمحبة ، كانت جميعا وبشكل غير مختلف عليه تميز هذا النمط من الأسرة ، وأيا كانت درجة انجاز هذه الوظائف فان الأسرة كانت تشارك عن طريقها بفعالية في حياة الجماعة الكبرى .

لكن الأسرة ، شأنها في ذلك شأن النظم الأخرى في المجتمع ، تخضع لقانون التغير الدائم ، وان كان تغيرها أبطأ من التغير في تلك النظم ، الا انه يعتبر علامة على بلوغ التغير بوجه عام نتائجه الضرورية . وهذا ما حدث نتيجة للثورة الصناعية وانتقال المجتمعات من النمط الزراعي الى النمط الصناعي ، وتقدم التكنولوجيا الذي طرح امام مجتمع الانسان طرقا فنية تتزايد باستمرار لمعالجة شئون الطبيعة ،

والعلاقات الانسانية ونشأة المدن بشكلها الحالي وما صاحب ذلك من ازدياد الخصائص الحضرية التي خلقت طريقة جديدة في الحياة لم تكن مألوفة او منتشرة من قبل .

ولقد عكست الأسرة في كل مرحلة من مراحل التغير هذه مدى تأثرها بالمناخ الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي العام ، وأبلغ ما استجابت له الأسرة هو ما حدث في وظائفها الشمولية القديمة ، تلك الوظائف التي أخذت تنسلخ عنها الواحدة تلو الأخرى حتى انحسرت في عدد قليل جدا من الوظائف ، لدرجة ان كثيرا من المؤلفين والباحثين في ميدان علم الاجتماع يتصورون « متشائمين » انه باستمرار التغير في المجتمع وباستمرار التأثير المباشر على الوحدة الأسرية ، فان الأسرة كما يقول « بيتريم سوروكن » كاتحاد مقدس يتكون من الزوج والزوجة ، ومن الآباء والأبناء ، سيستمر في الانحلال ، وستستمر الوظائف الاجتماعية والثقافية الرئيسية لها في النقصان حتى تصبح مجرد مكان لممارسة العلاقات الجنسية . وقد يعتقد الكثيرون ان وجهة نظر سوروكن هذه تعبر عن واقع ما يحدث في المجتمعات الغربية الآن ويعززون هذا الاعتقاد عن طريق ابراز نسب الطلاق المتزايدة والتصدعات التي تتعرض لها الأسرة والمشاكل العديدة التي تتفاقم بين الأجيال ، الا ان هذا الاعتقاد ليس له ما يبرره في واقع الأمر ، فلا زالت الأسرة حتى في أكثر البلاد الغربية تقدما محور الحياة الاجتماعية . ولعل تجربة الاتحاد السوفيتي في هذا المجال تعتبر دليلا قاطعا على أهمية النظام الأسري بالنسبة للتكامل الاجتماعي بوجه عام . أما أن يظهر نتيجة للتغيرات السريعة في المجالات التكنولوجية والاجتماعية عدم استجابة مماثلة في نطاق الوحدات الأسرية وما قد يصحب ذلك من علاقات تفكك أو صراع ، فان ذلك لا يمكن ان يؤخذ كدليل يؤيد النظرة التشاؤمية التي تسود كثيرا من الكتابات السوسيولوجية الآن .

ومن الأخطاء التي قد يقع فيها دارسوا الأسرة في كثير من المجتمعات النامية كمجتمعنا ، مجاراة النظرة التشاؤمية المشار اليها على أساس أن التغير الاجتماعي والتكنولوجي عندنا على سبيل المثال يسير وان تخلف من حيث الزمن في نفس الطريق الذي سارت فيه المجتمعات الغربية ، وبالتالي يتوقعون أن تواصل الأسرة العربية

تغيرها في الاتجاه الذي يؤدي الى انحلالها ، ولعل احد النتائج الهامة التي أمكن التوصل إليها نتيجة لدراسة ما كتب عن المجتمعات العربية في هذا المجال هو ابتعاد هذا التصور تماما عن الواقع .

ويذكرنا ذلك بما سبق أن عرضنا له عندما كنا نحلل نظرية « وليم اجبرن » التي يؤكد فيها فقدان الأسرة لوظائفها نتيجة للتخلف الاجتماعي العام الذي تقع فيه الأسرة وراء التقدم التكنلوجي المادي الذي يميّز المجتمعات الصناعية الحديثة ، ذلك أن الأسرة التقليدية القديمة كانت لقرون عديدة متوافقة مع الظروف الاجتماعية التي كانت هي نفسها متوافقة مع الجوانب المادية من الثقافة ، ولكن ظهور التصنيع أدى الى تغيرات عميقة في المجتمع صاحبه فقدان الأسرة لوظائفها بانتقالها نهائيا الى مؤسسات خارجية . الا أن اجبرن لم يذهب مذهب التشاؤم الذي ذهب اليه سوروكن وغيره من الباحثين ، لأنه يعتقد أنه على الرغم من قلة الوظائف التي بقيت لأسرة اليوم فانه أصبح في امكانها أن تؤديها بطريقة أفضل مما كانت تقوم به في الماضي[1] . ويسير في نفس الطريق ولكن بتحليل مختلف « تالكوت بارسونز » الذي يرى أن التفكك الأسري الذي اعتبر انحلالا ليس الا نوعا من التكيف لمتطلبات الاقتصاد الصناعي حيث يؤمن في كل ما كتب عن الأسرة بتوازنها المستمر ، في الوقت الذي يكون فيه هذا التفكك عبارة عن معوقات وظيفية يتغلب عليها النسق الأسري باستمرار[2] .

واذا كانت وظائف الأسرة في الغرب قد نقصت وتضاءلت الى درجة ملحوظة بحيث أمكن للدارسين ان يتحدثوا عما بقي للوحدة الأسرية وأن يحصروه في وظيفتين اساسيتين ، إحداهما بيولوجية وهي الانجاب وما يسبقه من علاقات جنسية والأخرى اجتماعية وهي التنشئة والرعاية ، الا أن الأمر يختلف في مجتمعنا نظراً لظروف عديدة ، منها على الأخص المستوى الذي بلغه التغير الاجتماعي

---

(1) William Ogburn and Others, «The Family and Its Function»» Report of the President's Research Commitee on Social Trends. Recent Social Trends in the U.S.A., N.Y. 1943.

(2) Talcott Parsons, «The Social Structure of the Family» in Ruth Anshen (ed.). The Family its Function and Destiny. N.Y. 1959.

والتكنولوجي ، ومدى تغلغل النسق القيمي في السلوك بوجه عام ، ولسوف أحاول فيما يلي أن أعرض للتغير الذي طرأ على وظائف الأسرة المصرية مع الأخذ في الاعتبار الدرجات المتفاوتة لهذا التغير بالنسبة لفئاتها المختلفة .

أ - الوظيفة الاقتصادية

تعرض المجتمع المصري خلال نصف القرن الماضي لتغيرات هامة كان بعضها مسايرا لتيار التغير العالمي الذي كان نتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي . ومن أبرز هذه التغيرات ما ظهرت نتائجه في المجتمعات القروية والبدوية التي لم تعد مكتفية بذاتها اقتصاديا في الوقت الذي بدأت يغزوها كثير من الخصائص الحضرية مما أثر على نسق الأسرة وخاصة في زيادة اعتمادها على الخارج اقتصاديا من حيث متطلباتها للمعيشة او تسويقها لمنتجاتها ، وقد ترتب على زيادة السكان المطردة وثبات مساحة الأرض الزراعية التي تعتبر مصدر الانتاج الأساسي أن أصبح عدد كبير من الأسر القروية بلا عمل ، مما جعلها تفقد صلتها التقليدية بالأرض وتتحول الى الهجرة للمناطق الحضرية والصناعية التي أخذت تزداد حجما نتيجة مشروعات التصنيع وازدياد حركة التعليم واتساع نطاق الخدمات . كل هذه العوامل أدت الى فقدان أسس الاكتفاء الذاتي القروية واقتصاره على أنواع محددة من النشاط كتربية الدواجن وصناعة الألبان والخبز على سبيل المثال ، أما الأسرة الحضرية فان وظيفتها في الانتاج تتحدد بطبيعة الحياة الحضرية في صنع الطعام وغسل الملابس وحياكتها في بعض الأحيان . أو بعبارة أخرى تتميز الأسرة الحضرية الآن بأنها وحدة مستهلكة أكثر من كونها وحدة منتجة ، ومع ذلك يرى كثير من الباحثين ان وظيفة الاستهلاك لا تقل اهمية من منظور المجتمع ككل عن وظيفة الانتاج .

وعموما ، نستطيع أن نقول إن الغالبية العظمى من الأسر في الوقت الحالي تقوم بصنع الكثير من متطلباتها في المنزل وخاصة في فئات العمال والفلاحين ، كما نستطيع ان نستنتج ان الفئة الحضرية هي أكثر الفئات تأثرا ومسايرة للتغيرات التي تعرض لها المجتمع في الفترة الأخيرة ، الا ان هذا التأثر اتخذ صورة غير مباشرة نتيجة التغيرات في النسق الاقتصادي واتاحة الفرصة امام الزوجات للالتحاق بالعمل .

ب ـ الوظيفة التعليمية

على الرغم من انتقال التعليم من المنزل الى المدرسة ، فما زال للأسرة دورها الفعال في هذا المجال حيث أنها تقوم بالاشراف على متابعة أطفالها في الواجبات المنزلية وفهم الدروس ، ويمكن أن نقول أن الوالدين هما اللذين يحددان مدى تقدم أو تأخر الطفل في المدرسة ، والدليل على ذلك أن الآباء اليوم يقضون وقتا أطول في مساعدة أبنائهم في استذكار دروسهم أكثر من ذلك الذي كان يقضيه الآباء مع أبنائهم في الماضي ، ويرجع هذا الى ارتفاع المستوى الثقافي والتعليمي بين الآباء في الوقت الحالي خاصة في الفئات العليا والمتوسطة حيث أتيح للآباء فرصة قضاء سنوات طويلة في تلقي العلم ، على أنه بالنسبة للفئات العمالية والريفية نجد أن الآباء في كثير من الاحيان يخرجون ابناءهم من المدرسة اما ليتعلموا حرفة أو ليساعدوهم في الحقل ، أو قد يكتفون بمرحلة معينة من مراحل التعليم . والحقيقة الواضحة ان آباء اليوم أكثر اهتماما بأبنائهم ، كما أن درجة تعليم الوالدين يكون لها أثر كبير على مستوى الأبناء الدراسي .

واذا كان التعليم قد انتقل بالفعل من البيت الى المدرسة ، الا ان الأسرة هي التي تقوم بدفع نفقاته . وبالرغم من مجانية التعليم . . الا ان الأسرة ما زالت تنفق الكثير في سبيل تعليم اولادها مثل أجور المواصلات والأدوات والملابس المدرسية . . . الخ .

وإذا نظرنا الى كل متغير على حدة نلاحظ اختلافات هامة بين فئات الأسر المختلفة تنحصر فيما يلي :

١ ـ الأم لها دور أكثر فعالية من الأب في الاشراف على واجبات الأبناء المدرسية .

٢ ـ انه في حالة اشتراك الزوجين معا في الاشراف على متابعة تعليم ابنائهما ، فان هذا الاشتراك يقل كلما انتقلنا من فئة لأخرى حتى ننتهي الى فئة الفلاحين ، ويعكس ذلك المستوى الثقافي للأم الذي يتناقص من الفئة الحضرية حتى الفئة الريفية .

٣ ـ إن قيام الأخوة بمهمة الاشراف على اخوتهم الأصغر منهم يبدو واضحا في الفئات

الفقيرة والريفية ، وهذا يرجع الى انخفاض المستوى الثقافي للآباء في هذه الفئات .

٤ ـ إن ظاهرة الاستعانة بمدرس خصوصي قد بدأت تظهر بوضوح في كثير من الفئات ، وقد تبين أن هذه الظاهرة تتزايد الى الدرجة التي ستحل فيها محل اشراف الوالدين او الأخوة وخاصة في مراحل الشهادات العامة .

الأسر الريفية لا تشرف بصورة فعالة على متابعة تعليم ابنائها لانخفاض مستوى الآباء الثقافي بدرجة ملحوظة مما يؤثر على انجاز ابنائهم ونجاحهم في مراحل الدراسة المختلفة .

وعموما نستطيع القول بأن استجابة المجتمع بفئاته المختلفة للتغيرات الاجتماعية من زاوية الإقبال على التعليم كانت ملحوظة للغاية ،حتى أن كثيرا من أبناء الأسر في فئتي العمال والفلاحين يواصلون التعليم الآن حتى مستوياته العليا ، لأن التعليم أصبح له الى جانب ما يقدمه من مركز اجتماعي ، وظيفة اقتصادية واضحة . وقد ذكر عدد كبير من آباء وأمهات هاتين الفئتين أنهم يتكبدون مشاق عديدة في سبيل الانفاق على أبنائهم في التعليم ومع ذلك فهم يبذلون قصارى جهدهم في أقسى الظروف من أجل تحقيق املهم في تخرج ابنائهم من الجامعات والمعاهد العليا[1] ، والخلاصة أنه بالرغم من انتقال « الوظيفة التعليمية » وخاصة في أبعادها الرسمية الى مؤسسات خارجية ، الا أن الأسرة على عكس ما كان موجودا من قبل تنهض بوظيفة جديدة هي المتابعة المستمرة لتقدم ابنائها المدرسي .

جـ ـ التنشئة الاجتماعية

يحظى موضوع التنشئة الاجتماعية باهتمام كثير من العلوم الانسانية والاجتماعية وقد أفردت بعض هذه العلوم فصولاً عديدة من دراساتها ووجهت ابحاثا تتزايد باستمرار نحو هذا الموضوع الذي يهم الفرد والجماعة والمجتمع ، ومن المعروف في هذا المجال الاسهامات التي قدمها علم النفس وفروعه المختلفة وكذلك

(١) بلغت نسبة أبناء العمال والفلاحين في جامعة الاسكندرية اكثر من ٥٠٪ من مجموع الطلاب ، انظر البحث الذي نشرته جامعة الاسكندرية بعنوان « مجتمع الجامعة » باشراف عاطف غيث والسيد بدوي ، ١٩٧١ .

الدراسات النفسية التي تعنى بالعلاج وبالتحليل . ومنذ وقت طويل اهتمت الانثروبولوجيا عندما كانت توجه أغلب اهتمامها لدراسة الشعوب البدائية الى أسلوب هذه المجتمعات في التنشئة الاجتماعية ابتداءاً من مرحلة الولادة حتى النضج ، بل أن جانبا كبيراً من دراسات الانثروبولوجيا الثقافية يعنى بدراسة أثر الثقافة على الشخصية الانسانية ، ولعل الدراسات العديدة التي أجرتها مارجريت ميد M. Mead من خير الدراسات التي تعتبر من المراجع الهامة في التنشئة الاجتماعية بوجه عام وتأثير الثقافة فيها وفي بناء الشخصية على وجه خاص .

لقد كان علم الاجتماع الى وقت قريب لا يعالج موضوع الثقافة معالجة مستقلة على أساس أنها ميدان لعلوم أخرى . واذا تعرض لها فبالقدر الذي يكمل أو يوضح العوامل المتعددة التي تؤثر في الحقيقة الاجتماعية ، ويعتبر ما ذكره روبرث ماكيفر في هذا الصدد من الآراء الكلاسيكية والتي تشير الى موقف علم الاجتماع من الثقافة ، الا ان زيادة اهتمام هذا العلم بدراسة التغير الاجتماعي قاده الى الاهتمام وبنفس الدرجة الى دراسة الثقافة والتغيرات التي تحدث فيها ، كما أن اتساع نطاق الدراسات الأسرية وخاصة من حيث الوظائف المتغيرة التي تنهض بها مثل « التنشئة الاجتماعية » جعل موضوع الثقافة وتأثيراتها في الأسرة من الموضوعات التي يعنى بها الدارسون في هذا الميدان . وثمة حقيقة توافق عليها الغالبية العظمى من علماء الاجتماع وهي أن الاختلافات التي تبدو في طرق التربية من جماعة الى أخرى أو من مجتمع الى آخر هي في واقع الأمر اختلافات ثقافية .

ويزداد الالحاح على دراسة الثقافة في تأثيرها على أساليب التنشئة الاجتماعية كلما ازداد التغير الاجتماعي ، وكلما اتسع نطاق التكنولوجيا وتطور التصنيع وأخذت الحضرية كطريقة في الحياة تؤثر على مجرى الحياة الاجتماعية في أقسام المجتمعات المختلفة . ومثال ذلك أنه في المجتمع الذي تظهر فيه فروق واضحة في مستويات التغير بين أقسامه المختلفة أو بين موقف الأجيال من مسايرة التغير أو اعتناق التجديدات التي يطرحها ، نجد محاولات مستمرة من الآباء الشبان لتوجيه تنشئة اطفالهم الاجتماعية وجهات مختلفة عما يتصوره آباؤ هم.والذي لا شك فيه ان طرق تربية الأطفال جزء من النسق الاجتماعي الكبير وهي تتأثر لذلك بالظروف المتغيرة الاقتصادية والسياسية والدينية والطبقية ، ونظرا لارتباط التغير في هذه العوامل ،

فان تغير بعضها دون أن يتغير البعض الآخر بنفس الدرجة يمكن أن يؤدي الى تناقضات عديدة في الأساليب المرعية في تنشئة الأطفال اجتماعيا .

وأبلغ دليل على التغير السريع الذي يحدث في مجال التنشئة الاجتماعية انه منذ ثلاثين سنة تقريبا كان الاتجاه الى معاملة الأطفال كما يعامل البالغون بالحزم والقسوة أحياناً ، والاقتصاد بقدر الامكان في مظاهر اللين أو التدليل ، في حين يؤكد اليوم علماء التربية وعلماء النفس بل وعلماء الاجتماع أيضا اهمية مصادقة الأطفال ومنحهم الحب والعطف والحنان . كذلك لم يعد ينصح بالتفرقة بين الأبناء على أساس السن أو الجنس ، الا أن هذا لا يعني أن المجتمع بأسره يعتنق هذه الايديولوجية الجديدة في التربية والتنشئة لأن الاختلاف بين فئات المجتمع اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ينعكس على مدى الابقاء على الأساليب القديمة أو الأخذ بالمناهج الجديدة [1].

لقد كانت التنشئة الاجتماعية تقع مسئوليتها برمتها على عاتق الأسرة الممتدة التقليدية حتى سن النضج تقريباً ، لكن التغير الذي أصاب الأسرة بنائيا ووظيفيا نقل جوانب عديدة من التنشئة الاجتماعية الى مؤسسات اخرى خارج المنزل كالمدارس والنوادي ودور السينما ، كما أن أشتغال المرأة وتركها مسئولية رعاية الطفل لغيرها يؤدي الى مفارقات عديدة في هذا الميدان ، فإلى جانب تناقص دور الأب حتى في كثير من الأسر التي تكون فيها الزوجة عاملة ، فانها تنقل الى الاطفال تصوراتها وأذواقها وقيمها .

ومع ذلك فانه من الواضح ان عملية التنشئة الاجتماعية ما زالت تمثل أهم وظائف الأسرة التي بقيت لها ، ويبدو تأثير الأسرة بأجلى صورة في السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل ، وهي التي يقضيها عادة في المنزل قبل أن يلتحم بالمجتمع الخارجي عن طريق المدرسة وجماعات اللعب . ومن أجل هذا وجهت عناية ملحوظة لدراسة مناهج الأسرة في تربية الأطفال والمدى الذي ما تزال الرواسب القديمة عالقة بها ، ونزع التجديدات التي تأخذ بها الأسرة الآن وأثر التغير الاجتماعي والثقافي بوجه عام في تعديل سلوك الأسرة نحو أطفالها بشكل أو بآخر .

---

(1) Milton Yinger . , « The Chonging Family in a Changing Society » ; Op cit .

وقد لاحظت نتيجة الدراسة التي قمت بها في المجتمع المصري والدراسات التي تعرضت لهذا الموضوع في المجتمع ، ان الذين حصلوا على درجة عالية من التعليم أو حتى متوسطة غير راضين عن الطريقة التي كان آباؤهم يتبعونها معهم في التربية على عكس الأسر في المناطق الريفية حيث بدا رضاهم التام عن فعالية طريقة آبائهم . بل أن بعضهم يرى أنها كانت أفضل من الطرق التي يتبعونها هم في تربية أطفالهم . ولعل التمسك بطرق الآباء في التربية يرجع الى الثبات النسبي الذي تتمتع به المناطق الريفية حيث ان التغير يحدث فيها ببطء شديد بعكس الحال في المناطق الحضرية .

وتعتبر مراقبة وتوجيه سلوك الأطفال وتصرفاتهم من العوامل الأساسية في عملية التنشئة الاجتماعية ، وعادة يتولى الأب والأم معاً هذه العملية . وفي بعض الأحيان تضطر ظروف عمل الأب الى التخلي عن هذه المهمة للأم . الا أن هذه المهمة تختلف باختلاف عمر الطفل ، ففي خلال سني حياته المبكرة تكون هناك علاقة وثيقة بين الطفل والأم . حيث تتحمل مسئولية رعايته جسمانيا ، وبالتدريج يتدخل الأب في تدريب الطفل ، وهي أصعب وأدق من عملية الرعاية الجسمانية ، وتتطلب جهودا مضاعفة من الوالدين . وجدير بالذكر ان التغير في عملية التنشئة الاجتماعية عند الأسر الحضرية جعل المرأة تتحمل العبء الأكبر في رعاية أطفالها بينما كان يشترك في تحمله في الماضي كبيرات السن في الأسرة الممتدة الى جانب الزوجة .

ويلاحظ ان الغالبية العظمى من الأسر يشارك الأب والأم فيها معا مسؤولية مراقبة وتوجيه سلوك الأبناء الصغار وغرس قيم وتقاليد وعادات الفئة التي ينتمون اليها ، الا أن مدى هذه المشاركة يختلف باختلاف الأوضاع الاجتماعية لكل اسرة .

وقد كان للتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية التي تعرض لها المجتمع أثرها الواضح على الأسرة وعلى عملية التنشئة الاجتماعية بوجه خاص ، فأصبح الأطفال في الوقت الحاضر يحظون برعاية كبيرة وخدمات صحية وتربوية وترفيهية لم يكن الأطفال في الماضي يحصلون على مثلها . كما أن التغيرات التكنولوجية وما صاحبها من التخصصات الدقيقة حالت دون امكانية التحاق الأطفال بالعمل قبل سن السادسة عشرة في معظم المجتمعات ، الى جانب أن قوانين الدراسة الالزامية تمنع

اشتغال الأطفال قبل اتمامها .

وهناك أيضا أثر مباشر للتكنولوجيا يظهر في استعمال وسائل منع الحمل مما انقص عدد الأطفال في الأسرة (وخاصة في المناطق الحضرية) .

والمقصود بالطرق الحديثة في التربية هو منح مكانة متساوية نسبياً لجميع أفراد الأسرة ، من حيث الحرية والمساواة النسبية وحق ابداء الرأي والمناقشة الحرة واستقلال الشخصية والمكانة المتساوية بين الأطفال دون تفرقة بين الذكور . . والاناث .

وهناك عدة أسباب تقدمها الأسرة لتبرير اتباع الطرق الحديثة في التربية منها :

أ ـ أن الطرق القديمة القائمة على فرض سيطرة الوالدين او الأب بالذات واستعمال وسائل معينة في التربية كالضرب والارهاب أصبح ينظر اليها على أنها غير سليمة ، كما قد تؤدي الى اصابة الطفل بأمراض نفسية عديدة وتهدد مستقبله الدراسي وحياته العملية بعواقب وخيمة وتعرض شخصيته للانحراف أو الانطواء وكلاهما غير سليم . هذا في الوقت الذي تفوقت الطرق الحديثة في التربية على القديمة اذ تقوم على أسس علمية وتجريبية قام بها علماء متخصصون في هذه المجالات .

ب ـ كثيرا ما يتبع الآباء طريقة وسطا تجمع بين القديم والحديث ، حيث يصعب التخلص تماما من أثر الطريقة التي تربى عليها الفرد مع محاولة لتطبيق الطرق الحديثة على أبنائهم .

وقد أجمع الكثيرون على أن معاملة الطفل بطريقة تجمع بين اللين والشدة تبعا للمواقف المختلفة التي يتعرض لها من أفضل وسائل التربية ، حيث أن الثواب والعقاب لهما أهمية عالية في تربية الأطفال . وهذا يؤكد لنا أن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والتغير في درجة التعليم كان لها أثرها الواضح في مدى التغير الذي تعرضت له عملية التنشئة الاجتماعية في الوقت الحاضر . وبالرغم من ذلك فإن نسبة من لا يتبعون الطرق الحديثة في التربية في المجتمع العربي ما زالت عالية ، ويرجع ذلك الى اختلاف هذه الطرق عما تعودوا عليه في طفولتهم أو عدم

اقتناعهم بهذه الطرق ، أو صعوبة تنفيذها ، أو اعتقادهم بعدم ملاءمتها للمجتمعات الشرقية .

ويرجع الاختلاف بين أسر الفئات المختلفة حول طرق التنشئة الاجتماعية إلى اختلاف هذه الفئات من حيث التكوين البنائي والأيديولوجي ، وفرص الحياة المتاحة أمامهم ، وأدوارهم الزوجية ، وأسلوبهم في الحياة ، مما ينتج عنه بالضرورة اختلافات في طرق التنشئة الاجتماعية والقيم المتعلقة بها .

ومن الدلائل التي تؤكد التغير الذي تعرضت له عملية التنشئة الاجتماعية في الوقت الحاضر ان معظم الزوجات الشابات أصبحن لا يستعنّ في تربية أطفالهن بكبيرات السن من سيدات الأسرة سواء كانت أم الزوجة او حماتها ، على ان ذلك يختلف من فئة لأخرى تبعا للظروف الاجتماعية المحيطة بكل منها .

ففي المناطق الحضرية تبين ان معظم الزوجات الشابات يعشن بعيداً عن أمهاتهن الأمر الذي يعوق الاستعانة بهن او استشارتهن ، كما ان بعد درجة الثقافة والتعليم بين الأم والابنة في معظم الأحيان يدفع بالزوجات الشابات الى الاستعانة بالخبراء والمتخصصين (الأطباء مثلا) او قريناتهن في حل المشاكل التي تعترضهن اثناء تربية الأطفال .

وهناك سبب آخر قد يدفع الزوجات الى الاستغناء عن مساعدة كبيرات السن من سيدات الأسرة وخاصة في المناطق المتحضرة هو ميلهن إلى إنجاب عدد قليل من الأطفال وبالتالي لا يصبحن في حاجة ماسة إلى معاونة أحد ، على عكس الزوجات في المناطق الأخرى ، فإن كثرة اطفالهن وقلة الامكانيات المادية تحتم الاستعانة بكبيرات السن في الأسرة ، وقد ترجع اسباب الاستعانة بكبيرات السن الى عدم خبرة الزوجات في مسائل التربية ، وخاصة في بدء الحياة الزوجية وفي حالة الانجاب للمرة الأولى .

وقد اتضح ان نسبة كبيرة من الزوجات الريفيات يستعن بكبيرات السن نظراً لخبرتهن وممارستهن الطويلة في تربية الأطفال ، بينما انخفضت هذه النسبة عند الزوجات في المناطق الحضرية وهذا يؤكد مدى حرص الزوجات في هذه المناطق على الاعتماد على أنفسهن في تربية أطفالهن وأيضا لبعد المستوى الثقافي في كثير من

الأحيان بين الأم الشابة ووالدتها . فالتغير الذي لحق بنظم التعليم في المجتمع واتاحة الفرصة أمام الفتيات لتلقي العلم حتى أعلى الدرجات قدم لهن فرصا لم تكن متاحة أمام امهاتهن في الماضي وبذلك اتسعت الهوة الثقافية بين الجيلين .

ومن هذا يتضح انه أصبحت هناك عوائق تقف في الوقت الحاضر ضد استعانة الزوجة الشابة بأمها أو حماتها أو احدى قريباتها في تربية أطفالها . وكان أهم عائق هو اختلاف مستوى التعليم وبعد درجة الثقافة بين الأم والابنة كما ان الاستقلال في المعيشة وضيق المساكن وانتشار شكل الأسرة النواة بدلا من الأسرة الممتدة اصبح يحول دون ذلك .

اما من حيث مدى معاملة الزوجين لاولادهما بطريقة واحدة ، فقد تبين ان نسبة عالية من الأسر في الوقت الحاضر يعاملون ابناءهم بطريقة واحدة دون تفرقة بين كبير أو صغير او بين ذكر وأنثى ، الا ان الكثيرين وخاصة بين المثقفين أكدوا ان كل سن يمر بها الطفل له طريقة معينة من المعاملة يتبعونها في تربيته .

وبالرغم من انخفاض نسبة من لا يعاملون ابناءهم بطريقة واحدة فقد ظهر اختلاف هام أود أن أشير اليه وهو أنه بينما يؤكد البعض في الطبقات المثقفة أنهم يعاملون الأناث بطريقة مخالفة للذكور ،فان الأسباب التي ذكروها لتبرير ذلك تختلف تماماً عن الأسباب التي ذكرها الفلاحون ، حيث أكدوا ان معاملتهم للأناث من أبنائهم تكون بطريقة أرق وألطف من الذكر ، ومعاملة الابن الذكر بشيء من الخشونة والشدة حتى تتمكن الأسرة من غرس ادوار الجنس الملائمة لكل منهما بنجاح .

وتسهم وجهة النظر السوسيولوجية في فهم التفاعل بين الأطفال في الأسرة ، فوضع « الابن الأكبر » مثلا يمكن ان يكون له بعض الأشكال التي تكون مشتركة في كل مكان حيث يكون لهذا الوضع متطلبات خاصة ومميزات معينة . كما يتطلب أنواعا معينة من المكانة الشخصية لهؤلاء الذين يتولون هذا الوضع . وقد تبين ان الأسرة الريفية ما زالت تعطي للابن الأكبر مكانة خاصة ، أما الأسر الحضرية فهي تنبذ كثيرا من تقاليد الأسرة الريفية الممتدة وتضع أعضاءها في علاقات جديدة .

وفي دراسة أجريت في جامعة واشنطن[1] عن العلاقة بين أنماط السلطة الأبوية وتوافقات المراهقين ، اتضح أن الأبناء في الأسر التي تسودها العلاقات الديمقراطية يكونون أقل قلقا وأقل رغبة في هجر منزل والديهم من هؤلاء الذين ينتمون الى أسر غير ديمقراطية . وهذا الطابع يميز الأبناء في المناطق الحضرية عنهم في المناطق الريفية ، كما تبين ان نسبة كبيرة من الأولاد والبنات الذين تربوا في أسر متسلطة يكرهون اسرهم . وقد ينعكس كرههم هذا على المجتمع ايضا . أما الطفل الذي تربى في اسرة تسودها الديمقراطية ، فإنه يكون أكثر استعدادا لاتخاذ قرارات لنفسه وهذا ناتج عن القيم التي تعلمها في أسرته .

وإذا نظرنا إلى التغير الذي طرأ على معاملة الأبناء في الأسرة والاتجاه الى المساواة بين الجنسين ، نجد انه يرجع إلى عدة عوامل داخلية وخارجية ، والعوامل الخارجية ترجع إلى فتح ميادين التعليم والعمل أمام الفتاة مما أتاح لها فرصة اثبات وجودها في المجتمع ، اما العوامل الداخلية فترجع الى التغيرات الايديولوجية بالنسبة للأسرة نفسها ، حيث أصبحت الأسرة في الوقت الحالي لا تفرق بين الذكر والأنثى في المعاملة ، لأن انجاب البنت أصبح لا يشكل عبئاً على الأسرة كما ان الايديولوجيات القديمة مثل انجاب ولد ليحمل اسم الأسرة حتى لا تخرج ممتلكات الأسرة الى الغرباء لم يعد ينظر اليها في الوقت الحاضر نظراً لتغير شكل العمل ونظمه في كثير من المجتمعات العربية ، بل ان هناك كثيراً من الأسر التي انجبت بنتا واحدة او اثنتين اكتفت بذلك .

وكنتيجة عامة نستطيع ان نقول إن الأسرة المصرية تسير نحو التقليل من حجم الفوارق بين الجنسين في المعاملة وعلى الرغم من معاملة الأبناء بنفس الطريقة الواحدة ، الا أن هذه الطريقة تختلف من فئة لأخرى ومن أسرة لأخرى ، فقد يكون أساسها السيطرة والتسلط واصدار الأوامر ، وقد تقوم على الصداقة والمحبة والاقناع او على مزيج من السيطرة والمحبة في نفس الوقت . وقد تبين لنا ، أن المعاملة التي تقوم على سيطرة الآباء وتسلطهم على أبنائهم تصل إلى أعلى مستوياتها في أسر

---

(1) Nelson, Lowry and Others., « Community Structure and Change » New-York, pp. 361 - 363.

الفلاحين بينها تختفي تماما عند الأسر الحضرية ، وفي هذا دلالة واضحة على مدى التغير الذي لحق طريقة معاملة الأبناء . وقد تبين أن نسبة كبيرة من الآباء في الريف ما زالوا يعتقدون ان علاقتهم بأبنائهم وزوجاتهم أيضا لا بد وأن تقوم على فرض السيطرة والتسلط واصدار الأوامر والا فقد الزوج هيبته ومكانته في الأسرة والمجتمع أيضا . بينها تنخفض هذه النسبة إلى أقصى درجة في المناطق الحضرية نتيجة لتأثر الأسرة في تلك المناطق بالتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية والايديولوجية التي تعرض لها المجتمع . وعموما فان التغير في علاقات الآباء بالأبناء لحق جميع الأسر العربية ما عدا نسبة ضئيلة يتركز معظمها في فئتي الفلاحين والعمال .

د ـ تصور الأسرة كوحدة متكاملة وظيفيا

من المهم في دراسة كالدراسة الحالية ان نقيم نتائج التغير الاجتماعي في تأثيره على الأسرة من وجهة نظر هذه الأسر ذاتها ، ذلك أنه يبدو أن الأجيال المختلفة تتحيز في الغالب لتجربتها ولنمط حياتها وخاصة الحياة الأسرية ، وقد يتصور الكثيرون ان الأسرة في الأجيال السابقة كانت بلا مشاكل أو كانت أكثر تكاملا وتماسكا ، وأن الأسرة ببنائها ووظائفها المتميزة اليوم هي مصدر التصدع والتوتر والمشاكل . وقد لاحظنا عدة مرات وخاصة في عرضنا لوجهات النظر المختلفة ان التغير يواجه دائما بمعوقات من أهمها مقاومة التجديدات التي تؤدي الى قلقلة المألوف أو المستقر والذي بنى عليه الناس طرقهم في الحياة ونظموا على أساسه مجرى سلوكهم . وأننا نتوقع من طرح اسئلة خاصة عن تكامل الأسرة أو عن مقارنتها بالأسرة القديمة اجابات متعددة تكشف عن مفارقات عديدة ، وإذا كنا نتوقع ان تسجل هذه الاجابات الخبرات الفردية التي تكتنفها ظروف دائمة أو متغيرة أو وقتية ، الا أنها تعطينا في عمومها تقييما عاما لما هو قائم في المجتمع العربي بوجه عام . وباستعراض وجهات النظر هذه يتبين : ـ

أن معظم الأسر في الفئات الحضرية ترى أن أسرة اليوم أكثر تماسكا من أسرة الأمس ويرجعون ذلك إلى عدة أسباب منها :

أ ـ ان الأسرة اليوم تقوم على أساس الاختيار الحر .
ب ـ ان صغر حجم الأسرة يجعلها أكثر تماسكا .

جـ - ان العلاقات الداخليه بين أفراد الأسرة تقوم على المحبة والتفاهم .

أما الذين يرون أن أسرة الأمس أفضل من أسرة اليوم فينحصرون في أسر المناطق المتخلفة والأسر الريفية . وتبرر هذه الفئات الأسباب التي من أجلها ترى أن أسرة الأمس أفضل بالآتي :

أ - أن اسرة اليوم غير متماسكة .
ب - فقد الرجل مركزه وسُلطته في الأسرة .
جـ - انخفاض درجة احترام الأبناء لابائهم .
د - ان الأسرة في الوقت الحاضر فردية ومنعزلة .
هـ - ان كل فرد في الأسرة أصبح يبحث عن مصالحه الشخصية قبل مصالح الأسرة .

إن الاعتقاد بأن معظم الأعمال المنزلية يجب ان تقوم بها المرأة تقليد معمول به في كثير من المجتمعات ، بغض النظر عما اذا كانت المرأة عاملة أو غير عاملة ، وقد يساعد الزوج في الأعمال المنزلية الا ان هذه المساعدة لا تأخذ صورة الانتظام والمسئولية بل تقتصر على ظروف معينة مثل مرض الزوجة أو حضور ضيوف فجأة . . . الخ .

وبالرغم من المساواة والديمقراطية التي تسود العلاقات الأسرية من المناطق الحضرية ، فان نسبة الأزواج الذين يساعدون زوجاتهم في الأعمال المنزلية ما زالت منخفضة ، ويرجع ذلك إلى أن ظروف هذه الأسر وامكانياتها المادية تسمح بالاستعانة بالخدم ، واقتناء الأدوات الحديثة ، وارسال الأبناء إلى المدارس ودور الحضانة ، ولذلك لا توجد ضرورة ملحة لاشتراك الزوج في الأعمال المنزلية .

وهناك عدة أسباب تدفع الزوج في الأسرة العربية إلى عدم مشاركة زوجته في الأعمال المنزلية :

١ - امكانية الاستعانة بالخدم الذين لا زال المستوى الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع يسمح للبعض بأداء مثل ما يقوم به هؤلاء في المنازل على عكس ما هو قائم في كثير من البلاد المتقدمة صناعيا ، وعلى ذلك فان الرجل يشعر بأنه ليست هناك حاجة ملحة لأن يشارك في الأعمال المنزلية

٢ ـ انتشار استعمال الأدوات المنزلية الحديثة مثل البوتاجاز والسخان والثلاجة . . الخ . مما يخفف عبء الأعمال المنزلية عن الزوجة وبالتالي لا يكون هناك داعٍ لمشاركة الزوج في تلك الأعمال وخاصة عند أسر المناطق الحضرية التي يتيح لها مستواها الاقتصادي اقتناء هذه الأدوات .

٣ ـ معظم الزوجات في الفئات الأخرى مثل المهن الحرة ، العمال ، الفلاحون متفرغات للقيام بالأعمال المنزلية ، بينما الأزواج يقضون معظم وقتهم في العمل ويعودون مرهقين ، وبالتالي لا يتمكنون من مساعدة زوجاتهم .

٤ ـ ما زال كثير من الأزواج وخاصة في أسر العمال والفلاحين ينظرون الى الأعمال المنزلية باعتبارها شيئا ينقص من قدرهم ومن هيبتهم .

٥ ـ إن فكرة سيادة الرجل وقيادته للاسرة تتنافى مع أعمال عرفت تقليديا بأنها من اختصاص المرأة ، بل إن كثيرا من الأزواج حتى من لا يؤمنون بالتمييز الحاسم بين الرجل والمرأة يساعدون زوجاتهم ولكنهم لا يعترفون بذلك[1] ، لأن التراث الاجتماعي والثقافي التقليدي وما يتخلله من قيم وعرف وتقاليد لا زال يمثل الخط الأساسي للسلوك الاجتماعي ويحدد نوعاً منه للرجال ونوعاً آخر للنساء . ويستتبع ذلك أن أساليب التنشئة الاجتماعية في مجتمعنا لا تزال تميز منذ الصغر بين الذكر ودوره وبين الأنثى ودورها .

أما الأزواج الذين لا يساعدون زوجاتهم في الأعمال المنزلية فانهم يبررون ذلك بأسباب مختلفة ترجع إلى ما يعتنقونه من قيم وآراء مثل :

أ ـ ان الأعمال المنزلية من اختصاص الزوجة حتى لو كانت عاملة .
ب ـ ان الأعمال المنزلية تنقص من قدر الرجل .
جـ ـ عدم الخبرة بأي عمل يتناول شئون المنزل الداخلية .
د ـ عدم وجود الوقت الكافي للمشاركة في مثل هذه الأعمال .

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر : سامية حسن الساعاتي « الدور الوظيفي للزوجين في الأسرة المصرية » رسالة دكتوراه ، ١٩٧٢ .

نتائج التغير التكنولوجي على الأسرة

مقدمة

تتأتى أهمية الثقافة تاريخيا في أنها تعكس علم الانسان وخبرته وطبيعة نضاله مع الطبيعة ، ومدى ما استحدثه من أدوات لمواجهة مطالبه وتطلعاته في السلام وفي الحرب ، ولذلك تعتبر البقايا الثقافية مهما كانت سحيقة في القدم دليلا على نوع البشر الذين عاشوا على أماكن مختلفة من الأرض مما يجعل من السهل تصوير النظام الاجتماعي الذي كان يحكم علاقاتهم ، ويحدد مسلكهم في العمل وفي اللهو ، وتتأتى اهمية الثقافة سوسيولوجيا في أنها مصدر التقدم التكنولوجي بكل ما تحمل كلمة التكنولوجيا من معنى ومن مضمون ، وهي كذلك مصدر العلم والفن والأدب والأخلاق والمعتقدات ، لهذا لا يستطيع باحث في علم الاجتماع ان يتغافل مسألة الثقافة ، لأن عناصرها هي المادة الخام والأساليب والأدوات التي يطورها الانسان مستحدثا او مخترعا في سبيل مواجهة أفضل لمشاكله ولمطالبه .

وليس هناك شك ان الأدوات التي يستخدمها الانسان في تنقله ، وفي الحصول على السلع المختلفة ، وفي بناء مساكنه ومد طرقه ومواجهة مطالب حياته العائلية هي معيار التقدم الاجتماعي ، ودليل على نمط الحياة ونوع النظام الذي يعيش من خلاله ، ومن هنا جاءت اهمية التكنولوجيا وجاء التركيز على دراستها في علم الاجتماع الحديث ، حتى أن تغيرها اتساعا وشمولا لكل جوانب المطالب الانسانية

قد أصبح في رأي الكثيرين العامل الأهم في تفسير التغير الاجتماعي في كل جوانب المجتمع ، ولا أريد أن أضيف الى ما سبق أن ذكرته في فصل سابق عن هذا الموضوع ، الا أنني أؤكد هنا أن نوعية الأدوات التي تستخدمها الأسرة لتواجه عن طريقها مطالب أعضائها يمكن أن يكون دليلا أو مؤشرا يسهل قياسه في نمط معين من الأسرة وعلى مستوى محدد اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، هذا إلى جانب أن استخدام هذه الأدوات بطريقة كمية وكيفية يمكن ان يحدث تأثيرات في أنشطة الأسرة وفي أدائها لوظائفها ، ومن هذا المنطلق اردت قبل أن أختم هذه الدراسة أن أعالج تأثير هذه الأدوات التكنولوجية في فصل مستقل لما له من أهمية في ادراك تغير الأسرة في المجتمعات العربية وفي كل المجتمعات على اختلاف انماطها .

ولسوف يتضح فيما بعد أهمية التكنولوجيا في تغير الأسرة وقيامها كعامل مباشر أو غير مباشر ، مستقل أو مصاحب في المحصلة النهائية للتغير ، لكنني أود أن أشير هنا إلى أن مفهوم التكنولوجيا وكما ذكرت في فصل سابق يتسع ليشتمل على تكنولوجيا الأدوات المادية وتكنولوجيا الأساليب الفنية الاجتماعية المستخدمة في التنمية الاجتماعية .

هذا وتخضع التكنولوجيا في جوانبها المختلفة وخاصة في الجديد منها إلى الرفض او المقاومة مثلما تتعرض له التغيرات الاجتماعية الأخرى لأنها تصطدم بمجموعة من العوائق المادية والمعنوية ، ألا أن التجديدات التكنولوجية قد أثبتت انها أقدر من أي تجديدات أخرى على شق طريقها نظرا للعائد السريع الملموس الذي يترتب عليها ، ونظرا لأنها تقدم بصورة واضحة ، وتعرض بشكل مقنع ما وراءها من فوائد ، حتى ان بعض الباحثين في السنين الأخيرة أصبحوا يقارنون بين كفاءة التكنولوجيا في التأثير على حركة المعتقدات وعلى التنمية وبين تأثير الايديولوجية.

ان هذا الفصل يحاول أن يدرس التأثير المباشر للتغير التكنولوجي على الأسرة من خلال الأدوات الحديثة كالسيارة والتليفون ، والأدوات المنزلية المتنوعة وخاصة النتائج التي ترتبت على ذلك بالنسبة للزوجة ووظائف الأسرة وتكاملها ورفاهيتها . كما أنني سوف أهتم اهتماما خاصا بناحية أعتقد أنها هي محصلة التأثير الكامل للتكنولوجيا على الأسرة وهو عمل المرأة واستقلالها الاقتصادي .

أ ـ عمل الزوجة ومركزها في الأسرة

تعمل المرأة دائما أيا كان موقعها ، ولكن يختلف هذا العمل باختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بها . فالمرأة الريفية والمرأة الحضرية تسهمان في الانعاش الاقتصادي لاسرتيها ولكن لكل منها طريقتها الخاصة المميزة .

وقد أتاح المجتمع الصناعي الحديث والتكنولوجيا الحديثة للمرة الأولى الفرصة أمام المرأة للالتحاق بالعمل والمساواة بالرجل والحصول على أجر نظير هذا العمل . وبالتالي المشاركة الإيجابية في ميزانية الأسرة .

وهناك أسئلة عديدة تظهر دائما عندما تلتحق الزوجة بالعمل مثل : ما هي آثار عمل المرأة المتزوجة على تغير الأسرة ؟ هل التحاق الزوجة بالعمل يكون مصدر لتعاسة الأسرة واحتمال وقوع الطلاق بين الزوجين ؟ هل يتعرض الأطفال الذين تعمل امهم إلى الانحراف ؟ أو المشاكل الشخصية ؟ وما هي طبيعة العلاقات الداخلية بين أفراد الأسرة التي تكون الأم فيها عاملة ؟

ويلاحظ ان غالبية الأسر التي تكون الزوجة فيها عاملة يرحبون بهذا العمل ، ويعتبرونه مصدرا هاما وأساسيا في زيادة دخل الأسرة ، ورفع مستوى المعيشة فيها . وتؤكد معظم الأسر التي تعمل فيها الزوجات عدم وجود أي دليل على أن عمل الزوجة والأم يكون له أثر سيء على الأطفال ، أو على العلاقة بين الأم وأولادها . حيث ان الزوجات العاملات يلجأن إلى طرق متعددة لرعاية أطفالهن أثناء غيابهن في العمل مثل الاستعانة بأم الزوجة أو حماتها أو خادمة امينة أو الحاق الطفل باحدى دور الحضانة حتى يصل إلى السن التي تمكنه من الالتحاق و بالمدرسة ، وهذا ينطبق على الأسر في الفئات المتعلمة التي تعيش في المناطق الحضرية ، أما الزوجات العاملات في الفئات الفقيرة والريفية فإن الدافع الأول لالتحاقهن بالعمل هو ظروفهن الاقتصادية المنخفضة ، والحاجة الملحة إلى المساعدة في أعالة اسرهن ، وهن في العادة لا يجدن أي ارضاء للذات أو سعادة في عملهن ، حيث ان الزوجات اللائي يقررن ان ذهابهن للعمل يكون لارضاء الذات وتحقيق الشخصية ينحصرن في الفئة الحاصلة على درجة عالية من التعليم . اما مسألة مساواة المرأة بالرجل نتيجة التحاقها بالعمل

فلمْ تنظر اليها أسرة واحدة باعتبارها السبب الذي من أجله تلتحق الزوجات بالعمل ولكنها قد تكون عاملا جانبيا .

أي أن الحقيقة التي تستطيع البيانات التي جمعتها ان تؤكدها ان العامل المادي هو السبب الرئيسي الذي يدفع الزوجات الى الالتحاق بالعمل . ويبرر الأزواج الذين يوافقون على هذا الرأي بما يلي :

أ ـ ان المرأة العاملة قادرة على تحمل المسئولية ومواجهة الصعاب .
ب ـ المرأة العاملة أقدر على مساعدة زوجها في الانفاق على الأسرة .
جـ ـ ان عمل المرأة يساعد على رفع مستوى معيشة الأسرة .
د ـ العمل حق لكل مواطن بما في ذلك المرأة .
هـ ـ تعمل المرأة لتشغل وقت فراغها .
و ـ عمل الزوجة ضمان لمستقبل الأسرة والأولاد .

وعموما فإن جميع الأزواج الذين يفضلون ان تعمل زوجاتهم ، تكون الزوجة في نظرهم قادرة على تحمل المسئولية ومواجهة الصعاب (وفي هذا تقدير كبير للزوجة العاملة) إلى جانب المشاركة الفعالة في نفقات الأسرة ، وحتى لو كان في امكان الزوج النهوض بجميع متطلبات أسرته ، فإن عمل الزوجة يؤدي إلى رفع مستوى المعيشة ويكون ضمانا لمستقبل الأسرة .

ويؤيد ذلك أن التغير التكنولوجي وما أتاحه من أدوات وامكانيات ، عاون الأسرة على التغلب على الوقت والجهد في ادارة الشئون المنزلية الأمر الذي خلق ظروفا ملائمة لقيام المرأة بعمل مستقل عن عمل زوجها خارج المنزل ، وفي اعتقادي أنه لو أتيحت للزوجات غير العاملات في فئات الأسر المختلفة نفس الظروف التي أتيحت لمن يعملن ، لما ترددن في الاقبال على العمل . ومعنى هذا ان تغير الأسرة بتأثير التكنولوجيا وفي ظروف ملائمة سوف يؤدي إلى اتساع نطاق عمل المرأة ليصبح ظاهرة عامة في المجتمع . واذا وسعنا مفهوم العمل ليشمل القيام بأي عمل انتاجي او له طبيعة اقتصادية من زاوية الأسرة ، فإن كل الزوجات هن عاملات بالفعل .

وقد كان من الطبيعي استكمالا لتحليل موقف الأزواج من عمل الزوجة أن

أتبين على وجه التحديد رعن طريق متغيرات متعددة الأسباب التي تكمن وراء عدم الترحيب بعمل الزوجة . وقد تبين ان السبب الرئيسي هو رغبة الأزواج في أن تتفرغ الزوجة لرعاية الزوج والمنزل والأولاد ، بينما يرى البعض أن حالتهم المالية طيبة ولا يحتاجون لمساعدة الزوجة المالية بالتحاقها بالعمل .

هذا ويلاحظ ان نسبة كبيرة من الأزواج الذين لا يرحبون بعمل الزوجة ، كانوا يعبرون عن موقف نظري أو يبدون مجرد رأي ، خاصة وأن زوجاتهم لسن من الخبرة او ليس لديهن المؤهلات التي عن طريقها يمكن ان يلتحقن بأعمال ملائمة من وجهة نظرهم ، وربما اختلف الرأي لو كان الوضع غير ذلك . كما أن كثيرا من الأزواج ممن تعمل زوجاتهم بالفعل قد لا يوافقون من حيث « الرأي والمعتقد » بعمل الزوجة وإنما يخضعون للأمر الواقع أو لضغط ظروف المعيشة ، او بمعنى آخر يكشف كثير من الأزواج عن اتجاه محافظ واضح ازاء عمل الزوجة عموما .

هكذا يظهر مدى مقاومة الأزواج لنتائج التغير الاجتماعي والتكنولوجي ونوع المعوقات التي يضعونها تبريرا لعدم ترحيبهم بعمل المرأة ، ولكن تأثير التغير يظهر بوضوح في مدى استجابة المرأة للتغير في صورة ترحيبها كزوجة بالعمل ورضاها عنه وتمسكها به . وخاصة من حالة حصول المرأة على مؤهل علمي مناسب .

وبالنسبة لهذه الفئة نستطيع ان نقول أن التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية أتاحت للمرأة ان تقوم بدور فعال في جميع مجالات العمل حيث أظهرت كفاءة عالية ، ويرجع ذلك إلى زيادة الاهتمام بتعليم المرأة واعطائها فرصة مساوية للرجل . فقد حول عصر الصناعة أنظار الناس إلى العمل ، فأصبحوا ينظرون الى العمل على انه نشاط ضروري في حد ذاته لنمو الشخصية . الا أن عدم التحاق المرأة بالعمل ما زال يعتبر شيئا مقبولا (بعكس الرجل) لأنها اذا لم تعمل خارج المنزل فيكفي انها تقوم على رعاية شئون اسرتها . ومع ذلك فالعمل خارج المنزل أصبح جزءاً هاما في حياة كثير من الزوجات حتى لو تحملن الى جانبه القيام باعمال المنزل ، وقد فتح التحاق المرأة بالعمل امامها مجالات واسعة للنشاط الاجتماعي ، وأحدث تغيرات هامة في مكانتها في المجتمع ، وفي نفس الوقت حدثت تغيرات عديدة في

حياة الأسرة عندما زاد اضطلاع المرأة بمسئوليات كانت من قبل من مسئوليات الرجل . وبالرغم من التغيرات في مركز المرأة الذي صاحب التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية الا أن ذلك لم يكن في صالحها على طول الخط .

وقد ظهر بوضوح مدى تمسك المرأة (الزوجة) بالعمل وعدم ترحيبها بتركه ، حتى لو لم يكن العمل من أجل عوامل اقتصادية ، ذلك أن التغير الذي طرأ على المجتمع بوجه عام قد سوى بين الرجل والمرأة في الحقوق المدنية وأتاح لها فرصة متساوية للتعليم والعمل حتى أعلى مستوياته المتخصصة ، قد جعل من الممكن للزوجة القادرة على العمل ان تطالب به تأكيدا لذاتها من ناحية ، وتأكيدا لمساواتها بالرجل من ناحية أخرى . وقد ساعدها على ذلك من غير شك ما طرحته التكنولوجيا الحديثة من أدوات جعلت المرأة تتخفف من العمل المنزلي ولا تكون أسيرة له ، كما ان تنظيم الأسرة وأهدافه القومية قد دعم مركز المرأة التي تتجاوب مع الرغبة في تقليل الانجاب ، وأسقط كثيرا من حجج الرجال في انجاب عدد أكبر ، تلك الحجج التي كانت تجد آذانا صاغية في عصر سيطر فيه نمط الأسرة الممتدة . وخلاصة القول أن الأسرة النواة غير المنعزلة يمكن أن تكون سببا في ازدياد عمل المرأة من حيث معدله ، والذي يمكن أن يكون نتيجة لتعليم المرأة واشتغالها واستقلالها الاقتصادي .

ومن أجل التوفيق بين العمل في الخارج وأعباء الأسرة ورعاية الزوج والأطفال تلجأ الزوجات العاملات إلى وسائل متعددة ، ولكن ذلك يختلف باختلاف الفئة التي تنتمي اليها الزوجة . وقد تبين أن غالبية الزوجات العاملات يلجأن الى تنظيم الوقت بدقة والاستعانة بالخدم ، واستخدام الأدوات المنزلية الحديثة ، وارسال الأولاد الى دور الحضانة والمدارس . وقد ظهرت أهمية وضرورة الأدوات المنزلية الحديثة بشكل واضح كوسيلة رئيسية تساعد الزوجة في التوفيق بين الالتحاق بالعمل ورعاية شئون الأسرة . والملاحظة الهامة أن معظم الزوجات العاملات ينظرن إلى هذه الأدوات باعتبارها عاملا رئيسيا يمكنهن من التوفيق بين العمل ورعاية شئون الأسرة ، الا أن هذه الأدوات ما زالت غير متوفرة عند كثير من الأسر لارتفاع اسعارها وانخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة .

وعموما نستطيع ان نصل الى النتائج التالية بالنسبة لعمل الزوجة ومركزها في الأسرة :

١ ـ ان الزوجة كامرأة قد أتيح لها نظريا وعمليا أن تتعلم وأن تعمل وأن تستقل اقتصاديا ، وأن تتمسك بعملها. وأن تشارك في مسئولية رعاية الأسرة داخليا وخارجيا . وما أتاحته الأدوات التكنولوجية من امكانيات استطاعت المرأة عن طريقها ان تجد من الوقت ما تستغله اما في نشاط انتاجي داخل الأسرة أو عمل له طابع اقتصادي خارجها . ومع أن نسبة الزوجات العاملات ما زالت نسبة ضئيلة بالقياس إلى مجموع الزوجات في المجتمع ، فإن هؤلاء يعملن بصورة أو بأخرى وزادت مسئولياتهن داخل المنزل بشكل لم يكن موجودا في الأسرة الممتدة التقليدية . واذن فلا بد ان يستتبع ذلك بالضرورة ارتفاع مكانة المرأة وسقوط كثير من الأفكار والقيم التي كانت تعطيها مرتبة ثانوية أو أقل بكثير من مرتبة الرجل .

٢ ـ كان من المتوقع نتيجة اقبال بعض الأسر على تنظيم النسل واستخدام الأدوات التكنولوجية واشتغال الزوجة ، ان تتناقص مسئولية المرأة داخل الأسرة وخاصة فيما يتعلق بالشئون المنزلية ، حيث كان شائعا ان المرأة العاملة ، تصرف من الوقت والجهد على حساب رعايتها للوحدة الأسرية . ولكن تبين أن الزوجة ما زالت تحمل مسئولية ادارة المنزل الى جانب تحمل مسئولية الوظيفة ، كما تشرف في نفس الوقت على رعاية الأطفال ومراقبة سلوكهم ، فكأن عمل المرأة في هذه الحالة لم يقلل أو ينقص من المسئوليات التقليدية التي كانت تضطلع بها الزوجة في تاريخ الأسرة الإنسانية .

٣ ـ الا أننا لا نستطيع أن ننكر أن العلاقات الأسرية في الأسرة التي تعمل فيها الزوجة قد تأثرت بعمق ، وان كانت نتائج ذلك تختلف من فئة لأخرى ، ويعكس هذا الاختلاف المستويات الاقتصادية والثقافية والميول الشخصية . ومن أبرز جوانب التأثر ذلك الصراع الظاهر او المستتر بين الزوج والزوجة على السيادة والميزانية والادخار ومعاملة الأطفال والصلة بالنسق القرابي وتمضية وقت الفراغ

وغير ذلك من المسائل التي طرحها التغير الاجتماعي بوجه عام ، وانني أتوقع ازدياد هذه التأثيرات في العلاقات الأسرية ولكن ، ليس الى الدرجة التي تسبب انهيار الأسرة كما تميل الى تأكيد ذلك النظريات ذات الطابع التشاؤمي .

٤ ـ ومع أن الأدوات التكنولوجية الحديثة قد أتاحت للمرأة وخاصة المتعلمة، فرصا عديدة للعمل وقضاء وقت الفراغ بصورة متنوعة ، الا أنه من غير شك ، ونظرا لعدم ارتياح الرجال إلى أي تخفف من جانب المرأة من حيث مسئولياتها كامرأة وكزوجة ، فان العبء الملقى على الزوجة في هذه الحالة أصبح عبئا مضاعفا مما يسبب لكثير من الزوجات الارهاق والاحساس الدائم بالتعب ، وربما فقدان الصفات المميزة للانوثة التي يفضلها الرجال .

ب ـ الاقبال على التجديدات

يميل الناس بوجه عام إلى المحافظة على نمط حياتهم ، لأن العقل الانساني وطابع الشخصية يتشكلان بحيث يكتسب الفرد معتقداته واتجاهاته وانماط سلوكه بصورة يصعب معها تغييرها . لأنها أصبحت جزءا أساسيا من شخصيته تدعمت خلال الطفولة المبكرة ، وأثناء التنشئة الاجتماعية .

والسبب الرئيسي في استمرار طرق التفكير والعرف والنظم الاجتماعية يرجع إلى أنها أصبحت أمورا معتادة ومتفقا عليها من جميع أفراد المجتمع ، ولهذا عندما يحدث تغير في أحد مجالات الحياة فانه يلاقي مقاومة قوية ، ومع أن معظم التغيرات الاجتماعية لقرون طويلة أخذت في الغالب صورة تدرجية ، الا ان التغير في الوقت الحاضر ، يتم بسرعة نتيجة لتعاظم تأثير التقدم العلمي والتكنولوجي .

وقد أشرنا من قبل إلى أن ردود الفعل الاجتماعية للتجديدات المادية أو الفكرية يمكن أن تكون ايجابية ، وهذا هو الاتجاه الغالب عليها في الوقت الحاضر ، الا أنها في بعض الأحيان وفي كثير من المجتمعات النامية يمكن أن تكون سلبية . وسوف نفهم الايجابية على أساس مدى اقبال أعضاء المجتمع من الناحية الكمية والكيفية على استخدام أو اعتناق الجديد ، كما نفهم السلبية على أنها اعراض هؤلاء عنه أو مقاومتهم له . ومع أن السلبية في بعض الأحيان قد لا تكون نتيجة عدم اقتناع ،

وانما قد ترجع الى أسباب اقتصادية ، الا أنني سأعدها أيضا موقفا يندرج تحت السلبية . ونظرا لأهمية التجديدات في مجال التغير الأسري فقد عنيت في الصفحات التالية بعرض التأثيرات المتعلقة بعدد من الأدوات التكنولوجية التي تستعين بها الأسرة في حياتها لا تتبع تأثيراتها بطريقة مقارنة .

١ ـ يلاحظ ان التجديدات التي نعنيها تنقسم إلى قسمين : تجديدات مادية مثل الأدوات المنزلية الحديثة والموضة وتجديدات فكرية ومعنوية تتصل بالأفكار والآراء والايديولوجيات .وقد تبين أن الأقبال على هذه الأخيرة ما زال بطيئا ، وهذا دليل على مدى سيطرة العادات والتقاليد ومقاومة النسق القيمي لأي تغير يمكن أن يؤدي إلى قلقلة الأسس التي يقوم عليها . ويلاحظ بوجه عام ان الأفكار والقيم هي آخر ما يستجيب إلى التغير ، والدليل على ذلك أن نسبة كبيرة من الأسر في المجتمع لا تزال ترفض الأفكار الجديدة وتحافظ على ميكانيزماتهاالفكرية والقيمية التي أصبحت جزءا من السمات الشخصية اما الاقبال على التجديدات المادية والأدوات الحديثة فأمر آخر تعبر عنه إيجابيا معظم الأسر ، حيث تبين أن جميع الأسر في المناطق الحضرية يميلون الى استخدام تلك الأدوات ويعملون على اقتنائها كلما ظهر منها جديد ، وهي في رأيهم تجعل الحياة أكثر متعة لما تضفيه على المنزل من بهجة وجمال ، إلى جانب انها مريحة في الاستعمال ، وتوفر الوقت والجهد الذي كان يستغرقه عمل نفس الأشياء بدون استخدامها ، كما انها تناسب عصر السرعة وتعطي مستوى عال من الأداء ، أي أنهم يرون أن هذه الأدوات غيرت من شكل الحياة اليومية بالنسبة للاسرة وأتاحت لها فرصا للاستمتاع لم تكن متاحة قبل ظهور تلك الأدوات . وليس هناك شك في أن غالبية الأسر في الفئة الحضرية لديهم الكثير من تلك الأدوات وبالتالي يقدرون مدى الفائدة التي تعود على الأسرة نتيجة استخدامها . وتؤكد معظم الأسر على أهمية الأدوات ، من حيث أنها مريحة وتوفر الوقت ، وهذا دليل على مدى ترحيب ورغبة الأسر في استخدام تلك الأدوات .

أما من لا يميلون الى استخدام الأدوات التكنولوجية الحديثة فتبين أنهم ينحصرون في الفئات الفقيرة فقط ، والحقيقة أن جميع الأسر تميل الى استخدام تلك الوسائل ولكن هناك ظروف تحول دون ذلك ، مثل الحالة الاقتصادية المنخفضة جدا

والتي لا تسمح باقتناء أي من هذه الوسائل ، أما بالنسبة للمناطق الريفية والبدوية فقد أتضح ان هناك مناطق لم تدخلها المياه النقية ولا الكهرباء حتى الآن ، وبالتالي لا يمكن استخدام تلك الوسائل ، كما تبين ان بعض الفلاحين لا يعلمون بوجود مثل تلك الأدوات ولم يروها في حياتهم وبالتالي لا يعرفون الفوائد التي تعود من استخدامها .

أما الفرق الشاسع بين الفئة الحضرية والريفية فيرجع إلى اختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية بين فئات الأسر المختلفة . فالاسرة في الفئة الأولى هي أكثر الفئات مجاراة للتغيرات التكنولوجية الحديثة والأخذ بها .

أما من حيث الاقتناع فتبين أن الكثيرين في الفئات الأخرى كالمهن الحرة والعمال والفلاحين مقتنعون بتلك الوسائل ولكن تمنعهم ظروفهم المادية من شراء هذه الأدوات ، واستخدامها .

٢ ـ ليس هناك شك في أن السيارة أصبحت ضرورة للاسرة الحضرية في الوقت الحالي . حيث تتيح لها فرصة الاستمتاع في الرحلات والمعسكرات وزيارة الاقارب والاصدقاء في الوقت الذي تيسر فيه عملية انتقال أفراد الأسرة من الضواحي إلى قلب المدينة ، واتاحة امكانية السكن في الضواحي (الى جانب وسائل أخرى كالتليفون) .

والملاحظة الهامة هنا هي أن السيارة لم تشكل بعد ظاهرة عامة بين الأسر العربية ,ويرجع ذلك إلى ضآلة الانتاج المحلي من السيارات وارتفاع اسعارها إلى جانب انخفاض المستوى الاقتصادي للاسرة وخاصة بين الأسر الفقيرة كالعمال والفلاحين . كما أن كثيرا من الأسر وخاصة في هاتين الفئتين قد كيفوا حياتهم بصورة لا تشكل السيارة الخاصة عندهم أي ضرورة حيث انهم غالبا ما يسكنون في مناطق عملهم وانتقالهم إلى أماكن أخرى بعيداً عن منطقة العمل والسكن يكون نادرا .

لكن وجود السيارة شيء وتطلع أفراد الأسرة الى تملك سيارة شيء آخر ، حيث أن ذلك يمثل عند نسبة كبيرة منهم أملا يسعون اليه أو يتمنون تحقيقه ، كما أن ضرورة السيارة من وجهة نظرهم وأهميتها تشكل اتجاها واضحا وخاصة في المناطق

الحضرية . والسيارة هنا شأنها شأن الأدوات التكنولوجية الأخرى ، لا يعوق الأسرة عن شرائها الا العجز الاقتصادي .

٣ ـ لم تعد السينما مقصورة على المناطق الحضرية بل أصبح في امكان سكان الريف في قراهم وفي أثناء ترددهم على المدينة مشاهدة العروض السينمائية ، ولقد كتب الكثير عن أهمية السينما في التأثير على القيم والاتجاهات أو خلق قيم واتجاهات جديدة ، كما عنيت دراسات عديدة ببحث تأثير السينما على التنشئة الاجتماعية وعلى علاقات الأسرة وعلى سلوك الكبار والشباب والصغار في نفس الوقت ،الى الدرجة التي حرمت بعض المجتمعات على مستويات عمرية معينة مشاهدة عروض معينة لا تتناسب مع سنهم . ومشاهدة العروض السينمائية تؤثر من غير شك في الاتجاهات الأسرية ، وتقوم في الوقت الحاضر كعامل من عوامل التغيير ، ولو استبعدنا فئة الفلاحين لارتفعت درجة التأثير الى أكثر من ذلك بكثير . هذا ولا يقتصر تأثير السينما على « تمضية » مفيدة لوقت الفراغ ، وانما يمتد هذا التأثير إلى الذوق واللهجة والقيم الاخلاقية والاتجاهات البطولية والتوعية القومية وغير ذلك . الا أن نسبة لا يستهان بها من الأسر لا يرون ان للسينما تأثيراً يذكر على أفراد الأسرة ، فهي في نظرهم أولا وقبل كل شيء وسيلة للتسلية والترفيه ، ثم تأتي بعد ذلك التأثيرات الأخرى من حيث درجة الأهمية .

وهناك بعض الأسر ترى أن مشاهدة العروض السينمائية حاجة ضرورية في حياة الأسرة بينما ترى أسر أخرى عكس ذلك . ويرجع هذا الاختلاف في الرأي الى عدة عوامل مثل : الوعي ، النظرة إلى هذه العروض ، وجود دور العرض ، الامكانيات المادية للأسرة ، ووقت الفراغ المتاح لأفراد الأسرة بحيث يتمكنون من الذهاب كجماعة لمشاهدة هذه العروض .

وتؤكد العروض السينمائية عادة على بعض القيم المثالية مثل « الحب الرومانتيكي » كهدف للوجود ، بينما تقلل من قيم الأشياء الأخرى مثل المال والصداقة حيث تنظر اليها كأشياء ثانوية . والتأكيد على الحب يرتبط دائما بالجنس ، ولهذا قد تكون مشاهدة مثل هذه العروض في بعض الأحيان ذات أثر سيء على

الشباب عندما تعرض أفلاما تمجد الجريمة والانحراف وتظهر المجرمين في صورة الأقوياء والشجان مما يدفع بعض الشباب (في سن المراهقة) إلى محاولة تقليدهم . ولذلك تحرص كثير من الأسر على معرفة بعض المعلومات عن العروض السينمائية قبل مصاحبة اولادهم الصغار الى دور السينما ، الا أن ذلك يكون في فترة معينة من عمر الأبناء حيث أنهم عندما يصلون الى سن معينة يذهبون الى السينما بمفردهم أو مع اصدقائهم وخاصة الأولاد ، لأن معظم الأسر العربية لا تسمح للبنات بالذهاب إلى السينما بمفردهن او مع صديقاتهن .

والنتيجة النهائية التي نستطيع ان نصل اليها بالنسبة لمدى تأثير السينما على أفراد الأسرة ومدى ضرورة الذهاب لمشاهدة العروض السينمائية ومدى تأثير هذه العروض بنوعياتها المختلفة على الشباب والأطفال في الأسرة ، هي أن تأثير هذه العروض وأهميتها وضرورة مشاهدتها يكون واضحا في الفئات التي تسكن في المناطق الحضرية والتي تتمتع بظروف اقتصادية معينة حيث أن ذهاب أفراد الأسرة جميعا الى السينما يشكل عبئا اقتصاديا عليها ، كما أنه يشكل نشاطا رئيسيا بالنسبة للأسرة في هذه المناطق بينما لا يمثل نشاطا رئيسيا عند أسر المناطق الريفية والمختلفة .

٤ ـ لا شك أن الاستماع الى برامج الراديو ومشاهدة التلفزيون أصبحا نشاطا رئيسيا لكثير من الأسر في الوقت الحاضر .

وقد تبين أن معظم الأسر في الوقت الحالي يمتلكون جهاز راديو . ويرجع ذلك الى رخص سعره ، كما أن انتشار جهاز الراديو « الترانزستور » أتاح للأسر المقيمة في مناطق لم يصل اليها التيار الكهربائي أن تقتنيه .

أما بالنسبة لجهاز « التلفزيون » فالأمر يختلف وذلك لارتفاع سعره وضرورة وجود تيار كهربائي الى جانب ارتفاع تكاليف استخدامه . ومعنى هذا أن الغالبية العظمى في الفئات الحضرية يمتلكون جهاز تليفزيون بينما تنخفض نسبة من يمتلكونه انخفاضا واضحا في الفئات الأخرى . وليس هناك شك في ان جميع الأسر تأمل وتتطلع إلى امتلاك جهاز تلفزيون ولكن ارتفاع سعره يحول دون تحقيق ذلك .

ويلاحظ ان كل أسرة تمتلك جهاز راديو تستمع إلى البرامج المفضلة عندها ،

وكذلك الأمر بالنسبة للتلفزيون . هذا وقد اهتم كثير من الباحثين في علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي بدراسة تأثير الراديو على العلاقات الأسرية[1] حيث مالت النتائج الى تأكيد ان هذا التأثير في جانب منه يؤدي الى تدعيم العلاقات الأسرية في الوقت الذي تقل فيه الحركة الدائمة للأطفال ويفضلون البقاء في المنزل والجلوس في سكون لمتابعة البرامج . الا أنه بالرغم من ذلك تنشأ عن مشاهدة التلفزيون مشاكل سلوكية عديدة مثل رفض الأطفال للنوم في مواعيده أو تعطيلهم عن استذكار دروسهم . وبالرغم من ذلك فان للتلفزيون قوة جذب كبيرة للمشاهدين من جميع الأعمار ، وبالتالي فهو يقلل الوقت الذي كان يقضى في أنواع عديدة من الترفيه أو ممارسة الأنشطة الأخرى مثل القراءة أو الهوايات المختلفة لأن مشاهدته تتطلب تفرغا تاما من المشاهد .

وهناك وجهة نظر أخرى تقول أنه بالرغم من أن التلفزيون يشد الفرد الى المنزل ، الا أنه يضعف العلاقات بين أفراد الأسرة لأنه يمنعهم عن طريق تتبعهم لبرامجه من التفاعل والحوار[2] .

وعموما تبين أن معظم من يمتلكون جهاز تلفزيون يرون أن أثره حسن على الأطفال وأن مدى تأثيره عليهم يتوقف على كيفية اشراف الوالدين على اطفالهم وتنظيم وقتهم . كما يرون أن للتلفزيون فائدة كبيرة بالنسبة للأطفال من حيث الترفيه عنهم وتسليتهم واكتسابهم لمعلومات مفيدة وان كانت له بعض المضار مثل عدم النوم في المواعيد المناسبة أو استذكار الدروس ، تلك السلبيات التي يمكن للوالدين ان يتحكما فيها .

اما بالنسبة لأثر التلفزيون على الكبار فيؤكد معظم من يمتلكونه أنه وسيلة مسلية لقضاء وقت الفراغ ، كما أنه يساعد على تعلم أشياء جديدة ويحبب للفرد البقاء في المنزل . وترى بعض الأسر أن مشاهدة برامج التلفزيون إلى جانب فائدتها من ناحية

---

(1) Delbert, Miller., « Radio and Television » in Allen and Others (eds), Technology and Social Change, op. cit.

(٢) انظر في هذا الموضوع دراسة قيمة للدكتور حسن سعفان عن التلفزيون والمجتمع .

التسلية وقضاء وقت ممتع ، الا أنها في نفس الوقت تعطل الأنشطة الأخرى مثل القراءة وممارسة الهوايات والحياكة ، لكن هذا الرأي يقتصر على الفئات الحضرية حيث ترى معظم الأسر في الفئات الأخرى ان للتلفزيون فائدة عظيمة بالنسبة لجميع أفراد الأسرة وتمثل مشاهدته نشاطا رئيسيا بالنسبة لهم حيث أن هذه الأسر نادرا ما تذهب إلى السينما أو تشترك في ناد رياضي أو رحلات ، وبالتالي يحتل التلفزيون مكانة هامة كمصدر للتسلية والترفيه .

ويلاحظ أن الأسر التي لا تمتلك جهاز تلفزيون تسعى إلى تتبع برامجه عند من يملكونه من أقاربهم أو جيرانهم أو أصدقائهم . وقد تبين أن الرأي القائل بأن التلفزيون يقلل من العلاقات بين أفراد الأسرة لم يحظ بتأييد كبير . واذن فان مشاهدة الأسرة العربية لبرامج التلفزيون لم يؤد إلى النتيجة التي وصل اليها الباحثون الذين أشرت اليهم .

٥ ـ أما العلاقة بين امتلاك الأسرة للأدوات المنزلية الحديثة وخروج الزوجات إلى العمل فإنه لا يمكن القول بأن هذه الأدوات هي السبب في التحاق الزوجات بالعمل حيث أن الزوجات كن يعملن قبل ظهور هذه الأدوات بزمن طويل ، كما أن الظروف الاقتصادية تدفع الزوجات في بعض الأحيان الى الالتحاق بالعمل بغض النظر عن وجود الأدوات التكنولوجية المنزلية .

والنتيجة التي يمكن ان نتوصل اليها هي أنه يمكن اعتبار امتلاك الأسرة لهذه الأدوات المنزلية الحديثة عاملا مشجعا ومساعدا للزوجات للتوفيق بين عملهن في الخارج وبين القيام بالأعباء المنزلية بصورة مرضية ، ولكن هذا يقتصر على الفئات الحضرية حيث أنه أصبح في امكان الزوجة التي تمتلك تلك الأدوات القيام بالأعمال المنزلية في أقل وقت ممكن وبدرجة عالية من النظافة وحسن الأداء .

وليس هناك شك في أن معظم الزوجات يرغبن في اقتناء هذه الأدوات ولكن يحول ارتفاع أسعارها دون ذلك ، حيث أن كثيرا من هذه الأدوات مستورد كما أن الأدوات المصنوعة محليا غالية الثمن ايضا (الثلاجات ـ السخانات . . . الخ) . ويلاحظ أن اقتناء الأدوات المنزلية الهامة والغالية الثمن يقتصر على الأسر المرتفعة

الدخل والتي تعيش في المناطق الحضرية .

ويمكن اعتبار جهاز الراديو أكثر الأجهزة انتشاراً بين الأسر يليه (البوتاجاز) ويرجع ذلك لرخص سعره وتوافره في الأسواق المحلية وانتاجه محليا في بعض البلاد العربية ثم المكواة الكهربائية وماكينة الخياطة والتلفزيون ثم الثلاجة والسخان . أما الغسالة الكهربائية فيقتصر وجودها على نسبة ضئيلة من الأسر وكذلك (البيك أب) وأجهزة التسجيل .

أما الأدوات المنزلية التي ما زالت تعتبر كمالية بالنسبة للأسرة العربية (حلة برستو وسشوار ودفاية كهربائية ومروحة كهربائية وماكينة حلاقة كهربائية ومكنسة كهربائية وتليفون الخ) فيقتصر وجودها بنسب متفاوتة في الأسر التي تعيش في المناطق الحضرية .

وهناك بعض الأجهزة تعتبرها بعض الأسر ضرورية وتحرص على اقتنائها الا أن نوعية هذه الأجهزة تختلف باحتياجات كل أسرة .

وعموما فقد تبين أن معظم الأسر لديها رغبة شديدة في اقتناء الأدوات المنزلية الحديثة ، الا أن النسب تتفاوت من فئة لأخرى . ومعنى هذا أن الرغبة في اقتناء هذه الأدوات تتخذ صورة تنازلية فتبلغ أعلى مستوى لها في الفئات الحضرية ذات المستوى الاقتصادي المرتفع وتتناقص بالتدريج في الفئات الوسيطة حتى تصل إلى أدنى مستوى لها عند الأسرة الريفية .

وهناك مبررات عديدة تقدمها الأسرة لتأكيد رغبتها في اقتناء هذه الأدوات مثل : ـ لأنها تعطي المنزل بهجة ومتعة ، أو لرفع مستوى معيشة الأسرة ، أو أن هذه الأدوات أصبحت ضروريات وليست كماليات . أما عدم الرغبة في اقتنائها فيرجع إلى ارتفاع أسعارها ، أو عدم الاقتناع بفائدتها ، أو عدم توافرها في الأسواق .

وقد ظهر واضحا ان بعض الأسر التي أبدت عدم رغبة في اقتناء هذه الأدوات ، أن ذلك لا يرجع الى اقتناعها بعدم فائدتها ، بل يرجع أساسا إلى ارتفاع اسعارها وانخفاض مستوى دخل الأسرة في الوقت نفسه مما لا يتيح لها امكانية شراء هذه

الأدوات . وقد تبين أن غالبية الأسر ترغب بشدة في اقتناء الأدوات المنزلية الحديثة ، الا أن الظروف المادية المنخفضة تحول دون ذلك . وهذا دليل على أنه في المستقبل لو تحسنت ظروف تلك الأسر المادية فانها سوف تسارع الى اقتناء هذه الأدوات .

إن استخدام الأدوات المنزلية الحديثة التي أشرنا اليها ، يعكس اساسا المستوى الاقتصادي الذي وصلت اليه اسرة اليوم ولا يعكس المستوى الثقافي أو الاجتماعي ، بدليل ان الغالبية العظمى من هذه الأسر عبّرت عن أملها في اقتناء هذه الأدوات متى أتيحت لها الفرصة ، والفرصة هنا مسألة اقتصادية في الدرجة الأولى . ومعنى ذلك ان التغيرات التكنولوجية في المجتمع العربي قد انتشرت بصورة واسعة النطاق من حيث الكم ، كما ان فوائد هذا التغير قد انتشرت بصورة أوسع نطاقا ، أي أن التغير في مجال الأدوات التكنولوجية لا يلقى عوائق او صعوبات تذكر اذا قورن بالتغير في الميادين الثقافية والاجتماعية .

وقد تصور عدد من الباحثين في مجال التكنولوجيا والمجتمع ان زيادة استخدام الادوات التكنولوجية بكفاءة في الأسر سوف يقلل الى الحد الأدنى من الاستعانة بالخدم ان لم يؤد الى الاستغناء عنهم نهائيا . ومع ذلك فلا زالت نسبة غير قليلة من الأسر في المجتمع العربي ، ترى أن استخدام هذه الأدوات لا يعني الاستغناء عن الخدم ، حيث لا زالت الأسر المعبرة عن هذا النسق في حاجة الى جهودهم ، كما أن بقية الأسر التي رأت أنه من الممكن الاستغناء عن الخدم ، كان ردهم يمثل موقفا نظريا ، الا أنهم في الواقع يستعينون بالخدم بصورة أو بأخرى . ومع ذلك فمن الملاحظ ان مشكلة عدم توافر الخدم في المنازل أصبحت الآن ظاهرة بارزة في مجتمعاتنا نظرا لتحول الآباء في الأسرة الفقيرة الى تعليم ابنائهم أو الحاقهم بأعمال في المؤسسات الصناعية أو منشآت الخدمات .

٦ ـ لم تنفرد الأدوات التكنولوجية المنزلية التي تزايد استخدامها في التأثير على الأسرة ، بل أن صناعة الأطعمة المجففة والمجمدة والمعلبة قد أسهمت في هذا التأثير بشكل ظاهر في كثير من المجتمعات ، فالزوجة العاملة تستطيع باستخدام هذه الأطعمة من اعداد وجبة كاملة لأفراد الأسرة في وقت قصير جدا ، مع ملاحظة انها

مجهزة بحيث تحتفظ بقيمتها الغذائية كاملة ، الا ان درجة الأقبال على هذه الأطعمة تختلف من فئة لأخرى حيث تبلغ أعلى معدل لها في الفئة الحضرية وتصل إلى أدنى مستوياتها في فئة الفلاحين . أما الأسباب التي تدفع بعض الأسر الى الاقبال على هذه الأطعمة فقد ترجع الى أنها توفر وقت الزوجة أو سرعة اعداد الطعام أو الأثنان معا . أما أسباب عدم استخدامها فيرجع إلى عدم الاقتناع بها أو أحساس الأسرة بفقدانها لفوائدها وطعمها أو تفضيل الأطعمة الطازجة أو التأفف منها . .

لكن الأسباب التي تدفع عامة الى عدم استخدام الأطعمة الجاهزة حتى الآن فيرجع إلى عدة أسباب أهمها وفرة الأطعمة الطازجة وتفضيلها وخاصة الخضروات والفاكهة . ويلاحظ هنا أن الأسرة بوجه عام كانت إلى عهد قريب جدا تقف موقف المتردد والرافض احيانا لاستخدام الأطعمة الجاهزة ، وهذا دليل على موقف المحافظة ازاء المجهول أو غير المجرب على نطاق واسع أو محلي . الا أن رخص اسعار مواد الأطعمة الجاهزة قد دفع الأسرة في كل فئاتها تدريجيا الى الاقبال على استخدامها ، حتى أصبح هناك تدافع على توفيرها بل وتخزينها .

نتيجة عامة

هكذا يتبين أن استجابة الأسرة المصرية في النظرية والواقع للتغير في الأدوات التكنولوجية كان واضحاً جداً ، يمكن أن نقارنه بالتباطؤ الذي تظهره الأسرة ذاتها في تبني أو الترحيب بالتغيرات ذات الطابع الاجتماعي . والفرق الوحيد الذي ظهر بين فئات الأسرة المختلفة كان فرقا يرجع في اساسه إلى اختلاف المستوى الاقتصادي ، أما الفروق الثقافية والاجتماعية في هذا المجال فقد كانت ذات تأثير ضئيل للغاية .

الأسرة في عالم متغير (تحليل مقارن)

لما كانت آثار التغير الاجتماعي والتكنولوجي على الأسرة المصرية هي محور هذا الفصل فلقد وضعت في الاعتبار عدة فروض مستقاة من الدراسات العالمية عن الأسرة ، استخلصتها من التصورات التي تجمعت لدى أثناء بناء الاطار النظري لهذه الدراسة .

وقد وضح ، وبناء على ما توفر من معلومات ودراسات لدى ، أن الأسرة

المصرية ليست نمطاً وحيداً ، أو على الأقل ليست نمطاً شائعاً لا يختلف من مكان الى آخر ، وخاصة بين المستويات والقطاعات المختلفة في المجتمع تلك التي يحتمل أن تكون بها اسر ذات أنماط تتناسب مع البيئة الاجتماعية السائدة والمستوى الحضاري الذي بلغته . ولهذا لا يمكن أن نتحدث عن نمط عام لا تختلف عنه أشكال الأسر في هذه البيئات أو المستويات الا في بعض التفاصيل أو الفروق الصغرى ، وذلك لاختلاف المستويات الاقتصادية أو الثقافية أو مناطق الاقامة ، ولعل هذه الحقيقة هي التي جعلتني اتناول المهنة ومنطقة الاقامة كمتغير أساسي ، مع ما يصاحبه من مستوى اقتصادي وثقافي واجتماعي واعتبارهما محكا أساسيا في التمييز المقارن بين فئات الأسر المختلفة وهذا هو الذي ثبت في النهاية أنه يصور إلى درجة كبيرة ويتفق مع تنوع انماط الأسرة التي تتحدد مواقعها على سلم متعدد الدرجات للتغير الاجتماعي والتكنولوجي .

إن التحاق المرأة بالعمل وحصولها على الفرص المساوية للرجل في التعليم والوظيفة كان من أهم آثار التكنولوجيا المباشرة على الأسرة ، وقد ظهر هذا واضحاً في الارتباط بين عمل المرأة وبين مجموعة من المتغيرات أهمها التغير التكنولوجي . وخاصة عند الزوجات اللائي ينتمين الى فئة اجتماعية معينة واتيحت لهن فرصة الالتحاق بالتعليم بتخصصاته المختلفة وبالتالي العمل في المجالات المتنوعة التي أتاحتها التكنولوجيا الحديثة ، بالاضافة إلى أن انتشار الأدوات التكنولوجية وكفاءتها في الأعمال المنزلية أتاح للمرأة من الوقت ما استطاعت معه أن تعمل خارج المنزل . وهذا يفسر تلك النسبة العالية من الزوجات في الفئة المثقفة ممن ينطبق عليهن هذا التفسير ، وواضح أن اقتناء الأدوات التكنولوجية ارتبط دائما بالمستوى الاقتصادي ، حيث تناسب تعدد الأدوات التكنولوجية مع ارتفاع الدخل . الا أن هناك جانبا هاما يتدخل في عمل الزوجات غير الاسهام في رفع ميزانية الأسرة وهو تأكيد المرأة لذاتها وشعورها بالاستقلال .

وقد أسفرت المقارنة بين فئات الأسر المختلفة من زاوية عمل الزوجة ان حجم مشاركة الزوجة في تخطيط ميزانية الأسرة وفي اتخاذ القرارات المتعلقة بتنشئة الأطفال يتناسب تناسبا طرديا مع عمل الزوجة أو دخلها الخاص ، ولهذا وضح أن معدلات

هذا النوع من المشاركة يبدو جليا في أسر المناطق الحضرية التي حظيت بالمستوى الاقتصادي المتميز، وبالزوجات اللائي حصلن على مؤهلات دراسية تمكنهن من العمل في الوقت الذي يخترنه . وليس معنى ذلك أن الزوجة في أسر الفئات الأخرى لا زالت تابعة للرجل ، تؤدي دورا سلبيا ، أو هي تماثل الزوجة في الأسرة الممتدة التقليدية ، بل إن التغير الاجتماعي العام في المجتمع وتأثير وسائل الاتصال ، وزيادة الخصائص الحضرية ، وانتشار التعليم ، وتناقص حجم الأسرة أدى الى تغير ملحوظ في دور الزوجة وفي مركزها في الأسرة الى الدرجة التي نستطيع معها القول بأنها تشارك ببطء في مسئولية رعاية الأسرة وتخطيط مستقبلها ، وان كانت هذه المشاركة مختلفة من منظور سرعة التغير بالقياس الى ما هو واقع في الأسر التي أشرنا اليها في المناطق الحضرية .

ومن أهم الدعائم التي تقوم عليها الأسرة النواة في مجتمعات اليوم حجمها الصغير نسبيا ، وقد تبين من التحليل أن الأسرة في كثير من المجتمعات العربية لها خصائص الأسرة النواة التي تحدث عنها علماء الاجتماع ومن بين العوامل التي أدت الى تناقص حجم الأسرة في الوقت الحاضر ذلك الاتجاه الذي يزداد قوة نحو التحكم في انجاب الأطفال على الرغم من وجود عدد كبير منهم بالفعل عند نسبة غير قليلة من الأسر ، وهذا دليل على أن هناك اقتناعا يتزايد بضرورة تحديد حجم الأسرة مما يحمل على الاعتقاد بأن الدعاوى التي كانت ذات قوة يوما من الأيام مؤكدة مجافاة مثل هذا الأسلوب للدين أو لأية اعتبارات أخرى تتعلق بالعصبية أو بالحاجة الى عدد كبير من الأطفال للمعاونة في الأعمال الانتاجية او الزراعية التي تهتم بها الأسرة ، لم تعد لها فعالية في تحديد اتجاهات الأسر . ومعنى ذلك أن الأسرة قد بدأت إلى حد ما تشعر بمسئوليتها المباشرة عن تعليم الأطفال ورعايتهم الصحية وتهيئة أفضل الظروف لهم ليستطيعوا الاشتراك في العمل الاقتصادي من واقع الخبرة والمؤهل الأعلى ، وهذا لن يتأتى الا اذا حدثت موازنة مخططة بين دخل الأسرة ومستواها الاقتصادي بوجه عام ، الأمر الذي يعتبر مؤشراً واقعياً لمدى قدرتها على مواجهة أعباء التربية . وعلى ذلك فقد تبين من حيث النظرية والواقع أنه كلما ارتفع دخل الأسرة قلت رغبتها في انجاب عدد كبير من الأطفال ، وكلما انخفض دخلها اقتنعت بالمساوىء التي تترتب على

كثرة الانجاب في الوقت الذي لديها أطفال كثيرون بالفعل . وبناء على نتائج المقارنة بين فئات الأسر المختلفة نستطيع أن نستنبتج أن مجرد التوعية مهما تعددت أساليبها لتنظيم الأسرة لن يؤدي في الواقع الى النتائج التي يتصورها الذين يأخذون بهذا المنهج ، ذلك لأن تنظيم الأسرة بالفعل وخاصة من حيث تحديد عدد الأطفال يرتبط ارتباطا واضحا بزيادة المستوى الثقافي وتغير المناخ الاجتماعي وارتفاع المستوى الاقتصادي . ويؤيد ما تذهب اليه الدراسات العديدة التي أجريت في هذا المجال في المجتمعات المتقدمة صناعيا والمجتمعات التي يغلب عليها الطابع القروي بافتراض ان النوع الأول من المجتمعات يمثل التحسن في المستوى الاقتصادي والثقافي والاجتماعي ، بينما يمثل النوع الثاني التخلف في هذه الجوانب جميعا .

ويعتقد كثير من الباحثين في ميدان الأسرة ان التغير الاجتماعي والتكنولوجي قد فرض على الأسرة مصيرا لا مفر منه وهو الانحلال التدريجي ، حيث ينهار نمطها التقليدي الممتد وتتحول الى نواة ، وفي خضم المجتمع الحضري الصناعي المعقد تنعزل ، فيدب التفكك والتصدع في بنائها حيث لا يبقى هناك مبرر لوجودها ، غير أنها لا زالت بوضعها الحالي ونظاميا أفضل مكان لممارسة العلاقات الجنسية ، وعلى الرغم من التصحيحات العديدة التي أدخلت على هذا الاتجاه الا ان الأسرة ستظل من وجهة النظر العلمية الغربية « نواة منعزلة » .

وقد عنيت بتحري هذا الأمر وخصوصا أن الكثيرين يؤكدون ان بقاء الأسرة في بعض المجتمعات بمعزل عن هذا المصير حتى الآن لا يعني خطأ النظرية أو تناقض افتراضاتها الأساسية ، وانما يعني في الحقيقة فرقا في معدل التغير وفرقا في نفس الوقت في عمق نتائجه لاختلاف الظروف المجتمعية في كل حالة ، الا أنه لا يمكن التنبؤ امبيريقيا بسلامة هذه الدعوى من الدراسة الحالية ، ومع ذلك اذا اعتبرت الأسرة الحضرية تمثل قمة التغير في مجتمعنا تلك التي تتشابه الى حد ما مع ما هو واقع في بعض المجتمعات المتقدمة صناعيا ، فإن النتائج التي توصلت اليها لا تتطابق مع النظرية المشار اليها في كل جوانبها . إن الأسرة العربية في مناطق كثيرة تتحول بالفعل الى اسرة نواة بنائيا وتفقد كثيرا من وظائفها بانتقالها الى مؤسسات ومنظمات أخرى في المجتمع ، لكنها ولظروف عديدة أشرت إليها سابقا لم تتحول الى أسرة منعزلة ،

وليس هناك دليل واحد يمكن أن يؤيد احتمال اتجاهها الى هذا النمط ،· اما اذا كان المقصود بالعزلة هنا عزلة عن النسق القرابي الكبير ، فقد بدا بالفعل ان علاقات الأسرة بدأت تضيق وخاصة في المدينة لتشتمل على أقل علاقات ممكنة بهذا النسق ، الا أنها لا تزال محافظة عليها ، كما أن فقدان الأسرة لعلاقتها بالنسق القرابي لا يستتبع فقدانها لعلاقتها بالجيران أو زملاء المهنة أو رفقاء الهواية أو المعتقد ، اذ أنه من المعروف ان العلاقات الأولية لا زالت وستظل موجودة في المجتمع الحضري ولم تتحول نهائيا الى علاقات ثانوية كما ذهب الى ذلك بعض العلماء ، واذن فالأسرة من حيث علاقاتها وبأي معنى لا يمكن أن تتحول الى أسرة نواة منعزلة .

أ ـ العلاقات الداخلية والخارجية

تتحدد علاقات التنظيم الاجتماعي (والأسرة كنوع معين منه) على أساس مجموعة من المتغيرات يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند الدراسة ، ومن أجل فهم أفضل تقسم هذه العلاقات الى قسمين : علاقات داخلية ، وعلاقات خارجية . ذلك أنه قد ثبت سواء في دراسة التنظيمات او الوحدات الأسرية كتنظيمات ان المعرفة من الداخل لا تكفي ، لأن استبعاد التأثيرات الخارجية يؤدي الى فصم الوحدة التنظيمية عن الاطار الذي تنتمي اليه والذي لا يمكن فهمها الا من خلاله ، كما ان قصر الدراسة على الخارج يؤدي الى اهمال الميكانيزمات الداخلية التي تؤدي الى عدم فهم طبيعة التفاعل وما يترتب عليه من سلوك ، او اتجاهات ، كذلك فان عدم الارتباط عند البحث الامبيريقي وعند التحليل بين العوامل الداخلية والعوامل الخارجية يؤدي إلى عدم ادراك طبيعة المعوقات أو المشاكل أو التوترات أو التصدعات التي قد تصيب الوحدة التنظيمية . ولهذا فإن ادراك طبيعة العلاقات الداخلية في الأسرة يتوقف على مجموعة من المتغيرات أهمها الحجم ونوع الأهداف وشكل العضوية وتقسيم الأدوار ، وطبيعة مركز القوة ، وامكانيات الاداء والانجاز ، ولا يتم الفهم المتكامل لهذه العلاقات الداخلية الا من خلال الاطار الأوسع الذي تنتمي اليه الاسرة ، والذي تكون معه مجموعة من العلاقات تتأثر بها أو تؤثر فيها ، ويدخل في ذلك نوع البيئة الاجتماعية ، والثقافة ، والمهنة ، والمستوى الاقتصادي والثقافة

العامة والتعليم النظامي ، وغير ذلك من المتغيرات ذات الأهمية المباشرة بالنسبة للاسرة .

وقد ظهر من التحليل المقارن للدراسات التي أجريت في هذا المجال ان الأسرة من مختلف المجتمعات العربية تتأثر داخليا من الناحية البنائية بالتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية بالقدر الذي يعكس العوامل الخارجية التي تشكل المناخ العام الاقتصادي والاجتماعي والمهني الذي تنتمي اليه ، وبصفة عامة نستطيع ان نقول أن الأسرة كوحدة تنظيمية تفتقد الى الضبط الذي يوجد في التنظيمات ذات الأهداف والاجراءات بدقة متناهية في بعض الأحيان ، كما ان وطأة التغير على الأسرة لا تماثل وطأة التغير على التنظيمات المشار اليها لأنها تتأثر بها في بطء أحيانا وبدرجات متفاوتة أحيانا أخرى ، ويظهر ذلك مما يلي :

١ ـ ان تحول الأسرة المصرية التدريجي الى نمط الأسرة النواة وخاصة في المدن وبعض القرى المجاورة لها قد أدى الى تعديلات واضحة في أبعادها البنائية الداخلية ، حيث أصبحت العلاقات بين أعضائها أكثر كثافة بالمقارنة بالعلاقات التي كانت تميز الأسرة الممتدة التقليدية مما أدى الى طرح موضوعات تشغل بال الأسرة الآن بصورة لم تشغلها من قبل مثل ، المساواة والحرية والديمقراطية والمشاركة في السلطة والمسئولية . وكقاعدة ، كلما ازداد المستوى الثقافي والاقتصادي زاد تسامح الرجل وأصبح أكثر اقترابا للعلاقات الإنسانية التي تربط الوحدة الأسرية الصغيرة تلك التي تنظم حياتها ، وتخطط لمستقبلها بعيدا عن تأثير النسق القرابي الكبير الذي كانت تنتمي اليه انتماءا مباشرا من قبل . ومن أهم ما تمخض عن ذلك ارتفاع مكانة المرأة وتحررها الى حد ما من التبعية المطلقة للزوج .

٢ ـ لا تتأثر الأسر بفئاتها المختلفة بنفس الدرجة بالتغير الاجتماعي في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية او بما هو متاح من أدوات تكنولوجية حديثة يمكن استخدامها في المنزل ، حيث ظهر ان التأثر بهذه التغيرات مسألة درجة في المحل الأول أو بمعنى آخر لا تحدث التغيرات تأثيرات متشابهة على أنماط الأسر

المختلفة ، لأن امكانية الاستجابة للتغير مرتهنة بمجموعة من المتغيرات لا تحدث تأثيراتها الا اذا توافرت ظروف معينة ليست متاحة بالفعل لكل أسرة ، ولهذا فإن الحديث عن التغير الاقتصادي والتغير الاجتماعي والتغير التكنولوجي ، أن كلا منها أو جميعها له تأثير مباشر على تغير الأسرة ليس حتميا ، كما أن ما حصلت عليه المرأة من الحقوق المتساوية مع الرجل ومنها حق العمل سيظل نظريا الى أن تتاح للزوجات في فئات الأسر المختلفة ان تتغير هي نفسها أولا عن طريق التعليم لتتمكن من الحصول على عمل يناسب مؤهلها وخبرتها ، وحينئذ يمكن ان تحصل على مكانة مساوية لزوجها ، أما قبل ذلك فإن مكانة المرأة في الأسرة ستظل تحمل الرواسب التي كانت لمكانتها في الأسرة الممتدة التقليدية ، واذن فإن التغير الذي اصاب سلطة الرجل أو لحق مكانة المرأة جلي بصورة واضحة في تلك الأسر التي تزايدت فيها نسبة الخصائص الحضرية ، وزاد اتصالها بالتجديدات المادية والمعنوية التي تصادف قبولا عند الفئات التي حصلت على درجات عالية من التعليم .

٣ ـ تبين ان المهنة التي اعتبرناها محكا أساسيا في تصنيف الأسر أمكن من خلالها التعرف على أبعاد التغير وتأثيره نظرا لأن المهنة لا تزال مؤشرا له أهميته وخطورته في تحديد المستوى الاقتصادي ، والمستوى التعليمي ، ونوع المشاركة الاجتماعية للأسرة . كما لا زال مؤشرا على نوع البيئة الاجتماعية ، والثقافية ، وربما مكان السكن أيضا ، تلك المسائل ذات الأهمية البالغة التي تحدد مدى اعتناق الأسرة للتغير ومدى اقبالها على التجديدات ، وكذلك نوع التنشئة الاجتماعية التي تأخذ بها أطفالها .وكل هذه مسائل لا يمكن اغفالها اواستبعادها في فهم البناء المتغير للاسرة . وهناك ملاحظة هامة في هذا الصدد وهي ان المهنة كذلك كان لها دور اساسي في المستوى النووي وطبيعته بين فئات الأسر المختلفة .

٤ ـ على الرغم من التغيرات العديدة التي تتعرض لها الأسرة ، وعلى الرغم أيضا من تفاوت درجة تأثير هذه التغيرات في فئاتها المختلفة ، الا أنني توصلت الى نتيجة هامة ، وهي أن الأسرة العربية في عمومها اسرة تتميز بالتماسك والتكامل وأن

نسبة تعرضها للتفكك والانحلال لا تؤثر في هذا التعميم الذي نؤكده الآن ، وقد يكون ذلك غريبا في الوقت الذي تشير فيه الاحصاءات الى زيادة معدلات الطلاق ، أو على الأقل ثباتها بالدرجة المرتفعة التي كانت عليها في السنين العشر الماضية ، وهذا يؤكد عدم دقة الفرض القائل بأن تحول الأسرة الممتدة الى الأسرة النواة يحمل معه بنائيا بذور التفكك والانحلال . وطبيعي فإن هذا لا يعني تكامل أو تماسك مثالي ينفي امكان تعرض كل أسرة الى أزمات أو الى خلافات ذات طابع وقتي ، فالأسرة المتكاملة او المتماسكة التي اعنيها هي تلك الأسرة التي تستوعب المعوقات وتتجاوزها وتتكيف في بعض الأحيان معها لتستمر عجلة الحياة الأسرية .

٥ ـ ومن أهم ما تمخضت عنه الدراسة التوصل إلى أن الأسرة المصرية في تغيرها لم تختلف عن التيار العالمي للتغير في مجال الأسرة الانسانية بغض النظر عن اختلاف الظروف المجتمعية ، حيث أنها في طريقها إلى أن تصبح أسرة نواة ، الا أنها غير « منعزلة » وفي هذا الصدد اختلف مع بعض علماء الاجتماع مثل لينتون وويرث وبارسونز الذين أكدوا أن عزلة الأسرة النواة خاصية كامنة في بنائها ، وأتفق مع وليم جود ولي مارفن وبارشينال الذين تشككوا في النتائج التي انتهى اليها هؤلاء على أساس أن الأسرة اذا ضاقت علاقاتها بالنسق القرابي فانها لم تنقطع نهائيا بالأقارب المباشرين (الأقارب من الدرجة الأولى) ، فقد تأكد لي من فئات الأسر المختلفة استمرار علاقة الأسرة النواة مع أسرتي التوجيه ، بل ان هذه العلاقات في أسر المناطق الحضرية تلك التي كان من المحتمل ان تنقطع او تتضاءل ، ظهر انها مستمرة وقوية ، كذلك تبين أن مظاهر العزلة في بعض الأسر التي تسكن المناطق الحضرية مظاهر حتمتها ظروف هذه الأسرة التي تعيش في مناطق بعيدة عن المناطق التي تعيش فيها اسر التوجيه او أقاربهم في النسق القرابي الكبير ، ومع ذلك فقد حلت علاقاتهم بالأصدقاء وبالجيران وبزملاء العمل محل علاقاتهم الأولية .

٦ ـ لقد بدا بوضوح أن الأسرة وخاصة في المناطق الحضرية تتأثر علاقاتها الداخلية بطبيعة علاقاتها الخارجية وخاصة تلك التي ترتبط بالمهنة أو الأنشطة الترفيهية أو

وسائل الاتصال الجموعية ، كما تتأثر بما هو متاح لها من المنظور الاقتصادي او بمعنى آخر ، إن الأسرة في هذه المناطق تحاول ان تتكيف مع الوسط الاجتماعي والثقافي الذي تعيش فيه ، ويظهر ذلك في اعتناقها للتجديدات سواء من الناحية الكمية أو من الناحية الكيفية كما أن تأثير المدرسة والنادي ووسائل الاعلام على الأطفال قد أصبح واضحا لدرجة ان الوالدين في كثير من الأحيان يكيفان قيمهما ونظرتهما للحياة ليستطيعا مسايرة وتتبع النمو الاجتماعي والثقافي لابنائهم .

ب ـ الوظائف المتغيرة

هكذا شبّه إجماع بين دارسي الأسرة أنها كانت مكتفية بذاتها وخاصة في المجتمعات البدائية والتقليدية ، ذلك أنه الى جانب الوظائف الاقتصادية ذات الطابع الانتاجي ، فانها كانت تنهض بوظائف اجتماعية متعددة مثل التنشئة الاجتماعية ومنح المكانة والتوجيه الديني والترفيه والحماية والتعاطف والمحبة . وقد أرجع هؤلاء الدارسون تغير هذه الوظائف التدريجي وانتقال بعضها الى مؤسسات ومنظمات خارج نطاق الأسرة الى الثورة الصناعية ، والتقدم التكنولوجي ، ونشأة المدن بشكلها الحالي ، وما صاحب ذلك من طابع مختلف للحياة لم تألفه المجتمعات القديمة ، وربما كان هذا هو السبب في أن كثيراً من علماء الاجتماع من أمثال سوروكن ووليم اجبرن وستانلي هتزلر يرون أن استمرار التغير في اتجاه التصنيع والحضرية ، سيؤدي الى فقدان أكثر لوظائف الأسرة مما يؤدي إلى تحلل بنائها وربما انهيارها التام ، وهناك كثير من الدراسات الامبيريقية التي انساقت وراء هذا التوجيه النظري ووصلت الى نتائج تؤيد ما سبق ان ذكرنا ، لكن المناقشة النظرية التي تزايدت في السنين الأخيرة في ميدان علم الاجتماع في محاولة لبناء نظرية متكاملة تصلح لتوجيه البحوث الميدانية قد فرضت مراجعة المادة الامبيريقية المتجمعة في مختلف الميادين ومنها ميدان الأسرة ، ولذلك وجد بارسونز أن التفكك الذي مال الى تأكيده غيره من العلماء والذي اعتبر متضمنا أساسيا في بناء الأسرة النواة المنعزلة ليس الا علامة على تكيف هذه الأسرة لمتطلبات الاقتصاد الصناعي ، أو بمعنى آخر لمتطلبات التغير الاجتماعي والتكنولوجي ، وأن الأسرة ستظل قادرة على استيعاب المعوقات الوظيفية باستمرار وهكذا ينتهي بارسونز ومن يؤيد وجهة نظره الى القول

بأن الأسرة نسق يميل الى التوازن باستمرار .

وقد أشرت من قبل الى أنه لا يمكن تبني هذا المنظور أو ذاك على علاته ، لأن الأسرة المصرية في واقع الأمر ليست نمطاً واحدا وإنما تتميز بأنماط متعددة تعكس مستويات اجتماعية واقتصادية وثقافية ومهنية مختلفة ، كما أن تغيرها لا يمكن رده كما رده كثيرون الى مجموعة واحدة من العوامل تتركز حول التصنيع او الحضرية ، لأن كثيرا من العوامل الأخرى الثقافية والاقتصادية تتدحل بصورة تتفاوت شدة في التأثير على تغير هذه الأنماط ، هذا في الوقت الذي لا بد من توجيه اهتمام مركز على مسألة التفكك المصاحب للتغير الذي أيده جميع الباحثين في الغرب وان اختلفوا في نتائجه . ويمكن ان نعدد النتائج التي توصلنا اليها في هذا الجانب فيما يلي :

١ ـ من أهم العوامل التي أثرت في تغير الأسرة العربية اتساع نطاق الحياة الحضرية وزيادة مراكز التصنيع ، والهجرة من الريف الى المدينة ، وزيادة معدلات التعليم ودخول المرأة ميدان العمل ، الى جانب تفاوت المستويات الاقتصادية والبيئوية ، تلك العوامل التي انصبت جميعا في نوع المهنة التي يقوم بها رب الأسرة او تقوم بها الزوجة ، وقد تبين كذلك أنه من الصعب ان نحدد عاملا بعينه يمكن أن يكون متغيرا مستقلا وتكون العوامل الأخرى عوامل مصاحبة له ، ففي كثير من الأحيان ظهر ان هناك تبادلا بين المتغيرات في المصاحبة او الاستقلال .

٢ ـ ظهر أن فقدان الأسرة لوظيفتها كوحدة منتجة لم يحجب اسهامها في النشاط الاقتصادي كما مال الى ذلك كثير من علماء الاجتماع ، وذلك لأن الأسرة قد تحولت الى وحدة مستهلكة . وإني أرى أن وظيفة الاستهلاك من منظور الاقتصاد الوطني لا تقل أهمية عن وظيفة الانتاج ، هذا في الوقت الذي تقدم فيه الأسرة الآن عن طريق اعضائها اسهامات لها أهمية متزايدة في العملية الاقتصادية الكلية .

٣ ـ وامتداداً لهذه النتيجة تبين أن الأسرة لم تفقد وظيفتها الانتاجية فقدانا تاماً وخاصة اذا نظرنا الى الانتاج بمفهومه الحديث ، إذ لا يتوقع ان تقوم الأسرة في صورتها الممتدة التقليدية بصناعة الآلات او مد الطرق او انشاء الكباري او بناء المساكن ، فقد تبين ان الأسرة في فئاتها المختلفة لا زالت حتى الآن تصنع كثيراً من متطلباتها في المنزل . وبهذا تقلل من اعتمادها المطلق على المنتجات الخارجية .

٤ ـ هناك تأكيد يكاد أن يكون متفقا عليه بين علماء الاجتماع بأن الوظيفة التعليمية قد انتقلت من الأسرة الى المدرسة نهائيا ، وهنا يجب الا نخلط بين التنشئة الاجتماعية وبين التعليم ، حيث تبين أن الأسرة المصرية لم تكن يوما تقوم بأي اسهام في هذه الوظيفة وخاصة في الوقت الذي كان النمط الريفي (الأسرة الممتدة التقليدية) هو السائد في المجتمع في ذلك الوقت . فإذا احست الأسرة بحاجاتها الى تعليم احد ابنائها ، فاما ان ترسله الى كتاب القرية أو الى أحد المدارس النظامية القليلة التي كانت موجودة آن ذاك ، ومع ازدياد التعليم واقبال الأسر على تعليم أبنائها ، أصبح للاسرة وظيفة جديدة لم تكن لها من قبل ، وهي مشاركة المدرسة مشاركة فعالة في عملية التعليم عن طريق الاشراف العلمي والتتبع المستمر لحسن الاداء في استذكار الدروس والتحصيل حتى أن الأسر التي لا يسعها وقتها أو لا تكون في مستوى يسمح بهذه المشاركة فانها تستعين بمدرسين يقومون بذلك في المنزل .

٥ ـ واذا كانت التنشئة الاجتماعية هي أحد الوظائف الأساسية التي بقيت دون أدنى تغيير من حيث الشكل للأسرة ، فقد تبين أن التنشئة ذاتها قد تعرضت لتغيرات واسعة النطاق ، ذلك التغير الذي يعكس الاختلاف بين الريف والحضر ، بل وبين المناطق الحضرية ذاتها ، في الوقت الذي تعكس ايضا عوامل عديدة اقتصادية وثقافية ومهنية ، وقد أظهرت الدراسة هذا الاختلاف في الأساليب التي يتبعها الآباء في تربية ابنائهم وفي مبلغ الحرية التي يتيحونها لهم ، وفي طريقة مراقبة وتوجيه سلوكهم ، وقد تبين أنه على الرغم من أن الغالبية العظمى من اسر الفئات الحضرية يقررون انهم يتبعون الطرق الحديثة في تربية الأطفال الا أنهم في واقع الأمر لا يفهمون مضمون الطرق الحديثة وانما يتطلعون الى فهمها واتباعها . وثمة ملاحظة جديرة بالتسجيل هنا أن دور الزوجة يتزايد الآن وبصورة واضحة في توجيه تربية الأطفال بغض النظر عن الفئة التي تنتمي اليها ، حتى في الأسر التي تعمل فيها الزوجات فان جزءا كبيرا من رعاية الأطفال يترك للأم .

٦ ـ أما فيما يتعلق بالوظائف الأخرى مثل منح المكانة والترفيه والحماية ، فان الأمر بشأنها قد أظهر تفاوتا واختلافا حيث لا زالت نسبة كبيرة من أسر المناطق المتخلفة والريفية تصر على اتباع أساليب لا تختلف عن الأساليب التي كانت تتبعها

اسرهم التوجيهية ، ويبدو التغير واضحا في أسر المناطق الحضرية حيث لم يعد هناك تمييز حاسم على أساس الجنس أو السن بين الأبناء ، في الوقت الذي أصبحت مكانة أعضاء الأسرة وخاصة عندما يكبرون متعلقة بمدى نجاحهم وتقدمهم في مراحل التعليم المختلفة ، وكذلك الأمر بالنسبة للترفيه الذي تبدو فيه اختلافات الميول ، حتى ان الأسرة الواحدة لا تستطيع ان تتفق على نوع معين من الترفيه تجتمع حوله غير مشاهدة العروض التلفزيونية والسينمائية .

حـ ـ التكنولوجيا والتجديدات

تأثر الإنسان طوال حياته بما لديه وما في امكانه من أدوات استخدمها في الدفاع وفي الانتاج وفي الاقامة وفي الترفيه ، ولهذا تعكس هذه الأدوات من وجهات نظر عديدة مبلغ ما أحرزه الانسان من تقدم ومبلغ ما وصل اليه من تعقد في تنظيماته المتعددة ، وتمثل الأدوات التكنولوجية بالنسبة للأسرة عامل تأثير مباشر وغير مباشر في نفس الوقت ، فمن حيث أنها عامل تأثير غير مباشر تبين أن تأثير التكنولوجيا على المجتمع ككل يؤدي الى تأثيرات مصاحبة على الأسرة ، ومن حيث انها عامل مباشر فقد أدت الأدوات التكنولوجية المنزلية الى تغير في اقتصاد المنزل ، وفي طبيعة الأعمال التي كانت تقوم بها المرأة في غيبتها . وقد تبين من الدراسة الحالية امكان الوصول الى النتائج الآتية :

١ ـ أسهمت الأدوات التكنولوجية الحديثة وخاصة ما يستخدم منها في الأعمال المنزلية في اتاحة الفرصة لمعظم الزوجات المتعلمات خاصة في المناطق الحضرية من الالتحاق بالعمل ، وعلى الرغم من أن الزوجات في أسر الفئات الأخرى يعملن ألا أننا نقصد بالعمل هنا العمل نظير أجر خارج المنزل . ومن المعروف ان هذه الأدوات توفر الوقت والجهد مما سهل للزوجة ترك منزلها فترة طويلة وهي الفترة التي يستغرقها وقت العمل .

٢ ـ لم يقلل عمل المرأة واستخدامها للأدوات التكنولوجية الحديثة من كفاءتها على تحمل المسئولية أو التغلب على المعوقات بل أنها أصبحت عنصراً ايجابيا وشريكا في تحمل مسئولية مستقبل الأسرة ورعاية افرادها .

٣ ـ يرتبط بعمل المرأة وزيادة مسئوليتها ، مشاركتها الفعالة على مستوى الندية للرجل بما أهلها لاستخدام ما أتيح لها من حقوق وامتيازات استخداما يؤكد مكانتها ويدعم استقلالها الاقتصادي . وليس هناك شك ان خروج المرأة الى العمل قد أثر بعمق في العلاقات الأسرية ، الا أن هذا التأثير لم يبلغ مداه كما بلغ في الأسرة في المجتمعات الغربية نظراً لاستمرار فعالية النسق القيمي في المجتمع وعدم استجابته للتغير بالقدر الذي تغيرت به الأسرة أو تأمل فيه الزوجة .

٤ ـ ظهر بوضوح أن الاقبال على التجديدات على مستوى اسر فئات المجتمع المختلفة سواء من حيث النظرية أو الواقع أكبر بصورة واضحة على المستوى المادي منها اذا قورن بالفكري أو المعنوي ، ولا يعوق استيعاب التجديدات المادية كما أو كيفا الا المقدرة الاقتصادية . ولهذا عندما أتاح نظام التقسيط في بعض الأدوات التكنولوجية لذوي الدخل المحدود ان يقتنوها لم تتردد نسبة كبيرة وخاصة في فئة العمال من الاستفادة بهذا النظام . لكن الأمر يختلف اذا كان التجديد فكريا أو معنوياً ، فقد أظهرت الفئات المتعلمة مرونة واضحة في الاقبال على هذا النوع من التجديد ، بينما أظهرت الفئات الأخرى اتجاها محافظا ملحوظا ، ويعكس ذلك مدى عمق تأثير التغيرات الاجتماعية في فئات الأسر المختلفة . وأود أن أشير هنا الى أن مسألة التحرر أو المحافظة مسألة ثقافية واجتماعية في الدرجة الأولى .

٥ ـ يتوقف تأثير الأداة التكنولوجية على مبلغ انتشارها وعلى انخفاض سعرها ، وتكاليف استخدامها ، ولذلك كان الراديو هو أكثر الأدوات انتشارا واقتناء وتأثيرا في جميع الأسر ، وخاصة اذا قورن بالتلفزيون والأدوات المنزلية الكمالية كآلة التسجيل أو الغسالة الكهربائية او السيارة ، كما أن الحاجة الاقتصادية قد تدفع الناس الى تغيير موقفهم من بعض المنتجات ذات الطابع التكنولوجي كالأطعمة الجاهزة .

خاتمة عامة

إن تراكم التراث النظري والامبيريقي في علم الاجتماع عن الأسرة في مجتمعات مختلفة ومن بينها مجتمعنا أتاح فرصة قد لا تتاح في ميادين أخرى لبناء مجموعة من النظريات أو التصورات أو الفروض تتناول الأفكار الأساسية التي يمكن ان تسهم في بناء الاطار النظري وفي تخطيط وتنفيذ العمل الميداني بحيث يمكن ان تكون النتائج التي نتوصل اليها اختبارا لهذه الفروض ، خاصة وأن الموضوع الذي أعالجه هنا لم يعالج بالصورة التي عالجته بها شمولا لعدد من المتغيرات وتحديدا لأنماط متعددة للأسرة ومن منظور اختلاف كل منها وفي مبلغ تغيرها أو تأثرها بهذه العوامل . وفيما يلي ما تمخض عنه اختبار هذه الفروض :

١ ـ ثبت من الدراسة المقارنة ان الأسرة النواة النامية في المجتمع العربي هي نتيجة مباشرة للتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية الا أنها لظروف عديدة لم تبلغ بعد في تغيرها المبلغ الذي وصلت اليه في المجتمعات المتقدمة صناعيا اذ ليس هناك شك أن الأسرة النواة في مجتمعنا لا تزال تحمل بعض رواسب أو خصائص الأسرة الممتدة التقليدية . ولهذا يمكن أن نطلق عليها اصطلاح الأسرة النواة غير المنعزلة . كما لم يظهر أي دليل امبيريقي على أن الأسرة العربية « **النواة غير المنعزلة** » تحمل بين طياتها بذور عزلتها .

٢ ـ أيدت نتائج الدراسة ان تغير حجم الأسرة غير من القيم المتعلقة بالانجاب وساعد على ذلك (وخاصة في المناطق الحضرية) نظام الأجور أو المستوى الاقتصادي العام ، وضيق المساكن الى جانب مظاهر التقدم التكنولوجي ، وزيادة الاكتشافات العلمية في مجال ضبط النسل والتثبت من كفاءتها دون آثار جانبية ضارة بالصحة ، ومع أن نسبة من الأسر تؤمن بضرورة تنظيم الأسرة الا أن ايمانها لم يترجم عمليا بل بقيت هذه الأسر كبيرة الحجم نسبيا ولكن ذلك يعبر على الأقل ان ايديولوجية التغير في هذا المجال قد أصبحت محل تسليم واقتناع ولم يبق الا نقلها الى مستوى السلوك الفعلي .

٣ ـ تؤدي التغيرات البنائية في الوحدة الأسرية بالضرورة الى تغير في أدوار

أعضاء الأسرة ، وينعكس ذلك بوجه خاص على الزوج والزوجة ، ويتأكد هذا الانعكاس خصوصا اذا كان المناخ الثقافي والاجتماعي ملائما ، وقد تبين أن الاتجاه العام للتغير البنائي ونتائجه في الأسرة العربية يميل الى اتخاذ هذا المسار الا أنه لا زال واضحا أن فقدان الرجل لسلطاته التقليدية ، أو ارتفاع مكانة المرأة الى مرتبة المشاركة الفعلية في تخطيط مستقبل الأسرة وفي اتخاذ القرارات ليس أمراً شائعا حتى الآن ، ذلك لأن مثل هذا التغير البنائي في الوحدة الأسرية لا يمكن أن يحدث بتأثيره كاملا كما هو واضح من منطوق الفرض الا اذا ساندته التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية ونائجها على المجتمع الكبير ، الذي لم يصل بعد في مجتمعنا الى درجة يمكن أن تساند أو أن تعجل بابراز واظهار نتائج التغيرات البنائية في الأسرة ، ويجب ان نلاحظ هنا أن أكثر نتائج التغير البنائي وضوحا اقتصر على فئتين فقط من فئات الأسر تلك التي عاونتها ظروفها الاقتصادية والثقافية والمهنية على الترحيب أو الاقتناع بهذه النتائج .

٤ ـ لقد ترجم الفرض الرابع عن نظريتين كبيرتين في مجال النتائج الحتمية التي تصاحب التغير الاجتماعي والتكنولوجي في مجال الأسرة حيث تؤكد النظرية الأولى أن التغير يؤدي الى الترابط والتماسك بين أعضاء الوحدة الأسرية بينما تؤكد النظرية الثانية حتمية التفكك والانحلال وقد ثبت من النتائج العامة التي انتهت اليها الدراسة صدق النظرية الأولى وخطأ النظرية الثانية بغض النظر عما قد يبدو من تعدد لحالات الطلاق أو تصدع أو خلافات قد تتكرر أحياناً .

٥ ـ ان التغير الذي ثبت من الدراسة المقارنة أن الأسرة المصرية قد تعرضت له وظهر واضحا بصورة نسبية بين فئات الأسر المختلفة قد أدى الى تغيرات واضحة في القيم المتعلقة بالزواج ، مثل زيادة أو نقصان معدلات الزواج والطلاق واختيار الزوجة ، وهذا يؤيد ما ذهبت اليه من أن طبيعة انماط الأسرة في المجتمعات المختلفة تكشف عن مفارقات تعكس مبلغ التغير الذي بلغه كل نمط ، والنتائج التي ترتبت على هذا التغير ، وخاصة فيما يتعلق بقيم الزواج التي كانت جوهر ما اتجهت اليه ، ومع ذلك نستطيع أن نقول إن ازدياد معدلات التغير في الأنماط التي أظهرت اتجاهات محافظة في هذا الصدد سوف يؤدي في المستقبل الى تغير قيمها في الاتجاه المشار اليه .

٦ ـ ثبت من الدراسة أيضا أن التغير في وظائف الأسرة تغير له صفة عالمية ، أي أن له تأثيرات متشابهة على المجتمعات مهما اختلفت انماطها ، وكل الفرق الذي يمكن ملاحظته هو اختلاف درجة تأثير التغير من مجتمع الى آخر من منظور المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والمهني ، ومعنى ذلك أن الأسرة تتغير من حيث وظائفها من وحدة انتاجية الى وحدة استهلاكية كما أن بعض وظائفها التي كانت لها في المجتمعات البدائية او التقليدية تنتقل الآن الى بعض المنظمات أو المؤسسات ، في الوقت الذي يتعاظم دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية وفي متابعة تعليم الأطفال مما يؤكد ان الأسرة لا تفقد وظائفها واحدة تلو الأخرى كما ذهب الى ذلك بعض الدارسين أو أنها ستتحول في المستقبل القريب إلى وحدة تقتصر وظيفتها الرئيسية على ممارسة العلاقات الجنسية ، ذلك لأن تعقد المنظمات والتنظيمات في المجتمع الحديث ، وشدة التنافس الذي قد يؤدي الى محاولة زيادة الدخل ، جعل الأسرة تنهض بوظائف جديدة مثل المشاركة في الإشراف على التعليم بعض المنتجات الاستهلاكية وغير ذلك مما أصبح ظاهرة تستحق النظر .

٧ ـ لم يثبت أن الأسرة في المجتمع الحضري منعزلة ، وأن عزلتها هذه نتيجة طبيعية للظروف الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية التي تسود مجتمع المدينة ، على أساس ما ذكره علماء الغرب من انه ينمي خصائص تشجع على الفردية وسطحية العلاقات وقيامها على المصلحة وابتعادها عن التعاطف والمجاملة والمودة في مقابل الخصائص التي تميز المجتمع القروي ، والتي كانت الأسرة الممتدة التقليدية تعيش في ظلها ، فقد تبين من النتائج التي توصلت اليها وخاصة في فئات الأسر التي تعيش في المدينة أنها قد انفصلت فعلا عن النسق القرابي الكبير ، وتحولت الى أسر « نواة » الا أنها ظلت بصورة أو بأخرى مرتبطة من حيث العلاقات المتعددة الأهداف بأسر التوجيه على الأقل ، ان البيانات التي أمكن الحصول عليها قد أثبتت أن هذه العلاقات لا يصيبها الوهن كلما ازدادت تأثيرات التغير الاجتماعية ، بل انها تميل الى ان تزداد قوة وارتباطا ، وربما كان ميل من أعتنق هذا الفرض الى تأكيد عزلة الأسرة الحضرية يرجع الى تطبيقهم لبعض الخصائص التي توصل اليها دارسوا المجتمع الحضري على الأسرة باعتبارها احد التنظيمات الحضرية الذي لا بد ان يتأثر هو

الآخر بالخصائص الحضرية العامة . وقد يرد على ذلك بأن الأسرة في المجتمعات العربية لا زالت حتى في الفئة العليا تعالج شئونها متأثرة بالرواسب القديمة التي لم تختفِ نهائيا ، وأنه من المحتمل انه كلما زاد عمق التغير الاجتماعي ، فان الأسرة الحضرية سوف تصبح أسرة منعزلة ، الا ان المقارنة التي عقدناها بين أنماط الأسر المختلفة وتقدير نتائج هذه المقارنة تجعلنا لا نتوقع تحقيق هذا الفرض عمليا .

٨ ـ ليس هناك شك أن ازدياد الأدوات التكنولوجية الحديثة مع ما صاحبه من نمو واتساع في نطاق الحياة الحضرية قد أثر بصورة مباشرة وغير مباشرة في الأسرة بنائيا ووظيفيا ، الا أنه أذا فهمنا أن هذه التغيرات ذات جانبين أحدهما مادي والآخر غير مادي ، فسوف نتبين (من خلال النتائج التي توصلت إليها) ان هناك اقبالا واقعيا وترحيبا نظريا بكل ما هو مادي طرحته التكنولوجيا أو كان نتيجة للحضرية . ولا يعوق الانتشار الكامل لهذا الجانب الا المعوقات الاقتصادية التي تتمثل في انخفاض مستوى الدخل الملحوظ لمعظم المجتمعات العربية ، أما الجانب المعنوي للتغيرات ذات الطابع التكنولوجي أو الحضري وخاصة اذا كانت أفكارا أو مذاهب أو ايديولوجيات فان هناك اتجاها واضحا للرفض أو التشكك أوعدم الترحيب يمكن أن يكون مايسمّى بالاتجاه المحافظ ،ومعنى ذلك أن الأسرة العربية بعد أن تأكد لنا عن طريق الملاحظة انها تقبل على الأدوات التكنولوجية وتتطلع الى اقتناء أكبر عدد منها ، ألا أنها فيما يتعلق بتغيير القيم أو النظرة الى الحياة أو البناء الايديولوجي فانها تقف بعيدا ولا يتم التغير في هذا المجال الا ببطء ملحوظ .

الفصل الثاني عشر
مستقبل الأسرة

مقدمة

هناك قبول عام بين الدارسين في العلوم الاجتماعية في هذه الأيام أن الأسرة نظام اجتماعي ضروري لا يمكن أن يتصور وجود مجتمع بدونه ، بمعنى ان الأسرة نظام عالمي ثبت تاريخيا وسوف يبقى كذلك على أي مستوى من مستويات المستقبل المنظور . وليس معنى ذلك أن الأسرة بشكلها الذي عرفه الاجداد سوف تبقى ، فقد اشرنا مرات عديدة إلى ان تغيرات جوهرية قد حدثت في بنائها وفي وظائفها ، الأمر الذي تعود عليه الناس ويتوقعونه باستمرار ، ومن أجل هذا فكل تغير في بناء الأسرة لم يعد موضوعا مكروها ، بل ينظر إليه الآن نظرة ملؤها التفهم والتقدير ، ومن المعروف أنه عند استعراض تاريخ الأسرة الإنسانية يظهر ان جزءا كبيرا من وظائفها وقدراً لا يستهان به من مقومات وجودها كان يعتمد على الوظائف الإقتصادية التي كانت تقوم بها ، حتى أنه كان يظن يوما أن فقدان هذه الوظائف أو انتقالها الى مؤسسات أو منظمات أخرى خارج النطاق الأسري ربما يجعل من نظام الأسرة ذاته نظاما عديم الجدوى ، أو أنه إذا استمر فهو استمرار بلا مبرر ، لكن أغلب علماء الاجتماع يرون اليوم أن الأسرة تستطيع ان تنهض بتحقيق وظائف لا تقل خطوة عن الوظائف الاقتصادية ، وخاصة في المسائل المتصلة بالجوانب العاطفية ، وتبدو أهمية الاشباع العاطفي الذي توفره الأسرة كوظيفة أساسية ، من أن أحد الدراسات الهامة

التي أجريت مؤخرا أبرزت ان محورها الاساسي يدور حول ان الأسرة في العصور التاريخية الماضية وكذلك في الوقت الحاضر تشهد تحولا من كونها « نظاما » إلى نوع من الرفقة ،[1] . ففي الماضي كما يشرح مؤلف هذه الدراسة كانت القوى التي تحافظ على تماسك الأسرة ذات طبيعة خارجة ورسمية وسلطوية مثل القانون والرأي العام وسلطة الأب ، أما اليوم فإن وحدة الأسرة تعتمد على التعاطف المتبادل والرفقة الطيبة بين أعضائها ، والفرق كما هو واضح بين الحالتين يعكس التغيرات الهائلة التي حدثت في كثير من المجتمعات الأنسانية ، وهي التغيرات التي جعلت مقومات الوجود الأسري ومقومات استمراره تختلف اختلافا بينا . ويصل إلى موقف مشابه واحد من علماء الاجتماع الكبار في دراسة حديثة له حين يذكر ، ان الأسرة لم يصبها الانحلال أو التدهور في ظل التصنيع وإنما الذي أصابها بالفعل هو تضاؤ ل أهميتها في القيام بعدد من الوظائف الاقتصادية ، يضاف الى ذلك أن الأسرة أصبحت تنظيما أكثر تخصصاً من اجل القيام بوظائف أخرى وعلى الأخص التنشئة الاجتماعية للأطفال واستقرار شخصية البالغين[2]. وفي هذا تأكيد مرة أخرى ان الوظائف الاقتصادية لم تكن الوظائف الجوهرية التي إذا انتزعت من الأسرة تتعرض للأنهيار أو تفقد مبرر وجودها . إن الأسرة كانت تقوم بالضرورة بالوظائف الاقتصادية استجابة لطبيعة التنظيم الاجتماعي القديم الذي كان كل مجتمع يشكله وفقا للظروف الطبيعية التي تحيطه ، ووفقا لطابع التقسيم القبلي او السياسي الذي كان سائدا ، ومن المعروف ان السكان منذ آلاف السنين كانوا قلة على سطح الأرض ، وأن مطالبهم في الغذاء والمأوى وأدوات الدفاع والحرب كانت قليلة للغاية ، لدرجة مكنت كل وحدة أسرية أو قرابية أن تكون مكتفية بذاتها تماما في كل شئون الحياة ، لكن هذا لا يجب ان يسوقنا الى القول بأن تدبير شئون الحياة اقتصاديا كان هو الهدف الأول من قيام النظام الأسري ، فقد كانت تنشئة الأطفال ورعايتهم واعدادهم للدخول في معترك الحياة الاجتماعية ، وتوفير جو الطمأنينة والأمن بل والحب والعواطف ، من المسائل أو الوظائف التي لم تفارق الأسرة الإنسانية يوما من الأيام ، لهذا فإن تحول الوظائف

(1) Ernest Burgess and Harvey Locke . « The Family » 2 nd ed N . Y . 1953 , P . Vii .
(2) Talcott Parsons and Rebert Bales , et al ,«TheFamily : Socialization and Interaction Process», Glencoe , 1955 , pp . 9 - 10 .

الاقتصادية في الأسرة إلى منظمات خارجها لم يفقدها إلا وظيفة واحدة وبقيت لها وستبقى مجموعة متكاملة من الوظائف ذات أهمية بالغة في بناء الإنسان وفي تكامله .

ويرى بارينجتون مور Barrington Moore أن كثيراً مما يكتبه علماء الاجتماع الامريكان عن الأسرة وعن جوانب اخرى في المجتمع الأمريكي ، تصيبه بكثير من مشاعر القلق والضيق ، من أن المؤلفين سواء في ميدان الأسرة أو غيره على الرغم مما يقدمونه من نظريات يبدو عليها الاكتمال ومن طرق للبحث أو أدوات تبلغ أحيانا مرتبة عالية من الدقة ، إلا أنهم مع ذلك لا يفعلون أكثر من إسقاط بعض آمال الطبقة المتوسطة وتطلعاتها ومثلها على الواقع الذي يبعد عن ذلك كثيراً . ولست أريد أن أدخل هنا في جدل حول ما يطرحه علم اجتماع اليوم من أفكار حول الاتجاهات الراديكالية والليبرالية والماركسية ، أو عن دور الأيويدلوجية في صناعة النظرية أو مستويات الموضوعية وغير ذلك من الموضوعات ، إلا بالقدر الذي يلقي ضوءاً على حقيقة نظرية الأسرة ، وعلى كفاءة تصور « مستقبلها » من خلال ترجمة صادقة وأمينة للحقائق دون أدنى تأثر بمفضلات قيمية يمكن أن تكون مترسبة في أعماق الباحثين ، أو كما يقول مور ، لو أن علماء الاجتماع هؤلاء كلفوا أنفسهم ، حتى دون مشقة ، ان يتبنوا بصورة متفحصة ودقيقة ماذا يجري حولهم فمن المعتقد انهم يستطيعون التوصل إلى نتائج غير التي توصلوا اليها ، وهي نتائج تحوم حولها الشكوك ، فعلى الأقل لا تصور هذه النتائج غير تجربة مجتمعية واحدة وهي تجربة الأسرة الأمريكية التي لا تقبل التعميم ، وبالتالي فان محاولات إقامة نظرية عامة عن الأسرة بناء أو وظيفة أو مستقبلا لا زالت تحتاج إلى أكثر من دراسات المجتمع الأمريكي ، أي الى دراسات مقارنة تدخل في الاعتبار تجارب مجتمعية أخرى تاريخية وحديثة ومعاصرة ، ومع ان هذه النقطة صعبة جداً وخاصة عند محاولة التدليل عليها ، إلا ان س . رايت ميلز C . Wright Mills مع ذلك في مقال هام كشف أن علم الاجتماع الأمريكي ، وقع في نفس التصورات المسبقة التي وجهت البحث ونتائجه في ميدان مماثل لميدان الأسرة وهو ميدان دراسة الجريمة . ويقول مور أيضا أن الملاحظات الشخصية قد تكون ذات قيمة إلا أن المرء يمكن أن يثبت بصورة أو بأخرى أن ملاحظات باحث واحد يمكن أن تكون متحيزة ، ولهذا فكل ما يستطيع ان يقترحه

مور في هذا الصدد أن يعرض مجموعة من الأسئلة عن النتائج السوسيولوجية التي توصل اليها علم الاجتماع من دراسته للأسرة بناء على مثل هذه الأدلة ، وهذا من خلال الإطار الفكري التقليدي الذي يطرح غالباً عندما تكون مسألة الأسرة موضع النظر ، فبرتراند راسل Russell مثلا في كتابه عن الزواج والاخلاقيات ، حاول ان يدرس الأسرة من منظور تطوري ، وأشار إلى أن هناك احتمالا أن تصبح الأسرة نظاماً عتيقا ، أو أن تصبح نظاما عفى عليه الزمن ، وهنا يقول مور انه يستطيع أن يتصور أن هناك ظروفاً قد نشأت تمنع الأسرة في كثير من الحالات من القيام بالوظائف الاجتماعية والنفسية التي ينسبها علماء الاجتماع المحدثون اليها ، وتتيح نفس الظروف للمجتمعات الصناعية المتقدمة في العالم أن تتخلص من الأسرة وأن تستبدلها بتنظيمات اجتماعية أخرى لا تثقل كاهل الانسانية أو على الأقل لا تفرض عليها إلا حدوداً تتضاءل نتائجها المؤلمة وغير الضرورية ، أما أن المجتمع سيقدم على الاستفادة من هذه الفرصة أولا فإن ذلك مسألة أخرى ».

وإذن يصبح مستقبل الأسرة مسألة هامة وحيوية تثير كثيرا من التساؤلات.فمثلا كيف ستكون اسرة المستقبل ؟ أو ما هو مستقبل الأسرة ؟ وأي الأنماط من الأسرة والمجتمعات سوف توجد في العشر أو الخمسين أو المائة سنة القادمة ؟ وماذا نعد لها من الآن ؟ وأي نمط من التدريب يتعين علينا أن نقدمه لأطفالنا وأحفادنا ؟ وهل سيظل بناء الأسرة كما هو أم سيتغير ؟ وأي الوظائف سوف يؤديها هذا البناء ؟ وهل سيكون وجود الأسرة أصلا ضروريا ؟ وهل سيستمر نظام الزواج ؟ وهل سيكون للنساء مكانة مساوية للرجال بالفعل أم سيتفوقن عليهم ؟ وهل ستنظم الدولة أنشطة الأسرة ؟ هذا نموذج من الأسئلة التي يمكن طرحها في هذا المجال ، ومحاولة البحث عن أجابة معقولة ومقبولة لها . إلا أن الأجابات على أسئلة تتعلق بالمستقبل وخاصة في المسائل المتصلة بالمجتمع تعتبر مسألة شائكة إلى حد بعيد ، وتحتاج إلى أساس أو نظرية يمكن أن ترتكز عليها لتقدير الاحتمالات المستقبلة .

ومحاولة التنبؤ بمستقبل الأسرة كنوع من الرؤية المستقبلية أو كشف الغيب ليست موضوعا جديدا ، حيث يوجد كثير من المحاولات السابقة في هذا الميدان ،

فمثلا يرى كثير من المفكرين أن الأسرة في طريقها إلى الأنهيار أو الزوال وقد أشرت من قبل إلى ان راسل من بينهم حين يؤكد ان الأسرة أصبحت نظاما عتيقا وأن الفساد قد دب في اوصالها ، وعلى الرغم من أن هذا الفساد قد نتج بصورة واضحة عن الثورة الصناعية ، إلا انه يرى أن هذا الفساد قد بدأ منذ زمن سابق على هذا الحدث ، ولهذا تضاءل مركز الأسرة في العصر الحديث وفقدت قوتها السابقة القائمة على تأييد الدولة[1] . ويضيف مور كما ذكرنا إلى ذلك أن الأسرة المعاصرة عتيقة بالفعل وبربرية ، وأحد مظاهر هذه « البربرية » هو التزام الأسرة بمنح الحب لمجموعة معينة من الأشخاص هم ابناؤ ها ، وأن شعور المحبة الحقيقي في رأيه هو الذي يمنح لأفراد نختارهم بمحض ارادتنا وليس لأفراد قد نمقتهم أو نكرههم[2] .

وعلى الرغم من تشاؤ مية هذه الآراء ، إلا أنها تشير إلى ان الأسرة « متغيرة » وسوف تسير في طريق التغير ، غير أن الموضوعات التي يثيرها هؤلاء العلماء أو المفكرين مثل الانحلال أو الأنهيار أو التقدم أو الرقي ، فهي كلها موضوعات يجب تناولها بحذر وحرص شديدين ، لأن الكتابة في موضوع مثل « مستقبل الأسرة » يتطلب احتياطات معينة يجب أخذها في الاعتبار .

تدبيرات وقائية لاحتمالات المستقبل

يرى الكثيرون من منظور تشاؤ مي ان مستقبل المجتمع والأسرة يبدو مظلما وكئيباً نتيجة للأحداث الجارية في الوقت الحالي ، ويضربون امثلة عديدة لتلك الأحداث التي تدفعهم الى مثل هذه التنبؤات المتشائمة كتعاطي المخدرات ، والانهيار الإقتصادي ، والبطالة المقنعة ، واضمحلال موارد البيئة الطبيعية ، وإزدياد الصراعات الطائفية ، ونشوب الحروب ، وكثرة مشاكل الطلاب ، واتساع الفواصل بين أجيال الأباء والأبناء ، وإرتفاع معدلات الطلاق ، وانتشار الأمراض النفسية وارتفاع معدلات الانتحار . ويرى هؤلاء ان استمرار هذه المشاكل بل وتفاقمها وظهور مشاكل جديدة سوف يؤدي بالضرورة إلى انهيار حياة الأسرة .

---

(1) Bertrand Russell , « Marriage andMorals» N . Y, Liveright Publishing Company , 1929 , pp 120 - 121 .

(2) Bartinyton Moore, op. cit.

ويرون كذلك ان الأسرة هي المسئول الأول عن جميع الأمراض والمشاكل الاجتماعية لأن لها التأثير الرئيسي والمباشر في تجربة الحياة لكل شخص . إلا أن هناك إعتراضات كثيرة على هذا الرأي ، فوصفنا لجميع المشاكل الاجتماعية باعتبارها نتيجة لفشل الأسرة يعتبر غير حقيقي بل وساذج ايضا . وهناك نقاط عديدة ، تحتاج إلى إيضاح نشير إليها فيما يلي :

أولا : ان التغيرات التي تحدث أو سوف تحدث في الأسرة ليست بالضرورة سارة أو محزنة ، حسنة او سيئة بناءة أو هدامة ، حيث ان تغيرات الأسرة قد تكون مستحبة أو مرفوضة تبعاً للإطار المرجعي او تصور كل شخص ، وكذلك للجماعة التي ينتمي إليها ، واتجاهات القيم التي يعتنقها . فارتفاع معدلات الطلاق مثلا يمكن أن ينظر اليها من وجهة نظر معينة كمشكلة أو كمأساة بينما قد ينظر إليها آخرون على أنها حل لمشاكل أخرى . والحرب أيضاً يمكن اعتبارها أمراً حيويا للدفاع القومي ، أو كعملية هدم غير أخلاقية للأرواح والأملاك . وهذا لا يعني انه لا توجد تغيرات تهدم وتمزق النظام الاجتماعي ، ولكن هذا يعني ان المشاكل الاجتماعية ، من الملائم أن ننظر اليها في المحيط الذي تحدث فيه . فالمسألة إذن نسبية ، تختلف باختلاف الأشخاص والمجتمعات والزمان والمكان والظروف .

ثانيا : يرى الكثيرون أن مكان الأسرة يقع في قلب المجتمع ، وأنها أكثر النظم الاجتماعية أهمية ، ألا أنه يجب أن نضع في الاعتبار أنه لا يمكن فهم الأسرة كظاهرة منعزلة . بل يجب النظر اليها في صورة تكاملية مع بقية النظم ، أي في علاقاتها بالاقتصاد والتعليم ، والدين والسياسة ، بالاضافة إلى عوامل أخرى مثل كثافة السكان وتركيبهم وتوزيعهم ، وأنماط التنقل الاجتماعي والمكاني والتقسيم الطبقي في المجتمع ، كل هذا يجب أن يكون واضحا . فليس من قبيل المصادفة كما سبق أن أشرنا أن تميل المجتمعات الزراعية إلى شكل الأسرة الممتدة والقاء مسئولية الاختيار الزواجي على الآباء . ولكن النقطة الرئيسية التي نود الإشارة اليها ، هي أنه اذا اردنا الحصول على تنبؤات عن الأسرة دقيقة ومضبوطة ، فمن الضروري أن يكون لدينا فهم دقيق وكامل لما يحدث في الأنساق الاجتماعية الأخرى القائمة في المجتمع . ومثال ذلك : إذا ارتفع المستوى التعليمي في مجتمع ما ، ينقص عدد الأطفال في الأسرة .

وفي هذا تأكيد على أن ما يحدث في الأسرة يعتمد إلى حد كبير أو يرتبط بما يحدث في الأجزاء الأخرى من المجتمع وأي تغير يحدث في أحد هذه الأجزاء يؤدي إلى تغيرات أخرى مصاحبة بما في ذلك الأسرة .

ثالثا : الأسرة ليست وجودا متماثلا . حيث اختلافات كثيرة في أنماط الأسرة (حتى في المجتمع الواحد) نتيجة لعوامل عديدة مثل الإقامة الريفية أو الحضرية ، والعقيدة الدينية ، والطبقة الاجتماعية ، والسن ، والاهتمامات الخاصة ، ودرجة الثقافة . وكل مجموعة من الأشخاص يتشابهون في مجموعة من هذه العوامل يشكلون قطاعا في المجتمع له طابعه الخاص .

رابعا : إن أي نمط من التنبؤ أو احتمالات المستقبل الاجتماعية تتوقف إلى حد كبير على الصدفة ، أي أنها قد تصدق أو لا تصدق . فبعض الاتجاهات تكون قصيرة المدى Short - term إذا ارتبطت بالمناخ الاقتصادي للرخاء الذي يؤثر بصورة واضحة في معدلات الزواج والمواليد والطلاق . كما أن بعض الاتجاهات الأخرى قد لا تكون بالضرورة وحيدة الاتجاه Linear أو قد لا يكون لها اتجاه واضح على الاطلاق . ويمكن أيضاً أن تكون إمكانيات التنبؤ عالية أو منخفضة . والمتغيرات يمكن أن تحدث داخل النسق أو خارجه ، بمحض الصدفة أو مخططة ، سلوكية أو موقفية ، مادية أو لا مادية ، حقيقية أو مثالية ، نمطية أو غير نمطية ، سلامية أو عدوانية ، مستمرة أو وقتية ، سريعة أو بطيئة ، نتيجة لأسباب وحيدة أو أسباب عديدة وهكذا .

ومما سبق يتبين لنا أن أي تنبؤات مستقبلية يجب أن تتخذ من الحذر منهجا فلا يمكن التنبؤ بالمستقبل دون الوقوع في أخطاء ، ولو صدقت التنبؤات بالفعل فان هذا لا يكون إلا في المدى القصير وبالنسبة لمجتمع معين أو قطاع محدود فيه .

تنبؤات وتصورات محتملة

إن معظم التنبؤات في مؤلفات علم الاجتماع الأسري تشير إلى ما يتعلق بمستقبل الأسرة الغربية التي تختلف في كثير من أبعادها عن الأسرة المصرية أو الشرقية أو الأسرة في المجتمعات النامية بوجه عام .

وتؤكد هذه التنبؤات أن الأنماط الحالية في الأسرة والزواج من حيث تنظيمها

وعملها هي باختصار تسير وفق خطة معينة . أما التنبؤات التي سنعرضها فيما يلي فيجب أن ننظر اليها باعتبارها مجرد ايحاء أو تجريب أو تصور وليست تأكيداً شاملا نهائياً .

١ ـ الزواج وبناءات الأسرة

إن تنظيم بناء الزواج والأسرة سواء في المستقبل القريب أو البعيد سوف يأخذ أشكالا عديدة ومتنوعة وقد تكون غريبة أيضاً إذا قورنت بالأشكال الحالية : وتنوع هذه الأشكال في المجتمع التعددي Pluralistic سوف لا يمحي أو يزيل من الوجود معظم الأسر التي تتكون من زوج واحد وزوجة واحدة مع أطفالها البيولوجيين ، وإنما يعني أنه من المحتمل ان تؤدي زيادة الدعاية والإعلان في مجالات معينة إلى اختلافات واسعة في أنواع الزواج والأسرة .

٢ ـ الأسرة الممتدة والروابط القرابية

من المحتمل أن تعود الأسرة الممتدة إلى الظهور مرة أخرى في المستقبل ، كما انه من المحتمل ان تشارك مجموعة من الوحدات الأسرية نفس المسكن كما كان يحدث في الماضي ، وقد لا يسكنون معاً في نفس المسكن ولكنهم سوف يحتفظون بعلاقاتهم القرابية من حيث تبادل الزيارات والمساعدات المادية والمعنوية .

وعلى الرغم من أن الاتجاه العام قد يكون نحو « الأسرة النواة المنعزلة »[١] فإن الأسرة الممتدة المعدلة Modified Extended Family سوف توجد في المستقبل مع ذلك ، دون أن يتطلب وجودها قرباً مكانيا بالضرورة ، أو اشتراكا مهيناً ، أو محاباة للأقارب أو نمطا للسلطة الأبوية ، وجدير بالذكر انها في الوقت الذي لا تتشابه فيه مع الأسرة النواة المنعزلة ، فمن المحتمل ان تقدم لها مساعدات هامة .

وتقول مارجريت ميد Mead[٢] إن الأسرة النواة شكل ملائم للأسرة بغرض التغيير ، ولكنها لن تستمر في هذا الوضع إلى ما لا نهاية . لأن اسرة اليوم تدفع كل

(1) Talcott Parsons , « The Kinship System of the contemporary United States » American Anthropologist , 45 (1913) pp 228 - 238 .

(2) Margaret Mead , « Future Family » Trans Action 8 September (1941) p . 52 .

فرد فيها الى خارج المنزل ما عدا النساء اللائي يقمن بتنظيف المنزل أو تربية الأطفال ، ولذلك فإن أسرة الغد سوف تحتاج إلى أفراد أكثر ، لتربية الطفل وللمعاونة عندما يمرض الطفل أو تمرض الأم . إن وجود كثرة من الأطفال ربما يكون مفيداً للعب المشترك لأن ارسالهم إلى دور الحضانة سوف يتطلب مبالغ طائلة .

وهذا لن يحدث بسرعة أو في الحال لأنه يعني بناء مساكن جديدة . واستعدادات ضخمة ما زالت غير متاحة في الوقت الراهن ولكنها سوف تحدث بالتدريج .

٣ ـ دوام بناء الأسرة وبدائل الطلاق

على الرغم من ان معدلات الطلاق تتناقض خلال فترات الكساد وتتزايد خلال فترات الرخاء ، فان معدلات الطلاق بوجه عام تتزايد في بعض البلاد الأوربية مع احتمال تناقصها نتيجة للتوترات أو الأزمات التي تحدث خارج نطاقها ، لكن الأمر يختلف في الولايات المتحدة الأمريكية ، لأن معدلات الطلاق سجلت منذ فترة طويلة ارتفاعا تدريجياً مستمراً ، وليس هناك دلائل تشير إلى احتمالات توقف هذه الزيادة أو انخفاضها ، ويرى الدارسون لهذه الظاهرة في تلك البلاد أن المعاني المرتبطة بالطلاق هي التي يحتمل ان تتغير أو أن تأخذ مضموناً آخر ، ذلك أنه يمكن القول بأن « الزواج لم يعد ينظر اليه على أنه إرتباط لن يفرقه إلا الموت » ، وهنا يمكن أن تتنبأ بناء على مجريات التطور في مجال الأسرة والزواج أنه سوف يكون هناك قبول عام بشكل أو بآخر لما يمكن ان يسمى بالزواج المؤقت أو بالزواج الذي يستمر حتى يكبر الأطفال . وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن مارجريت ميد في دراسة لها عن الأسرة المستقبلة ترى ، أنه من الممكن أن نصل إلى مرحلة يكون نموذج الزواج فيها يختلف اختلافاً جذرياً عن الزواج الذي نعرفه في ظل الظروف الحالية التي نعيشها « إن الأزواج في الوقت الحاضر يأملون في زواج يجعلهم يعيشون معاً إلى الأبد ، إلا أنه وفقا لما يحدث في الواقع يعترفون بالطلاق بصورة متكررة ، فلو أنهم بدلا من ذلك كان عندهم نوع من التصور أو النموذج الذي يجعلهم يبقون معاً حتى يشب أطفالهم عن الطوق ، أو لا ينجبون أطفالا إلا عندما يكونون مستعدين لتقبلهم ورعايتهم .

وهذا بدلا من الجري وراء شخص ما يكون صالحا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع

معه ، فإن الأبوة في مثل هذه الأحوال يمكن أن تكون أكثر ملاءمة وأكثر فرصا للالتزام بواجباتها ، ولكن اذا لم يمكن التوصل الى مثل هذا الموقف ، فإنه من الطبيعي« أننا في سبيل الدعوة الى حكومة تضع موانع الحمل في الماء الذي نشربه »[1] .

وواضح أن مارجريت ميد تحاول أن تفرق بين الآمال والتوقعات التي تكون لدى الأزواج قبل الزواج ، وبين ما يحدث نتيجة للتجربة الزواجية نفسها ، وترى أنه لسد الفجوة بين الأمل والواقع ، أن يتفق الأزواج على ضرورة بقائهما معاً حتى يتم نمو الأطفال الى السن الذي يستطيعون معه أن يتحملوا مسئولية انفسهم ، أو أن يتفقوا على عدم إنجاب الأطفال حتى يصبحوا من كل الوجوه مستعدين لإستقبالهم .

لأن الأبوة التي ترى « ميد » أنها جوهرية بالنسبة لحسن قضاء مرحلة الطفولة في جو ملائم ، يجب أن يتوفر لها كل مقومات النجاح بعيداً عن التوترات وبعيدا عن إحتمالات الانفصال والطلاق . وبدون هذا التصور العقلاني للزواج وحرصا على ألا يتعرض الجيل الجديد للمتاعب وخاصة في سنوات الطفولة التي تتميز بحاجة الأطفال الى آبائهم ، فان البديل عند ميد ، هو أن تعمل الدولة على الحيلولة دون انجاب الأطفال أصلا بأن تضع موانع الحمل في مياه الشرب كما تقول .

إن الزواج كما يرى كثيرون ممن تعرضوا لدراسته ليس رخصة مثل رخص الصيد والقنص ، أو هو ليس مثل رخصة السيارة يمكن أن نجددها كل فترة معينة من الزمان ، لأن أهمال تجديد مثل هذه الرخص لا يحمل بالضرورة كل النتائج التي تترتب على الطلاق وخاصة ما يتعلق بالتعقيدات القانونية التي تصاحبه في هذه الأيام . ولهذا فانه إذا امكن النظر الى عقد الزواج على أنه عقد مؤقت أصبح في الإمكان تجنب أنهيار كثير من الزيجات التي يتزايد عددها في الوقت الحاضر .

وهناك رأي غريب مؤداه ان الطلاق أكثر احتمالا في الوقوع بين أزواج يعتبرهم الآخرون ازواجا مثاليين ، فقد يكون لديهم بيوت انيقة ومهن مرموقة وأطفال يتمتعون بالجاذبية والجمال فضلا عن تقدير المجتمع لهم والنظر اليهم بكل

(1) Mead Op . cit p . 53 .

احترام .ويقول فارسون Farson[١] في هذا المقام أن الإحباط وعدم الرضى من الحياة الاسرية يكون نتيجة لما يستشعره الزوجان بالحاجة إلى المزيد من الحب والمودة والعواطف العميقة والمشاركات الشاملة ، أو بمعنى آخر فإن التناقض بين الزوجين يمكن أن يحدث نتيجة للمقارنة بين الواقع المعاش وبين التصورات التي تتعلق بما يمكن أن يكون.إن غرابة هذا الرأي مردها إلى أن الاحباط ينبثق من التحسينات التي تطرأ على الحياة الأسرية . فالرأي الشائع في هذا المجال أن كل تحسن يطرأ على أساليب الحياة العائلية لا بد أن يؤدي إلى الإشباع والرضى ، أما أنه يؤدي إلى زيادة التبرم أو الحاجة إلى مزيد من التحسن فهو الأمر الذي يدعو إلى الدهشة . إلا أن فارسون يدافع عن وجهة نظره فيقول ، أن الزواج الفاشل عادة إذا نظر اليه وخاصة من خلال ما يؤدي اليه من اشباع ورضى وفقا لمقياس آخر غير المقياس الذي تحقق خلال التجربة الزواجية التي يعيشها الزوجان ، حتى لو كانت تبعث على الرضى أو تحقق الإشباع من خلال مستوى غير ذلك المستوى الذي اصبح نموذجا مثاليا لا تتوصل اليه التجربة الحالية . ويحاول فارسون ان يؤيد رأيه بقوله إن كثيرا من الزيجات تفشل إذا حاول الأزواج ان يقارنوا حياتهم بحياة آخرين عرف عنهم ولو ظاهريا أنهم يتابعون حياتهم الزوجية في ظل إتجاهات رومانتيكية ظلت مستمرة ابتداء من الفترة التي سبقت الزواج حتى سنوات طويلة بعد الزواج ، أو اذا حدثت المقارنة مع تلك الصورة الخيالية التي تدعمها وسائل الإعلام ، أو ربما كان ذلك نتيجة للتصورات المثالية عن السعادة المتوقعة والتي لا يمكن ان تحقق بالفعل في ظل مسئوليات متعاظمة يواجهها الأزواج كلما أصبح عليهم أن يبذلوا قدراً من التضحيات في سبيل إسعاد الآخرين خاصة إذا كانوا أطفالهم .

٤ ـ تكنولوجيا جديدة للمواليد

في دراسة لنيمكوف Nimkoff عن الإكتشافات البيولوجية ومستقبل الأسرة[٢] يصل الى نتيجة مؤداها أن الإكتشافات في مجال البيولوجيا الإنسانية تعتبر أيضا أكثر

---

(1) Richard E Farson, « Bchavioral Science Predicts and Projects » in Farson ed al, The Future of the Family N. Y, Family Service Association of America, 1969, p. 65.

(2) Meyer. F. Nimkoff « Biological Discoveries and the Future of the Family : A Reppraisal», Social Forces, 41 (December, 1962) pp. 121 - 127.

اهمية في الجانب السيكولوجي ـ الاجتماعي للحياة الأسرية من التطورات التكنولوجية ، ويقول إن التكنولوجيا الجديدة للمواليد تتركز حول حبوب منع الحمل والأمصال المؤدية لمنع الحمل وضبط عدد الأطفال والمعرفة التي تؤدي الى السيطرة على جنس الطفل ، والإخصاب الصناعي عن طريق الزواج أو رجل آخر ، وطريقة حفظ الحيوانات المنوية ، والعلاج عن طريق الهرمونات، وزرع الأجنة وكثير غير ذلك من الاكتشافات العلمية التي تفتح آفاقا جديدة للتغير في ميدان الأسرة ، وهذا يعني ان التطورات المعاصرة في الكيمياء الحيوية يمكن أن تؤدي الى طرح إمكانيات لثورة كبرى في المستقبل القريب ، لكن متضمنات بعض هذه التطورات يمكن أن تكون شيئا يفوق كل التصور أو الخيال . فما الذي يحدث للأمومة إذا كان الأطفال ليسوا من صلبها (أطفال الأنابيب) وكيف يمكن أن نتوصل إلى توازن في معدلات الجنس خاصة أن المجتمعات حتى في العصر الحاضر تفضل الذكور على الإناث ، بل إن بعض الآباء يفضلون ان يأتي الطفل الذكر قبل الطفل الأنثى ، كذلك من الذي يستطيع ان يصدر القرار الذي بمقتضاه يمكن وضع برنامج للتحكم في مستويات الذكاء ، وما هي المتضمنات التي يمكن أن تترتب على تحقيق مقدرة الأزواج في إنجاب الأطفال عند سن التسعين ، وأخيرا ما الذي يحدث او ما الذي يمكن أن يحدث للعادات والتقاليد الجنسية لمجتمع يحتمل أن يخضع لمثل هذه الظروف . هذه في الواقع مجموعة من التساؤلات التي يمكن ان يطرحها التفكير في النتائج التي قد تترتب على هذه الاكتشافات البيولوجية أو الكيميائية إذا ما قدر لها أن تجد طريقها للتطبيق على أوسع نطاق في المجتمعات الإنسانية . ومع أن عددا كبيرا من هذه الاكتشافات أصبح ممكنا إخراجه إلى حيز التطبيق العلمي أو على الأقل أصبحت معروفة في الميدان العلمي ، الا انها لا زالت لسبب أو لآخر مجرد تأملات حتى هذه اللحظة . ان كثيرا من الدارسين للأسرة والمطلعين عن كثب على هذه الاكتشافات والمقدرين لنتائجها يعتقدون ان التخلف الثقافي الذي يظهر في تقبلها إجتماعيا سوف يتضاءل تدريجيا خلال فترة قصيرة من الزمان .

إن عدد الأطفال في كل زيجة طبقا لهذه التكنولوجيا الجديدة للمواليد يحتمل ان يتناقص إلى أن يصل إلى معدل إنجاب يقترب من الصفر ، أو بمعنى آخر أن تصل

الزيادة السكانية إلى الصفر ، وفي هذا الصدد يعتقد هاوزر Hauser[1] أن ذلك لا مفر من بلوغه لأننا نعيش في كوكب محدود تبلغ مساحته خمسين مليون ميلا مربعا فقط من الأرض ، وبسبب هذه المساحة المحدودة فإن أي معدل للزيادة السكانية سوف يفضي في نهاية الأمر إلى حالة من التخمة أو التشبع ، ويضيف هاوزر إلى ذلك قوله ، إن العالم الغربي يمكن أن يتوصل إلى درجة الصفر في الزيادة السكانية لو أن عدد المواليد نقص بمعدل مولود واحد لكل اسرة . وهو امر محتمل وممكن التوصل اليه بسهولة ، وهناك من الدلائل التي تشير إلى نجاح دول العالم الغربي في التوصل الى هذه الدرجة من الزيادة إبتداء من عام ١٩٧٠ ولكن الأمر بالنسبة لبقية اجزاء العالم قد يختلف اختلافا ملحوظا ، فلا زالت الإحصاءات تسجل زيادة مضطردة في عدد المواليد ونقصا متزايدا في عدد الوفيات ، الذي تكون من نتيجته ما يشار اليه دائما « بالانفجار السكاني » الذي يعتقد كثير من الدارسين أنه يمكن أن يؤدي الى تهديد الرخاء العالمي أو الى زيادة الأعباء الملقاة على الدول المتقدمة ، ويلاحظ أنه ابتداء من مطلع السبعينيات ظهرت اهتمامات عديدة في مجالات علمية وإقتصادية وسياسية مختلفة بدراسة آثار الإنفجار السكاني على مستقبل العالم وخاصة من منظور كفاية المواد الضرورية « الغذاء » للأعداد المتزايدة من البشر ، الأمر الذي جعل مسألة تنظيم الأسرة وخاصة من زاوية ضبط النسل أمرا يشغل الدوائر العلمية ومنظمات هيئة الأمم المتحدة ومخططي السياسة العامة في كثير من مجتمعات العالم ، حتى أصبحت الدعوة إلى تنظيم الأسرة من خلال هذا المنظور تكاد أن تبلغ مرتبة العقيدة. الراسخة او البديهات التي لا يجوز النقاش فيها ، ومع ذلك فقد أثيرت اعتراضات شديدة على الدعوة إلى ضبط النسل في كثيرمن البلاد الاشتراكية التي فندت الدعاوى التي تقوم عليها باعتبارها دعاوى تقوم على اعتبارات ايديولوجية تستند أساساً الى الدفاع عن منجزات العالم الغربي والرغبة في الحفاظ على المستوى العالي من المعيشة لشعوب هذا العالم على حساب استغلال إمكانيات بقية شعوب العالم الأخرى ، ويستند مثل هذا الرأي إلى أن كثيراً من الدول التي تنتمي إلى العالم الثالث بها من الأمكانيات الهائلة لانتاج الغذاء التي لو أحسن استغلالها عن طريق المساعدات الفنية

(1) Phillip Hauser , « Social Science Predicts and Projects » , in Farson et al . , p . 36 .

والتكنولوجية لاختفى كل جدل حول ما يسمى بأزمة الغذاء العالمية ، وهذا يؤدي بالتالي إلى مزيد من التريث أو على الأقل إعادة النظر في ايديولوجية ضبط النسل التي تلقن لشعوب العالم بصورة أو بأخرى عبر أجهزة الإعلام أو من خلال الأبحاث التي تمولها هيئات لها اهتمام ايديولوجي أو اقتصادي معين .

إلا ان القضايا التي يطرحها مثل هذا الحوار الذي يأخذ طابعا أيديولوجيا في بعض جوانبه لا يصلح في اللحظة الحاضرة لحل المشاكل التي تواجهها المجتمعات ذات الامكانيات المحدودة أو القدرات التكنولوجية غير المتطورة في كثير من مجتمعات العالم الثالث ، إن نتيجة هذا الحوار قد تصلح في نهاية الأمر إلى إقامة سياسة عالمية بعيدة المدى إلا أنه من المعتقد أنه على المجتمعات التي تواجه مشكلة زيادة السكان بصورة تفوق زيادة الإمكانيات المتاحة مثل ما هو حادث في المجتمع المصري فإن عليها أن تتبنى سياسة متوازية في هذا الميدان وليس هناك في الوقت الراهن من حل ممكن ومجد غير التخطيط كنوع من السيطرة على ارتفاع معدلات الزيادة السكانية عن طريق حفز الأسر على ضبط نسلها في الحدود المعقولة التي تتناسب مع إمكانياتها المادية وتطلعاتها المشروعة لمستويات معيشة ملائمة .

٥ ـ الأبوة كمهنة متخصصة

إننا نعيش اليوم عصر التخصص ، ففي كثير من المدن الكبرى لا يذهب المرء إلى الطبيب (الممارس العام) فحسب ، بل إنه ينتقي كذلك الأخصائي الذي تسمح له مؤهلاته وخبراته بتشخيص ومعالجة مرض بعينه ، وليس من المستساغ بل ليس من المسموح به إعطاء فرصة لفرد غير مدرب باجراء عملية جراحية في القلب أو أن يدرس في الجامعة ، أو أن يبني منزلا . ولكن في الوقت الذي تعلق أهمية قصوى على تربية الأطفال ، فإننا نسمح لأشخاص لم يتلقوا تدريبا من أي نوع بالقيام بهذه المهمة المعقدة والصعبة ، ولعل هذا هو الأمر ايضا مع استثناءات لا تذكر ، عندما يسمح الاشخاص بعينهم ان يقوموا بذلك دون أي مؤهلات سيكولوجية أو تربوية أو اجتماعية . ويرى كثير من الذين يعنون بمسائل الأسرة وتربية الطفل انه من المحزن حقا أن نجد كثيرا من المشرفين على شئون التعليم يقاومون في ظل إعتبارات لا تقوم على أساس وضع برامج في الحياة الأسرية والاعداد لمرحلة الأبوة في التعليم العام أو

في التعليم العالي ، ويلاحظ أن بعض البلاد التي أحست بمدى أهمية مثل هذه البرامج قد وضعت ضمن مخططات التعليم فيها مواد تعالج جوانب معينة في العلاقات الزوجية . الا أن الاعتراف الكامل بمثل هذه المواد لا زال يحتاج الى اقتناع أقوى مما هو قائم بالفعل ، الا ان الكثرة الغالبة من بقية مجتمعات العالم لا زالت إما بعيدة كل البعد عن هذا التصور . أو أنها تناقشه ببطء ، أو يرى المهيمنون على شئون التعليم والتربية فيها أن علم الأسرة يعالج بصورة متفرقة في كثير من المواد ذات الطابع الاجتماعي او التربوي الذي يتلقاه الطلاب . وجدير بالذكر ان بلادا معينة ومنها مصر ترى أن فتح مكاتب للارشاد الزواجي وتكليف بعض المؤسسات الأهلية والحكومية التي تعمل في الميدان الاجتماعي بمهمة تقديم المعلومات والارشادات المتعلقة بالحياة الأسرية والعلاقات الزوجية وتربية الأطفال وأساليب رعايتهم يمكن أن يكون بديلا ناجحا عن إعطاء هذه المعلومات في مرحلة مبكرة من حياة الشاب أو الفتاة . ولكن الأمر كله مع ذلك يحتاج الى نظرة أكثر واقعية وأكثر استجابة للظروف المتغيرة التي تعيشها الأجيال اليوم .

إن الشيء الذي لا بد أن نؤكده مؤيدا للإتجاه الذي يرى ضرورة تدريب من يقبلون على الزواج على الأبوة ، ان الأباء وحدهم هم الذين يقع على عاتقهم تربية أطفالهم وهذا واضح لا يحتاج إلى دليل إلا في حالات استثنائية لا يعتدّ بها ، فالمجتمعات اليوم يزداد التخصص فيها يوما بعد آخر ، ويزداد عدد النساء اللائي يدخلن ميادين العمل التي تحتاج الى تخصصات ضيقة ، كما يزداد عدد النساء كذلك اللائي يلتحقن بأعمال بأجر ثابت ، وذلك بالاضافة الى أن انجاب الأطفال لم يعد أمرا وليد الصدفة وإنما يخضع للاختيار (وذلك في حالة الاقتناع بضرورة ضبط النسل وتنظيم الأسرة وترجمة هذا الاقتناع إلى واقع ملموس) كل هذا سوف يؤدي الى نتيجة هامة هي ان الأبوة لنصف الوقت ستصبح ظاهرة عامة (عندما تعمل المرأة وتغيب عن منزلها في الوقت الذي يعمل زوجها كذلك) ومعنى ذلك أن العالم الذي سنشهده سوف تختفي فيه الأبوة المتفرغة طوال الوقت وسوف تقاس الأبوة من حيث نجاحها او مسئولياتها بمعايير اخرى غير المعايير التقليدية .

ويوجد في كثير من المجتمعات اليوم عدد كبير من دور الحضانة أو أي شكل آخر

قريب منها يقدم نوعا من البرامج التربوية للأطفال في سن ما قبل المدرسة .ولكن دور الحضانة هذه لا تزال في كثير من البلاد تقوم على أسس خاصة باستثناء بعض الدول الاشتراكية ، وهناك احتمال قوي بأن تتولى الدولة بصورة تدريجية تقديم هذه الخدمة للأمهات العاملات . إن الاحباط الذي يتعرض له الأباء الذين يقع عليهم العبء للقيام بدور أبوي طوال الأربع والعشرين ساعة ، أي طوال اليوم يمكن اذا واتتهم الفرصة وخاصة الأمهات ان يرحبوا بوجود آباء مهنيين أو محترفين لهم صلاحية وخبرة في هذا المجال وهناك احتمال قوي أن كثيرا من الآباء البيولوجيين سوف يسلمون اطفالهم بكل سرور لست أو ثمان ساعات في اليوم ، وسوف ينظر الى مثل هذا التسليم على أنه نوع من الحب وليس نوعا من الرفض ، وسوف يكون الوقت الذي يقضى تبعا لذلك مع الأطفال غير مخصص لفرض النظام أو لتوقيع العقاب بل سوف يخصص بغير شك لتبادل العواطف والاستمتاع المتبادل .

ويذهب الفن توفلار Toffler[١] خطوة أبعد من ذلك حين يقترح قيام مراكز للرعاية النهارية تخضع لنظام معين ، ويعني بذلك قيام مؤسسات مهنية ابوية حيث يذهب الأطفال الى وحدات أسرية فعلية نظير أجر معلوم ويشترط في هذه الأسر ان تكون متعددة الأجيال بحيث تهيء للأطفال الفرصة للملاحظة والتعلم من مجموعة واسعة ومتنوعة لنماذج من السلوك يقوم بها من هم أكبر منهم سنا كما كان الحال في البيوت القروية القديمة (الدواوير) . ويمكن لهذه الأسر ان تقبل أطفالا جددا يضافون الى الأطفال الذين يمكثون سنة أو أكثر عندها حتى يصبح في الامكان تجنب العزل العمري أو تقليله الى أقصى حد . الا أنه من غير المتوقع أن تلاقي فكرة توفلار هذه قبولا واسعا وعلى الأخص خلال الجيلين القادمين ذلك لأن آباء « نصف الوقت » و « بدائل الآباء » قد لقيت قبولا على أوسع نطاق في أغلب المجتمعات في الوقت الذي زادت فيه دور الحضانة .

٦ - برامج الزواج والتربية الاسرية

إن السرعة التي يتوقع أن تتم على أساسها التغيرات في مسائل التربية وتعليم

---

(1) Alvin Toffler , Future Shock , N . Y : Bantam Books , 1970 , p . 244 .

الحياة الأسرية مثلها مثل أي رؤ ية أخرى للمستقبل لا زالت غير معروفة ، ومع ذلك فمن المحتمل زيادة الاهتمام بالبرامج الرسمية في التعليم والبحث والخدمات التي تتناول الوحدات الأسرية أو الزواجية ، وهذا بالإضافة إلى كل ما تعلق بنسق الأسرة والزواج ككل في المجتمع .ومن المتوقع قيام عديد من التنظيمات أو تدعيم ما هو قائم منها بهدف ترسيخ الحياة الأسرية مع ما قد يعني من ذلك من ابقاء على القيم التقليدية الذي قد ينظر اليه على أنه يمثل اسلوبا محافظا في تناول مشكلة اسرة المستقبل . هذا وتتجه أغلب البرامج التي توضع في هذا الميدان إلى مستوى المدارس الثانوية أو ربما في بعض الاحيان إلى مستوى التعليم العالي ، وهنا ينصح القائمون على هذه البرامج بتأكيد أهمية الأسرة كنسق اجتماعي وإبراز أهمية التعرف على المسائل ذات الطابع الاجتماعي مثل الجريمة والسكان والتغير الاجتماعي ، حيث يمكن تأكيد دور الأسرة في مواجهة ما قد ينشأ في المجتمع من اضطرابات او انحرافات فكأن الأسرة تعالج من خلال هذه البرامج على أنها عنصر بنائي في المجتمع لا بد من الحرص على ارتباطه بالعناصر البنائية الأخرى حتى يستمر المجتمع في اداء دوره وتحقيق اهدافه التي تهم كل فرد مهما كان موقعه او موقفه .

وجدير بالذكر أن البرامج التي تؤكد أهمية الأسرة ودورها تضطرب فيما يتعلق بالتربية الجنسية ، ذلك لأن هناك عدد كبير من المواطنين في كل مكان لا يزالون يعارضون هذه التربية الجنسية التي يمكن أن تؤدي في رأيهم الى التجريب « الجنسي » اي الحصول على الخبرة الجنسية مع ما قد يسفر عن ذلك من انهيار السياج الاخلاقي عند الشباب . ويقول المؤيدون للتربية الجنسية في وجه هذه المعارضة أن برامجهم سوف تؤدي الى تناقص الأمراض التناسلية ، والحمل بدون زواج . إلا أن كلا الموقفين المؤيد والمعارض وقعا في خطأ تصور نتائج معينة يمكن ان تؤدي اليها مثل هذا البرنامج ، أي أن التصورات التي بنيت عليها فلسفة الرفض أو القبول بالغت وأدت هذه المبالغة إلى اخطاء عديدة منها أن أغلب البرامج كانت معنية بالأمراض التناسلية والدورة الشهرية وفسيولوجية الحمل أكبر من عنايتها بالجوانب الاجتماعية والسلوكية والنفسية للجنس . ومن ناحية أخرى ، عندما عولجت هذه المسائل ذات الطابع الاجتماعي النفسي السلوكي ، عن طريق المدرسين اصطبغ الجنس بصبغة

اخلاقية ودعائية وتقليدية ، واتخذت صيغا حماسية وخطابية .

إن أهمية التربية الجنسية لا يجب ان تخضع لاتجاهات متطرفة حتى تحقق التوازن المطلوب وتؤدي الهدف منها فسيولوجيا وأخلاقيا كذلك ، لأن المعرفة بوظائف الأعضاء الجنسية ، وما قد يتعرض المرء بسببها من أمراض يجب ان تعالج على أسس علمية، وبشكل لا يثير الحياء أو الغريزة أو يؤدي إلى إضفاء أهمية مبالغ فيها على هذه الأعضاء ، في الوقت الذي يجب أن يقترن ذلك بتأكيد على الأخلاقيات والقيم السليمة على أن يتم ذلك بصورة تتوافق مع أشكال الأسرة المختلفة ، ودرجة النمو الاجتماعي والثقافي في المجتمع ككل أو في اقسامه المتمايزة .

٧ ـ علاقات الآباء والأبناء

تمشيا مع التغيرات السابقة التي أشرنا اليها ، فإن مستقبل الأسرة سوف يتضمن تغيرات عديدة في علاقة الآباء بالأبناء وكذلك في مناهج تربية الطفل ، ومن المحتمل مستقبلا أن يزيد الاتجاه إلى تعريف الابوة بمعنى أكثر اتصالا بالناحية الاجتماعية منه بالناحية البيولوجية . كما أنه من المحتمل أن تحدث زيادة واضحة في عدد الأفراد الذين سوف يشتركون في عملية تربية الطفل .ومن المحتمل ايضا ان يشهد المستقبل زيادة فيما يسمى « أشباه الآباء» quasi - parents الذين سوف يسهمون في الوظيفة الأبوية الأساسية لتربية الطفل ، وهؤلاء قد يكونون : الإخوة أو الأخوات ، أو الأصدقاء ، أو المعلمين ، أو الاجداد ، أو الجيران ، أو المربيات . . الخ .

ومن الممكن أن يضاف التلفزيون إلى هذه القائمة باعتباره « ابا شبيها » . وقد أجري استفتاء على مجموعة من الاطفال وتم سؤالهم عن : أيهما يحبون اباءهم أم التلفزيون ؟ وتبين من نتيجة الاستفتاء ان نسبة كبيرة جدا منهم تحب التلفزيون أكثر من الأب كما ان معظم هؤلاء الأطفال يقضون وقتا طويلا لا يقل عن ساعتين يوميا ، في مشاهدة برامج التلفزيون مما يكون له تأثير واضح على قيمهم واتجاهاتهم المستقبلة وتصرفاتهم اليومية .

أما بالنسبة للمراهقين ، فمن المحتمل ان يستمر تأثير جماعة النظراء عليهم كمصدر رئيسي لتشكيل القيم والاتجاهات . ففي الوقت الحالي ، أصبح الشباب

يتخذون من جماعة النظراء نموذجا يحتذونه في تصرفاتهم ولا يحتذون آبائهم كما كان الشباب يفعلون في الماضي القريب . ولهذا فمن المحتمل ان تحدث في المستقبل زيادة في تأثير أفراد آخرين في عملية التنشئة الاجتماعية غير من يقومون بها ويؤثرون فيها في الوقت الحالي .

وهناك تغيرات أخرى من المحتمل ان تنعكس على علاقات الآباء والابناء ، وهي الانتقال من العلاقة الرسمية بينهما التي تقوم على تمايز المكانة والوضع داخل نطاق الأسرة وكذلك الأدوار المحددة بوضوح ، إلى علاقات من نوع جديد لا تتسم بالرسمية كما أنها شديدة التنوع وتتمشى مع الاوضاع الجديدة للأسرة الحديثة . وسوف يصاحب هذه الأوضاع الجديدة في الأسرة مشاركة كبيرة من الأطفال في اتخاذ القرارات وخاصة ما يخصهم منها مثل اختيار ملابسهم ومدارسهم وأنواع الطعام وأماكن النزهة وأنواع الرياضة التي يمارسونها والهوايات . . الخ . وهذا بالإضافة إلى بذل مجهودات واعية تساعد الأطفال على تنمية إمكانياتهم الاجتماعية والعاطفية ، وإقبال الآباء على استخدام الوسائل النفسية والرمزية في التربية ، وزيادة الاستعانة بالجهات المتخصصة ومكاتب الاستشارات في تربية الاطفال .

٨ ـ الأدوار الزواجية وتقسيم الأعمال

هناك احتمال كبير بأن تحدث تغيرات كبيرة في طبيعة علاقات الزوج والزوجة فيما ان جميع أنماط السلوك الأسرية والزواجية تشتمل على تقسيم للعمل ، فإن هناك أعمالا تختص بها الزوجة وأعمالا يقوم بها الزوج ، كما أن الأطفال ايضا يكلفون بمسئوليات معينة مثل ترتيب حجراتهم أو إعداد وجبة خفيفة ثم تبقى بعد ذلك بعض الأعمال يمكن أن يؤديها أي فرد من أفراد الأسرة سواء كان الزوج أو الزوجة أو الأطفال وذلك بالتبادل فيما بينهم . وقد سبق ان أشرنا في موضع سابق من هذا الكتاب ان الزوجة تقوم بإعداد الطعام بينما يقوم الزوج ببعض الأعمال اليدوية الفنية والثقيلة التي لا تستطيع الزوجة في كثير من الأحيان القيام بها .

وقد سبق أن أشرنا كذلك إلى إنه فيما عدا الحمل والولادة والرضاعة فإن الرجل يستطيع أن يقوم بجميع الأعمال التي تقوم بها المرأة وتستطيع المرأة أن تقوم بكل ما

يستطيع ان يقوم به الرجل بما في ذلك الأعمال الثقيلة[١] ومن المحتمل ان يؤكد المستقبل على عدم الفصل في الأنشطة بين الزوجين بحيث يمكن أن يؤدى العمل عن طريق أحد الزوجين دون النظر إلى طبيعة هذا العمل . وهناك مؤشر واضح يؤيد هذا الاتجاه مستقبلا ، وهو أن الأزواج في الطبقات المتوسطة أصبحوا بالفعل يوافقون بإقتناع ورضى على القيام بكثير من أعمال المنزل التي كانت تقليدياً من نصيب المرأة .

ومن المحتمل أيضاً أن يشاهد المستقبل زيادة في تقسيم العمل الذي يقوم على مدى العلاقات الداخلية بين الزوجين أكثر من قيامه على المعايير الاجتماعية والثقافية التقليدية[٢] .

ومن المحتمل ايضاً أن نشاهد في المستقبل زيادة في الكليات والمدارس العليا التي تركز على الإعداد للزواج والأسرة . وقيام هيئات تتخصص في انشاء دور للحضانة على أسس تربوية ونفسية سليمة ، ومكاتب الاستشارات الزواجية ، وعيادات متخصصة للارشاد في رعاية الأطفال ، ومراكز متخصصة في خدمة الأسرة وحل المشاكل العائلية .

هذا وتؤكد المؤشرات الحالية إلى ان علاقة الزوج والزوجة سوف تستمر مستقبلا لتبقى المصدر الأساسي للعواطف بالنسبة للكبار ، ويرجع ذلك إلى ان الزواج وأسرة المستقبل سوف يصبحان (تصوراً وتخيلاً) المكان الذي يبتعد فيه الفرد عن الرسميات ويحقق له بقدر الامكان الألفة والمودة والصداقة الحميمة غير المفتعلة . وإذا أصبح المجتمع أكثر بيروقراطية ورسمية وهذا أمر متوقع (الظروف الحالية خير مؤشر على ذلك) ، فإن الأسرة سوف تصبح المكان الوحيد الذي يعبر فيه الفرد

---

(١) تقوم المرأة حاليا في معظم البلاد المتقدمة صناعيا بجميع الاعمال التي يقوم بها الرجال حتى الأعمال الثقيلة ، مثل أعمال البناء والأعمال الصعبة مثل أعمال الشرطة ، كما ان المرأة الريفية المصرية تقوم بجميع الاعمال التي يقوم بها الرجل ، وأصبحت المرأة المصرية في المناطق الحضرية تعمل طبيبة ومهندسة ومدرسة ، بل وصلت أيضا الى منصب الوزارة ، علما بأن هذا المنصب يتطلب درجة عالية من العلم والثقافة والمقدرة الادارية المالية والمقدرة على النظرة الشاملة المتكاملة للموضوعات .

(2) Robert Blood and D . Wolfe , « Husbands and Wives » Glencos, The Free Press , 1960 .

بحرية عن امانيه ومخاوفه ، ولهذا فإن الوظيفة العاطفية التي تؤدى اليوم بشكل ما ، يمكن ان تكون أهم الوظائف التي تؤديها اسرة المستقبل .

٩ ـ مكانة النساء

يبدو أن معظم المجتمعات تسير في الوقت الحالي نحو المساواة بين مكانة الذكر والأنثى . فالمساواة في التعليم أتاحت للنساء فرصا كبيرة للالتحاق بالأعمال والمهن المختلفة ، كما أن انهيار التفرقة المتعلقة بالجنس في تقسيم ادوار العمل وإتاحة الفرص للاتصال الاجتماعي قبل الزواج وبعده تعتبر علامات واضحة وأكيدة على السير في طريق المساواة الكاملة بين الرجال والنساء . ويبدو أنه من المنطقي أن نفترض أن التغيرات الهائلة التي من المحتمل ان تصاحب التغير في أدوار الإناث سوف يكون لها أثرها على الرجال ايضاً . فالنساء تقليديا يقمن باعمال لا تواجه منافسة من الرجال أيضاً مثل التعليم والتمريض وأعمال السكرتارية وما شابه ذلك ، إلا أنهن يستبعدن من مهن أخرى مثل البحث والسياسة ، والحرف ، والادارة . . الخ . ويرى ناى Nye أنه أذا أتحيت للنساء الفرص المناسبة للتدريب في مجال الرياضيات والعلوم الطبيعية والمجالات الأخرى القاصرة على الرجال فإنه من المحتمل ان يؤدي التغير الى ما يلي :

أ ـ ستصبح المرأة في عدد متزايد من الأسر هي « عائل الأسرة » وقد يتولى الزوج نتيجة لذلك القيام بالأعمال المنزلية ويتحمل مسئولية أدوار تتناقض تماما مع دوره التقليدي .

ب ـ يحتمل ان تتزايد معدلات الطلاق نتيجة لما يتطلبه عمل المرأة من وقت ، وما يقتضيه من تنقلات وأسفار في بعض الأحيان ، ويضاف هذا كله الى أن استقلالها اقتصاديا يجعلها لا تعتمد على الرجل أو تقبل منه سطوة في غير محلها .

جـ ـ يتوقع أن تتزايد رعاية دور الحضانة للاطفال نتيجة للنقص المستمر في الخدم .

د ـ يحتمل ان يستمر معدل المواليد في الانخفاض كبديل لتربية الأطفال .

هـ - يمكن ان يزيد سن الزواج بالنسبة للفتيات نظراً لإقبالهن الشديد في الوقت الحالي على تلقي العلم بدرجة قد تفوق إقبال الشباب عليه[1] .

وإذا افترضنا ان المرأة احرزت تقدما Progress في الوقت الراهن من حيث الحصول على المساواة بالرجال في مجالات عديدة كالعمل والتعليم والدخل ، فإن هذه المساواة تعتبر غير حقيقية في واقع الأمر ، لأنه على الرغم من كل شيء فما زالت المرأة أقل من الرجل ، حيث تواجه في كثير من المجتمعات بتيارات قوية تثير المشاكل أمامها وخاصة ما اتصل منها بطبيعة مركزها ، وتقف معوقا امام تقدمها ، وتتخذ هذه المشاكل اشكالا مختلفة باختلاف هذه المجتمعات ، ففي بعض المجتمعات يلاحظ ان التعصب ضد المرأة ينعكس على النظم القانونية والسياسية والمهنية ، وفي مجتمعات أخرى لا يكون التعصب ظاهراً بصورة واضحة ، إلا انه يعبر عن نفسه في بعض المواقف ، مثل عدم المساواة في الحصول على التدريبات وعدم المساواة في الترقية في الوظائف ، أو الحصول على أجر أقل نظير القيام بنفس العمل ، إلى جانب اشتراك اقل في النشاط السياسي وجدير بالذكر أنه في البلاد الشيوعية التي من مبادئها الأساسية ، تأكيد مركز المرأة وانهاء كل مظاهر التعصب ضدها فإن هناك تناقضاً وخاصة عند توزيع المسئوليات السياسية .

ماذا عن المستقبل إذن ؟ إذا ربطنا المهنة والدخل بالتحصيل في العلم ، فإنه يبدوا ان المرأة ستظل في وضع ادنى من الرجل لأجيال اخرى قادمة . وربما تتشابه عملية حصول المرأة على المساواة الاجتماعية مع ما يحدث لجماعات الاقليات في بعض المجتمعات التي تسود فيها التفرقة العنصرية . ذلك أنه على الرغم من أن النساء حصلن حاليا على درجة من المساواة في الحقوق المدنية وعلى بعض الحقوق المدنية وعلى بعض الحقوق السياسية إلا أن هذه المساواة لا تسير حثيثا في الطريق المأمول وهو المساواة الكاملة .

تنبؤات محتملة عن مستقبل الأسرة المصرية

يعتقد كثير من الكتاب والدارسين ان التغير الاجتماعي يؤثر بوضوح في كثير من

(1) F. Ivan Nyde, « Values Family and Changing Society » Journal of Marriage and the Family, 29 (May , 1967) p . 247 .

انظمة المجتمع بدرجات متفاوتة . ونظرا لأهمية الأسرة في بقاء المجتمع نفسه فإنها من بين النظم التي لا تستجيب بسرعة إلى التغيرات التي تتضح في جوانب عديدة من مقومات الحياة الاجتماعية الأخرى ، وليس معنى هذا أن التغير في البناء الوظيفي للأسرة يكون بطيئاً أو غير محتمل إلا في فترات طويلة جدا ، لكن الذي نريد الاشارة اليه هنا أن تغير النظام الأسري يتوقف على تغيرات أخرى تحدث في النظام الاقتصادي والنظام التعليمي ، والانساق القيمية ، وقد يوحي مثل هذا القول بأن الأسرة عندما تتغير فإنها تتغير ممتدة على تغيرات أخرى ، وقد يكون هذا صحيحا من ناحية معينة ، وخاصة في مجتمعات نامية مثل مجتمعنا . الا ان سرعة التغير وعمق التأثيرات التي يحدثها يمكن أن تؤدي إلى أن الأسرة بدورها تصبح عاملا من عوامل تغير هذه المتغيرات التي أشرت اليها . وعلى كل حال ، فإن أغلب دراسات التغير تشير الى عدد من النتائج الكامنة التي يمكن ان يؤدي اليها هذا التغير على الأسرة وعلى ذلك ، اذا استعرضنا التغيرات التي حدثت في المجتمع المصري وانعكاسها على احتمالات التغير وكذلك استعراض التدبيرات الوقائية لإحتمالات المستقبل وتطبيقها على الأسرة في محاولة للتنبؤ بالتغيرات التي يمكن أن تطرأ عليها في المستقبل ، فإننا نستطيع أن نتبين أولا ، أن الأسرة المصرية ليست نمطا وحيدا كما سبق أن أشرنا أكثر من مرة ، حيث توجد الأسرة الريفية والأسرة الحضرية ، ومع ذلك تختلف انماط الأسرة الريفية وفقا لقربها او بعدها عن المناطق الحضرية ، كما تختلف أنماط الأسرة الحضرية وتنقسم الى فئات عديدة تبعا لعوامل عديدة مثل المهنة ومستوى الدخل ودرجة الثقافة ومكان السكن وعديد من العوامل الأخرى ، إلا انه على الرغم من ذلك فإن الأسرة المصرية في نهاية الأمر تتميز ككل بطابع خاص يميزها عن باقي المجتمعات الأخرى . ويمكن بوجه عام أن تستخدم الأوضاع الحالية سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية كمؤشرات للتنبؤ بمستقبل الأسرة . ولكن هذا التنبؤ يجب أن ينحصر في المدى القصير لأن المستقبل البعيد قد تنشأ فيه متغيرات لا يمكن معرفتها الآن . وبالتالي لا يمكن وضعها في الحسبان . وعموما فهناك جوانب معينة في حياة الأسرة المصرية يمكن التنبؤ بتغيرها في المستقبل نشير اليها فيما يلي :

١ ـ من الممكن أن تحدث تغيرات بنائية في العلاقات بين أعضاء الأسرة بالمقارنة

بوضعها الحالي ، وخاصة من منظور المساواة والحرية والمشاركة في السلطة والمسئولية ، وكقاعدة فإنه كلما ازداد المستوى الثقافي والاقتصادي ، زاد تسامح الرجل وأصبح أكثر اقترابا وتفهما للعلاقات الإنسانية التي تربط الوحدة الأسرية الصغيرة ، كما أنه نتيجة لذلك فهناك احتمال كبير بأن ترتفع مكانة المرأة في المجتمع المصري وأن تتحرر الى حد ما من التبعية المطلقة للرجل . ألا ان ما حصلت عليه المرأة من الحقوق المتساوية مع الرجل ومنها حق العمل سيظل نظريا إلى أن يتاح للزوجات المصريات ان يتغيرن أولا عن طريق التعليم والثقافة ، والالتحاق بالعمل (لأن نسبة النساء العاملات في المجتمع المصري ما زالت صغيرة جدا إذا قورنت بعدد النساء في المجتمع او القوة العاملة فيه) وحينئذ يمكن أن تحصل على مكانة مساوية لزوجها ، أما قبل أن تفعل ذلك فستظل المرأة تحمل الرواسب التي كانت لمكانتها في الأسرة الممتدة التقليدية ، وإذن فإن التغير الذي يصيب سلطة الرجل أو يلحق بمكانة المرأة سوف يقتصر بصورة واضحة على الأسر التي سوف تزداد فيها نسبة الخصائص الحضرية[1] .

٢ ـ هناك احتمال واضح باتجاه الأسرة المصرية في المستقبل نحو التقليل من عدد الأطفال فيها ، بناء على تغير القيم المتعلقة بالانجاب الى حد كبير . وسوف يساعد على ذلك (وخاصة في المناطق الحضرية) رغبة الأسر في الاحتفاظ بمستوى معيشي مرتفع ، وزيادة الاكتشافات في مجال ضبط النسل والتثبت والاقتناع بهذه الوسائل . وخير برهان على ذلك ان كثيرا من الأسر التي لديها عدد كبير من الأطفال بالفعل في الوقت الحالي تؤمن بضرورة تنظيم الأسرة وفي هذا دليل على ان ايديولوجية التغير في هذا المجال قد أصبحت محل تسليم واقتناع مما يشير الى إمكان تحقيقها في المستقبل القريب .

٣ ـ ان التغيرات البنائية في الوحدة الأسرية سيؤدي بالضرورة إلى تغير في أدوار اعضاء الأسرة ، وسوف ينعكس ذلك بوجه خاص على الزوج والزوجة ، خصوصا اذا كان المناخ الثقافي والاجتماعي ملائما . وقد تبين ان الاتجاه العام للتغير البنائي

---

(١) سناء الخولي : الاسرة في عالم متغير، مرجع سابق من ٢٠١ ـ ٢١٢ .

ونتائجه في الأسرة المصرية يميل الى اتخاذ هذا المسار إلا انه لا زال واضحا ان فقدان الرجل لسلطاته التقليدية ، أو ارتفاع مكانة المرأة الى مرتبة المشاركة الفعلية في تخطيط مستقبل الأسرة وفي اتخاذ القرارات ليس امرا شائعا حتى الآن لأن مثل هذا التغير البنائي لا يمكن ان يحدث إلا إذا ساندته التغيرات الاجتماعية والثقافية ونتائجها على المجتمع الكبير وهذا لم يصل بعد في المجتمع المصري الى درجة يمكن ان تساند او تعجل بإبراز أو إظهار نتائج التغيرات البنائية في الأسرة ، ومن هذا يمكن لنا ان نتنبأ بمثل هذه التغيرات في أوضاع وأدوار الزوج والزوجة وإذا حدثت تغيرات سابقة في النواحي الثقافية والاجتماعية والتكنولوجية مما يفرض او يحتم هذه التغيرات .

٤ ـ على الرغم من وجهات النظر التشاؤمية التي ترى ان الأسرة في سبيلها إلى التفكك والانهيار فإن الأسرة المصرية ما زالت تتميز بالتكامل والتماسك إلى حد كبير . وهذا لا يعني عدم تعرض الأسرة لازمات أو متاعب . وإنما يعني ان الأسرة حتى الآن تستوعب المعوقات وتتجاوزها وتتكيف في بعض الأحيان معها لتستمر عجلة الحياة ، ولا يوجد مؤشر يدلنا على امكان تفككها أو انهيارها في المستقبل .

٥ ـ إن ازدياد معدلات التغير الاجتماعي والثقافي تؤدي الى تغيرات مصاحبة في القيم المتعلقة بالزواج مثل زيادة أو نقصان معدلات الطلاق ، وشروط الاختيار في الزواج ، إلا أن مدى تأثر الأسرة بهذه التغيرات يختلف تبعاً للطبقة التي تنتمي اليها ، وهناك احتمال كبير بأن تتغير هذه القيم في المستقبل نتيجة لإرتفاع مستويات التعليم وانتشار التصنيع بشكل أوسع .

٦ ـ إن الأسرة تسير في اتجاه التغير من حيث الوظائف ، من وحدة انتاجية إلى وحدة استهلاكية ، كما ان وظائفها التقليدية تنتقل او انتقلت بالفعل الى بعض المؤسسات أو المنظمات في الوقت الذي يتعاظم فيه دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية وفي متابعة تعليم الأطفال ، وهذا يؤيد الاتجاه إلى رفض وجهة النظر القائلة بأن الأسرة في سبيلها لفقدان وظائفها بحيث تصبح بلا قيمة أو بلا اهمية في المجتمع ، أو انها ستتحول في المستقبل القريب الى وحدة تقتصر وظيفتها الرئيسية على ممارسة العلاقات الجنسية .

٧ ـ على الرغم من التغيرات العديدة التي تعرض لها المجتمع المصري في الوقت الراهن نتيجة لعوامل داخلية وخارجية ، فإن الأسرة فيه ما زالت قوية الصلة ببقية النسق القرابي (رغم اتجاهها الى شكل الأسرة النواة) بل أنها تميل الى زيادة هذه الارتباطات ، حتى أن الأسر في الطبقات العليا التي كان من المحتمل ان تسير في اتجاه العزلة ، فإنها ما زالت تعالج شئونها متأثرة بالرواسب القديمة التي لم تختف نهائيا ، ومع ذلك فمن المحتمل انه كلما زاد عمق التغير الاجتماعي (باعتبار ان مصر ما زالت تعتبر من الدول النامية وأن التغير فيها ما زال في خطواته الأولى) فإن الأسرة الحضرية سوف تسير في اتجاه العزلة . والدليل على ذلك ان الأسرة في المناطق الحضرية أصبحت علاقاتها القرابية ضيقة الى حد كبير .

٨ ـ ليس هناك شك في أن ازدياد الأدوات التكنولوجية الحديثة وما يصاحبها في العادة من نمو واتساع في نطاق الحياة الحضرية سوف يؤثر بصورة مباشرة وغير مباشرة على الأسرة سواء في بنائها أو في وظائفها . وهذا نظراً لأن الأسرة المصرية ترحب بكل ما هو مادي طرحته التكنولوجيا ولا يعوق هذا الترحيب عملياً إلا المعوقات الاقتصادية التي تتمثل في إنخفاض مستوى الدخل الملحوظ لمعظم الأسر المصرية في الوقت الحالي ، ويشير ذلك الى أن هذه الوسائل إذا ما اتيحت للأسرة في المستقبل فإن آثارها سوف تكون واضحة عليها ويمكن ان تتعرض لنفس التغيرات التي تعرضت لها الأسرة في المجتمعات المتقدمة نتيجة لإستخدامها لهذه الأدوات .

خاتمة

أنني لست متشائمة بشأن مستقبل الأسرة وأختلف مع بعض من يرون غير ذلك ، والذين يدعمون ما يذهبون اليه من خلال الإحصاءات والبيانات التي تكشف عن زيادة مطردة في معدلات الطلاق وبعض مظاهر الانحلال الجنسي . ان الأسرة تتعرض للتغير وهذه حقيقة إلا أن كثيرا من التغيرات التي قد تحمل بعض مظاهر الانحلال سوف تقابل بمقاومة عنيفة ومعارضة بالغة وخاصة في المجتمعات النامية ، وهذا على الرغم من أن بعض التغيرات سوف تضيف إلى المتشائمين أدلة جديدة على النمو المضطرد في المظاهر الانحلالية التي يزعمون انها ستؤدي إلى سقوط الأسرة في النهاية ، إلا أنه من الملائم ، بل ومن الواقعي ان نتناول هذه التغيرات على أنها تغير ، وأن ندرس وأن نفهم النتائج التي يمكن ان تترتب على الأنماط الأسرية الجديدة لنعاون الأفراد على مواجهة الواقع الاجتماعي في أي زمن وفي أي مكان .

ستبقى الأسرة لتقوم بوظائف اساسية ومتنوعة ، ولسوف تجد الغالبية العظمى من الناس في التفاعل الزواجي والأسري الأساس الحيوي والهام للاستقرار العاطفي والنفسي ، كذلك ستبقى الأسرة هي المصدر الأول للتنشئة الاجتماعية ، وستظل كذلك مصدر الأمن والمودة وإعطاء الحياة معنى ، قد يتغير الشركاء من خلال الزواج وقد تتغير توقعات الرجال والنساء ، وقد تتغير القواعد والممارسات الجنسية ، الأمر الذي يمكن ان يفضي إلى تغيرات واسعة النطاق في الصيغ الأسرية . إلا ان هذه

التغيرات لا يجب ان نقرنها بالإنحلال واللاّأخلاقية. إن المجتمع الذي قد يتعرض للاضطراب أو يقترب من الانحلال ويكون للأسرة إسهام في ذلك فلن يكون الأمر راجعاً للتغير في حد ذاته بل إنه سيرجع في المحل الأول إلى عدم القدرة على التغير. إن المستقبل قد يكون صدمة للبعض إلا أنه بالنسبة للكثيرين أخصب فترات التاريخ، ولهذا فخير ما نفعله ألا نقف جانبا ونهلل لكل بيان أو إحصاء يشير إلى تفاقم أزمة الحياة الأسرية، وتستنتج منه استنتاجات تشاؤمية قد ترجع إلى رأي ذاتي أو خبرة فاشلة، أن نحاول بالدراسة والفهم المدعمين بالخيال الإيجابي ان نواجه التغير في توافقات أكثر واقعية، وفي الإطار الذي يستطيع الذكاء الإنساني فيه ان يبرز مقدرته الخلاقة على تحقيق التوازن والرفاهية.

المراجع والدوريات الاجنبية

1 - Bardwick, Judith M. « Psychology of Women » Harper and Row, Puhlishers, New - York, 1971 .

2 — Bardwick, J. Douvan, E in V. Gornick and B. Movan (eds), « Woman in Sexist Society » , New - York , New American Library , 1972 .

3- Bell Norman and Vogel, Erza, « A Modern Introduction to the Family » , the Free Press, New - York , 1968 .

4- Bell, Robert, « Marriage and Family Interaction » the Dorsay Press, Homewood, Illinois, 1975 .

5 - Benson, Leonard « Fatherhood : A Sociological Perspective » Random house, New - York, 1968 .

6 - Bernard, Jessie, « The Adjustment of Married Mates » , in Hand book of Marriage and the Family , Harold Christensen (ed) , Chicago : Rand Mcnally Company , 1964 .

7 - Bernard, Jessie, « The Fourth Revolution » , in Ruth E Albrecht and E. Wilbur Book (eds .) Encouter : Love , Marriage and Family , Halbrook Press , Inc , Boston , 1972 .

8 - Bernard Jessie , « Remarriage » , The Dryden Press , New - York , 1956 .

9 - Bernard, Jessie, « The Future of Marriage » The World Publishing Company, New - York, 1972 .

10 - Blood , Robert and Wolfe , Donald , « Husband and Wives : The Dynamics of Married Living » , Glencos Illinois the Free Press , 1960

11 - Bott , Elizabeth « Conjugal Roles and Social Net - Works » in the Family , the Free Press of Glencoe , 1960

12 - Blumer , Herbert , « Symbolic Interactionism : Perspective and Method » , Englewood Clifs , New Jersey , Prentice - Hill , Inc , . 1964 .

13- Bowman, Henry A., «Marriage for Mndorns, Mc Grow-Hill, Inc., 1964.

14 - Brenton , Myron « New Ways to Manliness » in Nancy Reeves : Woman kind : Beyond the Stereotype , Aldine-Chicago , 1971 .

15 - Burgess , Ernest and Cottrell L , S . , « Predicting Success of failure in Marriage , Prentice - Hall , New - York , 1939 .

16 - Burgess Ernest and Harvey , Locke and Mary Margaret Thomas , « The Family : From Traditional to Companionship » , Van Nostrand Reinhold Company , New York , 1971 .

17 - Burgess , Ernest , « The Family as a Unit of Interacting Personalities , Family , 7 (1926) .

18 - Burgess , Ernest , « The Family in a Changing Society » in Halt and Others (eds) . Cities and Society , The Free Press of Glencoe , Inc , New - York , 1961 .

19 - Burgess , Ernest and Locke H . J . , « The Family » American Book Co . 1953 .

20 - Burgess Ernest and Wallin , p . « Engagement and Marriage » Philadelphia : Lippincott Co . 1953 .

21 - Bronfenbrenner , U . « Socialization and Social Class Through Time and Space » in E . E . Macooly and Others (eds ,) , Reading in Social Psychology , Holt Rinehart and Winston , 1958 .

22 - Centers , Rechard and Other , « A Conjugal Power Structure : « A Re - examination» American Sociological Review , (April . 1971) .

23 - Chester , Phyllis and Goodman , Emily Jane , « Woman , Money and power .

24 - Cooley , Charles Horton « , Social Organization » Charles Scribner , s Sons , New - York , 1929 .

25 - Decter , Midge , « The New Chastity and Others Arguments Againts Woman , s Liberation Coward McCann and Geoghegan , Inc . , New - York , 1972 .

26 - Dewhurts , Christopher and Gordon , Ronald R . : « The Intersexual Disorders , Bailliere , Tindall and Cassel , London , 1969 .

27 - Darwin Charles , « Origin of Species » N . Y , Ap - pleton , 1859 .

28 - Elder , Glen and Bowerman , C E . « Family Structure and Child - Rearing Patterns : The Effect of Family Size and Sex Composition » , American Sociological Reveiew , 28 (December , 1963) .

29-Edward John, «The Future of the Family Revisited» Journal of Marriage and the Family, 29 (August, 1967).

30 Engels, Frederick, « The Origin of the Family, Private Property and State », C. H. Curr and Company . Chicago , 1902 .

31 - Elkin, Frederik and Handel Gerald, « The Child and Society : The Process of Socialization Random House . New - York , 1972 .

32 - Eshleman, Ross and Chester L, Hunt « Social Class Factors in the College Adjustment of Married Students » Kalamazoo , Western Michigan University , 1965 .

33 - Farson, Richard E., et al, « The Future of the Family » Family Service Assuciation of America , New - York , 1969 .

34 - Froshlich, Newton, « Making the Best of it » , Harper and Row , Publishers , New York 1971 .

35 - Glasser, Paul H., and Glasser Lois N., (eds ,), « Families in Crisis » Harper and Row, New York , 1970 .

36 - Goode , William , « After Divorce», The Free Press , New York , 1956 .

37 - Goode , William , « The Family » Prentice - Hall , Inc , Englewood cliff , New Jersey .

38 - Goode , William , « The principles of Sociology » McGraw-Hill , Inc , 1977 .

39 - Goode, William, « The Theory and Measurment of Family Change in Eleanor B. Sheldon and Wilbert Moors, Indicators of Social Change, Russel Sage, Foundation, New - York, 1968 .

40 - Goode, William, « The Theoretical Impertance of Love » American Sociologioal Review, 24 (February , 1959) .

41 - Goode, William, « World Revolution and Family Patterns » Glencoe, the Free Press, 1963 .

42 - Glick , Paul , « The life Cycle of the Family » Marriage and Family Living , 1955 .

43 - Greenfield, Sidney, « Love and Marriage in Modern America : A Functional Analysis » Sociological Quarterly , 6 (Autumn , 1965) .

44 - Groves, E. R, And Ogburn, W. F., « American Marriage and FamilyRelationships», N. Y , Holt , 1928 .

45 - Gurin Gerald, Veroff, Joseph and Fels, Sheils, « American View Their Mental Health , » Basic Books , New York , 1960 .

46 - Hall , Calvin S , « A primer of Freudian Psychology » The World Publishing Company , N . Y , 1954 .

47- Hamilton , Gilbert V . , « A Reasearch in Marriage » Albert and Charles Boni , New York , 1929 .

48 - Hampson Joan , « The Case Management of Somatic Sexual Disorders in Children : Psychologic Consideration , in Charles W . L Loyd (ed .) Human Reproduction and Sexual Behavior , Lea and Febiger , Philadelphia , 1964 .

49 - Hampson , Jhon L . , « Determinants of Psychosexual Orieintation in Frank A . Beach (ed), Sex and Behavior , John Wiley and Sons , Inc , New York , 1965 .

50- Harper , Fowler V . , and Jerome H . Skolnick , « Problems of the Family » , the Bobbs - Merrill Company Inc , 1962 .

51 - Hartley Ruth E . , « Children,s Concepts of Male ansd Female Role , » Merrill Plamer Quarterly , 6 (1960) .

52 - Hicks , Mary W . , and Platt Marilyn ,«MaritalHappeness and Stability : A Review of the Research in the Sixties » Journal of Marriage and the Family , 32 (November , 1970)

53 - Hill , Reuben , « The American Family of the Future » Journal of Marriage and the Family , 26, (February , 1964) .

54 - Hill , Reuben et al . ,«Family Development in Three Generations » Cambridge , Mass : Schenkman Publishing Co . , Inc , 1970 .

55 - Hobart , Charles , « Commitment , Value Conflict and the Future of American Family » Marriage and Family Living , 25 (November , 1963) .

56 - Howe , Florence , « Sexual Stereotype Start Early » Saturday Review (October , 1971) .

57 - Jones Howard W . , Jr , and William Wallace Scott , Herma - Phroditsm , Genital Anomalies and Related Endocrine Disorders » , 2d ed . , the Williams and Wilkins Company , Baltimore , 1971 .

58 - Kats A . M . and Hill , R . , « Residental Propinquity and Marital Selection : A review of Theory», Method and Fact Marriage and Family Living , Vol , 20 .

59 - Kerckoff , « Patterns of Homogamy and the Fields of Eligibles » Social Forces Vol 42 , 1963

60 - Key , William H , « Rural - Urban Differences and the Family » Sociological Quarterly 2 (January ,1961) .

61 - Kinsey et al , « Sexual Behavior in the Human Male » W . B . Saunders Company ,

Philadelphia , 1948 .

62 Kirkpatrick , E . L . at al , « The Life Cycle of the Farm Family in Relation to its Standard of Living , » University of Wisconsin , 1934 .

63 - Kohn , M . L «SocialClass and Parent Child Relationships : An Interpretation » , American Journal of Sociology , Vol , 68 .

64 - Kohn , M . L . , « Social Class and Parental Values » , American Journal of Sociology , Vol , 64 , 1959 .

65 - Karry , L , and Joan M . Constantine , « The Group Marriage » in Michael Gordon (ed .) . The Nuclear Family in Crisis : The search for an Alternative , Harper and Row , N . Y , 1972 .

66 - Levine Sol and Norman A . Scotch , « Social Strss » Aldine Publishing Company , Chicago , 1970 .

67 - Lindesmith , Alferd R . and Strauss , A , L , «SocialPsychology» Holt Rinehart and Wonston , New - York , 1968 .

68 - Litwak , E , « Occupational Mobility and Extended Family Cohesion » American Sociological Review , Vol , 1960 .

69- Litwak E , and Szelenyi , « Primary Group Structure and Their Fanctions : Kin Neighbors and Friend » American Sociological Review , Vol , 34 , 1969 .

70 - Lopata , Helena Znanieck , . « Occupation : Housewife » Oxford University Press , New - York , 1971 .

71 - Lowry , Nelson and Others , « Community Structure and Change , New - York .

72 - Masters , William and Johnson , Virginia E,«Human Sexual Inadequacy » , Little , Berown and Company , Boston , 1970

73 - Mead , Margaret « Future Family » Trans - Action , 8 (September , 1971) .

74 - Miller , D , R , and Swanson , G . E . , The Changing American Parent : A Study in the Detroit Area , 1958 .

75 - Morgan , Lewis . « Ancient Society » Henry Holt and Company , New - York , 1877 .

76 - Mosley , Philip E , « The Russian Family : Old and New » ; in Ruth Anshen (ed .) ,«The Family : Its Functions and Destiny » , Harper Brothers , New - York , 1959 .

77 - Murdock , George p , « Social Structure » The MacMillan Co , New - York , 1949 .

78 - Murdock , George P . « World Ethnographie Sample » , American Anthropologist , 59 (August, 1957).

79 - Nye , Van F . , and Hoffman , Lois , W , (eds .) « The Employed Mother in America » Rand Mc Nally and Company , Chicago , 1963 .

80 - Ogburn , William , « Technology and the Changing Family » Houghton Meflin , Boston , 1955 .

81 - Ogburn , William « The Family : Its Functions » , Recent Social Trends in the United States , Mc Grow - Hill Co . , New - York , 1933 .

82 - Parsons , Talcott , « The Kinship System of the Contemporary United States » American Anthropologists , 1943 .

83 - Parsons , Talcott , « The Social Structure of the Family » in Ruth N . Anshen (ed .) . the Family : Its Functions and Destiny Harper and Brothers , New - York , 1959 .

84 - Parsons , Talcott and Bales , R . E . , « Family , Socialization and Interaction Process » The Free Press of Glencoe , 1955 .

85 - Peters , Jhon Fred , « Mate Selection Along the Shirishana » Practical Anthropology , 18 Jannuary - Febryary , 1971 .

86 - Pineo Peter C , « Disenchantment in the Later Years of Marriage » , Marriage and Family Living , February 1961 .

87 - Polk , Barbara Boves and Robert B . Stein, «Is the Grass Greener on the Other Side » , is Constatina Safilios - Roths Child (ed .) . Toward a Sociology of Women Xerox Cellege Publidging Walthan Mass , 1972 .

88 - Ramsey ,Glem V Bert Kruger Smith and Bernice Milburn Moore, « Women View their Working World » the Hogg Foundation for Mental Health , University of Texas , Austin , 1963 .

89 - Reiss , Iral , « Toward a Sociology of the Heterosexual Love Relationship » Marriage and Family Living , 22 (May , 1960) .

90 - Renne , Karen S . « Correlates of Dissatisfaction in Marriage » Journal of Marriage and the Family , February , 1970 .

91 - Richard , Klemer « Marriage and Family Relationships » Harper and Row , Publishers , Incorporated , N , Y , 1970

92 - Rodman , Hyman , « Marital Power in France , Greece , Yugoslavia and the United States A Cross- National Discussion » Journal of Marriage and the Family , 29 (May , 1917) .

93 - Rollins Boyd and Feldman Harold , « Marital Satisfaction Over the Family Life Cycle » , Journal of Marriage and the Family , 32 ((February , 1970) .

94 - Rossi , Alice , « Equality Between the Sexes » Daedulus , Spring , 1964 .

95 - Rowntree , B . S . « Poverty : A Study of Town Life » MacMillan Co . London , 1906 .

96 - Safilios , Constantina , « The Study of Family Power Structure : A Review » Journal of Marriage and the Family , 32 (November , 1970) .

97 - Sewall , William H , « Infant Training and the Personality of the Child » , The American Journal of Sociology , 58 (September , 1952) .

98 - Sherman , Julia A , « On the Psychology of Women » Charles C , Thomas , Publisher , Springfield , 1071 .

99 - Skipper , James K . and Nass , Gilbert ,«Dating Behavior : A Frame Work For Analysis and an Illustration » Journal of Marriage and Family , 28 (November , 1966) .

100 - Spencer , Herbert , « The Principles of Sociolegy » Appleton and Company , New York . 1898.

101 - Skolnick , Arlene S . and Skolnick Jerome H . « Family in Transition » , Little Brown and Co ,. Boston, 1971.

102 - Sorokin , Pitrim , « Social and Cultuarl Dynamics » 4 Vol American Book Company , 1937

103 - Sorokin . Pittrim and Zimmerman and Gaplin « A Systematic Source Book in Rual Sociology » . University of Minnesota Press, 1931.

104 - Stephens , William N . , « The Family in Cross Cultural Perspective » , Holt Rinehart and Winston, Inc, N-Y, 1963.

105 - Stinnett , Nick, Collins , Janet and Montogomery James , « Marital Need Satisfaction of Older Husbands and Wives » , Journal of Marriage and Family , August, 1978.

106 - Sussman , M B , and Burchinal L , « Kin Family Network : Unheralded Structure in Cyrrent Conceptualization of Family Functioning » in John Edwards (ed .) , the Family and Change . Alfred A, Knoph Publisher, New York, 1969.

107 - Terman, Lewis « Papers on Eugenice, No. 4. 1947.

108 - Terman , L , « Psychological Factors in Marrital Happiness » , Mc Grow - Hill Book Co . , New-York, 1938.

109 - Waller, Willard, « The Family : A Dynamic Interpretation » Dryden, 1938.

110 - Walters James and Stinnet Nick ; « Parent - Child Relationships : A Decade Review of Researdh » , Journal of Marriage and the Family, February 1971.

111 - Winch, R. F « The Modern Family » Holt, Rinehart and Winston, Inc, New-York, 1971.

112 - Winch, R. F. « Mate Selection » Harper and Row, 1958.

113 - Westermarck, Edward, « A Short History of Marriage » Humanitis Press, New - York, 1968 (First Puplished in 1920).

114 - Weitzman Lenore and Others, « Sex Roles Socialization in Picture Nooks of Preschool Children, » American Journal of Sociology, 77 (May, 1972).

115 - Winokur George (ed .), « Determinants of Human Sexual Behavior », Charlas C, Thomes, Publisher Springfield 1963.

116 - Yinger, Milton, « The Changing Family in a Changing Society », Social Case - Work, 40 (October, 1959).

117 - Zimmerman, Carle C. « Family and Civilization » Harper and Bros, 1947.

118 - Zimmerman, Carle C., « The Family of Tomorrow : The Cultural Crisis and theWay Out» , Harper and Bros, New - York, 1949.

محتويات الكتاب

الفصل الأول
الذكر والأنثى : ما هما ولماذا ؟

صفحة

الفصل الثاني
معنى الزواج والأسرة

الفصل الثالث
القرابة والجماعات الأولية والثانوية

الفصل الرابع
الزواج والمناخ الاجتماعي

الفصل الخامس
تفسير التغير الأسري

الفصل السادس
الدراسة العلمية للأسرة

الفصل السابع
الاختيار الزواجي

الفصل الثامن
زواج وزوجـات

الفصل التاسع
آباء وأبناء

الفصل العاشر
أزمات الزواج

الفصل الحادي عشر
دراسة تطبيقية على الأسرة المصرية

الفصل الثاني عشر
مستقبل الأسرة

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية
٩٢/٧٢٦٩
ISBN. 977/5/16-90-2

